

رواد المعرفة عبر القرون

من أرخميدس حتى هاوكنج

الجزء الثاني

ترجمة

د. إيمان نوري الجنابي

1432 هـ - 2011 م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجزء الثاني

رواد المعرفة عبر القرون

من أرسطو حتى هاوكنج

ح) وزارة الثقافة والإعلام، المجلة العربية، 1432هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

بكوفر . كلفور د.أ.

رواد العلم عبر القرون من أرخميدس حتى هاوكنج / كلفور د.أ.

بكوفر . الرياض، 1432هـ

3 مج.

1076 ص : 23.5x15.5 سم

ردمك 978-603-8079-02-7 (مجموعة)

978-603-8079-05-8 (ج3)

1 - العلماء 2 - العلوم - تراجم أ.أ. العنوان

ديوي 925 1432/820

رقم الإيداع: 1432/820

ردمك: 978-603-8079-02-7 (مجموعة)

978-603-8079-05-8 (ج3)

قوانين العلوم والعقول الجبارة التي أبدعتها

ARCHIMEDES

TO HAWKING

CLIFFORD A.

PICKOVER

Oxford

UNIVERSITY PRESS

2008

جميع حقوق الطبع محفوظة، غير مسموح بطبع أي جزء من أجزاء هذا الكتاب، أو اختزانه في أي نظام لاختزان المعلومات واسترجاعها، أو نقله على أية هيئة أو بأية وسيلة سواء كانت إلكترونية أو شرائط ممغنطة أو ميكانيكية، أو استنساخاً، أو تسجيلاً، أو غيرها إلا في حالات الاقتباس المحدودة بغرض الدراسة مع وجوب ذكر المصدر.

رواد المعرفة عبر القرون

من أرخميدس حتى هاوكنج

تأليف

د. كلفورد أ. بكوفر

ترجمة

الدكتور إيمان نوري الجنابي

الطبعة الأولى

1432هـ - 2011م



كتاب
العريضة
15

رئيس التحرير
د. عثمان الصيني

www.arablc magazine.com

لمراسلة المجلة على الإنترنت

Info@arablc magazine.com

الرياض: طريق صلاح الدين الأيوبي (الستين) - شارع المنفلوطي

تليفون: 966-1-4778990 فاكس: 966-1-4766464

ص.ب 5973 الرياض 11432

الباب الثاني

الفصل الثالث

القرن التاسع عشر - (1800 - 1900)

- 368..... قانون (دالتن) للضغط الجزئية عام (1801)
- 389..... قانون (هنري) للغازات عام (1802)
- 399.... قانون (غاي - لوساك) لأحجام الغازات المتفاعلة عام (1808)
- 411..... قانون (أفوكادرو) للغازات عام (1811)
- 423..... قانون (بروستر) لاستقطاب الضوء عام (1815)
- 443..... قانون (ديولرو بتي) للحرارة النوعية عام (1819)
- 463..... قانون القوة المغناطيسية ل(بايو و سافار) عام (1820)
- 477..... قانون (فورييه) للتوصيل الحراري عام (1822)
- 498 قانون (أمبير) للكهر ومغناطيسية ودوائرها الكهربائية عام (1825)
- 513..... قانون (أوم) للمقاومة الكهربائية عام (1827)
- 534..... قانون (كراهام) للتنافذ عام (1829)
- 553.. قانونا (فراي) للحث الكهر ومغناطيسي والتحلل الكهربائي عامي (1831 و 1833)
- 591..... قانونا (كاوس) للكهربائية و المغناطيسية عام (1835)
- 626..... قانون (بويسيل) لجريان الموائع عام (1840)

639.....	قانون (جول) للتسخين والتدفئة الكهربائية عام (1840)
659... (1859 و 1845)	قانونا (كرشهوف) للدوائر الكهربائية والإشعاع الحراري عامي (1845 و 1859)
680.....	قانون (كلوزيس) للديناميكا الحرارية عام (1850)
724.....	قانون اللزوجة لـ (ستوك) عام (1851)
752.....	قانون (بير) للامتصاص الضوئي عام (1852)
758	قانون (ويدمان - فرانز) للتوصيل الكهربائي والحراري عام (1853)
768.....	قانون (فك) للانتشار عام (1855)
783.....	قانون (باي - بالو) للرياح والضغط الجوي عام (1857)
793.....	قانون الخاصية الشعرية (لأوتفش) عام (1866)
803.....	قانونا (كولر وش) للتوصيل الكهربائي عامي (1874 و 1875)
815.....	قانون (كيوري) للمغناطيسية عام (1895)
819.....	قانون (كيوري - ويس) للمغناطيسية تعميمه عام (1907)

الباب الثاني

الفصل الثالث

١٨٠٠ - ١٩٠٠





- للعلم نكهة بديعة وطبيعة رقيقة، فهو سيستمر بإمتاعنا ويتابع مفاجأتنا بالكثير من الابتكارات والاختراعات وبعد ذلك سيُبهَرنا بوضع الأساليب والتصاميم، وأخيراً وفي صلب ذلك التطور العلمي ستتجسد التكنولوجيا التي ستوفر لنا الآلات العلمية والأدوات المعرفية الضرورية لتحقيق ما سبق اكتشافه وابتكاره واختراعه من الطرق الجديدة. وعليه فما نسميه إنجازاتنا العلمية اليوم هو: التعرف على طرق جديدة، وما نطلق عليه التطور هو تحديد استفادتنا من تلك الطرق. وأخيراً سنتقنع حتماً بأن التطور الحقيقي والتقدم هو في طبيعة ما نعرف... أكثر من كونه اتساعاً وامتداداً لما نعرف فعلاً.

كلي

Kevin Kelly, (Speculations on the Future of Science)

مقتطف من كتابه (توقعات حول مستقبل العلم).

- إذا ما صرح عالم جليل مرموق بأن شيئاً ما لا بد أن يكون موجوداً وممكناً فعلياً الغالب الأعم سيكون على حق، ولكنه إذا ما أصر على أن شيئاً ما مستحيل ولا يمكن أن يكون فغالباً ما سيكون على خطأ.

كلارك

Arthur C. Clark, Profiles of the Future, 1962.

مقتطف من كتابه (سمات المستقبل).

-... ولكن إذا ما ساند الجمهور فكرة عالم حبيب خبير واندفعوا خلفها هستيريا وعاطفياً، فعلياً الغالب الأعم سيكون ذلك العالم الجليل على حق.

اسيموف

Quasar, Quasar⁽¹⁾ Burning Bright, 1976 Isaac Asimov⁽²⁾,

مقتطف من كتابه (الكويكبات البراقة).

(1) Quasar - مجموعة محددة من الأجرام السماوية (ويعتقد أنها نجوم هائلة أو مجرات منفجرة تمتاز بزيغها الأحمر Red Shift) وبسلسلة لمعانها مما يعكس بعدها المساحق عنا وطاقتها الهائلة الناتجة عنها والعنوان المذكور هو لمجموعته القصصية الثالثة عشرة والتي تحتوي على سبع عشرة قصة من ضمنها واحدة تحمل هذا العنوان، كتبها ما بين 6 أيار (مايو) 1976 - أيلول (سبتمبر) 1977. (المترجم).

(2) Isaac Asimov: راجع الحاشية رقم (1) الخاصة به أسفل صفحة (98). (المترجم).

- لقد تمكن العلماء والمهتمون - وعن جدارة - من تنفس الصعداء حينما أوشكت شمس القرن التاسع عشر على الغروب ونجمه إلى الأفول. لقد صار بإمكانهم التمتع بالنوم الهنيء لأنهم تأكدوا من أنهم قد انتهوا من وضع أصابعهم على أغلب إن لم نقل على جميع خوافي الفيزياء ومعضلاتها، وقد حلوا وسيطروا على كافة مشاكلها وأسرارها. فهم قد تمكنوا من وضع المعادلات الرياضية الراسخة والتي تفسر كافة الظواهر الكهربائية والمغناطيسية وتصرف الغازات والضوء والصوت، وفهموا الحركة والإحصاء والميكانيك حتى دانت جميعها لهم بالطاعة والولاء واستجابت لما وضعوه من أسس وقوانين بالوفاء. ومن لا يغبظهم على كل ذلك وقد كللوا نجاحاتهم أخيراً باكتشاف الأشعة السينية وأنبوب الأشعة الكاثودية والإلكترون والنشاط الإشعاعي وتمكنوا من (اختراع) وحدات الأوم والواط والكلفن (الدرجة الحرارة المطلقة) والجول والأمبير ولم ينسوا حتى وحدة الأرك⁽¹⁾ الصغيرة.

برايسون

Bill Bryson: A Short History of Nearly Every thing.

مقتطف من كتابه (الموجزي في تاريخ كل شيء).

(1) Erg - هي وحدة الطاقة والشغل الميكانيكي في النظام المتري الحديث (سنتيمتر - غرام ثانية - CGS System - واسمها مشتق من كلمة (اركون - Ergon) الإغريقية وتعني العمل. وتعرف بأنها مقدار العمل الذي تنجزه قوة مقدارها (داين واحد) لمسافة مقدارها سنتيمتر واحد ويساوي غرام × سنتيمتر مربع لكل ثانية مربعة (g. cm² / S²). والأرك الواحد = 10 إلى القوة السالبة السابعة جول ويساوي = 624.15 كيجا إلكترون فولت، ويساوي (الأرك) الواحد (دايناً) واحداً مضروباً في سنتيمتر (عن الويكابريا) - (المترجم).



قانون دالتن للضغوط الجزئية

DALTON'S LAW OF PARTIAL PRESSURES

إنكتر 1801 - 

في مزيج غازي، يُسلط كل عنصر ضغطه على جدران الإناء الذي يحويهم جميعاً، كما لو كان الوحيد فيه، أو بعبارة أخرى: الضغط الكلي لمزيج غازي في إناء يساوي حاصل جمع ضغوطهم الجزئية جميعاً كل على حدة.

مصادر ذوات علاقة:

جيمس جول (JAMES JOULE) وقانون شارل للغازات (CHARLES'S GAS)
(LAW) وقانون النسب المتعددة (THE LAW OF MULTIPLE PROPORTIONS)
و النظرية الذرية للمادة (THE AROMIC THEORY OF MATERER).

من أحداث عام 1801:

- انتخب (توماس جيفرسن - Thomas Jefferson) رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية⁽¹⁾.

- اكتشف الكيميائي والفيزيائي الألماني (يوهان فلهلم رتر - Johann Wil helm Ritter) الأشعة ما فوق البنفسجية، وتوفي عن عمر لم يناهز الثالثة والثلاثين. ربما نتيجة كثرة تعريض جسمه لها وإخضاع نفسه للعديد من تجارب الفولتية العالية بسببها.

نص القانون وشرحه:

ينص قانون دالتن للضغوط الجزئية على أن كامل الضغط (Pt) المسلط على جدران إناء من قبل خليط غازي لا بد وأن يساوي حاصل جمع كافة الضغوط الناتجة من إضافة ضغط كل غاز

(1) (1743-1826) وهو الرئيس الثالث لها، وهو المحرر الرئيسي لوثيقة استقلالها ويعتبر من الآباء المؤسسين. (المترجم).

(كما لو أنه كان الوحيد في ذلك الإناء وكأنه يشغله بكامله) إلى ضغط كل غاز آخر في المزيج. ويمكن صياغة هذا القانون والذي عُرف بقانون دالتن أو بقانون دالتن لمجموع الضغوط - Dalton's Law of Additive Pressures - بطريقة رياضية كما يلي:

$$P_t = p_a + p_b + p_c + \dots$$

حيث يُمثل فيها P_t - الضغط الكلي الناتج عن المزيج بكامله والحاوي على الغازات a و b و c و... الخ.

و p_a و p_b و p_c و... الخ، هي الضغوط الجزئية للغازات المكونة للمزيج، وعليه يمكننا الاستنتاج وكما ذكر سائفا بأن المقصود (بالضغط الجزئي) لأي غاز هو الضغط الذي يسلطه ذلك الغاز على جدران الإناء الذي يحويه وكأنه يُشغله بكامله وذلك تحت نفس ظروف الضغط والحرارة وكأنه لا وجود لبقية غازات المزيج (الذي هو نفسه أحد مكوناته) فيه.

وعليه يمكننا إدراج المثال المبسط التالي؛ عند مزجنا خليط غازي مكون من كميات مختلفة من غازات الأوكسجين (O_2) والأركون (Ar) والهيليوم (He) في إناء بحيث يكون لهم الضغوط الجزئية التالية 1 و 2 و 3 (جو) على التوالي، فإن الضغط الكلي لذلك المزيج في داخل الإناء الذي يحويه سيكون:

الضغط الكلي للخليط = الضغط الجزئي للأوكسجين + الضغط الجزئي للأركون + الضغط الجزئي للهيليوم = 6 جو

ويتضمن (قانون دالتن) إمكانية اعتبار الضغط الكلي للغلاف الجوي للأرض كحاصل جمع للضغوط الجزئية لكافة مكوناته الغازية وهي ضغط الأوكسجين والنيتروجين والأركون وثاني أكسيد الكربون وبخار الماء وبقية الغازات النادرة في الغلاف الجوي.

لقد افترض (جون دالتن) حجما متناهيا في الصغر لكل ذرة أو جزيئة غاز أدخلها في حسابات قانونه وعليه فإن كمية (الفضاء) الموجود بينها لا بد وأن يكون من الجساماة والعظم بحيث ستتحرك كل واحدة منها بحرية كاملة في كامل اتجاهاتها ولن تؤثر مطلقا على حركة أية من الذرات أو الجزيئات التي ستشارك معها في أي حيز يصدف أن يتجمعوا فيه، وهذا ما هداه إلى الاعتقاد بأن ضغط نموذج معين من غاز محدد ضمن مزيج من الغازات في حيز معين وتحت ظروف ضغط وحرارة معروفين



لا بد وأن يساوي ضغطه وكأنه يحتل كامل ذلك الحيز. ولكننا حين ندرس تصرفات الغازات تحت ظروف استثنائية من الحرارة المتدنية جداً أو الضغوط الهائلة العظيمة، ستوقع حدوث زيغ بين في تصرفاتها وهذا هو واقع الحال بالفعل. كما علينا أن نتذكر أيضاً أن انعدام حدوث أي تفاعل كيميائي بين غازات المزيغ الخاضع لهذا القانون لهو من الشروط المهمة جداً لتحقيقه كذلك.

قد يظهر قانون دالتن (قانون تافها) للوهلة الأولى، إلا أنه في الحقيقة واحد من أكثر قوانين الغازات استعمالاً في الحياة العملية، ولتوضيح ذلك دعني أذكرك بإحدى التجارب الشيقة التي يراها ويمارسها طلاب المرحلة المتوسطة في مختبراتهم حينما يتعرفون على مادة الكيمياء وتجاربها لأول مرة؛ تلك هي تجربة جمع الغاز الناتج من تفاعل حامض قوي مع برادة الحديد (Fe) مثلاً. للحصول على غاز الهيدروجين (H_2)، أو مع بروميد البوتاسيوم (KBr) للحصول على غاز البرومين (Br). تتم هذه العملية عادة بجمع الغاز المتولد في قنينة عن طريق إزاحة الماء منها، فحالما ينتهي خروج الماء من القنينة نعرف حالاً بأنها قد امتلأت تماماً بالغاز الذي حل محله، وذلك على فرض أن درجة ذوبان الغاز المنتج من التجربة في الماء قليلة جداً ويمكن إهمالها. والآن إذا وصفنا تلك التجربة بشيء من التفصيل فسنقول أن قنينة التجربة كانت قد مُلئت بالماء ونُكست في حوض مملوء به، ووصل الأنبوب المتصل بدورق التفاعل إلى فوهتها المقلوبة حيث تبدأ فقاعات الغاز بالولوج إلى داخلها مزيجاً ماءها إلى الحوض الذي نُكست فيه. وبخروج الماء المحصور في القنينة وحلول الغاز محله سينحصر هو بدوره في داخلها. والآن عليك أن تتذكر بأن كمية الغاز المحصورة في القنينة الآن لا تمثل حجماً صافياً من الغاز وإنما هناك مزيغ من الغاز الذي يحتوي على كمية معينة من بخار الماء الذي أزاحه. وهنا يمكننا تطبيق قانون (دالتن) لإيجاد ضغط الغاز الجاف وذلك بطرح مقدار ضغط بخار الماء المتولد في درجة حرارة التجربة من كامل مقدار ضغط الغاز في قنينة التجميع:

$$\text{ضغط الغاز الجاف} = \text{ضغط الغاز الكلي} - \text{ضغط بخار الماء في درجة حرارة التجربة.}$$

ويمكننا في الحقيقة تعويض (مقدار ضغط بخار الماء الجزئي) بعد نقله مباشرة من الجداول المعمولة لهذا الغرض والتي تحتوي على مقادير الضغوط الجزئية لبخار الماء في نطاق مدى

واسع جدا من درجات الحرارة. والآن باستخراجنا لقيمة ضغط بخار الماء الجزئي في درجة حرارة التجربة والتي فرضناها بـ (20) درجة مئوية من الجداول المختصة والتي ستكون (2.3 كيلو باسكال) وبالتعويض وبطرحها من ضغط المزيج الكلي والذي قيس ليكون (110 كيلو باسكال) فإننا سنحصل على:

$$110 - 2.3 = 107.7 \text{ كيلو باسكال}$$

يشكل (قانون دالتن) موضوعا في غاية الأهمية يستقطب الكثير من الاهتمام من لدن غطاسي الأعماق وذلك لضرورة معرفتهم بأن على صهاريج هواء التنفس التي يحملونها أن تجهزهم بالأوكسجين وبضغط معدل مقداره (0.20) من الضغط الجوي الواحد وذلك لضمان حسن الأداء الوظيفي الفزيولوجي لأجهزتهم التنفسية، وعليه لابد من الانتباه جيدا إلى... والأخذ بالحسبان زيادة ضغط الماء عند بلوغ الأعماق وذلك تلافيا لانطباق الرتين. وهنا تبرز أهمية صمام (معادلة ضغط الرتين الداخلي مع ضغط أعماق المياه) وذلك بتحكمه بمقدار زيادة ضغط غاز الهيليوم في كمادة التنفس. ويوظف ذلك الصمام (قانون دالتن) عمليا من أجل التحكم بضغط غاز الأوكسجين الذي يتنفسه الغطاسون عن طريق ضبط خلط نسبته مع غاز الهيليوم الذي يجهز منفصلا عن طريق خزان آخر ملحقا يحملونه على ظهورهم.

للفضوليين فقط:

- هل سمعت بعمى الألوان (الأخضر - الأحمر)؟ هو مرض وراثي متنحي لا يتمكن معه المصاب من رؤية هذين اللونين، سميت هذه الحالة (بالدتونية) نسبة إلى جون دالتن الذي ولد مصابا بها وقد أجرى عليها العديد من الأبحاث.
- استطاع (دالتن) اكتشاف البيوتيلين (C_4H_8 - Butylene or Butene) وهو غاز يستخدم اليوم في صناعات المطاط، كما تمكن من وضع الصيغة الكيميائية الصحيحة (لايثر - ether ، $\text{C}_2\text{H}_5 - \text{O} - \text{C}_2\text{H}_5$) والذي كان يستخدم سابقا في التخدير.
- كان متعدد المواهب متضارب الميول - نشر في عام 1801 إضافة إلى أبحاثه المهمة



حول خصائص الغازات، كتابا في قواعد اللغة الإنكليزية.

- درس في التسعينيات جمع من العلماء إحدى عينيه المحفوظة منذ وفاته، في محاولة منهم للتعرف على سبب معاناته من (عمى الألوان).

أقوال ماثورة:

- رغم إمكانياتنا العظيمة على تقسيم وتجزئة وتشطير المادة، إلا أنني على يقين أنه لا بد من الوصول في ذلك إلى حد سوف لن تتمكن من تجزئة المادة بعده، ولقد اخترت كلمة (الذرة - Aton) للتعبير عن ذلك (الجسيم) عظيم الصغر من المادة والذي يستحيل تقسيمه.

دالتن

John Dalton, A New System of Chemical Philosophy, 1808

مقتطف من كتابه المنشور بعنوان (نظام جديد في فلسفة الكيمياء).

- لقد تمكن دالتن من الرقي بالمفهوم الذري من التصور الفلسفي إلى التنظير العلمي - وذلك بتأطيره وتهيئته لتفسير المشاهدات الكمية واقتراح طرق اختبار وتجريب جديدة، بالإضافة إلى إمكانية إعادة صياغته ليتمكن من التعبير عن التعاملات الكيميائية الكمية وذلك بإنشاء نظام المقارنة النسبية بين كتل ذرات مختلف العناصر.

ارونز

Arnold Arons, Development of Concepts in Physics.

مقتطف من كتابه (تطور المفاهيم في علوم الفيزياء).

- لا يتعدى مفهوم التحليل والتركيب الكيميائيان منطق تفكيك الجزيئات المادية إلى مكوناتها الأصلية و/أو إعادة تشكيلها. وعند استيعابك لمفهوم إمكانية علماء الفلك أن يحسوا كوكبا من كواكب مجموعتنا الشمسية من الوجود أو خلق واحد آخر في مكان مغاير - عندها وعندها فقط ستمكن من إدراك استحالة إيجاد أو إفناء ذرة هيدروجين واحدة!!

كل ما نرومه بل كل ما في استطاعتنا (ومهما أوتينا من قوة) أن نفعله لم ولن يتعدى حقيقة فصل جزئيات (كانت متحدة سابقا) بعضها عن بعض، أو إعادة تقريب و التحام أخريات كن بعيدات عن بعضهن البعض.

دالتن

John Dalton, A New System of Chemical Philosophy, 1808.

مقتطف من كتابه (النظام الجديد في فلسفة الكيمياء).

ملخص لسيرة حياة المكتشف:

ولد الكيميائي والفيزيائي وعالم الأنواء الجوية الإنكليزي الشهير [جون دالتن John Dalton 1766-1844] في مدينة (ايكلز فيلد - Eaglesfield) في الجزء الشمالي من الجزر البريطانية، وعرف عالميا بمساهماته الفذة في تطوير النظرية الذرية، واعتبر أحد الآباء المؤسسين للعلوم الفيزيائية الحديثة.

امتاز (دالتن) بكونه إنسانا ذا شخصية هادئة طموحة مترنة استطاع أن يحقق العديد من النجاحات المهنية الالامعة رغم كل ما عاناه في حياته من صعوبات ومتاعب. لقد نشأ (دالتن) في أسرة بسيطة شديدة التواضع قليلة المال إلى حد الفقر، كما كان هو نفسه مُحَدِّثًا سيئا كثير التلعثم والأخطاء اللغوية، عانى كثيرا من الحرمان العاطفي فضلا عن الحرمان المادي فلم يتمكن من ضم رأسه يوما إلى صدر زوجة عطوف تلفه بحنانها وتُنَمِّي لديه عواطفه، كما كان قد عيب عليه إصابته بعمى الألوان وعدم دقته وتسرع في إجراء تجاربه فُوَصِفَ (بالمجرب الفج) قليل الدقة والحذر. ولم يكن أحد ليشك أبدا بإمكانية ظروف أقل قسوة من كل ما ذكرناه على قصم ظهور رجال أباة وتكوين الحواجز والأسوار التي كان بإمكانها أيضا قتل كل طموح لأي رجل. ولكن إصرار (دالتن) وقوة إرادته جعلته نموذجًا استثنائيا للجلد والمطاوله حتى استطاع الإدلاء بمشاركاته المتميزة في ميدان النظرية الذرية للمادة والتي تنص على أن كافة أشكال المادة في الكون لا بد وأن تتألف من وحدات صغيرة غير قابلة للتجزئة تسمى الذرات والتي تختلف في أوزانها الواحدة عن الأخرى، والتي لها قابلية الاتحاد مع



غيرها بنسب بسيطة. هذا وقد أكدت النظرية وقت ظهورها على استحالة تجزئة الذرة.

ولد (دالتن) لأب نَسَاج انتمى إلى جماعة (الأصدقاء - Quakers)⁽¹⁾ وسكن مقاطعة (كمبرلاند - Cumberland) في بريطانيا، قضى طفولته بالشقاء والحرمان، يحرق الحقول ويساعد أباه في متجره لحياكة وبيع الأقمشة في حين قضت أخته طفولتها ببيع الأوراق والأخبار والأقلام. ولما بلغ الثانية عشرة من عمره شارك في إدارة مدرسة (الأخوة - Quaker's) كما شارك في التعليم فيها. انتقل بعد سنتين منها مع أخيه للتدريس في إحدى المدارس الداخلية في إحدى المدن الصغيرة وهي مدينة (كندال - Kendal)، أدرك دالتن، رغم ظروفه التي عانى منها حقيقة شغفه بالعلوم واعترف بتأثير الفيلسوف الطبيعي الضيرير ذائع الصيت (جون كوخ - John Gough) عليه.

كتب (دالتن) رسالة في عام (1783 أفصح فيها عن احترامه وتقديره للرجل الذي رافقه وعلمه وأثر في مسيرة حياته، جاء فيها:

((لقد كان أستاذي الفاضل (جون كوخ - John Gough)) ضليعا باللغات اللاتينية والإغريقية والفرنسية ولقد كنت أكثر من سعيد ومحظوظ حين تتلمذت على يده، وقد علمني إياها جميعا. لقد كان أستاذي عبقريا فلذا اكتسب صفات نادرة ليس أقلها قابليته على استخدام حواس لمسه وتذوقه وشمه للتعرف على... وتصنيف كل ما يحيط بنا من نباتات وأعشاب وأزهار ولمسافة قطرها يتجاوز العشرين ميلا. لقد صاحبه سنين طوال وقد تلذذت بتلك الصحبة كما سعدت هو بها لإشترائنا في العديد من المزايا والحاصل التي كونت الرابط الحبيب بيننا والشعور الأثير لقلوبنا وأهمها عشقنا وولعنا بالمواضيع الرياضية والفلسفية)).

شغف دالتن بتسجيل الملاحظات المناخية وبالأخص تغيرات الطقس اليومية، تلك الهواية أو ذلك النوع الذي تملكه منذ عام (1887) وما تلاه. فقد دأب على تسجيل مشاهداته

(1) Quaker - حركة دينية يسمى عناصرها أنفسهم بالأصدقاء، نشأت في القرن السابع عشر وتنوعت نحلها وفصائلها ونباتت ميولها وعقائدها إلا أنهم التزموا باجتماعاتهم السنوية. لهم تعاليمهم الدينية المسيحية الخاصة ويعرفون لدى العموم بالترامهم بالمسيحية العالمية) وتحرير العبيد وحقوق الأقليات، والنساء والمساكين ومثيلي الجنس. (الترجم)

اليومية ولفترة طويلة حتى آخر يوم في حياته. لقد جمعت يومياته تلك معلومات قيمة ناهزت (200،000) ملاحظة صنفت بدقة وشملت كافة علامات ونتائج تغيرات الطقس والمشاهدات المناخية المتغيرة لمنطقة (البحيرة) التي عاش فيها، ولهذا أطلق عليه العلماء الإنكليز وعلى رأسهم [جون فردريك دانييل (1790-1845) John Frederic Daniell] لقب (أبو الأرصاد الجوية). لقد بلغ حب التسجيل بـ (دالتون) مبلغاً مرضياً عُصايباً لا شك فيه، حيث صاحبه ذلك الهوس في حله وترحاله وحتى في أوقات فراغه ولهوه فصار يسجل وبدقة متناهية كافة الإصابات والهفوات والملاحظات لكل مباراة من مباريات كرة القدم الأمريكية التي حضرها أو شاهدها.

أينعت موهبته الفذة في الرياضيات عندما كان في المدرسة، وتمكن من اكتساب شهرة ذائعة جراء تمكنه من الفوز دائماً في مباريات الأحاجي والألغاز التي دأبت دورية (يوميّات رجالية ويوميّات نسائية) على إصدارها سنوياً.

لقد حاضر (دالتن) بمهارة في مواضيع متعددة إضافة إلى اختصاصه في الرياضيات، شملت علوم الحركة والبصريات وعلوم الفلك وتصرف الغازات فاستحق لقب المحاضر المتميز في مدرسته (كندال - Kendal). لقد كتب (ارنولد تاكراي - Arnold Tachray) في مدخله من المؤلف الذائع الصيت (معجم سير العلماء الذاتية) يصف حالة الاندماج والهيجان التي تقمصت (دالتن) خلال فترة ولعه بالتدريس إلى الحد الذي نُقل عنه قوله: (لعل في مهنة التدريس وممارستها سحراً لا يقاوم، وإلا فمالي أرى كل هذا التكالب على ممارستها من قبل كل من له موهبة وقابلية في أي حقل آخر غيرها). بدأ حياته حالماً بمستقبل مشرق في مهنة الطب، ذلك الحلم الذي سرعان ما بدده ضيق ذات يده وسوء حالة عائلته المادية، أضف إلى ذلك ما اشتهر عنه من قلة صبره وتصرفه (ببعض الغرابة) لدى استماعه لشكوى بعض المرضى الأمر الذي حال دون تحقيق ذلك الحلم.

داوم (دالتن) خلال فترة انهماكه بالتدريس في مدرسة (كندال) على جمع كل ما كانت تقع عليه عيناه من نباتات وحشرات صغُر حجمها أم كُبر وكان شديد العناية بتوضيها وتصنيفها



والاحتفاظ بها وكان غالبا ما يردد: (لقد أخطأ كل من اعتقد بتفاهة هذه الأشياء أو بخسها أهميتها فكل ذي حياة حري بأن يصنف ويدرس ولا ينبغي للعالم الحصيف أن يحتقر نعمة الحياة أينما وجدت).

عُيِّن في عام (1792) أستاذا للرياضيات والفلسفة الطبيعية في الكلية الجديدة في (مانشستر - Manchester) والتي كانت قد أنشئت من قبل رعايا الكنيسة البروتستانتية لغرض استيعاب وتطوير قدرات المتميزين من الطلاب الذين فشلوا في الحصول على القبول في جامعتي (كمبردج) و(أكسفورد) واللتين كانتا لا تحتضانان إلا رعايا الكنيسة الإنكليزية. وانتخب في عام (1794) أمينا لمكتبة (مانشستر) ورئيسا للجمعية الفلسفية وهو المنصب الذي شجعه على إطلاق طاقاته فقدم أول أبحاثه المرموقة ولما يمضي على تعيينه شهرا واحدا، وكان بعنوان (حقائق غريبة ومشاهدات واقعية لظاهرة الرؤيا الملونة) وقد مثل هذا البحث باكورة الأعمال التي فتحت باب البحث والتقصي عن موضوع (عمى الألوان) وأول ورقة تنشر حوله.

وقد قدم دالتن في ورقته تلك دراسة منهجية علمية معمقة لتلك الظاهرة وكان خير من وصفها وبيّن خفاياها كونه أحد المصابين بها فعلا. إن الحقيقة التي توصل إليها عند إدراكه لاختلال ألوان الأزهار بالنسبة له عما يشاهده بقية زملائه ومحبيه والمثل الذي دأب هو على ضربه عن نفسه كان: رؤيته للأزهار بلسون أزرق حينما تظهر للآخرين حمراء زهرية. ولقد أثرت بحوث (دالتن) ومنشوراته حول ذلك الموضوع على زملائه من العلماء والباحثين إلى درجة اقتناعهم بإطلاق (اسم) أو (حالة دالتن) على ذلك المرض.

لقد ارتبط اسمه بتلك الحالة إلى الدرجة التي بدأت الإشاعات وحتى الأساطير تُروى عنه... ومن بينها حادثة شرائه الجوارب الزرقاء الداكنة وتقديمها هدية إلى والدته في مناسبة عيد ميلادها، الأمر الذي أثار حفيظتها وأشعل نار غضبها عليه، ففي تلك الأيام كان من المستهجن بل ومن العار على نسوه (مجموعة الأصدقاء - Quakers) ارتداء الجوارب الزهرية اللون ألفافعة؟! لم تكن في نية (دالتن) إغضاب والدته قط فسارع يستشهد بأخيه ويحلفه بأغلظ الأيمان عن لون - جوارب والدتهما الجديدة، فما كان من الأخ إلا أن أقسم

مطمئنا - وبأغلظ الأيمان - بأن الجوارب زرقاء غامقة وبأن أخيه في حل من غضبها. وعند الوصول إلى تسوية تلك المعضلة العائلية تبين لدالتن - ولأول مرة - إصابة أخيه كذلك. عرض عى الألوان (الأحمر - الأخضر) مثله تماما، وأن ما رآه هو وأخيه باللون الأزرق الغامق كان بالفعل جوارب حمراء فاقعة!!

لقد زادت دقة وصف (دالتن) لتلك الظاهرة واهتمامه بتفاصيلها من شهرته ومنزلته في مجتمعه، رغم فشله في محاولة تفسيرها أو تفسير كيفية الإصابة بها، فلقد جاء في مؤلف (دالتن) الموسوم (حقائق غريبة) ما يلي:-

((لقد تبين لي، ومن دون أي مجال للشك بأن أحد الأمزجة التي كونت عيني لا بد وأن يكون ملونا وغير شفافا)).

وبناء على نظريته تلك أوصى بأن تقطع عيونه وتدرس مليا بعد موته للتأكد من أن سبب طغيان اللون الأزرق على كل ما شاهده خلال حياته كان نتيجة لوجود السوائل الزرقاء اللون فيها، والتي عملت على امتصاص اللون الأحمر الذي كان قد حُرم نعمة رؤياه. لقد تم بالفعل تشريح عيني دالتن ودراستهما ولكن ذلك العمل فند نظريته ولم يؤسس لها، ومن الجميل الاطلاع على ما كتبه هو عن نفسه وإحساساته حول إصابته تلك في كتابه (حقائق غريبة) حيث قال:

((أعتقد أن ما يراه الآخرون ويصفونه باللون الأحمر لا يظهر لعيني إلا على شكل ظلال أو تشوه ضوئي لا أكثر، ولا تظهر الألوان التي يصفها الناس بالبرتقالي والأصفر والأخضر لي إلا كلون واحد يتدرج بجمال ودقة متناهية من الأصفر الغامق إلى الأصفر الفاتح المشرق الأمر الذي مكنتي بقوة ملاحظتي من التعرف عليها بوصف اختلاف الظلال الصفراء التي أراها)).

افتتح (دالتن) في عام (1800) مدرسة خاصة ترأس إدارتها وأسمائها (الأكاديمية الرياضية) والتي خصصها لتدريس علوم الرياضيات والكيمياء، وقد نجحت تلك المدرسة نجاحا باهرا انعكس إيجابيا على بحبوحته المادية من جهة وعلى إنجازاته الملفتة للنظر في تلك الفترة من جهة أخرى، وبالإمكان إدراج الأهم من تلك الإنجازات وتصنيفها ضمن المحاور التالية:



1 - تمكن من اكتشاف (قانون شارل) والذي يصف أسلوب تمدد الغازات تحت ضغط ثابت بارتفاع درجة حرارتها. وقد سبقت الإشارة إلى أن (قانون شارل للغازات) قد سمي على اسم مكتشفه [(جاك شارل - (Jacques Charles (1746-1823)] والذي كان قد تمكن من اكتشافه بصورة مستقلة خلال الفترة التي سبقت اكتشاف (دالتن) له⁽¹⁾.

2 - اكتشف ووضع الصيغة الرياضية لقانون جمع الضغوط الجزئية للغازات المتمزجة في إناء واحد. نُشر هذا القانون ولأول مرة في دورية (المشاهدات والمتغيرات في الأرصاد الجوية) تحت اسم (قانون دالتن) والذي نص على تصرف كل غاز في مزيج كعنصر مستقل وكأنه يحتل كامل الحيز المتوفر للجميع، ويُضاف ضغطه الجزئي في ذلك المزيج إلى كامل مجموع الضغوط الجزئية لبقية المكونات للحصول على مقدار الضغط الكلي للمزيج.

3 - ابتكر ودافع عن النظرية الذرية الكيميائية التي تختصر حقيقة تكون كافة مواد الكون من وحدات دقيقة أسماها بالذرات. وقد قام كذلك... ومن وحي هذه النظرية ومن خطواته الجادة لإسنادها بحساب الكتل النسبية لذرات العناصر المختلفة كالهيدروجين والأكسجين والكربون والنيتروجين. وقد أكد (دالتن) على لسان نظريته تلك على تشابه ذرات أي عنصر من نواحي الشكل والوزن والكتلة واختلافها عن ذرات أي عنصر آخر بالشكل والوزن والكتلة أيضاً.

تمكن (دالتن) كذلك من وضع وصياغة قانونه للتناسب المتعدد والذي ينص على التزام العناصر في تفاعلاتها واتحادها مع بعضها البعض لتكوين المركبات بنسب ثابتة بعضها إلى بعض ؛ يمكن التعبير عنها بأرقام صغيرة كاملة، كأن تكون

(1:1) أو (2:1) أو (3:2)... وهكذا. وتلقي هذه النسب الضوء على حقيقة تكون كافة المركبات من وحدات أصغر منها هي الذرات ولكن ما كانت تفتقر إليه هذه النسب هو

(1) راجع مدخل قانون شارل للغازات (Charles's Gas Law) (ابتداءً من صفحة (352) من هذا الكتاب.

قابليتها على الإفصاح عن العدد الفعلي من ذرات كل عنصر والداخلية في تركيب أي مركب. إن تلك المآخذ على نظريته الذرية والتي فتحت المضمار واسعا لإنجازات عظيمة شهدتها العقود التي تلتها لم تضعف إصرار العلماء والأصدقاء من إطلاق لقب (أبو الكيمياء) عليه. لم يعبر (دالتون) طريقه بلا أشواك ومتاعب وإنما جابهت نظريته الذرية الكثير من المعوقات والمنغصات العلمية والشخصية إلى الدرجة التي دفعت الكيميائي الإنكليزي الشهير [السر هنري انفيلد روسكو (1833-1915) Henry Enfield Roscoe] إلى السخرية اللاذعة منه والتهكم عليه وعلى نظريته بوصفها (بنظرية الذرات الكروية المصنوعة من الخشب والتي اخترعتها مخيلة الأستاذ دالتن)

ولعل (روسكو) كان يشير بسخريته إلى النماذج الخشبية التي غالبا ما استعملها العلماء لتمثيل الذرات المختلفة والمقارنة بين أحجامها المتباينة. ولكن رغم كل الانتقادات فقط شقت النظرية الذرية طريقها بثبات حتى لم يُقبل عام (1850) إلا وقد تقبلتها واقتنعت بصحتها جمهرة علماء الكيمياء وآلت مقاومة رفضها إلى الاضمحلال السريع.

اتسعت اهتمامات (دالتن). بمرور الأيام وازدادت المقالات والبحوث التي صار ينشرها في مختلف المواضيع، فلقد نمت ونضجت عبقريته حتى مكنته من الخوض في مواضيع عدة متشعبة متباينة، كما منحتة إمكانية وضع النظريات بخصوصها ومنها: الرياح التجارية ودرجات حرارة التكاثف، والحرارة، والشفق القطبي، وقابلية ذوبان الغازات في الماء، وتغيرات الضغط الجوي، إضافة إلى ظاهرة التبخر وغيرها. واستطاع كذلك، ورغم الآراء القوية المعارضة من تركية الفكرة القائلة بأن الغلاف الجوي عبارة عن (خليط فيزيائي) يتألف من حوالي (80% نيتروجين و20% أوكسجين) خلافا للاعتقاد الذي سبقها بأنه عبارة عن (مركب من عناصر عدة). وقد قام بنشر آرائه وأفكاره المعارضة لكون الهواء مذييا غازيا هائلا في دورية (المشاهدات والمتغيرات في الأرصاد الجوية)، ولكن قدره الذي شابه قدر كل العباقرة السابقين لأزمانهم أبى إلا أن تُهمل بحوثه المنشورة وتحرم في آنها من الاهتمام والتقدير الذي تستحقه فلم تجد صداها لا لدى العلماء ولا عند العامة من الناس، شأنها شأن قانونه المهم في



جمع الضغوط الجزئية لإخلاط الغازات.

جاء في نص الورقة التي نشرها (دالتن) في مجلة (الفلسفة الطبيعية والكيمياء والفنون) والتي تضمنت جانباً من قانونه الشهير في الضغوط الجزئية ما يلي:

((لا تولد أية قوى نافرة ما بين جزيئات مانعين مرنين صادف خلطهما في إناء واحد أبداً. فإذا أسمى المائع الأول (بألف) والثاني (باء) فلن تقاوم جزيئات (الف) جزيئات (باء) كما تفعل كل واحدة لنظيراتها، وعليه فإن الضغط المتولد من أية جزيئة على الأخرى (أو الوزن الذي تسطه أي واحدة على الأخرى) سوف لن يتحقق إلا من قبل الجزيئات المتماثلة فقط على مثيلاتها)).

وإحقاقاً للحق لا بد علينا أن نذكر أن (نظرية دالتن الذرية) لم تكن دقيقة ولا صحيحة (100 %) وذلك لأنه صرح وبوضوح أن الذرات المتماثلة تؤثر الواحدة على الأخرى في حين لا يعينها شيء ولا تؤثر مطلقاً على أي ذرة لأي غاز آخر في نفس المزيج، ولكن رغم التعديلات والتغيرات الكثيرة التي شهدتها تلك النظرية عبر السنين وإلى يومنا الحاضر فإننا نجد أن المفهوم الأساسي للنظرية كان هو الذي أرشده إلى الطريق السوي في تصحيح تفكير معاصريه ومن ثم بناء أساس جديد قوي لعلوم الكيمياء، ذلك أن ذرات العناصر المختلفة لا بد وأن تكون مختلفة على حين كانت النظرية (العلمية) السائدة آنذاك تصر على إنها متماثلة.

وضَّح (دالتن) في أطروحاته بأن ذرات العناصر المختلفة لا بد وأن تكون مختلفة في الحجم والكتلة وأن لكل عنصر ذراته الخاصة به والتي لا تُشابه ذرات أي عنصر آخر غيره؛ ولا بد أن يكون كل طالب أو مختص قد لاحظ بأن كل ما سبق هو عبارة عن مبادئ لا بديل لنا عنها اليوم وهي التي كونت أسس نظريته الذرية، وكنتيجة لما سبق لا بد وأن يكون عدد ذرات الجزيئات المتماثلة متساوياً بالعدد ومتشابهاً بالتركيب وهذه الفرضية بحد ذاتها تعتبر ذات أهمية جوهرية في علم الكيمياء اليوم وقد أسست له بالفعل.

لقد كان صاحبنا سابقاً إلى مفهوم استحالة استحداث المادة أو إفنائها وذلك بإضفاء صفة

خاصة على ذراته الكيميائية حين نشر آراءه في كتاب (النظام الجديد في فلسفة الكيمياء) والتي ذكر فيها: أستطيع وبلا تردد تشبيه مناقشاتنا في استحداث كوكب كامل جديد وإضافته إلى مجموعتنا الشمسية أو نحو آخر منها، تماماً كمحاولاتنا لاستحداث ذرة هيدروجين جديدة وإضافتها إلى الكون أو إلزالتها منه)، واسترسل قائلاً: [أستطيع أنؤكد وبثقة عالية بأن هناك أعداداً عظيمة جداً (أكاد أقول لا حصر لها) من الجزئيات الأولية (أو الذرات) والتي يستحيل تغيرها أو تغيير أشكالها أو حالاتها في الصميم أو تحويلها من شكل إلى آخر ومهما أوتينا من قوة وعزم].

واقترح كذلك، بأنه رغم إدراكنا لوجود لتلك الأعداد الهائلة من الذرات وعلى سبيل الإطلااق إلا أن أنواعها وأصنافها قليلة جداً. وقد ذكر في كتاباته الأصلية وجود ما يربو قليلاً على نحو عشرين عنصراً في الطبيعة والتي صنفها إلى فصائل، أما اليوم فقد توصلنا إلى إدراك وجود وصنع ما ينيف عن المئة عنصر بعضها طبيعي الوجود، والبعض الآخر توصل الإنسان إلى استحداثها في المختبرات.

انتُخب (دالتن) في عام (1816) لمنصب العضو المراسل للأكاديمية الفرنسية للعلوم، وفي عام (1822) زار باريس حيث قابل العديد من أشهر علمائها في تلك الحقبة من أمثال [بيير - سيمن لابلاس (Pierre - Siman Laplace (1749-1827) و [جوزيف لوي كاي - لوساك (Joseph Louis Gay - Lussac (1778-1850) و [اندرية ماري امبير (Andre - Marie Ampere (1775-1836)].

وفي عام (1817) تقلد منصب (أمين مكتبة مانشستر) و(رئاسة المجمع الفلسفي)، المنصبين اللذين ظل يحتفظا بهما للسبعة والعشرين عاماً التالية وحتى موافاته لمنيته. كما انتُخب عضواً في الجمعية الملكية عام (1922) ومنحت له الميدالية الملكية في (1826) تقديراً وتأمينا لاستنباطه الفذ المتعلق بالنظرية الذرية. وفي عام (1831) ترأس العديد من اللجان العلمية التابعة للجمعية البريطانية لتقدم العلوم. وفي عام (1836) أصبح نائب الرئيس المنتخب لها. ولكن القدر لم يمهل له لإثبات وجوده والإضافة من ذاته لذلك التشريف العلمي الرفيع الذي حُصّ به فسرعان ما اضطر إلى التقاعد وترك ذلك المنصب بسبب



إصابته بضربتين متتاليتين من حالات الشلل المفاجئ في عام (1837) ولعل سببهما كان (على الغالب) إصابته بجلطة الدماغ نتيجة لارتفاع ضغط دمه، واللتين أسلمتاه إلى بؤس العجز البدني والحركي الكاملين. ولكن العناية الإلهية ثم ما تبقى له من احترام الإنسان لأخيه الإنسان أرجعته إلى أحضان الرضا والحبور بالنظر لزيادة تقديره شخصياً وانتشار احترام علمه عالمياً. ذكر (ثاكاراي - Thackaray) في مدخله عنه في (معجم سير العلماء الذاتية) تنامي الاحترام لشخصه في أواخر أيامه قائلاً:

((ولم يدرك المجتمع العلمي أهمية الرجل ونضج أفكاره فطفق يخصص عليه من آيات الاحترام والتقدير الكثير، إلا لما آلت شمس حياته للمغيب وأوشكت ذبابة مصباح فكرة على الخبو. ففي أواخر أيامه وجد نفسه وقد انهالت عليه ألقاب الاحترام وآيات التمجيل وتم (تلميع) ماضيه و(أحداث) حياته و(تجميل) صورته ومظهره الاجتماعي حتى آل إلى أحسن ما يطمح إليه إنسان في حياته، ولكن ساعة حياة الرجل كانت تدق دقاتها الأخيرة فودعها (دالتن) وهو يتذكر كل شاردة، ويستعيد كل آية من آيات الاحترام والفخار والتشريف المدني الذي حظي به في أواخر أيامه)).

وفي عام (1794) أفصح (دالتن) عن مكونات نفسه التي حالت بينه وبين زواجه وامتناعه عن الرغبة بإنجاب أولاد له يحملون اسمه، قائلاً: (لقد انشغل ذهني وامتلاً رأسي بالمثلثات والنظريات والتفاعلات الكيميائية والشحنات الكهربائية والتجارب العلمية وغيرها فلم يتبق فيه مجالاً للحب ولا للزواج). لقد اكتفى في حياته بعلمه، ومثابرته على تحقيق واكتمال متطلبات مذهبه الديني البروتستانتي الأخوي.

وفي عام (1844) تعرض لجلطة دماغية ثالثة، أصاب يده على إثرها الرعاش الأمر الذي زاد من صحته سوءاً فمسك قلمه بيده المرتعشة ليسجل آخر ملاحظاته حول أمور الطقس في اليوم السادس والعشرين من شهر تموز (يوليو) من ذلك العام، وفي اليوم التالي عاجلته منيته فوجد مطروحاً أسفل سريره بعد أن فارقت حياته إثر سقوطه منه.

ملأ الحزن القلوب وطافت بالأعين الدموع وانتحب لوفاة (دالتن) الألوفا وشيعه (40

000) من الذين اصطفوا خلف جنازته في قاعة البلده في (مانشستر). أقفلت المحال وعُظمت الأعمال في ذلك اليوم احتراماً وتقديراً له وغطت جماهير المحتشدين مساحة مليون مربعين من الأرض المحيطة بمقبرته عند دفنه.

ذكر (بل برايسون - Bill Bryson) في كتابه (موجز لتاريخ كل شيء) بأن عدد الصفحات التي كتبت في حق دالتن في طبعة عام (1885) من كتاب (معجم السير الذاتية الوطنية) قد فاق جميع ما كُتب بحق كل من تطرق إليهم ذلك المعجم ما عدا (دارون - Darwin) و (ليل - Lyell) من علماء ومشاهير القرن التاسع عشر.

تم احترام وصية (دالتن) وقُطعت إحدى عينيه بعد وفاته وتم فحص سوائلها فأتضح بأنها كانت تامة التكوين وطبيعية التشريح من كافة النواحي. كما قُطعت ودُرست عينه الأخرى المحفوظة في المعهد الملكي في تسعينيات القرن الماضي وتم تحليلها خلويًا وصبغيًا الأمر الذي كشف عن فقدانها للصبغة المسؤولة عن إدراك اللون الأخضر. نعلم اليوم أن فقدان تلك الصبغة التي تمكن العين من رؤية (ومن ثم الدماغ لإحساس) وجود اللون الأخضر هي صفة وراثية متنحية تصيب خمسة بالمئة من الذكور الأصحاء اليوم بدرجة أو بأخرى. أطلق على هذا النوع من عمى الألوان اسم (ديوتيرانوبيا - Deuteranope) نسبة إليه.

وكاستطرد نافع في هذا الخصوص لنا أن نذكر تمكن الباحثين في جامعتي كامبردج (Cambridge) و (نيوكاسل ابنتاين - Newcastle Upon Tyne) في عام 2006 من اكتشاف تعاضم قابلية أولئك الذين حُرِّموا من متعة رؤية اللونين الأحمر والأخضر (أي عمى اللونين الأحمر - الأخضر) على إدراك الظلال الدقيقة والاختلافات الضئيلة في بقية الألوان. فعلى سبيل المثال تمكن الباحثون من إثبات قابلية المصابين بعمى الألوان على تمييز درجات أكثر عددًا من ذات اللون الخاكي (Khaki) وهو اللون الأصفر المخضر مثلاً، في حين لا يمتلك الأشخاص الأسوياء مثل تلك القابلية. علقت (إلس كليمن - Elise Kleeman) على تلك الملاحظات بقولها:



(لقد دفعت تلك المشاهدات بصدق النظرية القائلة براءة أولئك المصابين بعمى اللونين الأحمر - الأخضر في الصيد وفي معارك القتال الليلي إلى الأمام... وذلك لصعوبة خداعهم بأساليب التمويه).

ويضيف الباحثون أيضاً إلى أن حقيقة احتفاظ الجنس البشري رغم التطورات الوراثية والتصحيحات الجينية بتلك الظاهرة قد تعود إلى زيادة براءة مجتمعات الرعي والقتل في الصيد ليلاً وفي تلافيف الحيوانات المفترسة.

تم الاعتراف بأفضال (دالتن) العلمية وسبع المزيد من الشرف عليه وذلك بإطلاق اسمه على إحدى فوهات القمر بعرض (60 كيلومتراً) الاسم الذي تمت المصادقة عليه رسمياً في عام (1964) من قبل الجمعية العامة لاتحاد الفلكيين العالميين. ولقد تُمنّت مشاركات دالتن وما أضافه إلى حصيلة المعرفة الإنسانية على أتم ما يمكن من قبل (ميشيل آتش هارت - Michael H. Hart) مؤلف كتاب (المئة العظام: تصنيف أكثر الأشخاص تأثيراً في تاريخ البشرية) والذي قلده فيه المنصب الثاني والثلاثين وأشاد في حقه قائلاً:

((لقد أحسن (دالتن) ابتكار وتوظيف نظريته الذرية للعناصر إلى الدرجة التي أقنعت معظم العلماء إلى تبنيها وفي خلال ما لا يزيد على العشرين عاماً، كما استطاع إقناع كافة الكيميائيين على اتباع منهجه وما اختطه بشأن التفاعلات الكيميائية قاطبة وأعني بذلك حاجتهم إلى تحديد الوزن الذري النسبي بدقة، وتحليل المركبات الكيميائية تبعاً لأوزانها، وتعيين المكونات الذرية المحددة بدقة لأي فصيلة من المركبات والجزيئات. وقد يفوق تقييم الأطروحة الذرية للعناصر أي تبجيل، كما وقد تفوق حقيقتها أي إطرء فليس علينا النظر إليها، واعتبارها أقل من كونها المحور الأساسي اللازم لنا لفهم عوالم الكيمياء وكونها المحرك المركزي الذي تدار به كافة تفاعلاتها ونتائجها اليوم... وإلى ما شاء الله)).

لم تكدمضي سوى بضعة عقود على وفاة (دالتن) حتى عبقّت رياح تبجيله في الآفاق وسرت أخبار تكريمه إلى الأصقاع. كتب (هنري لونسدال - Henry Lonsdale) في

مؤلفه (كنوز كمبرلاند) في عام 1874 مؤبنا دالتن يقول:

((كما يسعى آلاف الحجاج من الإنكليز الكاثوليك متجشمين التعب والمعاناة تجذبهم
أرواح القديسين وأضرحتهم إلى زيارتها في هذه القارة، فكذلك نجد في العالم وفي
(إنكلترا) ذاتها من العلماء والباحثين ممن تشربوا بروح العلم وحبه لهم، بحيث لم
تعد ذكرياتهم حول مؤسسيه ولا قراءاتهم عن موجديه كافية لإرواء ظمئهم وشفاء
غليلهم ولا لإطفاء شوقهم وتحرقهم، وإنما تراهم يجاهدون ويسعون بكل ما أوتوا
من إصرار وقوة لزيارة ورؤية مسقط رأس سيد العلماء ورمزهم الأعظم في إنكلترا،
(جون دالتن) والذي كان قد وهب باختراعاته وأفكاره للحضارة والتقدم الإنسانيين
خيراً مما قدمه كافة القساوسة والقديسين لكافة الممالك المسيحية في طول الأرض
وعرضها عبر التاريخ)).

وفي عام (1895) نشر (هنري إي. روسكو - Henry E. Roscoe) كتابه الموسوم
(جون دالتن وبزوغ فجر الكيمياء الحديثة) والذي خلد فيه (دالتن) وزملاءه العلماء العظام من
مانشستر من أمثال (جيمس جول - James Joule) والذي سيأتي ذكره في مدخل منفصل
بقوله:

((في الرواق الكبير عند مدخل القاعة الرئيسية لمدينة (منشستر) تقف في استقبالك
تحتين خالدين على شكل تمثالين رخامين متقابلين، أحدهما (جون دالتن) والآخر
(جيمس برسكوت جول) وبهذا التكريم والتبجيل تكون مدينة (منشستر) قد
أوفت بدين تكريمها لولديها البارين؛ لـ (دالتن): موجد الكيمياء الحديثة وواضع
النظرية الذرية وقوانين مواصفات الاتحاد الكيميائي، ولـ (جول): موجد الفيزياء
الحديثة ومكتشف قانون حفظ الطاقة. لقد منح الأول العالم البرهان النهائي على
أن لا فقدان أبداً في المادة أو المواد التي تدخل في أي تفاعل كيميائي، ومنح الثاني
الخلود للطاقة حينما تمكن من إثبات استحالة فقدان أي كمية منها في أي تحول
فيزيائي)).



مصادر إضافية وقراءات أخرى:

"Biography of John Dalton," Salt Lake Community College: from ww2.slc.edu/schools/hum_sci/physics/whatis/biography/dalton.html.

Bryson, Bill. *A Short History of Nearly Everything* (New York: Random House, 2003).

Dalton, John. "Extraordinary Facts Relating to the Vision of Colours, with Observations," in *Memoirs Of The Literary And Philosophical Society Of Manchester*, Volume 5 (London: Cadell and Davies, 1798).

Dalton, John. "New Theory of the Constitution of Mixed Aeriform Fluids, and Particularly of the Atmosphere," *Journal of Natural Philosophy, Chemistry and the Arts*, 5: 241-244, 1801.

Dalton, John. *A New System of Chemical Philosophy* (Manchester, U.K., 1808).

Cardwell, D. *John Dalton and the Progress of Science* (New York: Manchester University Press/Barnes & Noble Inc., 1968).

Greenway, Frank. *John Dalton and the Atom* (Ithaca, N.Y.: Cornell University Press, 1966).

Hart, Michael H. *The 100: A Ranking of the Most Influential Persons in History* (New York: Citadel Press, 1992).

Kleeman, Elise. "In Combat, Stick with the Color-Blind," *Discover*, 27(3): 11, March 2006.

Lonsdale, Henry. *The Worthies of Cumberland* (London: George Routledge & Sons, 1874).

Roscoe, Henry. *John Dalton and the Rise of Modern Chemistry* (London: Cassell & Company, 1895).

Thackray, Arnold. "Dalton," in *Dictionary of Scientific Biography*, Charles Gillispie, editor-in-chief (New York: Charles Scribner's Sons, 1970).

أفكار فلسفية وآراء للمناقشة:

• لم يأتري على القوانين التي تحكم الكون أن تظهر لنا دائماً ثابتة، مقننة حازمة؟ وهل بإمكاننا تخيل أي عالم آخر تكون هي فيه أقل مصداقية؟ سيكون جوابنا إيجابياً بالتأكيد إذا تكلمنا عن المعجزات التي يعلم الله (سبحانه وتعالى) كنه مكوناتها والتي يمكنه بالتأكيد إيجادها وخلقها. أما بالنسبة لعلوم الفيزياء فلا يتخطى طموحها التركيز على اكتشاف تلك القوانين (ولا ينبغي لها!) من ناحية، والتمني والابتهاال أن تبقى الطبيعة والكون على ثباتهما كي يستطيع التنبؤ بمجريتهما بدقة من ناحية أخرى. تساءل (اينشتين) يوماً فيما لو أنه سيكون باستطاعتنا فهم، (وعقولنا إدراك) قوانين فيزيائية أخرى إذا ما شاءت الإرادة الإلهية خلق كون آخر بقوانين مغايرة عن كوننا هذا الذي نعيش فيه؟!

بنفورد

Gregory Benford, in John Brockman's 'What we Believe but Cannot Prove'

مقتطف من فصل له في كتاب (ما نؤمن به ولا نستطيع إثباته).

• لا تعتبر نظريات الفيزياء ولحد الآن إلا تغيلاً مقرباً، ولا تُقيّم إلا كنماذج تضاهي (ولا تطابق) حقائق الكون. ولكن بتقدم تلك النماذج وازدياد دقتها سوف تتقدم أكثر فأكثر للتعبير بشكل أدق عن الحقيقة. يؤمن بعض علماء الفيزياء اليوم بوجود نظرية جديدة تُسمى بنظرية (الجاذبية الفائقة - Supergravity) وهو النموذج الدقيق (النهائي) الذي ستطبق فيه كافة الاستنتاجات والتنبؤات الرياضية (تماماً) مع الحقيقة.

ديفيز

Paul Davies, Superforce.

مقتطف من كتابه (القوة الفائقة).

• علينا التأكيد وإعادة التأكيد والإدراك بأن المبادئ الفيزيائية التي بين أيدينا ما هي إلا بنات أفكارنا، ابتكرناها لتفسير معطيات وحقائق الكون من حولنا ولم توجد هي نفسها ولا أوجدها (الكون ذاته) لتفسير تصرفاته. وفي محاولتنا لفهم أسرارها وفي بحثنا عن حقيقتها نشابه وإلى حد كبير رجلاً يحاول فهم ميكانيكية عمل ساعة بمجرد النظر إليها من خارجها عبر زجاجة المعرض الذي يحويها. فهذا الرجل يمكنه بسهولة مشاهدة وجه الساعة ومراقبة عقاربها تدور ولكن لا سبيل له لإدراك ماهيتها لأن لا طريقة أمامه لفتحها، ولو أضفينا إلى (رجلنا هذا) شيئاً من العبقرية والحكمة لافتراضه قادراً على (تصور) طريقة عمل الساعة و(لأمكنه) وضع مخططه لذلك بناء على ملاحظته ومراقبته لها ولكنه لن يتمكن أبداً من الجزم بأن ما تخيله هو النموذج الواقعي الوحيد الممكن أن تكون تلك الساعة قد صنعت على غرارها، هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية سيستحيل عليه مقارنة نموذج الذي ابتكره مع واقع حال الساعة (لاستحالة فتحها بالنسبة له) بل سيستحيل عليه حتى تخيل كيفية تحقيق أو معنى تلك المقارنة أصلاً.

اينشتاين

Albert Einstein, The Evolution of Physics

مقتطف من كتابه (تطور الفيزياء).

• لقد غيرت الطفرات السريعة والتطور المذهل في علوم الحاسبات مفهومنا عن العالم الفيزيائي من حولنا... من ذلك المعتمد على التعامل والتفاعل المباشر بين العناصر المادية، إلى آخر يجدد من قواعد المعلومات (المجردة)



والمتمامية بتأثير تفوق الخيال أساسا لتفاعله. وفي هذا التصور للكون والطبيعة سنجد قوانين الفيزياء تقوم مقام برامج التشغيل أو لوغاريتمات الاحتمالية والإخراج وسنجد العالم المادي من حولنا يقوم مقام الهيكل الصلب لذلك الحاسوب العملاق. (ولكنك إذا صغرت نفسك وحددت تفكيرك وحصرتهما ضمن نطاق البرامج والهيكل، فهل ستمكن من إدراك السبب الحقيقي وراء وجوده، أو ماهية مآل كل تلك الحسابات والعمليات الإلكترونية التي تتم بداخله أو حتى الغرض النهائي منها؟؟) (المترجم).

دافيز

Paul Davies, (Laying Down the Laws), New Scientist.

من مقالة له بعنوان (وضع القوانين).

قانون هنري للغازات

HENRY'S GAS LAW

إنكثرا 1802:

عند انعدام أي تفاعل كيميائي بينهما، تتناسب كمية الغاز المذاب في سائل مع مقدار الضغط المسلط على سطحه.

من أحداث عام 1802:

- اكتشف الفلكي [وليم هرشل (1738-1822) William Herschel] النجوم الثنائية لأول مرة (وهما نجمان متجاوران يدوران حول مركز كتلتهما المشترك) ونعلم اليوم بأن هناك في المجرة والكون من حولنا أعدادا هائلة من أنظمة النجوم الثنائية وحتى الثلاثية.
- صاغ عالم الطبيعة الألماني (كوتفرد ترفرانس - Gottfried Trevirannus) ولأول مرة مصطلح (علم الأحياء - Biology).
- انشأت الأكاديمية العسكرية الأمريكية المعروفة باسم (وست بونت - West Point).
- توصل العالم التجريبي البريطاني (توماس وجوود - Thomas Wedgwood) إلى ابتكار الصورة الفوتوغرافية وإنتاجها لأول مرة.
- أكمل (لودوك فان بيتهوفن) تأليفه ل... وتم عزف (سوناتا ضوء القمر - Moonlight Sonata) لأول مرة.

نص القانون وشرحه:

ينص قانون هنري - وهو أحد قوانين الغازات الكثيرة في هذا الكتاب على تناسب كمية الغاز المذاب في سائل (تعني كمية الغاز في هذا السياق مقدار كتلته عادة) طرديا مع مقدار ضغط ذلك الغاز على سطحه. يفترض القانون كذلك بأن نظام (السائل - غاز) المدروس في حاله توازن وصل إليها. كما تستوجب عدم حدوث أي تفاعل كيميائي بينهما.



الصيغة العامة المقبولة لقانون هنري اليوم هي:

$$P = kC,$$

حيث P - مقدار ضغط الغاز المعين الجزئي فوق سطح المحلول.

و C - مقدار تركيز الغاز المذاب في السائل.

و k - ثابت قانون هنري.

ويعتمد (ثابت قانون هنري) على طبيعة الغاز ونوعيته والسائل المذيب ودرجة حرارته. فعلى

سبيل المثال يبلغ هذا الثابت لغازي الأوكسجين (O_2) وثاني أوكسيد الكربون (CO_2)

المذابين في الماء في درجة حرارة (299 مطلقة).

للأوكسجين $(k) = 4.34 \times 10$ مرفوعة للأس الرابع لتر. جو / مول.

ولثاني أوكسيد الكربون $(k) = 1.64 \times 10$ تكعيب لتر. جو / مول على التوالي.

وبالإمكان مشاهدة وحدات (ملي لتر غاز) / ملي لتر مذيب. جو) تذيّل ثابت هذا القانون، كما.

ويكون القانون في أقصى درجات دقته لدى تطبيقه على المحاليل المخففة وبضغوط غازية منخفضة.

وبإمكاننا إدراك أهمية وأسلوب تصرف (غاز هنري)⁽¹⁾ من خلال المثال التالي: تصور

مضاعفة الضغط الجزئي لغاز فوق سطح سائل، عندها ستزداد عملية التصادم فوق سطح

السائل بين ذرات ذلك الغاز إلى الضعف وعليه ستمكن ضعف عدد ذرات الغاز من الدخول

إلى داخل السائل (أي ستذاب فيه). لنا الإشارة هنا أن لمختلف الغازات قابليات إذابة مختلفة

في نفس المذيب كما أن لنفس الغاز قابلية ذوبان مختلفة في مختلف المذيبات. ويتأثر (ثابت

قانون هنري) في كافة تلك الأحوال، فلكل حالة غاز ومذيب (ودرجة حرارة مختلفة) ثابت

مختلف. وبإمكانك الرجوع إلى العديد من (ثوابت هنري) المنشورة في جداول الإذابة في

درجة حرارة الغرفة (أي درجة حرارة المختبرات والمعامل الاعتيادية) وهي 25 درجة مئوية.

ولنا أن لا ننسى بأن علاقة قابلية الذوبان مع درجة حرارة السائل والغاز هي عكسية دائماً.

(1) هو الاسم الذي يُطلق اصطلاحاً على أي غاز يميل للانصباع إلى هذا القانون. (الترجم)

والآن ولتوضيح الفكرة دعني أسوق لك مسألة رياضية بسيطة تتضمن التطبيق الفعلي (لقانون هنري)، ودعني أسألك عن كمية غاز الأوكسجين المذاب في مياه بحيرة عذبة في درجة حرارة (20 مئوية) وتحت ضغط (واحد جو)، علماً بأن (ثابت قانون هنري) للأوكسجين النقي في درجة حرارة (20 مئوية) يبلغ (0.031 ملي لتر أوكسجين /ملي لتر ماء في ضغط واحد جو). والآن وبما أن مقدار غاز الأوكسجين التقريبي الموجود في الجو هو حوالي (20%) فقط من الغلاف الغازي فعليه (وبالاعتماد على قانون الضغوط الجزئية) فإن ضغطه سيكون (0.20 جو) فقط. وباستعمال قانون هنري نجد أن مقدار قابلية ذوبان الأكسجين بوجود الهواء سيكون:

$$0.2 \text{ جو } \times 0.031 \text{ ملي لتر أوكسجين} = \frac{0.0062 \text{ ملي لتر أوكسجين /ملي لتر ماء}}{1.0 \text{ ملي لتر ماء} \times 1 \text{ جو}}$$

أي أن هناك في كل لتر من مياه البحيرات العذبة في درجة حرارة (20 مئوية) وعند سطح البحر (6.2 ملي لتراً) من غاز الأوكسجين للأسماك للتنفس!

ومن الاستخدامات الطريفة والخافية على الكثيرين، استعمال الباحثين (لقانون هنري) لفهم وتفسير سبب (الطققة) المصاحبة لشد مفاصل الأصابع أو ثنيها، فالغازات المذابة في سائل مفاصل سلاميات الأصابع سرعان ما تخرج منه وذلك نتيجة التمدد المفاجئ لفسحاتها الموجودة ضمنها. بتمدد تلك الفسحات ستولد تجاويف مفاجئة ذات ضغوط منخفضة جداً الأمر الذي يدفع الغازات المذابة في سائل المفاصل داخلها إلى التجمع بسرعة وتكوين فقاعات مجهرية بفضل انخفاض الضغط، ومن ثم انكماشها بسرعة وذوبانها الآتي مرة أخرى بفعل قوى الشد الميكانيكية التي تُرجع المفصل فوراً إلى وضعه الأول مما يسبب سماع تلك (الطققة) المألوفة.

وفي عمليات الغوص في الأعماق، يكاد يساوي ضغط الهواء المضغوط الذي يدخل الرئة للتنفس ضغط عمق المحيط المائي الذي يتحرك فيه الغواص وعليه فكلما انحدر الغواص إلى أعماق أبعد، كلما زاد ضغط الماء عليه وعلى رئتيه وزاد في نفس الوقت على الغاز داخلهما الأمر الذي يؤدي إلى زيادة حجم الهواء المذاب في الدم فيهما. ويُصحح الغطاسون دائماً



بتوئدة الصعود من الأعماق إلى السطح والانتباه الشديد وحساب الوقت الذي عليهم انتظاره عند كل مرحلة من مراحل صعودهم إلى الأعلى، وبخلافه فإن انخفاض ضغط الهواء المذاب في دم الرئتين وبقية أعضاء الجسم سيجبره على الخروج بسرعة منه ويمتزج معه. أما وجود فقاعات الهواء الصغيرة في الدم فستكون السبب لكثير من آلام العضلات المبرحة التي يعاني منها الغطاسون، كما قد يحدث الانصمام الهوائي (Air Embolism) في الرئتين ومنه ينتقل بسرعة مع الدم المدفوع من قبل القلب إلى الدماغ فيسبب الوفاة المحتملة وتسمى هذه الحالة بمرض الغطاسين (Decompression Sickness).

يأمل باحثو شركة (كن كالسمكة للتكنولوجيا - Like - A - Fish Technologies) الاعتماد على (قانون هنري) لاستخراج الأوكسجين القابل للتنفس من مياه البحر ليتنفسه الغواصون. وعليه قد يتمكن الإنسان من العودة إلى البحر بدون الحاجة لحمل قناني الغوص التقليدية، أو هذا ما تحلم به تلك الشركة على الأقل.

مبدأ الفكرة بسيط، يعتمد على إخضاع ماء البحر لضغط منخفض يعمل حسب (قانون هنري) على إطلاق وتحرير الغازات الذائبة فيه ليتنفسها الغواص. حصلت الشركة ومنذ زمن على براءة ذلك الاختراع وسجلته في أوروبا ولا يزال تسجيله معلقا في الولايات المتحدة، ومن الجدير بالذكر أن النموذج المختبري لذلك الاختراع كان قد أثبت نجاحه عمليا.

للفضوليين فقط:

- كلنا يطبق (قانون هنري) في كل مرة نفتح فيها علبة أو قنينة من المشروبات الغازية المعبأة، فالعلبة أو القنينة المغلقة تحتوي على غاز (ثاني أكسيد الكربون) مذابا في الماء أو السائل أو العصير فيها وتحت ضغط عال. تبدأ فقاعات الغاز بالتجمع حالا مع بعضها وتبدأ فوراً بمغادرة السائل حالما تفتحها وتزيل الضغط المسلط على الغاز داخلها.
- تمكن والد (هنري الابن) وهو (ثوماس هنري الأب) والذي كان يعمل صيدلانياً، من اكتشاف طريقة جديدة لصناعة مادة كربونات المغنيسيوم ($MgCO_3$) والتي شاع

استعملها كمادة مضادة لحموضة المعدة أثبتت فعاليتها، واشتهرت فُعرف (هنري) بها وعُرفت به وسميت باسمه (شراب مغنيسيوم هنري).

• قتل (وليم هنري) نفسه انتحارا لانهايار صبره ومقدرته على المعاناة التي كابدها طوال حياته بسبب عوقه الفيزيائي.

أقوال ماثورة:

- عُرف (هنري) بخجله وامتاز به واشتهر عنه تحفظه مع الغرباء ووسم به. إحاطته صفة البرود في التعامل وإبداء المشاعر أينما حل؛ ولعل ذلك لم يكن مستغربا من إنسان رافقه العوق منذ شبابه ومنعه من تذوق الهناء أو الارتياح المصاحب للاسترخاء الذي لم يعرفه في حياته.

لقد عانى (هنري) الأمرين جراء الآلام التي لازمته بالإضافة إلى سوء جهازه الهضمي الذي أقض مضجعه وكان كثير التذمر والشكوى بل وشديد الأسف والحسرة لوقوعه في أسر حالته الصحية وعوقه الجسدي الذي حال دونه ودون تحقيق أمنيته وإثبات مقدرته في ميادين العلم وسوح الإبداع والإختراع.

ثورنبر

Craig Thornber. (Thomas Henry, FRS and his Son William Henry, MD, FRS, GS)

مقتطف من كتابه الذي خصصه (للهنريين - الأب والابن).

ملخص لسيرة حياة المكتشف:

ولد الكيميائي الإنكليزي [وليم هنري (William Henry (c. 1774–1836 والذي اشتهر بقانونه الذي ربط العلاقة بين كمية ذوبان أي غاز بمقدار الضغط المسلط عليه فوق السائل المذيب له، في مدينة (منشستر - Manchester) في إنكلترا.

في العاشرة من عمره صادف حظه العاثر سقوط أنبوب ثقيل عليه أدى إلى إصابته بأضرار بليغة ظل يعاني من جرائها الآلام المبرحة طيلة أيام حياته. لقد حدثت إصابته من حرية حركته



إلى درجة كبيرة أثر بعدها الخلود إلى القراءة والتركيز على الدراسة المكتبية لتحديد قابلية حركته. وصف ولده (وليم شارل هنري - William Charles Henry) حاله والده في الكتاب الذي ألفه بعنوان (السيرة الذاتية للدكتور هنري) جاء فيه:

((رغم آلامه وعوقه اللذان رافقاه منذ طفولته المبكرة فقد حباه (المولى عز وجل) حظاً عظيماً وقدرات تعويضية هائلة لولاها لما استطاع مقاومة وقهر الآلام المبرحة التي لازمته كظله في حله وترحاله والتي كانت تغصبه على الجلوس المتكرر في الطرقات لإراحة جسده منهك من مطارقها. لقد جاهد جهاد القديسين للتفوق على عنصر النقص والإعاقة ومقارعة الآلام النفسية والجسدية فهدته بصيرته إلى البحث عن... والتركيز على قدراته العقلية لصقلها ولتطويرها، فاكشف في ذاته مقدراته التحليل وإدراك الغاية تلكما الخلتان اللتان ساعدته طوال حياته في مجابهة التأثير السلبي الهدام لبنية جسده النحيل وعوقه البين كي تستقيم خطاه ويتمكن من تحقيق الأمانى العظام والطموح الكبير الذي فرضته عليه بلا هوادة روحه الوثابة الصامدة الجسور)).

لم يذكر (وليم شارل) شيئاً عن حياته الاجتماعية ولا عن زواجه والده ولا أي تفاصيل تخص عائلته ولكننا نعلم بعض الأشياء عن الصداقة الحميمة التي ربطت والده بـ (جون دالتن) الكيميائي الإنكليزي الشهير بإسهاماته الفذة في تطوير النظرية الذرية. قبل (هنري) في جامعة ادنبره (Edinburgh) عام (1795)، وحصل منها على شهادة الدكتوراه في الطب عام (1807) واختص بعد ذلك في الأمراض البولية. لقد ابتدأ حياته العملية حينما شغل منصب الطبيب المعالج في مصحة (منشستر) وعكف على دراسة أسباب وأعراض وعلاج حالات حصاة المثانة وكتب عدة مقالات عن داء السكري. وفي عام (1808) انتُخب زميلاً للجمعية الملكية التي منحته في عام 1809 (ميدالية كوبلي - Copley Medal)⁽¹⁾

(1) Copley Medal - جائزة تقديرية ابتدعتها الجمعية الملكية في عام (1731) ولا زالت تُمنح حتى اليوم لعظيم الإنجازات في حقول العلوم الفيزيائية عامما والبيولوجية في العام الموالي. أول من حصل عليها هو (ستيفن كراي - Stephen Gray) لتجاربه الكهربائية الرائدة. ابتدعها (السر جورج كوبلي - Sir George Copley) بترعة بمبلغ مئة باوند (من أموال ذلك الزمان) مع فوائده.

نذر (هنري) جل وقته للبحوث والدراسة ولا سيما الاستزادة من علوم الكيمياء، مع تركيز يَبْنِي على دراسة أسلوب تصرف الغازات. وقد منحته الجمعية الملكية في عام (1802) فرصة تلاوة أحد أهم أبحاثه أمامها، تلك الورقة التي وجدت طريقها للنشر في العام الموالي (1803) مباشرة. وصف (هنري) في ورقته تلك بحوثه وتجاربه حول تصرف الغازات ولاسيما الهوائ تحت ظروف ودرجات الضغط المختلفة، فلقد تمكن من إثبات حقيقة ذوبان ضعف الكمية من الغاز الموجود في مماس على سطح سائل مذيّب له في إناء محكم، بمجرد مضاعفة مقدار الضغط الجوي عليه، ولقد قادت تلك التجارب والملاحظات (هنري) إلى اكتشافه للقانون الذي يحمل اسمه. وبالنظر لأهمية ذلك القانون واتساع تطبيقاته فقد جاء ذكره ووصفه في العديد من كتب الكيمياء المنهجية والتجريبية وبصيغ مختلفة فعلى سبيل المثال جاء ذكر القانون في كتاب (الكيمياء العامة) لمؤلفه (لينس بولنك - Linus Pauling) كما يلي:

(في درجة حرارة ثابتة، يتناسب الضغط الجزئي للطور الغازي لمزيج محلول ثابت متوازن مع مقدار تركيزه في محلوله، والذي يكون أقل منه تركيزاً. وتوازي هذه العبارة قولنا: تتناسب قابلية ذوبان الغاز في محلول مع ضغطه الجزئي).

لقد نشر (هنري) العديد من المقالات التي تصف مكونات حامض الهيدروكلوريك والأمونيا (النشادر) والعديد من أمزجة الغازات القابلة للاستعمال مع محاليلها، إضافة إلى مقالات في قابلية الحرارة في القضاء على الجراثيم. طُبِعَ كتابه المعنون (عناصر الكيمياء التجريبية) في عام (1801). وهو الكتاب الذي أدرج فيه (هنري) محاضراته التي ألقاها في (منشستر) في الفترة ما بين عامي (1798-1799)، والذي أعيد طبعه إحدى عشرة مرة خلال ثلاثين عاماً، واحتل مركز الصدارة كأشهر وأكثر الكتب المنهجية الإنكليزية في الكيمياء رواجاً في العالم. قرر (هنري) في وقت ما من عام (1824) الموافقة على إجراء جراحة ليديه لعلاجهما، ولكنه مع ذلك ظل يعاني وطوال سني حياته من الآلام المبرحة التي لم يستطع منها فكاً... زادت بها صحته المعلقة وأمراضه المزمنة سوءاً على سوء، كل ذلك إضافة إلى وبسبب إصابته الأولى في طفولته. لقد تضافرت واجتمعت كافة عوامل الألم والأسى واليأس عليه حتى حرّمته



لذة الكرى، فانتحر في يوم مشؤوم من عام (1836).

ذكر كاتب سيرته (كريك تورنبر - Craig Thornber) ما يلي:

((عندما ننظر إلى مجل أعمال وبحوث واهتمامات (وليم هنري) في مختلف حقول الكيمياء وعلوم النبات وعلوم الأرض والطب والأدب وإدارة الأعمال بالإضافة إلى دوره المتميز كأحد أهم المؤسسين للجمعية البريطانية لتقدم العلوم) ونائب رئيس كل من المجمع العلمي والمجمع الأدبي إضافة إلى رئاسته لمجمع التاريخ الطبيعي في مدينة (منشستر)، لإدراكنا أهمية هذا الرجل ومنزلته في الخط الأمامي للحياة العلمية المتدفقة لتلك المدينة في الوقت الذي بدأت فيه بتوى موقع الريادة والصدارة كأهم مدينة صناعية في العالم)).

مصادر إضافية وقراءات أخرى:

Henry, Charles, *A Biographical Account of the Late Dr. Henry* (Manchester, U.K.: F. Looney, 1837).

Kimbrough, Doris R., "Henry's Law and Noisy Knuckles," *Journal of Chemical Education*, 76(11): 1509, 1999.

Odian, George, and Ira Blei, *Schaum's Outline of General, Organic and Biological Chemistry* (New York: McGraw-Hill Professional, 1994).

Pauling, Linus, *General Chemistry* (New York: Dover, 1988).

Scott, E. L., "William Henry," in *Dictionary of Scientific Biography*, Charles Gillispie, editor-in-chief (New York: Charles Scribner's Sons, 1970).

Thornber, Craig, "Thomas Henry, FRS and his son, William Henry, MD, FRS, GS"; see www.thornber.net/cheshire/ideasmen/henry.html.

أفكار فلسفية وآراء للمناقشة:

• لعل ذروة ما يستطيع الفيزيائي بلوغه هو وضع يده على تلك القوانين المنمنمة متكاملة التكوين والبيان ورشيقة الهيئة كاملة البيان، والتي يمكن بالاعتماد عليها إعادة بناء الكون عن طريق التوقع والتنبؤ العلميين.

اينشتاين

Albert Einstein, 1949 interview Alfred Werner, *Liberal Judaism*

من مقابلة له مع (أنفريد ورنر)

• عندما يصادف أي إنسان علمي التوجه والتفكير الحقيقية الرياضية المكتشفة من قبل رياضي ما متمثلة بقانون أو معادلة، فإن ضميره وعقله سيُكبران لذلك الرياضي اكتشافه، وستغشى ذاته وكيانه حقيقة الاطلاع على أحد أسرار الكون فينتشي بها.

بنروز

Roger Penrose. The Emperor's New Mind.

مقتطف من كتابه (عقل الإمبراطور الجديد).

• أترأها مصادفة أن ينتهي أعظم عقيرين أنجبهما القرن التاسع عشر حياتهما بالانتحار؟! لقد قضى [ألان تورنك - (1912-1954) Alan Turing] على نفسه بتناوله لقضمة تفاحة مشبعة بسم السيانييد. وأنهى [كرد كودل - (1906-1978) Kurd Godel] حياته بقراره بالتصور جوعاً حتى الموت. نتساءل: أيا ترى هل دمر هذان الرجلان العظيمان نفسيهما بسبب نبوغهما و سمو منطقهما أم بالرغم منهما معا؟ وأكانت مصادفة حقاً أن يعجب الاثنان وحتى الهوس برائعة والت دزني (الجميلة النائمة)؟

هولت

- Jin Holt, (Obsessive - Genius Disorder), New York tember 3, 2006 Book Review, Sep

مقتطف من كتابه (الهاجس التسلسلي - داء التوابع).

• هناك في العالم المثالي للأفكار الأفلاطونية توجد القلعة الرائعة للكيان الرياضي بكيانها الأخاذ ومنظرها الأسر والتي تقربنا إليها وبكل التوذة وبكامل الخجل وعبر العصور والأجيال... حيث مكنتنا من اكتشاف شيء من جمالها وروعة دقتها، (ولا أتجاوز حدودي واحترامي لنفسي لأقول بأننا اخترعناها أو ابتكرناها بأنفسنا نحن بنو البشر). لقد تمكن عظماء الرياضيين وفطاحلهم عبر السنين من تحديد بعض القسمات الخارجية لذلك المعمار البديع والصنع الأصيل، ولكن كل ما كشفته جهودهم وكامل ما فنوا فيه أعمارهم لم يبد لهم إلا نزرقة قليلة من تشكيلات دقيقة خلاصة نُقشت على واحدة أو اثنتين من بلاطات رخام (مطبخها)، ومع ذلك تملكهم الفرحة العارمة وتقمصتهم السعادة الغامرة... لأنهم أدركوا - ولو بعد عناء - بأن الرياضيات بحد ذاتها هي عبارة عن سفر ضخم جليل وجدوا أنفسهم - منطقياً -



منساقين إلى افتراض وجوده وأيقنوا بأنه الوحيد الحاوي على خارطة بناء كل ما يرونه حولهم من حقائق مبعثرة ومشاهدات متراكبة، وبين طياته توجد بوصلة النجاة الهادية إلى بر الأمان في بحر حقائق الكون المعقدة. أما هوية المبدع الأصيل لذاك السفر الجليل وكاتبه العظيم (أو إن شئت مهندس وباني قلعتنا الساحرة السامقة) فلك أنت ولغيرك ما شئت من سعة الخيال لتصورها أو اقتراضها...

مانن

Yuri I. Manin. (Mathematical Knowledge, Internal, Social and Cultural Aspects.

مقتطف من كتابه (المعرفة الرياضية من منظورها الداخلي والاجتماعي والحضاري).

• إن النظام والتناظر لا يفسر ولا يحكم الكون بقدر ما يصفه ويفتح أعيننا على ما فيه. نعم كلنا يكيل المديح والفخار (لأينشتين) لأنه تمكن من إدخال بعض النظام إلى عالم الفيزياء الحديثة بتقدمه لنا نظريته في النسبية الخاصة وفحواها المعادلة الشهيرة القصيرة والمعبرة ($E=mc^2$)... ولنا أن نتعجب من مقدار السلطة التي منحها تلك المعادلة الصغيرة لنظامنا المعرفي، فيها صار في إمكاننا تطبيق قوانين الفيزياء على أي نظام نريد. لقد صارت القوانين (وبقوة النسبية) فعالة أزلية بإمكانها تفسير أي نظام ومهما بلغت إزاحته - وذلك باختصار هو مفهوم النسبية - إن للتناظر الفضل الكبير في تبسيط الأشياء وذلك هو الأساس الدفين والمغزى العميق للتوظيف الرياضيات في علوم الفيزياء. ما تشده الفيزياء حقا وما تساعد الرياضيات على تحقيقه وإبرازه هو تسليط المزيد من الضوء على التناظر البديع الذي يضيفي المزيد من الجمال والروعة لملاحظاتنا وتوصيفنا للكون من حولنا، وبإله من هدف سام عظيم.

ليدرومن

Leon Lederman: interview, September 22, 2005, in Sibhan Robert's King of Infinite Space.

من مقابلة له نُشرت في كتاب (ملك الفضاء اللامتناهي).

قانون غاي - لوساك لأحجام الغازات المتفاعلة

GAY-LUSSAC'S LAW OF COMBINING GAS VOLUMES

فرنسا 1808: 

يمكن التعبير عن أحجام كافة الغازات المتفاعلة كيميائياً مع بعضها البعض أو التي تنتج جراء تلك التفاعلات بنسب من أرقام صحيحة صغيرة.

معاور ذوات علاقة:

قانون شارل للغازات (CHARLES'S GAS LAW) و (قانون افوكادرو للغازات (AVOGADRO'S GAS LAW) و (جون دالتن (JOHN DALTON) و جين بابتست بايو (JEAN-BAPTISTE BIOT) و الكسندر فون هامبولت (ALEXANDER VON HAMBOLDT) ولوى جاك ثنار (LOUIS JACQUES THENARD).

من أحداث عام 1808:

- أوقفت الولايات المتحدة استيراد العبيد من أفريقيا.
- سحق نابليون ثمردين أحدهما في إسبانيا والثاني في إيطاليا.
- قاد (لودفك فان بتهوفن) الفرقة السمفونية وعزف بنفسه مقطوعات (كونسرت) كانت المقدمات لسمفونياته الخامسة والسادسة وكونسرت البيانو الرابع.

نص القانون وشرحه:

ينص (قانون غاي - لوساك) لاتحاد أحجام الغازات على قابلية تناسب كلا أحجام الغازات المتفاعلة والغازات الناتجة عن التفاعل بأرقام صحيحة صغيرة. وقد أذكي هذا القانون في عام (1811) كما أذكت التجارب المتعلقة به قريحة الكيميائي الإيطالي [امديو افوكادورو (Amedeo Avogadro 1776-1856)] وشحذ ذهنه لتقديم نظريته الشهيرة القائلة باحتواء الأحجام المتساوية من مختلف الغازات وتحت نفس ظروف الحرارة والضغط على ذات العدد من الجسيمات أو الجزيئات الغازية



(انظر قانون أفوكادرو للغازات لاحقاً - Avigdro's Gas Law).

ناقش (كاي - لوساك) في ورقته المنشورة في عام (1809) تحت عنوان (أطروحة حول اتحاد المواد الغازية مع بعضها البعض) القانون الذي سيجعل اسمه في المستقبل وقد كتب فيها يقول:

((إن غرضي الأساسي من ورقي هذه هو التعرف على بعض الصفات الجديدة للغازات والتي تمتاز برتابتها وتكرارها. ومن بين تلك الصفات تأتي خاصيتها وميلها للاتحاد مع بعضها البعض بنسب ذات أعداد صحيحة صغيرة، وهذا وأن الأحجام الغازية المتولدة من جراء تلك التفاعلات تخضع بدورها أيضاً إلى نفس القانون. لقد توصلت وكني أمل أن أتمكن من إثبات فكرة أنا ربما - وفي وقتنا الحالي - على وشك أن تتمكن، وأن الوقت لم يعد بعيداً عن استطاعتنا إخضاع الجمل الأعظم من عناصر الظاهرة الكيميائية برمتها إلى العملية الحسابية)).

أنجز (كاي - لوساك) جمعية عالم الطبيعيات البروسي [الكساندر فون هامبولت (Alexander von Humboldt (1769-1859) العديد من التجارب حول إمكانية توليد بخار الماء بإمرار شرارات كهربائية خلال أمزجة من الهيدروجين والأوكسجين، وتمكن من ملاحظة أن لكل حجم معلوم من غاز الأوكسجين المستهلك في تلك التجارب والتفاعل لابد أن يحتاج إلى ضعف حجمه من غاز الهيدروجين، والذي لابد أن يضاف إلى إناء التفاعل.

وقد بلغت القياسات التي أجراها العالمان درجة عالية من الدقة وكانت دائماً تشير إلى نسبة 2:1 لصالح غاز الهيدروجين وبدقة مقدارها 0.1%. وكتب ما توصلوا إليه عملياً كالتالي:

• حجمان من غاز الهيدروجين + حجم واحد من غاز الأوكسجين = حجمان من بخار الماء مع الاحتفاظ بكافة ظروف التجربة لأغراض القياسات الحجمية (ولجميع الغازات المتفاعلة والنتيجة) - تحت نفس ظروف درجات الحرارة والضغط، فوجدنا تناسب كل من الأحجام المتفاعلة والأحجام الناتجة مع بعضها البعض بأعداد صغيرة صحيحة. لقد طفق كاي - لوساك (وقد تسلىح بالنتائج المشجعة التي كان قد حصل عليها من تفاعل غازي الأوكسجين والهيدروجين) على إجراء العديد من الاختبارات والتجارب على العلاقات

الحجمية لمواد غازية أخرى كثيرة حتى توصل إلى ما يلي:

- ثلاثة أحجام من غاز الهيدروجين + حجم واحد من غاز النيتروجين = حجمان من غاز الأمونيا.
- وحجم واحد من غاز النيتروجين + حجم واحد من غاز الأوكسجين = حجمان من غاز أو أكسيد النيتريك.

واستمر كاي - لوساك في شرحه مسترسلا:

((وهكذا أظهر لي - وبالتجربة العملية - أن اتحاد الغازات المتفاعلة لا بد وأن يحدث بنسب بسيطة دائما وهذا بالفعل ما عكسه واقع كافة الأمثلة التي تمت دراستها، كأن تكون نسب أحجام الاتحاد 1 إلى 1 أو 1 إلى 2 أو 1 إلى 3. أما بالنسبة للأوزان فلم أتمكن من إيجاد أية علاقة رقمية سليمة بين أي من عناصر التفاعل ونواتجها، ولا بين أي من المركبات الناتجة أنفسهم، إلا اللهم إذا وجد مركب ثان مشترك بين نفس العناصر فستكون النسبة الجديدة للعنصر المضاف من مضاعفات الكمية الأولى. أما بالنسبة للغازات ففي تصرفها شيء أقرب إلى الأحكام فلا توجد أي مقادير اتحاد بين أي تركيبة منها إلا وتنتج مركبات ذات علاقة مضاعفات بسيطة كاملة بين أي من مكوناتها. ولا تتحد أحجام الغازات بنسب بسيطة كما ذكرنا وحسب، وإنما إذا حدث هناك أي تقلص في حجوم الغازات الناتجة فإن ذلك التقلص يحدث أيضا بنسب بسيطة صحيحة. ومن الجدير بالذكر أنني لم ألاحظ - في مراقباتي وتجاربي - خضوع المواد الصلبة ولا السائلة ولا أوزانها لمثل نسب التفاعل والاتحاد والنتائج التي نحصل عليها في تفاعل الغازات، ويعتبر ذلك مثالا واضحا وإثباتا ساطعا بأن تلك المواصفات لا تنطبق إلا على الغازات)).

لقد بدا واضحا إسناد (قانون كاي - لوساك) للفكرة القائلة بأن أحجاما متساوية من الغازات لا بد وأن تحتوي على أعداد متساوية من الجسيمات الغازية وتسد هذه الفكرة بدورها على حقيقة الأعداد المتناسبة الصغيرة للأحجام المتفاعلة (والناتجة). وإضافة إلى كل ما سبق، فهناك الكثير من المرات والمناسبات التي صرح (كاي - لوساك) خلالها وأعلن عن إعجاب العالم الكيميائي الإنكليزي [جون دالتن (1766-1844) John Dalton]



بفكرته العبقرية تلك حيث كانت تتماشى مع فكرته للجزيئات، والنظرية الذرية التي نادى بها.

تمكن العلماء - بعد فترة وجيزة - من فهم شيء، عن التركيب الهيكلي الأساسي للمواد وذلك بعد أن درسوا باهتمام وبدقة أحجام الغازات. كتب (موريس كروسلان - Mourice Crosland) في مؤلفه الموسوم (كاي - لوساك: العالم والبرجوازي) يقول:

((من السهل جداً أن يُغفل علماء اليوم الأهمية العظيمة للمنحى الحجمي الذي سلكه (كاي - لوساك) في دراساته وتجاربه. ولكنني لا بد أن أجلب أنظاركم إلى أثره البين كواحد من أهم الطرق المبدئية للبحث والتأكد من المسائل الجوهرية المتعلقة بالتركيب والتفاعل الكيميائي والتي كان لهما أجل التأثير على كيمياء وأفكار كيميائي النصف الأول من القرن التاسع عشر. لقد وفرت طريقته الأسلوب الناجع المستند فعلياً على قوة التجارب العملية في مرحلة لم يتوفر فيها للعلماء الكثير من السبل والحلول لفهم الوحدات والمكايل الفيزيائية والكيميائية ولا للإجابة على الكثير من الأسئلة المطروحة آنذاك)).

وفي عام (1802) تمكن (كاي - لوساك) كذلك من صياغة قانونه الذي نص على التناسب الطردي ما بين حجم كمية معينة من الغاز تحت ضغط ثابت مع درجة حرارته المطلقة المقاسة بدرجات حرارة كلفن.

يُكتب (قانون كاي - لوساك) هذا كما يلي:

$$V = kT,$$

حيث يمثل V - حجم كمية غاز معينة تحت ضغط ثابت و k - ثابت التغير و T - درجة حرارته المطلقة، ويطلق على هذا القانون اليوم اسم (قانون شارل) رغم أن (كاي - لوساك) كان أول من توصل إليه ونشره فعلاً! وذلك لأن (كاي - لوساك) كان قد ذكر بعض الأعمال غير المنشورة للكيميائي الفرنسي [جاك شارل - Jacques Charles (1746-1799)]

(1823) [يعود تاريخها إلى العام (1787) كمصدر له.

ملاحظة: (انظر مدخل قانون شارل للغازات في القسم الثاني من هذا الكتاب).

للفضوليين فقط:

- اخترع كاي - لوساك أول مضغوط (بارومتر) جوي متنقل.
- اخترع آلة جديدة لتعيين مقدار كمية الفضة الموجودة في العملات المعدنية عندما كان أميناً لدار سك العملات الوطنية. ولقد ظل اختراعه هذا هو الوحيد المعترف به قانوناً في فرنسا ولحد عام (1881).
- طار محلقاً في بالون حتى حطم الرقم القياسي وقتئذ بتسجيله لارتفاع مقداره (ثلاثة وعشرين ألف 23000 قدماً) وذلك لغرض اختبار فرضيته حول المجال المغناطيسي للأرض، ولاختبار وتحليل مكونات الهواء على ارتفاعات متعددة فوق سطح الأرض.
- انفجر محتبره عن بكرة أبيه وتحطمت كل آلاته وأجهزته الكيميائية وتبعثرت كافة محتوياته يوماً. هذا وقد أدى أحد الانفجارات الأخرى التي تعرض إليها إلى إصابته شخصياً بالعمى المؤقت، كان ذلك من جراء إحدى تجاربه حين مزج عنصر البوتاسيوم النقي مع مادة أخرى!

أقوال مأثورة:

- لعل أعظم إنجاز حققه (كاي - لوساك) في حياته كان قانونه حول أحجام الغازات المتفاعلة والنتيجة والذي كان قد أعلنه في اجتماع للجمعية العلمية عام (1808). لقد مثل ذلك القانون زهرة وثمرة الكفاح والفكر الذي آمن به ودافع عنه ونذر (كاي - لوساك) نفسه لإثباته في عالم الفيزياء، تلك الثمرة التي عززت ثبات ورسوخ النظام فيه. ولا مرأى بأن هذا هو عين الهدف الذي كان وما يزال ديدن كافة العلماء في كل زمان ومكان.

كروسلان

Maurice P. Crosland, (Joseph Gay - Lussac) in Dictionary of Scientific Biography.

مقتطف من مشاركته حول (جوزيف كاي - لوساك) في (معجم سير العلماء الذاتية).



• لم أختَر مهنتي (الطب) سعياً وراء المال والثراء ولكنها هي التي اختارتني لأنني لم أكن

الساعي إليها.

كاي - لوساك

Joseph Gay-Lussac, quoted in Maurice Pierre. Crosland's

Gay-Lussac, Scientist and Bourgeois)

مقتطف من كتاب (كاي - لوساك العالم والبرجوازي).

ملخص لسيرة حياة المكتشف:

• ولد الكيميائي والفيزيائي الفرنسي [جوزيف لوي كاي - لوساك

(Joseph Louis Gay - Lussac (1778-1850) الذي اشتهر بإسهاماته القيمة في

مجال الكيمياء الفيزيائية للغازات، في مدينة (سان - ليونار - دو - نوبال - Saiut

(Leonard - de - Nobalt - الواقعة في وسط فرنسا. اشتغل والده (انتوني كاي -

Antoine Gay) في الحمامة تحت اسم (كاي - لوساك) لتمييز نفسه عن أناس آخرين

يحملون نفس الاسم (كاي)، وقد توصل الوالد إلى ابتكار اسمه الجديد باستلهم اسم أحد

إقطاعي منطقة (لوساك) التي ضمت بعض أملاك العائلة.

• ذهب في عام (1794) إلى باريس لتكملة دراسته في المدرسة التقنية بعد أن أكمل معظم

تحصيله الدراسي الأولي في البيت. وصادف أن اعتقل والده خلال أحداث الثورة الفرنسية.

• في عام (1809) أصبح (كاي - لوساك) أستاذاً للكيمياء في نفس المدرسة التقنية التي

سبق أن تخرج منها، وتزوج في نفس العام من الجميلة الفاتنة (جنيف - ماري - جوزيف

روجو - Geneviève - Marie - Joseph Rojot)، أعجب (كاي - لوساك) بتلك

الحسنة التي كانت تشتغل في محل لبيع الأقمشة وخياطتها بما إعجاب بعد لقائهما، واكتشافه

حبها للكيمياء من خلال الكتاب الذي كانت تدرسه خلسة. لقد أثمر حبهما وزواجهما عن

إنجابهما خمسة أطفال.

• وفي عام (1832) تولى منصب الأستاذية في الكيمياء في الحديقة النباتية وهي أهم

منشأة فرنسية تعنى بالحياة النباتية.

وفيما يلي قائمة ملخصة لمواضيع اهتماماته ولأهم حقول إنجازاته:

- في عام (1802) توصل (كاي - لوساك) إلى صياغة قانونه الذي يربط تمدد الغازات خطياً بدرجات حرارتها - عند الاحتفاظ بضغطها ثابتاً، هذا القانون الذي يعرف اليوم بـ (قانون شارل) للغازات على الرغم من عدم قيام (شارل) نفسه بقياس أي من معاملات التمدد في عام (1787).
- لقد استنتج (كاي - لوساك) بأن مقدار تمدد الأحجام المتساوية من جميع الغازات على اختلاف أنواعها لا بد وأن يكون متساوياً لجميع الغازات عند بلوغها لذات الارتفاع في درجات حرارتها. وتمكن من تحديد هذا التمدد الغازي وحسابه بـ $(266.66/1)$ من حجم أي غاز في درجة حرارة الصفر المئوية ولكل درجة ارتفاع واحدة في الحرارة، نعلم اليوم من الحسابات الدقيقة التي توفرت لنا بأن مقدار تمدد الغاز المحصور تحت ضغط ثابت يبلغ $(273.15/1)$ من حجمه في درجة حرارة الصفر المئوية ولكل درجة زيادة مئوية واحدة في حرارته.

- في عام (1804) بلغت الجراءة (بكاي - لوساك) وحبه للعلم أن انبرى للتحليق بأحد مناطيد الهيدروجين إلى ارتفاع قارب الخمسة كيلومترات لا يصاحبه فيه إلا العالم الفرنسي المعروف [جين - بابتست بايو (1774-1862) Jean - Baptiste Biot] وذلك لدراسة مكونات جو الأرض.

- أعجب (كاي - لوساك) بفكرة التحليق وأيقن بأهميتها فأعادها بنفسه واستطاع إعادة ملاحظاته وحساباته لمقادير الضغط الجوي ودرجات الحرارة والرطوبة والمغناطيسية على مختلف الارتفاعات. وفي انطلاقه وتحليقه للمرة الثانية كان قد تمكن من الوصول إلى ارتفاع وقدره $(7,106)$ متراً فوق سطح البحر الأمر الذي أهله لتحقيق رقم قياسي فريد في ارتفاعات التحليل بالمناطيد لم يتم كسره إلا بعد خمسين سنة تلت.

- وفي عام (1805) اكتشف مع عالم الطبيعيات والمكتشف البروسي [الكسندر فون هامبولد (1769-1859) Alexander von Humboldt] الحقيقة القائلة بثبوت مكونات الغلاف الجوي الأرضي وعدم تغيرها بتغير الارتفاع عن مستوى سطح البحر،



(على الأقل للارتفاعات التي استطاعا سبرها).

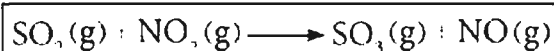
• في عام (1808) اكتشف كاي - لوساك جمعية الكيميائي الفرنسي [لوي جاك ثينار (1777-1857) Louis Jacques Thenard] عنصر البورون (Br) وهو من عائلة مكونات الملح (الهالوجينات - Halogens) المعروفة في الجدول الدوري ومن أفرادها اليود والكلور. واقترح كذلك - وفي نفس تلك الفترة تقريبا - اعتماد معدل تحليل أي محلول موصل للكهربائية على قوة التيار الكهربائي المار في القطب المغمور فيه وليس على حجم ذلك القطب.

• وفي عام (1815) تمكن من تركيب مادة السيانوجين (C_2N_2) وهو سم كيميائي قوي يستعمل لإنتاج المبيدات الحشرية.

• في عام (1816) تمكن من تحديد خمسة أكاسيد لغاز النتروجين ذوات الصيغ الكيميائية الحديثة التالية: N_2O ، NO ، N_2O_3 ، N_2O_5 .

ومن المثير حقا أن أهمية البحث الأول المنشور لـ (كاي - لوساك) لم يكتسب قيمته العلمية من تفرد دقته فحسب، إنما لثرائمه مع بحث مطابق له كان قد نُصِّحَ مستقلاً في نفس الفترة على يد الكيميائي والفيزيائي وعالم الأرصاد الإنكليزي الشهير [جون دالتن (1766-1844) John Dalton]. توصل الباحثان والعلمان (دالتن) و(كاي-لوساك) في بحثيهما المنشورتين في نفس الوقت تقريبا من عام (1802) حول تصرف التمدد الحراري للعناصر الغازية إلى الاستنتاج المشترك بتساوي مقدار تمدد كافة الغازات لنفس الارتفاع في درجة الحرارة إذا ما أُبقيَ الضغط المسلط عليها ثابتا.

• ولعل خير ما يذكر به (كاي - لوساك) اليوم وما يعتبر بحق أهم مساهماته في عالم الصناعة هو تطويره في عام (1827) لطريقه الخزانات الرصاصية المستعملة لإنتاج حامض الكبريتيك. لقد عُرف برجي الامتصاص الطويلين ولفترة طويلة باسم (برجي كاي - لوساك) وقد ساهما فعلا بتسهيل إتمام التفاعل الكيميائي التالي:



يتم داخل غرف مبطنة بالرصاص إذابة غاز ثالث أو أكسيد الكبريت (SO_3) في الماء لإنتاج

الحامض المذكور. ومن الجدير بالذكر توصله كذلك إلى الطريقة الفعالة لإعادة تدوير غاز أول أكسيد النتروجين (NO) وإعادة أكسدته إلى ثاني أكسيد النتروجين (NO₂) لإدخاله إلى دورة التفاعل من جديد. لقد استمر إنتاج حامض الكبريتيك بهذه الطريقة لما ينيف عن الـ (150 عاماً) بضمنها كامل فترة القرن العشرين.

لقد عاش (كاي - لوساك) وشهد مرحلة حاسمة في تاريخ فرنسا بينما لنا المؤلف (كروسلاند - Crosland) في كتابه الشهير (كاي - لوساك - العالم والبرجوازي) بقوله:

((لقد كان كاي - لوساك محظوظاً حقاً (رغم آلامه الشخصية وعوقه المتعب) ذلك لأنه مثل وعن جدارة الجيل الجديد من العلماء الذين برزوا كنتيجة للثورة الفرنسية وميزوا بداية الحقبة المنيرة بعد انطلاقها، فلقد ضم ذلك الجيل باكورة الشباب الذي تمكن من إتمام تحصيله العلمي بكل الكفاءة والاقتدار اللذين أهلاه إلى اكتساب قوته الكريم بالعمل في الميدان العلمي الفسيح، وأن يتشرف بوظيفته المجزية كعالم. ولإدراك أهمية تلك الخطوة وخطورتها لنا أن نذكر أن الظلام كان قد لف الحقبة التي سبقتها وعلى الأخص من الناحية العلمية فقد كان محظوظاً حقاً حينها من تمكن من متابعة برنامج واحد من المحاضرات في أي حقل من حقول العلوم، أراده لتوسيع مداركه خارج نطاق المحاضرات الكلاسيكية المنهجية عن طريق الكتب)).

أخلص (كاي - لوساك) كامل الإخلاص لعلمه وأحبه من صميم قلبه أصدق الحب، وقد كانت محاولاته لفهم قوانين العلوم ونواميس عملها من أعظم علامات سموه النفسي والعاطفي فقد نقل (كروسلاند) عنه قوله وبكل تواضع ورجاء: (إن لقوانين الطبيعة قسّات من نور المعرفة الخالدة ونفحات من عبق الجلال، فإذا لم يكن هناك قلة من البشر قد (صمموا) بطبيعتهم لعشقها وفهمها ومحاولة اكتشافها فلسوف يدرن لنا ظهورهن ومعضن بعيداً دون أن يلحظهن أكثر الناس (فراصة)... ولقد كانت فراسته ظاهرة وأفق نظره بعيداً حين رسم وببساطة ودقة ووضوح العلاقة غير المباشرة بل العلاقة الروحية بين كل من يحب العلم من الصميم وبين الحقيقة القائلة بأن للحب منبعاً واحداً في الكون. هذا وقد أصاب كبد الحقيقة حين قال: (يجب ألا يشك أحد



بأن الاكتشاف والإبداع ما هو إلا نتاج اكتشاف وإبداع سبقه، ولا بد له بالمقابل أن يكون المنطلق الجديد لاكتشاف أبرع وإبداع أعمق بعده، حتى يرث الله الأرض ومن عليها⁽¹⁾.

ومما يثير الإعجاب حقاً في هذه الشخصية العلمية الفريدة ويدعو حقاً إلى تقديرها، هو استطاعة (كاي - لوساك) وبرغم كل الآلام التي كان يكابدها ومع كل المعاناة التي كان يعانيها فقد نجح بإضاءة ألوان الفرح ونثر عطر الجبور في حياة ثلة من أصدقائه ومساعديه، وإليك ما كتبه العالم الكيميائي الألماني [جستس فون ليبك (1803-1873) Justus von Leibig] عن أسعد سني حياته تلك التي صاحبه فيها (كاي - لوساك) نفسه حين سمح له بالاشتغال معه ومرافقته في مختبره الخاص:

((كيف لي أن أنسى ما حيت تلك السنين الجميلة التي قضيتها في مختبره وتلك الساعات الممتعة المفرحة المميزة التي عشتها معه. لقد كنا ننهى تحليلاً ناجحاً أو تجربة واعدة (وعليك أن تعلم حتى وإن لم أخبرك أنا بذلك، بأن جميع مراحل اختبار الطرق وتصميم واكتشاف الوسائل في كافة تجاربنا وكل أطروحاتنا المشتركة لم تكن إلا وليدة ذهنه هو وثمره إصراره وإدراكه دون سواه). كان يقف أمامي قائلاً ببات: والآن آن الأوان لك أن (ترقص) معي تماماً كما كان يرقص معي دائماً [لوي ثينار (1777-1857) Louis Thenard] عند اكتشافنا لشيء جديد. فلم يكن هناك ما يمنعنا عن الرقص آنذا أبداً)).

توفي كاي - لوساك في باريس وطويت صفحته في عام (1850) وقد منح اسمه تقديرًا لذكراه لإحدى فوهات القمر بقطر (26 كيلومتراً) وقد تمت المصادقة على تلك التسمية في عام (1935) من قبل الجمعية العامة لاتحاد الفلكيين العالمية. نُقش اسمه من ضمن أسماء العلماء الفرنسيين العظام الاثنين السبعين التي وضعها (كوستاف إيفل - (1852-1923) Gustave Eiffel) على البرج المسمى باسمه وهو (برج إيفل) الشهير في باريس. ملاحظة: انظر أيضاً (قانون كولوم للكهربائية المستقرة) في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

(1) (...) وفوق كل ذي علم عليم سورة يوسف، الآية (76). (المترجم).

مصادر إضافية وقراءات أخرى:

Brock, William, *Justus von Leibig: The Chemical Gatekeeper* (Cambridge, U.K.: Cambridge University Press, 1997).

Crosland, Maurice P., *Gay-Lussac: Scientist and Bourgeois* (Cambridge, U.K.: Cambridge University Press, 1978).

Crosland, Maurice P., "Joseph Gay-Lussac," in *Dictionary of Scientific Biography*, Charles Gillispie, editor-in-chief (New York: Charles Scribner's Sons, 1970)

Gay-Lussac, Joseph, "Memoir on the Combination of Gaseous Substances with Each Other," *Mémoires de la Société d'Arcueil*, 2(207), 1809; translation (Alembic Club Reprint No. 4) reprinted in Henry A. Boorse and Lloyd Motz, editors, *The World of the Atom*, volume 1 (New York: Basic Books, 1966).

أفكار فلسفية وآراء للمناقشة:

• أنا أؤمن بالعلم فله بريق وقوة لا يقاومان. ونتائجه تخالف النظريات الرياضية جذريا. ففي الوقت الذي يمكننا إثبات النظريات الرياضية (القابلة للإثبات)، تفق الحقائق العلمية عصبية ثابتة، ليس لنا لإثباتها (أو لمعرفة كنهها وماهيتها) من سبيل. يمكننا فقط إخضاعها للاختبار والتأكد منها مرات ومرات ومرات... حتى يأتي الغبي الصفيق ليرفض تصديق كل ما تراه عيناه.

تشابه النتائج العلمية حالة وجود الإلكترونات، فكلنا يؤمن ومن أعماقه بوجودها وإذا سولت لك نفسك نكران ذلك، فلدي سلك الضغط الكهربائي العالي الذي أستعمله عادة لربط ماشيتي، ولا أخالهن يمانعن ربطك به إلى مصدر التيار كإثبات لما تناقشني بشأنه. إن للإلكترونات المارة في خلال السلك حينئذ إليك القدرة الكافية والفعالية الطاغية لتعبر لك عن نفسها، و(لتسكت) لك كافة خلايا جسمك.

لوييد

Seth Lloyd, in John Brockmen's (What We Believe but Cannot Prove).

مقتطف من مداخلة لـ (بروكمين) في كتابه (ما نؤمن به ولا يمكننا إثباته).

• لعلك لم توفق لاكتشاف أحد قوانين الطبيعة، ولكن دعني أنقل لك الشعور الحقيقي لما يشابه ذلك، فإنك حين تكتشف أحدها وتوفق لوضع الكيان الرياضي له والذي تؤمن بتطابقه مع مجريات العالم الذي يحيط بك، فحينها وحينها فقط ستشعر بأنك تتكلم إلى الكون الذي حولك برمته وقد كشف



عن حجابيه لأجلك وأباح بسرّه لك وحدك لترى من آياته وتركيبه ما لم يُكشف لعيني أحد غيرك، ولم يخاطر على قلب بشر سواك. وعندها ستدرك عظمة الرياضيات لأنها ستكون طوع يدك ورهن إشارة من ذهنك فهي لك الهادي وأنت لها الموجد والمشكل والمصور. تتبع روعة وعظمة الرياضيات من ذاتها الكامنة في كينونتها وبنائها. فهي تمثل اللحن الجميل والنغم الأصيل الذي يفهمه كل العالم. وإذا أردنا المبالغة والتجليل، وكما ذهب إلى ذلك (Leibniz - لينز) حين قال: (لست من التعمقين المتدينين فعلا، ولكني أدعو إلى... وأؤمن فعلا بوجود النظام الخلاق الآسر المبدع في الكون والذي يزيد تفضله بقبول الرياضيات معبرا عنه شرفا لها).

ترومبا

Anthony Tromba, July 2003 U C Santa Cruz Press release

• لعل في الخاصية البنائية الفريدة للغة البشرية المنطوقة بالمقاطع و/أو بالحروف (وهي ممانعتها الكاملة للتنظير اللوغارتمي) هو ما يُكسب الرياضيات كأس سبقها كاللغة المناسبة والوحيدة فعلا للتعبير عن المفاهيم الرياضية. إن الأمر لا يقتصر فقط على مجرد افتقارنا للكلمات المناسبة للتعبير الدقيق عن مضمون بعض التعابير الفيزيائية من أمثال:

$$\left[E = mc^2 \right] \text{ و } \left[\int e^{i\phi}(\phi) D\phi \right]$$

وغيرها، ولكن يتعدها إلى الحقيقة المؤلمة التي تشلنا عن التعامل المرن مع مثل تلك الإنجازات العظيمة الخلابسة باستعمال (كلمات) فقط للتعبير عنها... والعجيب المقنع في الموضوع هو إمكانية (التجريد) بأعلى مراتبه عكس (الحقيقة) بأنصع وأوضح صورها.

وددت أن أوضح باختصار بأن اللغة الرياضيات القابلية الاستثنائية والكفاءة الفذة للتعبير عن معارف علوم الفيزياء بأسلوب تجريدي لا يكاد يجاريها فيها شيء معروف سواها.

مانن

Yuri I. Manin. (Mathematical Knowledge, Internet.

Social and Cultural Aspects), March 2007.

مقتطف من كتابه (المعرفة الرياضية داخليا واجتماعيا وحضارياً).

قانون أفوكادرو للغازات

AVOGADRO'S GAS LAW

إيطاليا، 1811: 

تحتوي الأحجام المتساوية من الغازات على أعداد متساوية من الجزيئات.

مجاور ذوات علاقة:

نظرية دالتن الذرية (DALTON'S ATOMIC THEORY) وقانون كاي-لوساك لأحجام الغازات المتحدة كيميائياً (GAY-LUSSAC'S LAW OF COMBINING GAS VOLUMES)

من أحداث عام 1811:

– نشرت الكاتبة الشهيرة جين أوستن (Jane Austen) رائعته العالمية (الشعور والإحساس - Sense and Sensibility).

– حطم الـ (لوديتيز - Luddites)⁽¹⁾ مكائن أحد مصانع النسيج في منطقة شمال إنكلترا.

– نشر الدكتور وعالم التشريح الأسكتلندي السر شارل بل (Charles Bell) كتابه الموسوم (آراء جديدة حول أساليب تشريح الدماغ البشري)، وطرح فيه اكتشافاته الرائدة حول فعالية الأعصاب وعلاقتها بمختلف أجزاء الدماغ.

نص القانون وشرحه:

ينص قانون (افوكادرو) الذي اكتشفه الفيزيائي [اميديو افوكادرو - (1776-1856) (Amedeo Arogado)] في عام (1811) وسمي باسمه؛ على احتواء الاحجام المتساوية من

(1) The Luddite(s) - حركة اجتماعية نقابية ضمت عمال النسيج البريطانيين وكافة الحرفيين الآخرين، نشطت في أوائل القرن التاسع عشر واشتهرت عنها كثرة إضراباتها واعتراضاتها على أساليب العمل وتلني الأجور، كما اشتهرت بتحطيم المكائن والأنسودل الأوتوماتيكية التي جلبتها الثورة الصناعية خوفاً من سلبها لوظائفهم ودفعها إليهم إلى أحضان البطالة أو إلى مآسي تغيير أساليب حياتهم، وربما دفعتهم إلى أحضان الفقر دفعاً. (المترجم).



الغازات الموجودة تحت عين ظروف الحرارة ومناسيب الضغط على ذات العدد من الجزيئات، بغض النظر عن طبيعتها أو أنواعها. يكتب قانون افوكادرو ببساطه على الشكل التالي:

$$N_1 = N_2,$$

حيث يمثل N_1 - عدد الجزيئات الموجودة في أحد الغازات.

ويمثل N_2 - عدد الجزيئات الموجودة في الغاز الثاني.

يفترض هذا القانون اعتبار الغازات المعنية غازات (مثالية) أو شبه مثالية في تصرفها، الافتراض الذي يصح عمليا على أغلب الغازات المعروفة في درجات حرارة الغرفة الاعتيادية (20-25 درجة مئوية) وظروف ضغط مساوية أو أقل بمرات قليلة عن الضغط الجوي الطبيعي عند مستوى سطح البحر.

وهناك صيغة مغايرة للقانون تؤدي نفس غرضه وقد أسندت إلى (افوكادرو) أيضا؛ تنص على تناسب أحجام كافة الغازات طرديا مع أعداد جزيئاتها. ويمكن التعبير عن هذه الصيغة الثانية كما يلي:

$$V = a \times N$$

حيث يمثل a - ثابت التناسب و V - حجم الغاز المعين و N - عدد جزيئاته

ساند العديد من العلماء المعاصرين (لأفوكادرو) أفكاره، واعتقدوا بصحتها وصحة تناسبها، إلا أنه فاقهم بخطوات جراته وبعد نظره حين عرّف (الجزيئة) كأصغر وحدة بناء تحمل كافة الصفات الفيزيائية لأي مادة، وأنها قد تتألف وتحتوي على ذرة واحدة أو عدة ذرات متحدة مع بعضها وضرب مثلا بتكون جزيئة الماء من ذرتي هيدروجين مرتبطين بذرة أكسجين واحدة.

لعل من أهم التعابير الكيميائية التي لا غنى لحقل الكيمياء الفيزيائية عنها هو ما ارتبط باسم عالمنا الكبير (افوكادرو) وسمي (بعدد افوكادرو - Avogadro Number)، يُعرف عدد افوكادرو بأنه عدد ذرات العنصر الموجودة في وزن عياري واحد من ذلك العنصر. ويبلغ ما مقداره $[10^{23} \times 6.0221367]$ (العدد مضروباً بعشرة مرفوعه إلى الأس الثالث والعشرين) من الذرات حصراً. ويُعرف اليوم بأنه عدد ذرات عنصر الكربون - C_{12} - الموجودة في (12 غراما) بالضبط

من ذلك العنصر الحر. كما ويُعرف أيضا بأنه ذلك المقدار المحدد من أي عنصر أو مركب والذي يحوي على ما يساوي وزنه الذري من غرامات تلك المادة حصرا، وعليه فإن الوزن العياري لعنصر النيكل والذي يبلغ وزنه الذري (58.6934) لابد أن يكون - وحسب تعريفنا السابق - (58.6934) غراما منه بالضبط. ومن الجدير بالإشارة هنا إلى أن عدد الجزيئات أو الذرات الموجودة في وزن عياري واحد من أي مركب أو عنصر وهو العدد المعروف اليوم (بعدد افوكادرو) تمجيذا لإسهاماته الكبيرة في صياغة نظرية الغازات والأوزان الجزيئية؛ لم يكتشفه أو يحدده (افوكادرو) بنفسه أبدا!! وإنما يعود فضل حسابه وتعيينه إلى الفيزيائي والكيميائي النمساوي [يوهان جوزف لوشميد (Johann Josef Loschmidt) (1821 - 1895)].

يعتبر عدد افوكادرو رقما هائلا - بحيث تتضاءل هذه الكلمة نهائيا أمامه! - لا يمكن استيعابه ولا تصوره، ولكن كنوع من نسبية القياس لتقريب تصوره لأذهاننا؛ دعنا نتخيل أحد المخلوقات الفضائية العظيمة (والرقيقة) والتي قررت إهداء الأرض كمية من حبيبات الذرة لإسعاد أطفالها - أو لنقل لإزالة شبح الجوع عن المحرومين من سكانها! - لغرض التمتع بأكملها بعد تجميعها وتحويلها إلى (فشار - أو - شامية). فلو استطعنا نشر ذلك العدد من حبيبات الذرة على مساحة الولايات المتحدة الأمريكية - على عظمها - لغطاها تماما وإلى ارتفاع يفوق تسعة أميال.

والآن ولإضفاء بعض المرح وشيء من الإثارة إلى (عدد افوكادرو) دعني أبسط أمامك تمثيلية حقيقية رغم غرابتها؛ إن عدد افوكادرو من ذرات عنصر الكاربون الحر ستزن (12) غراما) بالضبط وهذا ما يساوي وزن قطعتين من فئة (الربع دولار) تماما أو قطعتين من فئة (الخمسین هللة) من العملة المعدنية السعودية. وإذا ما وضعت (24 كرة) صغيرة مرقمة من (1) إلى (24) في كيس صغير وبدأت بسحبها الواحدة بعد الأخرى وترتيبها ومن ثم إعادة إعادتها إلى كيسها وخلطها ثم سحبها الواحدة بعد الأخرى وترتيبها، ومن ثم إعادة إعادتها إلى كيسها وخلطها وسحبها مرة ثالثة الواحدة تلو الأخرى وترتيبها وهكذا... فإن احتمالية وصولك إلى السحبة (الصحيحة) التي ستمكنك معها من سحب الكرات الصغيرة المرقمة من 1 - 24



ويصدف أن يكون ترتيبها صحيحاً من 1 إلى 24 هو احتمال ضئيل وضئيل جداً يساوي فرصة واحدة من مجموع عدد هائل من المحاولات يساوي (عدد افوكادرو) منها تقريباً!!!. تعود مناسبة طرح (افوكادرو) لقانونه المعروف الآن باسمه إلى عام (1811) حينما كان أستاذاً للفيزياء في جامعة (تورين Turin)، علماً بأنه لم يُقبل ويُستعمل على نطاق واسع وبسهولة حتى عام (1858) عندما جاء الكيميائي الإيطالي [ستانيسلو كانيزارو Stanislao Cannizzaro (1826–1910)] بالعديد من القرائن واشتهر بالكثير من الأدلة الداعمة له. وما حققه (كانيزارو) في ذلك المجال كان توصله إلى إيجاد نظام متماسك محكم من الأوزان الذرية للعناصر وبعض المركبات استناداً إلى (عدد افوكادرو)، كما تمكن من إثبات حقيقة التوصل إلى إيجاد الأوزان الجزئية للغازات بتعيين وزن (22.4 لتر) من أي غاز مطلوب.

لم يكن متوفر لدى العلماء والكيميائيين في الوقت الذي نشر (افوكادرو) أعماله وقبل قانونه إلا غازات قليلة جداً هي: الهيدروجين والأوكسجين والنيتروجين والكلورين والتي لم يُكتشف غيرها لحد ذلك الزمان، وعليه لم يكن لدى علماء تلك الحقبة الكثير من المواد في حالتها تلك تحت ظروف الحرارة والضغط المتوفرة في أجواء المختبر لاختبار قانون (افوكادرو) عليها.

للفضوليين فقط:

- نجت مقبرة (آل افوكادرو) وشواهداها - والموجودة في مدينة كيوارنكرا (Quarengra) في إيطاليا - من التدمير الهائل الذي ألحقه بسواها فيضان عام (1969) العظيم! ويمكنك اليوم زيارة قبره في تلك المنطقة بسهولة.
- تم حساب الحجم النسبي للرقم المساوي (لعدد افوكادرو) من علب المياه الغازية، فوجد إمكانية ذلك العدد الهائل منها على تغطية مساحة الكرة الأرضية قاطبة عدد مرات بحيث إذا رصّت طبقة فوق طبقة وباعتبار ارتفاع العلب المقارب لأحد عشر سنتيمتر الغرقت الأرض بكاملها في بحر سحيق من العلب المعدنية يبلغ عمقه 200 ميل.

- أطلق اسم (عدد افوكادرو) على عدد من المطاعم الشعبية في منطقة فورت كولنز (Fort Collins) في كولورادو، حيث تستطيع الاستمتاع بوجباتك المفضلة على أنغام الموسيقى.
- اتخذت إحدى فرق الموسيقى الصاخبة (فولك - روك) المعروفة في منطقة وادي سسكويهانا (Susquehanna) في بنسلفانيا من (عدد افوكادرو) اسما لها كذلك.

أقوال ماثورة:

«لعل البساطة والوضوح اللذين اتسمت بهما نظريتي التي تقدمت بها لتفسير العلاقة بين أحجام الغازات المتفاعلة والناجمة، من قوة الحبك ومثانة البناء ما يستحيل على غيرها أداء دورها سواء بنفس كفاءتها أو أدق منها».

افوكادرو

Amedeo Avogadro, (Essay on a Manner of Determining the Relative Masses of the Elementary Molecules of Bodies, and the Properties in Which They Enter into These Compounds), 1811.

مقتطف من مقالة له منشورة في ذلك العام.

ملخص لسيرة حياة المكتشف:

ولد الفيزيائي والكيميائي الإيطالي [أميديو افوكادرو (1776-1856)] Amedeo Avogadro الذي اشتهر بدراساته المستفيضة عن الغازات، في مدينة تورن (Turin) الإيطالية. ذاع صيت والده واشتهر كمحام بارع في مدينة بيدمونت (Piedmont)، حتى انتُخب عمدةً لها. ظل العمادة وفيًا لمهنته يدعو ابنه إلى اتخاذها مثله كمصدر رزق له، حتى تمكن من إقناعه فدرس الابن القانون حتى تحصل في عام (1769) على شهادة الدكتوراه في القانون الكنسي (Ecclesiastical Law) وشرع في ممارسة المهنة بنجاح. ولم تُتح له مهنة المحاماة إلا النزر القليل من وقت الفراغ، استغلها (افوكادرو) لدراسة الفيزياء والرياضيات بصورة خاصة فأحبهما، وواظب على النهل من معينهما والاستزادة من



فيضهما حتى تمكن من العلوم الطبيعية تمكنه من نصوص القانون وعلوم القضاء. تقدم في عام (1809) للعمل كأستاذ للفلسفة الطبيعية في كلية (فرسيللي - Vercelli) فقبل فيها وبرع في تدريس مادته، وتدرج في ترقيته صعوداً فيها حتى تسنم في عام (1820) منصب (الأستاذ الأول) في الفيزياء الرياضية في جامعة (تورن - Turin).

لا يُعرف الكثير عن حياته الشخصية سوى أنه قد تزوج ورزق بعدة أطفال. وصف (ماريو مورسيللي - Mario Morselli) مؤلف كتاب (السيرة الذاتية العلمية لاميديو افو كادرو) تلك الفترة من حياته قائلاً:

((لقد شابهُ افو كادرو نظراءه ومعاصريه في استمتاعه بالجو الهادئ للحياة الأسرية السعيدة، بمعية زوجته وأطفاله السبعة مفضلاً الصفاء والانسجام العائلي على صخب الحياة الاجتماعية مع الأصحاب والأخلاء، فكثيراً ما كان يستمتع بقراءة الشعر بعدة لغات على مسامع أولاده وتشجيعهم على قراءته وفهمه والتمتع به، هذا بالإضافة إلى إشرافه على (صحيفة الأسرة)، ذلك العمل التطوعي الجليل الجميل الذي قصد من ورائه جمع أخبار عائلته فيه وسرد طريف ما يستجد في حياتهم اليومية إدامة للصلة وتقوية للأواصر)).

لقد امتاز (افو كادرو) بتواضعه خلال حياته وخجله في تعاملاته وانطوائه في نشاطاته الأمر الذي لم يجعله عالماً ذائع الصيت خارج حدود بلده وبلده، فلم تبلغ شهرته الآفاق يوماً. عُرف عنه عزله ورغبته في البحث وحيداً وفي الدراسة منفرداً. لم يتعرف العالم والمجتمع العلمي عليه لاحقاً إلا حينما شرع بنشر أبحاثه لأول مرة في حقل الكهرباء والألواح المشحونة، وقد كان ذلك قبل اشتهاره بدراساته وتجاربه في استكشاف الغازات وتوثيق صفاتها وطرق تصرفها.

يحتل (قانون افو كادرو) اليوم مكانة متميزة في تطبيقات الكيمياء الفيزيائية والتفاعلات الكيميائية اللاعضوية (وحتى العضوية التي لم تكن معروفة جيداً آنذاك) وذلك بالنظر لأهمية النتائج والاستنتاجات والأسس التي تستند إليه ويمكن اشتقاقها منه، فعلى سبيل المثال يمكننا استنتاج النسبة بين كثافة أي غازين مختلفين، كما بإمكاننا معرفة أوزانها الجزيئية النسبية على التوالي في نفس ظروف الحرارة والضغط. أضف إلى ما سبق تمكن (افو كادرو) كذلك من التوصل إلى الافتراضية

- التي أُثبتت صحتها فيما بعد - القائلة بضرورة وجود بعض الغازات في الحالة الجزئية لثبات استقرارها الكيميائي، كأن تتحد ذرات غاز لتكوين جزيئة له كما في حالة غازات النيتروجين (N_2) والأكسجين (O_2) والهيدروجين (H_2)، كما تظهر صيغتها اليوم في كتب الكيمياء الحديثة. وفي عام (1811) تمكن عالمنا من وضع الصيغة الكيميائية الصحيحة لثاني أكسيد الكربون (CO_2) وثاني أكسيد الكبريت (SO_2) وكبريتيد الهيدروجين (H_2S)، وبعد مرور عقد على ذلك التاريخ توصل إلى كتابة النسب الصحيحة التي تربط ذرات العديد من المركبات العضوية كالتربنتين⁽¹⁾ والإيثير⁽²⁾، كما استطاع تعيين الأوزان الذرية الصحيحة للعديد من العناصر كالزئبق (Hg) والحديد (Fe) والفضة (Ag) والرصاص (Pb) والنحاس (Cu) والكالسيوم (Ca). ووضع نظريته - التي أُثبتت صحتها فيما بعد أيضاً - بأن معدل المسافات الفاصلة بين جزيئات كل الغازات لا بد وأن تكون واحدة ثابتة للجميع تحت نفس ظروف الحرارة والضغط. وضع (آرون ايد - Aaron Ihde) يده بدقة ولخص مفاتيح وأسس قانون أفوكادرو في كتابه (تطور الكيمياء الحديثة) حين قال:

((نشر أفوكادرو - وبكل إقدام وثقة - في عام (1811) ورقة بحثه المستندة إلى قانون (كاي - لوساك) - ونظرية (دالتن) الذرية... وقد افترض فيها تساوي عدد ذرات كافة العناصر الغازية المحتواة في ذات الحجم وتحت عين الظروف التجريبية أو العملية من ضغط وحرارة، كما افترض اتحاد وتواجد ذرات تلك العناصر على شكل جزيئات اتحدت أكثر من ذرة منها في كيانها لتكوينها، كما أجرى التجارب وتمكن من إثبات كيفية استخدام نظرية الأحجام الغازية المتفاعلة لإنتاج أحجام الغازات المتحدة وكتابة صيغها الكيميائية الصحيحة. ولعلك تستغرب وتحتار لرفض علماء ذلك الزمان واستهجان كيميائهم للنظريات ولكل ما توصل إليه ونشره (أفوكادرو) رغم صلابه منطق وقوة حجته فيما ساقه وافترضه)).

(1) Turpentine - مذيب عضوي يستعمل في صناعة وتخفيف الأصباغ والأصماغ صيغته الكيميائية هي ($C_{10}H_{16}$).

(2) Ether - غاز استعمل كغاز للتخدير سابقاً. صيغته الكيميائية هي ($CH_3 - CH_2 - O - CH_2 - CH_3$). (المترجم).



لقد رفض الكيميائي الإنكليزي المرموق [جون دالتن (1766-1944) John Datton] (نظرية افوكادرو) رفضاً قاطعاً وأعلن احتقاره لكافة أعماله (لعدم علميتها!!). وقد يعود سبب كل ذلك - جزئياً على الأقل - إلى رفض (دالتن) لقانون أحجام الغازات المتحدة الذي جاء به (كاي - لوساك) أصلاً، أما (ايد) فاعتقد بأن السبب الأساسي لكل الثورة التي أثارها (افوكادرو) بأعماله ومجابهته بكل ذلك الرفض والاستهجان من قبل المجتمع العلمي آنذاك، يعود وبلا أدنى شك إلى ثورية وجذرية وحادثة الآراء التي جاء بها والتي كانت وبلا شك أيضاً تمتاز بحدثة لم تتحملها عقول ذلك الزمان. ومن الجدير بالإشارة أيضاً وضمن هذا السياق بأن الكثير من كيميائي وعلماء ذلك العصر لم يتوانوا حتى على رفض مفهوم (دالتن) للبناء الذري للعناصر، فقررُوا مقاطعته.

لم يكن (افوكادرو) السباق الحقيقي لكل تلك المفاهيم المستحدثة، فلقد توصل إليها غيره من قبل، إلا إن اصطدام تلك المفاهيم و/أو القوانين بصخرة الرفض التقليدي آل إلى نسيانها ورفضها من جهة، إضافة إلى افتقار غالبيتها العظمى للشمولية وقابلية التطبيق التام على كامل حقول الكيمياء المعروفة آنذاك من جهة أخرى. ولكن ما استحق الإعجاب والاحترام حقاً مما جاء به (افوكادرو)، كان نجاح قانونه في المقارنة بين كتل أحجام متساوية من غازات متغايرة تحت عين ظروف الضغط والحرارة، ونجاحه بقياس وتحديد النسب بين أوزان الغازات، وهذا ما مهد فعلاً للتقدم والنجاح الذي أنجز في قياس وتحديد الأوزان الذرية لها.

لقد ظل العديد من رواد العلم ومؤرخيه في حيرة - ولفترات طويلة من الزمن - يتساءلون عن سبب انصرام كل تلك السنين الطويلة قبل أن يلتفت القدر إلى ما أنجزه (افوكادرو) ويعي معاصروه أهمية قانونه المبدع ويعترفوا به ويكيلوا الاحترام لوضعه. (ما ضاع حق وراءه مطالب) و (إنه لم يكن ما قيل وإنما كيف ومتى قيل) أمثلة لم تضرب من فراغ، وقد نجد فيها (بعض التفسير) أو قليلاً من (شفاء العليل) للكثير من علامات الاستفهام التي صاحبت إغفال حق (افوكادرو) وإجحاف ما استحق من احترام وتبجيل.

يُرجع أغلب المؤرخين والمهتمين سبب كل ما سبق لثلاثية حاكتها الظروف حوله؛ أولها انعزاله وانزواؤه في بقعة من العالم لم يكن لها ذاك الباع الطويل في العلم ولا تلك الهالة البراقة من نوره،

فمن المعلوم - في ذلك الوقت - أن نقاط العلم الساخنة البراقة في أوروبا كانت متموضعة في كل من فرنسا وبريطانيا وألمانيا، أما إيطاليا وفي مدينة (تورن) على وجه التحديد، مكان نشوء وترعرع عبقرية (افو كادرو)، فكانت بعيدة عن ساطع الأضواء، مغمورة في لجج النسيان، أضف إلى ذلك تواضع (صاحبنا) وخجله الجم وتردده الشديد الذي أحكم طوق الحصار الفكري عليه وأبعده عن منابع ومجاري العلم والشهرة والتي كثير ما تحتاج إلى من يُعلي صوته - بالحق - فيها ويفتل ساعده لمقاومة تياراتها ويتصدى بحزم لمناوئيه فيها. هذا وقد أكمل (افو كادرو) بنفسه طوق حصاره عليها وغلق على ذاته يديه ضلع الثلاثية الثالث بتقاعسه - أو عدم إمكانيته إن صح التعبير - على تقديم الدلائل المهمة والقرائن الثابتة لإسناد ما ذهب إليه قانونه، فلم تكن هناك لا تجربة أجريت ولا معادلة رياضية صيغت. ومما زاد طين مشكلته بلة هو استغراب معاصريه إقدامه على تصور، فضلاً عن ادعاء صحة إمكانية التصاق ذرتي أي عنصر مع بعضهما وتحويلهما إلى وحدة واحدة (جزئية) جديدة، وكلاهما تحمل عين الشحنة وذات العلامة... ولا تتفان؟!؟

كان في تظافر ذاك المروق الفكري عما هو متعارف عليه مع تلك الهرطقة العلمية بالمفهوم السائد آنذاك، القشة التي قصمت ظهر بعير قانونه فووري النسيان وُلِفَ بالإهمال ووصم بالاستصغار. وأخير أُلْقِدَ طويت صحف (افو كادرو) وأودع جثمانه الثرى في عام (1856)، وأبن محررو مجلة (الكيمياء الجديدة - Nuovo Cimento) فقيدهم دون أن يغفلوا الإطالة والتفصيل في ذكر (بساطته) التي بلغت حد الكسل والتقاعس و (خجله وتواضعه) اللذين بلغا حد السلبية وشيئاً من انعدام المبادرة!!.. كتب (مورسيلي - Morselli) معلقاً على خطاب تأبينه:

((لم يكن كاتبه قادرين على إغفال العديد من إنجازاته الفذة وإضافاته إلى دنيا العلوم

التي شملت دراسة الأحجام الذرية وعلاقتها بالألغة الكيميائية (Chemical

Affinity) ما بين العناصر وتأثير ذلك على المتواليات الكهروكيميائية، إضافة إلى جهوده

وبحوثه المشتركة في ذلك الحقل مع (ميشيلوتي - Michelotti) وتأثير ذلك على مسار

وتطور النظرية الكيميائية التي ساعدت بدورها على ابتكار البطارية الكهربائية المعروفة

(البطارية الفولتائية) نسبة إلى العالم فولتا... ولكن ذلك التأين - وذكر المفاضل والمثالب -



كان قد أغفل عن قصد أو عن غير قصد فضله في تعميمه حول الغازات، تلك النظرية فائقة الأهمية والتي أطلقها (افو كادرو) في عام (1811) ولم تجد من يعير لها أية أهمية في إيطاليا حتى أذن فجر العام (1860) بالاطلاع عليها وعلى سائر العالم العلمي المتحضر آنذاك، فأعيد لها شيء من الحق الذي سلب منها وكرمت بالاحترام الذي تستحقه.)).

لا تزال شواهد عائلة (افو كادرو) تنتصب مؤزرة بدروع الحرب وأسلحة القتال التي خاض أجداده غمارها شاخصة في مقبرة العائلة - التي أضيف إليها جثامين كل من (افو كادرو) نفسه وزوجته (فليسيتا - Felicita) وأولادهما - التي لم يتمكن فيضان شهر نوفمبر من عام (1969) من جرفها مع غيرها.

سميت إحدى فوهات القمر باسمه تخليداً لذكراه، وكان ذلك هو التكريم الذي وافقت عليه الجمعية العامة لاتحاد الفلكيين العالميين في عام (1970).

مصادر إضافية وقراءات أخرى:

Crosland, Maurice P., "Amedeo Avogadro," in *Dictionary of Scientific Biography*, Charles Gillispie, editor-in-chief (New York: Charles Scribner's Sons, 1970).
 Ihde, Aaron, *The Development of Modern Chemistry* (New York: Dover, 1964).
 Morselli, Mario, *Amedeo Avogadro, a Scientific Biography* (Hingham, Mass.: Kluwer, 1984).

أفكار فلسفية وآراء للمناقشة:

• كثير النقاش وطافت على السطح كثير من الآراء القائلة بعدم مصداقية قوانين الطبيعة، لسبب بسيط ملخصه أنها بمجموعها لا تتعدى كونها (ابتكارات وحلول) أوجدها العقل البشري لتفسير الكون من حوله. ولكن قد تنسف مثل تلك الآراء بضمحس سريع للبيان العميق الذي يهزنا به العلم ورجاحة حُجته وذلك أولاً: لقوة منطق ودقة نتائج تلك القوانين في حل معضلات استحال حلها بغيرها من الطرق، إضافة إلى نجاحها بالقيام بالعديد من التوقعات التي أثبتت التجارب صحتها وساندت الحسابات دقتها أولاً... وثانياً لحقيقة قابلية القوانين الجديدة الاستشرافية للتنبؤ بأحداث وظواهر لم تكن

لتعرف لولاها ولتوقعات لم تكن لتخطر على بال قبلها، ولكن أثبت التجارب العملية صحتها.

- تعريف وشرح (القانون الفيزيائي - Wikipedia)، (Physical Law) نقلا عن ويكيبيديا.

• لعل كومة الحجارة المرصوفة عاليا ستفقد توصيفا لها (ككومة) حجارة في اللحظة التي نأملها

بصبر ودقة وأناة وقد استحضرتنا صورة معبد عظيم قديم في أذهاننا.

القديس اكسوبري

Antony de Saint-Exupery, Flight to Arras

مقتطف من قوله في كتاب (السمو إلى جبال الاراس)⁽¹⁾.

• يدعي البعض بأننا عاجزون حقا عن إدراك المغزى الفعلي وراء وجود القوانين في الكون؛ وعليه لا بد أن تكون قد وجدت من قبل الله (عز وجل)... ولكن هذه المقولة تناسى الحقيقة المنطقية الأزلية الأولى وهي أنه لو لا تلك القوانين لما كان هناك كون أصلا. فضلا عن الحقيقة الأخرى التي تقول - حتى ولو تمادينا قليلا - إنه بلا هذه القوانين ما كان لنا نحن أيضا أن نوجد. ولكن كلا الادعائين: الأول القائل بعجزه عن فهم سبب وجود الكون والثاني المناادي بالحقيقة المنطقية التي تدعي ضرورة وجود القوانين لوجوده، يتناسيان ويفغلان ما توصلت إليه دراسات وفلسفة اللحظة الأولى بعد الانفجار العظيم والقائلة بحاجة الكون خالق وهو الذي بدأه، فلما تجسد احتاج لهنيئات قليلة للملزمة قوانينه التي تصرف بموجبها في ما بعد ذلك.

هوسكن

Ben Hoskin, (God of the Gaps), Letter to (New Scientist), March 24, 2007.

مقتطف من مقالة له بعنوان (ذرى الشك).

• لعل في التحديد الفعلي (لعدد افو كادرو) وإطلاق اسمه عليه تطبيقاً راعياً لموضوعه (لوشمذت -

Loschmidt⁽²⁾ (The Zeroth Theorem, Or The Null Hypothesis التي

(1) Arras - منطقة جبلية كان لها أهمية دينية وروحية سابقاً تقع في شمال فرنسا. (المترجم)

(2) Loschmidt - هو [يوهان جوزف لوشمذت (1821-1895) (Johann Joseph Loschmidt)] -



تسمى بالنظرية الصفرية والتي تنص على أن كافة النظريات والقوانين والاكتشافات التي تحمل أو توصف أو توسم باسم صاحبها أو مكتشفها أو واضعها لابد أن تكون قد اكتشفت ووضعت من قبل شخص أو أشخاص غيره قبله. ومن المفيد أن نعلم أن الأمثلة على مصداقية هذه النظرية أكثر من أن تعد وأعظم من أن تحصى فخذ على سبيل المثال [ديراك (Dirac - الدلتويه)]⁽¹⁾ وهي مفارقة رياضية ابتكرها [أوليفر هفي سايد - Oliver Heavyside (1850-1925)] 30 ثلاثون سنة قبل ميلاد (ديراك) الذي حملت اسمه... [ومتناقضة (أولبر - Olber)] التي تنص على ظهور السماء التي نراها مظلمة في الليل رغم الحقيقة القائلة بأن عدد النجوم في كون لا نهائي لابد وأن يكون لا نهائياً قادراً على ملء كل صفحة السماء، وعليه يجب أن تُرى ليلاً وهي مضيئة!! ولكن الحال ليس كذلك، ناقش العالم الفلكي الألماني [هنريخ أولبر (Heinrich Olber (1758-1840)] تلك المتناقضة وأثبتها باسمه ولكنها بالحقيقة كانت معروفة (ليوهانز كبلر - Johanne Kepler) الذي سبقه بطرحها بـ 200 سنة.

(النظرية الصفرية) مقالة بلا توقيع

(The Zeroth Theorem), New Scientist, (Unsigned Article)

عامم مساوي مرموق أنجز الكثير في حقول الكيمياء والفيزياء (وعلى الأخص في الديناميكا الحرارية والبصريات والديناميكية الكهربائية) وهي دراسة البلورات. كان صديقاً لـ (بولتزمان) - راجع مدخله في هذا الكتاب - وله ثابت معروف باسمه يتعلق تحديد عدد الذرات الموجودة في سنتيمتر واحد من المادة، وتساوي (26.9) مليون مليون مليون وحدة. (المترجم).

(1) Dirac Delta Function - وهي دالة تقدم بها العالم الفيزيائي النظري الإنكليزي [بول ادريان مايوريس ديراك Paul Adrien Maurice Dirac (1884-1984)] تمثل نقطة نهاية عظمى (قمة) مدببة جداً تحصر تحت منحناها وحدة المساحة. أي هي الدالة $f(x)$ والتي تتخذ القيمة الصفرية في كل مكان عدا نقطة ($x=0$) حيث تصبح قيمتها من العظم بحيث تساوي القيمة العددية (1)، ويمكن اعتبارها كمحتى انتشار (Distribution) أو كقياس (Measure) - المترجم.

قانون بروستر لاستقطاب الضوء

BREWSTER'S LAW OF LIGHT POLARIZATION

اسكوتلندا، 1815:

تبلغ كمية الضوء المستقطب بعد انعكاسه عن سطح شفاف نهايته العظمى حينما يتعامد خطا مسار الشعاعين المنكسرين فيه والمنعكس عنه.

مجاور ذات علاقة:

قانون سنيل (SNELL'S LAW)، و قانون وليم لورنس براغ (WILLIAM LAWRENCE BRAGG)

من أحداث عام 1815:

- أنشئ أول مصنع تجاري لإنتاج الجبن في سويسرا.
- نُفي (نابليون بونابرت) إلى جزيرة كورسيكا وعاد (لويس الثامن عشر) إلى العاصمة الفرنسية باريس.
- أعلنت البرازيل نفسها مملكة كاملة السيادة والتصرف والحدود أسوة بمملكة البرتغال.

نص القانون وشرحه:

الضوء ظاهرة فيزيائية طبيعية تتصرف علميا بطريقتين، حسب النظرية النسبية لأينشتاين وحسب النظرية الكمية لبلاك في ذات الوقت فالضوء عبارة عن كميات صغيرة جدا من الطاقة تنتقل بسرعة الضوء مفردا (الكيم أو Quanta)، وحسب (نظرية هيزنبرك) الموجية فالضوء موجة مركبة تنطلق أيضا بسرعة الضوء ولها مكون أو حقل كهربائي متعامد مع مكونها الثاني وهو حقل مغناطيسي، والاثنان متعامدان على اتجاه حركتهما وكلا القيمتين المتجهتين تتذبذبان بكافة الاتجاهات (أي بمسحان سطح قطاع دائري عمودي على اتجاه مساريهما دائما وفي كل الأوقات). يمكن ولأغراض تجريبية أو صناعية تحديد حقل ذبذبة



المجال الكهربائي لموجة شعاع الضوء (استقطابه) وذلك باستخدام مستوى استقطابه ووضعها في مسار ذلك الشعاع. ولتحقيق ذلك يمكننا - مثلاً - تمرير حزمه من الضوء خلال بلورة تسمى (بالبلورة - الثنائية Dichroic - الموجهة)⁽¹⁾ تثبت في غشاء بلاستيكي بحيث يمكنها امتصاص أحد اتجاهي حقل الضوء الكهربائي بصورة شبه كاملة في حين يمكن أن يمر اتجاه حقل الضوء العمودي على الحقل الأول (المتصص كلياً) بدون أن يتأثر وبصورة شبه كاملة. (ويعبر فيزيائي أعم فإن الصفة الثنائية (Dichroism) لأي مادة تعني قابليتها لإخضاع الموجات الضوئية مختلفة الاستقطاب لحالات امتصاص مختلفة عند مرورها خلالها).

هناك طريقة أخرى للحصول على الضوء مستوى الاستقطاب وذلك بانعكاسه من منطقة السطح الفاصل بين وسطين كأن يكونا الهواء والزجاج، حينها سيكون الحقل الكهربائي (للضوء) والموازي للسطح العاكس أكثر مكوناته انعكاساً. وفي حالة واحدة وعند زاوية سقوط محددة، سينطبق خط سير الجزء المنعكس عن السطح - وهو جزء الضوء المتكون بأكمله من الحقل الكهربائي الموازي تماماً للسطح العاكس مع خط الجزء المنكسر عن السطح الفاصل بين الوسطين. وتسمى الزاوية المحصورة بين مساري الجزء المنعكس والمنكسر بزاوية بروستر (Brewster Angle) حينما يتعامد المساران.

وبإمكاننا إيجاد (زاوية بروستر) عن طريق المعادلة التالية:

$$\theta_B = \arctan \left(\frac{n_2}{n_1} \right).$$

حينما يمثل كل من (n_1) و (n_2) معاملي انكسار الوسطين على التوالي. (انظر مدخل - قانون سنيل لانكسار الضوء - في الجزء الأول من هذا الكتاب، حيث ستجد تفسيراً أوفى لمعنى الانكسار، والذي يعني باختصار مقدار حيود شعاع الضوء عن مساره المفترض نتيجة لمروره من وسط مادي إلى وسط مادي آخر مغاير).

(1) Dichroism - للكلمة معنيين مختلفين ولكن مترابطين في علم البصريات فهي تعني أولاً: مادة لها قابلية فصل الضوء الأبيض إلى عدة ألوان تختلف طولها الموجي. وثانياً: مادة لها قابلية امتصاص شدة مختلفة من حزمة ضوء، تحتوي على موجات ضوئية مختلفة الاستقطاب. المترجم.

وكمثال عملي لما سبق؛ خذ شعاع الشمس الساقط على زجاجة، فمعامل انكسار الضوء للزجاج هو ($n = 1.5$) ومعامل انكسار الضوء للهواء هو ($n = 1$ تقريباً). وعليه ستكون (زاوية بروستر) للضوء المرئي حوالي (56 درجة) مقاسة من الخط العمودي الخيالي المُسقط على سطح الزجاج. ولكن بما إن معامل انكسار الضوء لأي وسط يعتمد على الطول الموجي للضوء الساقط، فإن (زاوية بروستر) لا بد وأن تتغير بتغير الطول الموجي له، هذا يدفعنا إلى الاستنتاج - بديهياً - بأن شعاع الضوء الأبيض الاعتيادي - والذي يتكون أصلاً من عدة ألوان بأطوال موجية متباينة، لا بد وأن يكون أكثر من زاوية استقطاب واحدة (لأن لكل لون طوله الموجي الخاص به وزاوية استقطابه التي تميزه) وسيكون استنتاجنا - بناء على ذلك - بأن زاوية استقطاب الضوء المذكورة سابقاً بقيمة (56 درجة) ما هي إلا مجرد تقريب. وسنكون مصيبين في ذلك!

بما إن غالبية التجارب المجراة على استقطاب الضوء تبتدئ بشعاع ضوء مر في الهواء فلقد اصطلح على اعتبار (n_1) وهو معامل انكسار الضوء في الهواء مساوياً للرقم (1). وعليه ستختصر المعادلة السابقة إلى القيمة التالية:

$$\tan \theta_B = n_2$$

وكمثال آخر بإمكاننا إيجاد قيمة (زاوية بروستر) لأشعة ضوء الشمس المنعكسة من على سطح حمام السباحة الحاوي على معامل انكسار مقداره (1.33) باستعمال (قانون بروستر) المذكور لنحصل على ظل $\theta_B = 1.33$ وعليه ستكون زاوية استقطاب الضوء المنعكس من على سطحه مساوية (لـ 53.1) درجة.

ولعل في النظرية الفوتونية للضوء توضيحاً مبسطاً ونافعاً جداً لمفهوم الضوء المستقطب والذي يمكننا من إدراك وتفهم ظاهرة استقطاب الضوء بوضوح. بالمفهوم الفوتوني (الكيميائي للضوء) فإن لكل فوتون عنصران يكون نانه؛ هما الحقلان الكهربائي والمغناطيسي والذاتان يتذبذبان بتعامد أحدهما على الآخر وبتعامدهما سوياً على خط مسار شعاع الضوء. ولكن للفوتون خاصية دوران مستمرة وبكميات متغايرة حول محور مسار حركته نسبة لغيره من الفوتونات المصاحبة له. فإذا فهمنا نموذجنا المبسط آنف الذكر استطعنا أن نقول إن كافة



فوتونات الضوء الاعتيادي (غير المستقطب) هي في حركة عشوائية كاملة وباتجاهات دورانية متباينة بعضها نسبة لبعض، أما الضوء المستقطب فهو الذي يتم الحصول عليه بعد إمرار حزمة الضوء السابقة (بفوتونات العشوائية الدوران) خلال مرشح الاستقطاب والذي سيسمح فقط بمرور الفوتونات المتناظرة والمتماثلة في حركة دوران حقلها الكهربائي والمغناطيسي المتعامدان مع بعضهما ومع خط مسارهما.

من الجدير بنا هنا وقبل استطرادنا في شرح (ظاهرة الاستقطاب) أن نذكر بأن كامل طيف الأشعة الكهر ومغناطيسية وجزئها المعروف لدينا تحت اسم (الضوء المرئي) له صفتان، الأولى وهي شدته (Amplitude) والتي تفسرها العين البشرية على شكل شدة لمعان أو وهج (Brightness)، وقيمة تذبذب (Frequency) أو طول موجي (Wave Length)، تفسره العين البشرية كلون من الألوان. وفي الحقيقة فإن ظاهرة الاستقطاب الضوئي (أو زاوية التردد - كما يمكن أن نسميها) ليست بالحالة المحسوسة لدى البشر فلا يمكن لأعيننا التحسس بها أو يمكنها ذلك ولكن بدرجات متدنية جدا، ولكن على أية حال هناك بعض التجارب أو الحالات التي يمكنها - بطريقة غير مباشرة - إثبات وجود الضوء المستقطب لنا، وعلى سبيل المثال فإن كافة الأشعة المنعكسة إلى أعيننا من على سطح صقيل لماع هي أشعة ضوء مستقطبة كليا أو جزئيا، ولإثبات ذلك ما عليك إلا أن تضع في طريقها إلى عينيك (مرشح استقطاب) كعدسة النظارة الشمسية ماركة (بولارويد - Polaroid) والتي تكون بطبيعتها متعامدة مع خط الشعاع المنعكس عندها سيختزل الضوء الواصل إلى عينيك بدرجة كبيرة جدا أو أنه سيختفي تماما.

يتوفر اليوم في الأسواق مرشح ضوء مستقطب صناعي يسمى (البولارويد Polaroid) اخترعه (ادون اتش لاند - Edwin H، Land) في عام (1938). يُصنع ذلك المرشح بسحب طبقة منه باتجاه واحد بحيث تجبر الجزيئات الهيدروكربونية المكونة له على الاصطفاف باتجاه واحد وبعد أن تعامل تلك السلاسل الهيدروكربونية المنتظمة بمادة اليود فإنها ستصبح موصلة للكهربائية إذا ما سُلط عليها الضوء بذبذبة معينة. والآن إذا ما سُلط الضوء المناسب على تلك الشريحة (المستقطبة) بحيث يكون الحقل الكهربائي للذبذبة المناسبة - وهو قيمة متجهة

- موازياً للسلاسل الهيدروكربونية التي تولفها، فإن تياراً كهربائياً سيتولد على طولها - وبما إن الطاقة لا تُفنى - ولا تستحدث - فإن تحول طاقة الضوء الساقطة إلى كهربائية سيخفيها من الظهور ولن تتمكن عين المراقب خلف (المرشح المستقطب) من رؤيتها. وعلى العكس تماماً إذا ما سقطت أشعة الضوء بحيث صار حقلها الكهربائي عمودياً على مستوى اصطفااف جزئيات (المرشح المستقطب) فإن كامل طاقة الضوء ستمر ويتم الإحساس بها كضوء شديد مرئي.!

يحدث الاستقطاب العشوائي للضوء في الجو الأرضي بصورة مستمرة بسبب جزئيات الهواء وحببات الأتربة الدقيقة العالقة به ولهذا فإننا غالباً ما نرى (توهج) السماء بجانب قرص الشمس في النهار، ولذلك تظهر معظم الصور المأخوذة في نهار مشمس وكأن منظر السماء خلفها قد مُحي وظهر بلون مبيض باهت. يتلافى المصورون المحترفون هذا (التشوه) في صورهم النهارية باستعمال مرشحات الضوء المستقطبة.

تستفيد الكثير من الحيوانات في بقائها وإدامة حياتها على تمتعها بقابلية استشعارها للضوء المستقطب، فهو الذي يهدي أسراب النحل إلى الرجوع لبيوتها قبيل الغروب بعد رحلة موفقة بين زنابق الأزهار وحقول الأشجار وهو الذي يدل الحمام على طريق العودة إلى أعشاشه والطيور المهاجرة في طويل ملاحتها. لقد حباً المولى عز وجل (سبحانه) تلك المخلوقات بقابلية استشعار الضوء المستقطب خطياً والذي له - دائماً - خاصية الإشارة إلى اتجاه الشمس. استطاع بعض الباحثين في شركة [مركز (3M) لتكنولوجيا وإنتاجيات الضوء والأفلام] في مدينة (سنت بول)، بولاية مينيسوتا الأمريكية من استحداث وبناء مواد جديدة استخدمت في صناعة نوع جديد من المرايا، قال عنها مبتكروها إنها تضع (تعميمات) قانون (بروستر) في تطبيقات عملية عامة وذلك بزيادة قابلية المرايا التي يصنعونها وفق تلك التكنولوجيا على عكس الأضواء والصور الساقطة عليها بطرق مدهشة وذلك بزيادة زاوية سقوطها عليها. ومن التطبيقات التي اقترح الباحثون استعمالها لتلك المرايا، هو استخدامها لصناعة شاشات حاسبات تكون أكثر بريقاً. وبإمكانك الاطلاع على تفاصيل البحوث والأعمال التي قام بها (ميشيل وير - Michael Weber) وزملاؤه في المصدر الملحق بهذا المدخل في باب



(مصادر إضافية وقرارات أخرى) تحت عنوان:

[الخصائص (ثنائية الانكسار - Birefringence) العظيمة في المرايا التركيبية متعددة الطبقات]

للفضوليين فقط:

- أطلق بروستر اسم (الكاليدوسكوب - Kaleidoscope)⁽¹⁾ على منظاره الدوار الجميل الشكل والذي استقاه من الجذور الإغريقية (وتعني الجميل - Kalos - Beautiful) و (الشكل - Eidos - form) و (المنظار أو المشاهد - Scopus - Watcher).
- اشتهر بروستر بكونه أحد فطاحل كشف غش وخداع الفيزيائيين في تجاربهم ونظرياتهم.
- اخترع العالم البريطاني [شارل ويتستون (1802-1875) Charles Wheatstone] (المسماع الجميل - Kaleidophone) والذي اسماه تمجيذا لاسم اختراع (بروستر). تألف ذلك الابتكار من أوتار بيانو ملفوفة بأسلاك فضية أو من قضبان معدنية تصدر أصواتا ومقطوعات جميلة جدا عند وضعها بالقرب من مصدر ضوئي.

أقوال ماثورة:

- إن في القوة الحقيقية التي تستمدّها أي نظرية من قابليتها على تفسير والتنبؤ بحالات وظواهر مُثبتة لهو وبلا أدنى شك المعيار الحقيقي لصدقها وصحتها...

بروستر

David Brewster. (Observations on the Absorption

of Specific Rays: in Reference to the Undulatory Theory of Light).

مقتطف من بحثه الموسوم (ملاحظات حول امتصاص أنواع محددة من الإشعاعات اعتماداً على النظرية الموجية التماثلية للضوء).

(1) وهو عبارة عن مخروط من الورق أو الكارتون تثبت على قاعدته وسطحه الداخلي مثلثات متساوية من (المرايا) العاكسة. يوضع في داخله قطع من الخصى أو الزجاج الملون وتغلق فتحت العليا بعدسة مكبرة. تنعكس صور قطع الزجاج الملون مراراً داخله ويمكن مشاهدة أشكال متناظرة جميلة خلابة مختلفة كلما دار. (الترجم)

- لقد كان (بروستر) مؤمناً عتيقاً ومدافعاً صنديداً عن المذهب (البرسبايتيري - Presbyterianism)⁽¹⁾ البروتستانتي المسيحي والذي أيقن بوحدة الإيمان وبخطر الأفكار والمناظرات الفيزيائية على فعوى الدين وصلب هُده، فلقد آمن (بروستر) بأن التخمين والحدس لا بد وأن يحتوي على الرية، والرية غالباً ما تولد إما الضياع أو دكتاتورية الفكر الذاتي.

مورس

Edyar W. Morse, (David Brewster), in Dictionary of Scientific Biography.

مقتطف من مدخله في (معجم سير العلماء الذاتية).

- إن لإلهام⁽²⁾ بروستر (ويقصد بالكلمة فكرته الفذة عن الضوء المستقطب) العديد من الاستخدامات العملية والكثير من الفوائد العلمية، فلقد وجدت فكرته تطبيقاتها في ضبط الإشارات الراديوية وصناعة أنواع مبتكرة من المجاهر التي يمكنها تفحص عينات على المستوى الجزيئي، كما أنها كانت محورا لتطوير صناعات الألياف الضوئية والليزرات وفي الدراسات التعدينية وفي الرصد الفلكي.

بيكر

Cozy Baker, Kaleidoscopes, Wonders of Wonder.

مقتطف من كتاب (الكاليدوسكوب - أعجوبة الأعاجيب).

ملخص لسيرة حياة المكتشف:

ولد الفيزيائي والكاتب العلمي الأسكتلندي [ديفيد بروستر David Brewster 1781-1868] الذي اشتهر بتجاربه الفذة حول البصريات والضوء المستقطب ولاختراعه

(1) Presbyterianism - ويعني مجموعة المذاهب التي اتبعتها الكنائس المسيحية ذات المنحى (الكالفيني - Calvinism) نسبة إلى عالم اللاهوت والمصلح الديني الفرنسي (جون كالفن - John Calvin) والذي اشتهر بكتائمه ومناقشاته الإصلاحية في القرن السادس عشر التي أدت إلى إنشاء مجموعة الكنائس الإصلاحية والذي كان هو نفسه من رواد قاداتها، وتعتبر من نحل المسيحية البروتستانتية التي تؤمن بسلطة الله (جل وعلا) المطلقة على الكون وفقداسة شخص السيد المسيح (عليه السلام) وبالنصوص الحرفية للكتاب المقدس. (المترجم). انظر حاتمية صفحة (568) كذلك.

(2) الكلمة في أصل النص هي (Angel). (المترجم)



المنظار الدوار (Kaleidoscope)⁽¹⁾. في مدينة (جدبرك - Jedberg) في أسكو تلاندا. لقد هُيئ (بروستر)، ودرس علوم الدين فعلا في جامعة أدنبرة وقد مُنح في عام (1800) درجة الماجستير الفخرية في الآداب وعلوم الدين وأجيز فعليا للخطابة والوعظ ككاهن ضمن ملاك الكنيسة السكو تلاندية. كتب أحد زملائه وهو (جيمس هوك - James Hogg) رسالة إلى الناشر (جيمس فريزر - James Fraser) يصف فيها أول يوم اعتلى فيه (بروستر) منبر الكنيسة قائلا:

((نعم لقد أجيز بروستر للوعظ والإرشاد من على منبر الكنيسة، وفي أول يوم اعتلاه (ويا ليتسه لم يفعل...) حدث ما لم يكن بالحسبان ونزل عنه إلى غير رجعة!! فما كاد يرتكز فوقه وما أن تفوه بأول جملة له حتى ارتعب وارتجف وأصابه من العُصاب والتردد ما فاجأ الجميع. لقد كان لوقع نغمات صوته على أذنيه وقعا مخيفا كما كان لجمهرة العيون المتطلعة إليه والتي حدقت به تأثيرا غريبا جرده من كل شجاعته الأدبية ومقدرته الخطابية، فاقسم ألا يعود إلى مثل تلك التجربة وألا يتسلم مثل ذلك العمل ما دام حيا!! نعم لقد فُجعت الكنيسة الوطنية السكو تلاندية بفقدانه ولكن ذلك الحدث كان يوم عرس وبهجة لجمهرة العلم والعلماء فيها... فلولا رأفة القدر به وبهم... ولولا تأخر تسلم (بروستر) لدار القساوسة الخاص به لكان قد شرب مشربهم وسار بهديهم حاله حال بقية أفراد الشعب وسائر الرعية إلى المجهول...)).

لقد نما تعطش (بروستر) للعلم واهتمامه به سوية مع تبجيله للدين وللدراسات الدينية وانغماره بها، ففي عام (1799) تفتحت شهيته لإجراء التجارب العلمية وبانت بوادر عبقريته في صناعة الأجهزة العملية، ومن هنا بدأت اهتماماته بدراسة ظواهر استقطاب وانعكاس وامتصاص الضوء. لقد قضى (بروستر) جل وقته متمتعا بتصميم وصناعة الآلات والأدوات بمختلف أشكالها وأنواعها بما في ذلك صناعة الساعات الشمسية والمجاهر الضوئية والمراقب الفلكية. اعتمد دخله أساسا على قابليته الفذة في الكتابة والتحرير، فقد شارك في تحرير كل من [مجلة أدنبرة Edinburgh Magazine 1802-1806] و [مجلة اسكو تلاندا Scots Magazine 1802-1806] و [موسوعة أدنبرة

(1) انظر معني وشرح الكاليدوسكوب في أسفل صفحة (428) رجاء. (المترجم).

(Edinburgh Encyclopedia (1807–1830)، كما ألف وحرر العديد من الكتب والمقالات. وقد شابهه (بروستر) في اندفاعه وتغايه في نشر العلوم، الفيزيائي البريطاني الشهير وليام لورنس براك (William Lawrence Bragg (1890–1971) – انظر ذلك تحت مدخل (قانون براك لاستقطار الضوء) في الجزء الرابع IV من هذا الكتاب.

تزوج بروستر في عام (1810) من (جوليت مك فرسن – Juliet Mcpherson) وأنجب منها خمسة أطفال وعاش معها حياة رغيدة سعيدة هانته لما ينيف عن الأربعين عاما وحتى وفاتها. ولما بلغ عامه الرابع والسبعين تزوج للمرة الثانية من (جين برنيل – Jane Purnell) والتي تمكن من إنجاب طفلة واحدة منها.

وفي عام 1815 تمكن (بروستر) من تأكيد وجود العلاقة البسيطة (كصفة للمواد العاكسة ثنائية القطبية – Dielectric Reflectors) وهي مجموعة المواد العازلة كهربائيا – كالزجاج مثلا – والتي يمكنها الاحتفاظ بالحقل الكهربائي داخلها وبقدر تدد يقارب القيمة الصفرية) ما بين معامل انكسار المادة لطول موجي معين من الأشعة الكهرومغناطيسية وبين زاوية الاستقطاب للشعاع المنعكس لذات الطول الموجي. ولهذه العلاقة البسيطة بين معامل انكسار المادة وزاوية استقطابها أهمية كبيرة في إيجاد معامل الانكسار حتى ولو حصلنا على كمية ضئيلة من المادة المطلوبة وذلك لحاجتنا إلى مساحة صغيرة جدا من السطح العاكس لإتمام القياس.

أما ما نعبه بمصطلح (زاوية بروستر – Brewster Angle) أو زاوية الاستقطاب لأي مادة (ثنائية القطبية – Dielectric) فهي زاوية السقوط المحددة التي إذا ما اتبعتها أي موجة كهرومغناطيسية مستقطبة (كالضوء أو غيرها) بموازاة سطح السقوط فسيتم بثها تماما (دون أدنى انعكاس) ... وهذا يعني أن الموجة الكهرومغناطيسية غير (المستقطبة) الساقطة على ذلك السطح وتلك الزاوية فإنها سوف تنشط إلى قسمين:

الأول: يُبث (Transmitted) وهو الجزء المستقطب أفقيا مع السطح.

والثاني: يُعكس (Reflected) وهو الجزء المستقطب عموديا على السطح.

نشر (بروستر) أول أبحاثه في المجلة المعروفة باسم (أطروحات جديدة حول الآلات



الفلسفية المبتكرة) والذي شرح فيه أعماله وتجاريه حول الصفات البصرية لمئات من المواد التي تمكن هو شخصيا من ابتكارها خلال دأبه المستمر لتطوير المناظير الفلكية.

انتخب في عام (1815) زميلا للجمعية الملكية وتمكن من اختراع المنظار الدوار (الكاليدوسكوب - Kaleidoscope)⁽¹⁾ في عام (1816). كتب (كوزي بيكر - Cozy Baker) مؤسس (جمعية المعجبين بمنظار بروستر الدوار)، ومؤلف كتاب: (المنظار الدوار: أعجوبة الأعاجيب) واصفا الهرج والصخب الذي اعقب انتشار خبر ذلك الاختراع قائلا:

((لم يسبق لأي اختراع قبل (منظار بروستر الدوار) أن آثار هذا الهرج وذلك المقدار من الهيجان والتعاطف. لقد عمت (هستريا) النظر خلاله كافة طبقات الشعب؛ الحكماء منهم والمحكومين، البلهاء منهم والمتعلمين، والمهتمين منهم وغير المهتمين حتى عم طوفانه كل زاوية وشارع وأعجب به كل مقيم وضاعن، حتى بإمكانك تلمس البهجة والشعور بفرحة كل الناس الذين اعترفوا بل وأقسموا أنهم لم يروا في حياتهم شيئا أبهج مما رأوه ولا أداة أظرف مما صنعوه)).

كتب المخترع الأمريكي [إدوين لاند (1909-1991) Edwin Land] في دورية الجمعية الأمريكية لعلوم البصريات، واصفا ذلك الجهاز (بأنه كان عبارة عن جهاز التلفزيون لخمسينيات القرن التاسع عشر (1850s)، فلم يخل منه أي بيت محترم وغالبا ما تراه وقد تربع مكانه في صدر كل مكتبة بيته أو في مقدمة كل صالون).

وقد ذكره الدكتور [بيتر ام. روجيه (1779-1869) Dr. Peter M. Roget] عام (1818) في معجمه الشهير باسمه (تيزورس روجيه) قائلا: [لم يسبق أن أحدث في تاريخ البشرية أو خطر على ذهن إنسان أن صاحب أي اختراع أو فكرة أو عمل أو ابتكار ما أحدثه (منظار بروستر الدوار) من إعجاب وقبول وتأثير سواء من المنظور الأسطوري التخيلي أو من منطلق الفهم المنطقي]. لقد بدأ ابتكار (بروستر) الأول وتصميمه الرائد بوضعه أزواجا من المرايا المتلاصقة في نهاية طرف أنبوب ورقي، وأزواجا من القطع الزجاجية الملونة البراقة في نهاية طرفه الآخر ووضع خرزات قليلة ملونة فيما بينهما داخل الأنبوب.

(1) راجع معنى الكلمة في صفحة (428) من هذا الكتاب. (المترجم)

حصل (بروستر) على براءة اختراع كاملة لما جادت به قريحته وتفتق عنه ذهنه ولكن بسبب إهمال بسيط وغلطة عابرة في عملية تسجيل تلك البراءة، فقد كل حقوقه فيها (فهو لم يع افتقارها لأي نص يضمن له حقوقه المادية من وراء ذلك الاختراع)، فلما ذهب وكيله الذي اتفق معه على صناعة المناظير إلى صانعي النظارات في لندن ليتفق معهم على أسعارها، فُشي سر الاختراع واضطرم الاهتمام به وحمي وطيس الحصول على تلك الأجهزة الأمر الذي جعل كل من رأى ذلك الاختراع أو تفحصه بغية تقديم عرض لتصنيعه سارقاً لفكرته ومصنعا لنماذجه الخاصة به والتي درّت عليه شخصياً (من دون بروستر - مخترعه الأصلي) الأموال الطائلة. لقد بيعت مئات النماذج لصالح مصنعها قبل أن يتمكن (بروستر) من الحصول على قرش واحد من ورائها. ولم تمض سوى شهور قليلة إلا وقد بيعت في بريطانيا وفرنسا من نماذج الكاليدوسكوب ما يقارب الـ (200000) نموذج.

كتب (بروستر) في عام (1818) خطاباً إلى زوجته، جاء فيه:

((لا يمكنك أبداً تصور الأثر الذي أحدثه جهازي في لندن. إن ما حدث لم يسبق له مثيل. لم يتمكن أي كتاب أو اختراع سابق من جذب الناس والتأثير عليهم بمثل ما فعل اختراعي الفريد. فأنت يا عزيزتي ترين الآلاف من ضعاف الحال والفقراء الذين صاروا يقاتلون من وراء صناعة جهازي وبيعه في الأسواق. لقد أحدث اختراعي وبساعات قليلة من الاهتمام والمرح والتأثر والبهجة والمال والفرح ما لم يحدثه آلاف المخترعين وآلاف الفنانين والصناع والكسبة والحرفيين في سنين عديدة.)).

وبعد الصدى الكبير والانتشار الواسع لجهازه (الكاليدوسكوب) عمد (بروستر) إلى تأليف كتاب يحمل نفس العنوان. علّق (مارجوري سنشال - Marjorie Senechal) على الضجة والصدى الذي أحدثه كتاب (الكاليدوسكوب) ونشره في كتاب ثانٍ أسماه (صدى الكاليدوسكوب) جاء فيه:

((لقد كان وبحق كتاباً رائداً، رائعا سابقاً لشرح المبادئ الرياضية لأتمس (الناظر) بأسلوب علمي سلس بسيط موجه إلى القارئ الاعتيادي ورجل الشارع البسيط... لم يتمكن أحد



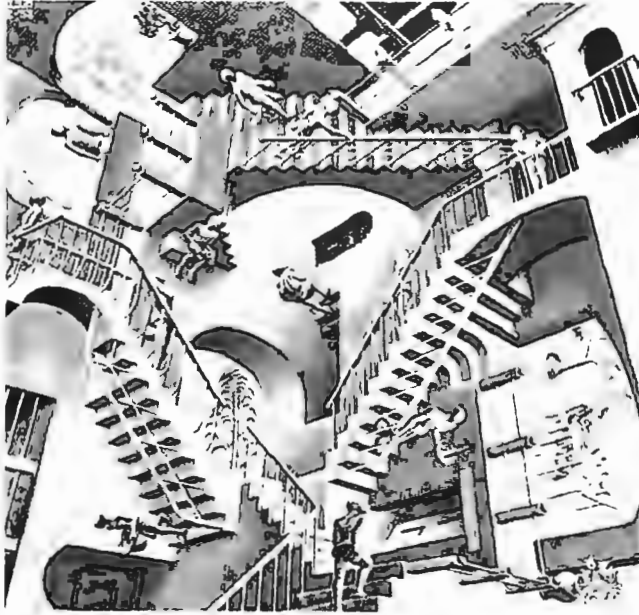
ولما يئف على القرن بعد ذلك (ما عدا - ام. سي. إيشر - M. C. Escher)⁽¹⁾ من
 بث وتعميم ثقافة وتذوق (التناظر) لدى العامة مثل ما فعله (بروستر). لا جرم بأن ما أثاره
 كتابه الصغير من اهتمام وضجة كان مساوياً لما أثاره جهازه ذاته من لفظ وبهجة.)).

عمد (بروستر) إلى ابتكار اختراع آخر جديد أسماه (المراقب البصري المجسم - The
 Lenticular Steroscope) والذي سرعان ما عم استعماله. وانتشر كلعبة مسلية، ومبدأ
 الجهاز كان لإنتاج صورة خيالية ثلاثية الأبعاد أمكن إضافة الألوان البراقة إليها لزيادة جاذبيتها.



أم . سي . إيشر - الشلال M.C.Escher – The Water Fall

(1) (1898-1972) Maurits Cornelis Escher - فنان تشكيلي هولندي عُرف بنحوتاته وأعمال حفره على الخشب
 والحجر ورسومه المبتكرة بلون واحد متعدد الظلال. وأهم ما امتازت به أعماله هي ارتباطها الرياضية المتقنة ورسومه ذات المجسمات
 المستحيلة والتي عبرت عن مواضيع معقدة ومهمة كالملا نهاية (Infinity) والمعمار المستحيل (Impossible Architedurc)
 والتماثل (Tessellations). انظر النماذج المرفقة - (للترجم).



أم . سي . أيشر - النسبية M.C. Escher - Relativity



أم . سي . أيشر - المحدب والمقعّر M.C. Escher - Convex and Concave
عكس المراقب البصري المجسم حقيقة ولع (بروستر) وجهه للتصوير الفوتوغرافي. أما مبدأ ذلك
الجهاز فكان عبارة عن صندوق صغير مغلق يمكن فتح جوانبه لإدخال الضوء مع تثبيت عدستين
قابلتين للتعديل فيه. لقد أعجبت ملكة بريطانيا (فكتوريا - Queen Victoria) إنما إعجاب



بذلك الجهاز الجديد والذي رآته متربعاً صدر صالة العرض العظيمة في قصر البلور في عام (1851). لقد كان إعجاب الملكة وثناؤها على هذا الاختراع الجديد هي الشرارة الجديدة التي أوقدت ثورة عارمة جديدة متجددة من الحماس والإعجاب والإقبال على جهاز (بروستر) المبتكر هذا.

استمر (بروستر) في دراساته وبحوثه البصرية حتى استطاع أن يضع بصمة واضحة على تطوير مجمل نظام الفنارات البريطانية. ومع أن التاريخ يشهد لعالم البصريات وصانع العدسات المرموق [أوكستين فرسnel (1788-1827) Augusstin Fresnel] فضله في ابتكار وتطوير العدسات ثنائية البؤر والمستعملة إلى ذلك الحين فيها، إلا أن وصف (بروستر) لها وتطويره إياها خلال وبعد عام (1812)، إضافة إلى كفاحه المبرر من أجل الضغط على صناع القرار في البحرية البريطانية لأجل استخدامها في الفنارات واستبدالها بالقديم من الزجاج والعدسات كان له كأس السبق لاعتباره هو شخصياً الرائد في تطوير ذلك الاستخدام. أما عدسات (بروستر) فقد امتازت بخفة وزنها رغم كبر حجمها وكان باستطاعتها توليد شعاع من الضوء يمكن رؤيته من على مسافات بعيدة جداً فاقت بمراحل المسافات التي كان يمكن أن يبلغه تميز الضوء المنبعث بواسطة عدسات (فرسnel) المستعملة في الفنارات القديمة.

لقد تعددت اهتمامات (بروستر) وتنوعت مشاربه حتى أعجب كل العجب وانبهز أشد الانبهار بالجدل الطويل الشائك الذي كان قد برز في خلال عشرينيات القرن التاسع عشر والذي كان ملخصه يدور حول مقدار العدد الصحيح لألوان الطيف الضوئي. فلقد انبرى (اسحاق نيوتن) لاقتراح وتثبيت العدد بالرقم سبعة وتمسك بذلك، في حين اقتنع العديد من العلماء الآخرين بضرورة كون عدد ألوان الطيف أقل من ذلك وساقوا مثال تكون اللون الأصفر - وببساطة - من مزج اللونين الأحمر والأخضر برهانا لذلك. أما (بروستر) وقد تشرب بمتعة ذاك الجدل، وانغمس في خضم ذلك الحوار، فقد عمد إلى استخدام العديد من منظومات العدسات والزجاجات الماصة للألوان، وجرب الكثير من تشكيلاتها حتى توصل إلى إثبات حقيقة كون اللون الأصفر لونا مميزا قائما بذاته.

لقد امتلأت حياة (بروستر) بالإنجازات والابتكارات والشهرة والتكريم، فقد مُنح لقب (فارس)

في عام (1831)، وبدأ يستثمر موهبته الفذة في التحرير فشرع يكتب السير الذاتية للعظماء من أمثال (نيوتن - Newton) و (غاليليو - Galilo) و (تايكوبرا - Taikeo Brah) و (يوهانز كبلر - Johanns Kepler)، كما كُلف، واستطاع بالفعل تحرير العديد من مواضيع الموسوعة البريطانية الشهيرة (The Encyclogaedia Britanica). وفي عام (1859) انتخب عميدا للجامعة أذنبه. أما في عام (1854) فقد ألف كتابا مثيرا بعنوان (العوالم الأخرى: أفكار العلماء وآمال المتدينين) ذكر فيه إمكانية تشابه المجموعات الشمسية الأخرى ومماثلتها لمجموعتنا من حيث وجود الأقمار والشموس والكواكب وضرورة كونها جميعا مأهولة بنوع أو بآخر من أنماط الحياة. لقد أجمع كتاب (بروستر) العديد من المشاعر والأحاسيس المتضاربة؛ المؤيدة والمناهضة، وقد كان كتابا فريدا على أية حال ومما جاء فيه:

((لا يمكنك الوقوع على أية آية أو تعبير في كامل نص العهدين القديم والجديد يناقض الفكرة الأساسية العظيمة القائلة باحتمالية وجود العوالم الأخرى في كوننا هذا الذي نعيش نحن فيه وتكون مأهولة بمخل، أو بأنواع مغايرة من الحياة أو الذكاء مهما كانت أشكالها. بل على العكس تماما أنا على يقين كامل بأن تلك الحقيقة لتطابق الحقيقة المطلقة السامية بوجود (الإله - تبارك وتعالى)، ولعل في القصة التوراتية الجميلة والمثيرة والتي ذكرت في الد (بسالمت - Psalmist)⁽¹⁾ وأظهرت الإعجاب والدهشة بذلك الكائن الضعيف البسيط الذي استطاع أن يهر (الطبيعة) بإنجازاته الخارقة وبغزوه للكواكب الأخرى ومحاولاته للتعرف والتقرب من الشموس البعيدة لهُو ذاته ذاك (الإنسان) الذي استطاع استثمار ما لديه من ذكاء لتغيير حاله وما حوله، أكثر من دليل إيجابي واحد على تعدد العوالم والأكوان)).

وفي عام (1855) احتدم الجدل وازداد اللغط وعمت الفوضى بظهور الوسيط الروحي الأسكتلندي الشهير [دانيال دنكلاس هوم (Daniel Dunglas Home 1833-1886)]

(1) Psalms - كتاب نوراتي يحتوي على (150) قصيدة لخصت الإيمان اليهودي. ألفه العديد من الأحبار بعد غرق فرعون بمرمن، لشمجيد ممالك داود عليه السلام. وكثيرا ما كانت بعض تلك القصائد ترتل لاستلهاب عزائم الرجال عند الحروب واشتداد المعارك لما امتازت به من حماسة ووقع. - المترجم.



والذي اشتهر عنه امتلاكه للقدرات الخارقة واتصاله بالأرواح والملائكة وقابليته على استصدار الأصوات والإيحاءات خلال جلساته.

وقد دُعي (بروستر) للبت في شأن ذاك الوسيط الذي أقام الدنيا في زمانه ولم يقعدها، فما كان منه إلا أن كشف الحجاب عن خداعه وأماط اللثام عن شعورته وذلك من خلال رسالة مطولة نشرها في صحيفة (إعلان الصباح)، والذي فُتد فيها كافة مزاعم (هوم) الروحانية وأضاف يقول: [لقد رأيت من ممارسات هذا الرجل وألغيه ما أقتعني بخداعه وبأن كل ما يرى ويسمع خلال جلساته الروحانية المزعومة] ما هي إلا ألغيب لا تعجز يدي الإنسان ولا قدميه على الإتيان بمثلها].

احتدمت نار الجدل وحمى وطيس النقاش بين مصدق ومكذب حتى نُشر في ذات يوم مقالا ساخنا يُفند ويُهرطق ما ذهب إليه (بروستر) في ادعاءاته زور (هوم) وتقنيده (لوساطته الروحانية السامية)، فما كان من صاحبنا إلا أن رد ردا مفحما قاطعا على مناوئته وضح فيه أنه لم يُسمح له شخصيا بالنظر تحت الطاولة التي كان يستخدمها (هوم) في جلساته، وخلافا لما آمن به كاتب المقالة المناوئة بأن ما صدر من أصوات وما سُمع من جلبة كان مصدرها الأرواح والملائكة، فإنه شخصيا يؤمن قطعاً بأن ما حدث كان من صنع أصابع (هوم) نفسه وأفعال قدميه، وبدل أن يصدق أحد أن ارتفاع المنضدة كان بفعل الأرواح كان حري به النظر إلى الأسفل والتحري عن الخدعة التي أحذقتها قلمي (هوم) نفسه في تحريكها، وللتين لم تكونا تتحركان خارج نطاق تلك الطاولة ولا كان (هوم) نفسه يسمح لأحد من مشاهديهما خارجها.

اقتربت المنية من (بروستر) لما قارب عامه السابع والثمانين، فلما أصيب بداء (ذات الرئة - Pneumonia) أدرك أنه يحتضر وأن ساعته قد آتت وأن صُحفه قد طُويت، فكتب بكل سمو الإيمان وصفاء النفس يقول:

((نعم إني لأدرك ذلك، وأدرك اقتراب منيتي مني وأني عن قريب لمغادر. ولكن عزائي في ذلك عظيم وبشراي فيما أنا مقبل عليه عميم، فإني سعيد لأنني سأتحق بالملكوت الأعلى ولذلك شأن خطير بالنسبة لي لأنني سأكرم بالنظر إلى وجه مولاي وخالقي (تبارك وتعالى)، ولذا فإني سأتحلى عن روحي وكلي طمأنينة وحبور وسعادة)).

ولما ووري جثمانه الثرى وانفض عقد المعزين بوفاته سارعت ابنته (السيدة ماركريت ام. كوردن - Margaret M. Gordon) إلى طبع سيرة حياته في كتاب ضخيم مهيب أطلقت عليه اسم (الحياة العائلية للسرديفيد بروستر) والذي ذكرت وصفت فيه ما ينيف عن (2000) من أوراقه وبحوثه العلمية.

أطلق اسمه تكريماً له على إحدى فوهات القمر بقطر (10 كيلومترات) وتم الاعتراف بذلك في عام (1976) من قبل الجمعية العامة لاتحاد الفلكيين العالمية.

لم يقصر (بروستر) ذهنه وتفكيره - وطوال حياته - على دراسة وبحث الاستقطاب وقوانينه وتأثير درجات الحرارة وتباين مناسيب الضغط الجوي على مقداره وشدته، وإنما سرح بفكره بعيداً لاستكشاف ودراسة الصفات الغريبة لبعض (البلورات ذوات المحاور المزدوجة Birefringent Crystals) وقابلية الانكسار الثنائية ولدراسة وتدقيق قوانين الانعكاس وتطبيقاتها على الفلزات.

مصادر إضافية وقراءات أخرى:

Baker, Cozy. *Kaleidoscopes: Wonders of Wonder* (Concord, Calif.: C&I Publishing, 1999).

Brewster, David, *The Kaleidoscope* (Edinburgh: Constable & Company, 1819; reprint edition, Holyoke, Massachusetts: Van Cort Publishers, 1987).

Brewster, David. *More Worlds Than One: The Creed of the Philosopher and the Hope of the Christian* (New York: Robert Carter & Brothers, 1854).

Land, Edwin. "Some Aspects of the Development of Sheet Polarizers," *Journal of the Optical Society of America*, 41(12): 957-963, 1951.

Morse, Edgar, W., "David Brewster," in *Dictionary of Scientific Biography*, Charles Gillispie, editor-in-chief (New York: Charles Scribner's Sons, 1970).

Pendergrast, Mark. *Mirror Mirror: A History of the Human Love Affair with Reflection* (Basic Books: New York, 2003).

Senechal, Marjorie. "Reflections of Kaleidoscope," in *Symmetry 2000* (Proceedings from a symposium held in Stockholm, September 2000), edited by I. Hargittai and T. C. Laurent (London: Portland Press, 2002).

Weber, Michael E., Carl A. Stover, Larry R. Gilbert, Timothy J. Nevitt, and Andrew J. Ouder Kirk. "Giant Birefringent Optics in Multilayer Polymer Mirrors," *Science*, 287(5462): 2451-2456, March 31, 2000.



أفكار فلسفية وآراء للمناقشة:

• لاشك بأن اختيار (العوالم الأخرى) والتي سيكون بإمكانها استضافة أشكال مماثلة أو مغايرة من أغطا (الحياة)، ستكون ضمن أسس وقوانين ونواميس مقننة ثابتة توفر البيئة الحميدة المناسبة لنشوتها. ومن ذلك لي أن أستنتج أن على أي (حياة عاقلة - تعي نفسها - وتذكر ذاتها) أن تبدأ أو تكون قد بدأت بالفعل بالبحث عن العوالم الأخرى... والتي تتمتع بتلك المميزات والصفات لغرض التعرف عليها أو حتى إيجادها. إن العوالم والأكوان الحاوية على تلك القوانين والمواصفات والتي تمكنها من استضافة ورعاية كائنات مثل أو حتى أعظم مما تتصور قد تكون بالفعل أقرب إلينا مما نظن ونعتقد...

بنفورد

Gregory Benford, in John Brokmen's (What we Believe but Cannot Prove).

مقتطف من كتابه (ما نؤمن به ولا يمكننا إثباته).

• لقد فاق استعمال الرياضيات (أو لعلها هي ذاتها قد تفوقت على نفسها) كوسيلة فعالة لإيضاح وتبيان مرامي كافة حقول الفيزياء النظرية السابق ولوجها ولحد الآن، فلدى تصديدها لبناء وتفسير (نظرية الأوتار - The String Theory) الجديدة، سواء كان الأسلوب الرياضي المتبع في ذلك (صعبا كان أم مبسطا)، قد مكنها من الإفصاح عن جملة من الحقائق والتوقعات تجاوزت كل ما نعرفه من (فيزياء)، إلى حقول وآفاق جديدة لم يسبق أن خطرت على ذهن بشر. أنا موقن أن ذلك المؤثر (وعلى غرابته) لهُو النافوس الهادي لنا بأننا قد بدأنا بالفعل (الآن) سيرنا في الطريق الصحيح...

عطية

Michael Atiyah, (Pulling the Strings). Nature

في مقالة له في مجلة (نيتشر - Nature) بعنوان (ها قد بدأنا بسحب الخيوط).

• لقد اتسعت وتعددت (نظرية الأوتار) إلى ما أسميناه (بنظرية الأوتار الفائقة - The Superstring

Theory) والتي انتفخت بدورها حتى امتصتها واستوعبتها (نظرية الأغشية - The Membrane

Theory). ورغم أن عليّ الآن أن أستدرك وأعترف بعدم وجود أي دليل علمي ملموس - ولحد الآن -

يثبت ما سبق أو يعززه، ورغم فهمي المحدود لـ (نظرية الأغشية) والتي يمكن تسميتها للتبسيط اللفظي فقط (بنظرية م - ميم - The M. Theory) إلا أنها قد نالت إعجابي حقيقة لكونها تماثل وإلى حد ما نظرية (الدوائر المتحدة المراكز لبطليموس - Ptolemy's Theory of Epicycles) ولأنها تشمل الكثير من التعقيد الذي قد يتطلب اختصاره ونضجه الوقت الطويل.

كاردنر

Martin Gardner in (Interview with Martin Gardner).

Notices of American Mathematical Society. 2005

في مقالة له بعنوان (مقابلة مع مارتن كاردنر) نشرت ضمن دورية (ملاحظات جمعية الرياضيين الأمريكية) لعام 2005.

• إذا ما تمكنا من حصر الميراث الحضاري للثورة العلمية الغربية برمتها وحاولنا إيجاد محور الزخم الدافع لكل تقدمها وإنجازاتها وتحولاتها - وعلى مدى القرون الثلاثة التي نشأت وترعرعت ونضجت فيها - لبرز أماننا حالاً (صرح الرياضيات) و(المنحى الكمي لتحليل الحقائق) كأهم قيسان تنجذب إليه أنظارنا؛ كونهما لب المشكلة وديدن المسألة. إن أول من ابتدع فكرة النظام الهندسي وإمكانية احتوائه للطبيعة والكون كان (الكسندر كوير - Alexander Koyre) ومنذ ذلك الفتح العظيم - خلال القرنين السادس والسابع عشر - ظلت فكرة هندسة الكون تقوى وتتمو وتقدم بامتصاصها وبإحاطتها بكل فرضيات ومعطيات العلوم. ولا يمكن لأي عالم - اليوم - ومهما كان حقل اختصاصه وطريقة تفكيره - إلا أن يستعين بهما للإفصاح عن نبات أفكاره ونتائج أعماله، ولعل هذا ما دأبنا عليه دون أي بادرة فكاك أو أمل خلاص ومنذ الثورة العلمية وحتى اليوم.

ويستفول

Richard S. Westfall. (Newton's Scientific Personality), Journal of the History of Ideas.

مقتطف من مقالة بعنوان، (شخصية نيوتن العلمية) نشر في (مجلة تاريخ الأفكار).

• لقد نجحنا أيما نجاح في تصنيف منهاج فهم الكون بتقسيمه إلى عالمين، عالم المقاييس (الدقيقة) وعالم المقاييس (الشاسعة). لقد كان غرضنا في ذلك تبسيط المفاهيم وتفكيك الملبسات، وقد نلنا



سبق الظفر في ذلك...

لنا الآن أن نفصح عن بعض نشوتنا وفخر إنجازنا عندما نرى أن قوانين الفيزياء التي وضعناها ووثقنا بها يمكن تطبيقها بحذافيرها وعلى امتداد الكون الشاسع وإلى حدود أفقه المحسوس لنا على عظمته واتساعه، وأن الظروف الطبيعية التي تحيط بكل ملاحظتنا ومشاهدتنا وفي كافة أرجائه لهي... هي في كل زاوية من زواياه وعند كل أفق من آفاقه.

ستينهارت

Paul Steinhardt, (Einstein: An Edge Symposium).

قانون ديوللو و بتي للحرارة النوعية

THE DULONG - PETIT LAW OF SPECIFIC HEAT

فرنسا، 1819: 

تناسب الحرارة النوعية للفلزات عكسياً مع أوزانها الذرية.

معاور ذوات علاقة:

همفري ديفي (HUMPHRY DAVY)، واندريه-ماري امبير (ANDRE (MARIE) AMPERE، وجونز برزيليوس (JONS BERZELIUS)، ولوي-جاك ثينار (LOUIS-JACQUES THENARD)، وفرانسوا اراكو (FRANCOIS (ARAGO)، والبرت اينشتين (ALBERT EINSTEIN) وقانون دبي لتكعيب درجة الحرارة المطلقة (DEBYE'S T^3 LAW) وقانون قوة الأرباع الخمسة لديوللو و بتي (DULONG - PETTIT'S FIVE-FOURTHS POWER LAW)

من أحداث عام 1819:

- ابتاعت الولايات المتحدة الأمريكية (مقاطعة فلوريدا - Florida) من إسبانيا لتضمها إلى فيدرالية ولاياتها. (ولمزيد من الإيضاح والدقة: فإن الجزء الشرقي من تلك المقاطعة كان قد منح إلى الولايات المتحدة بعد عقد الاتفاق الذي تم بموجبه تنازل إسبانيا عن جزء المقاطعة الغربي). وقد سددت الولايات المتحدة الأمريكية بالمقابل مبلغ خمسة ملايين دولار تعويضاً لها مقابل الأضرار التي سببها الثوار والمنشقون الأمريكيون وألحقوا بها.

- سُجلت (س.س. السافانا - S.S. Savannah) كأول سفينة بخارية تجارية تُبحر عباب المحيط الأطلسي.

نص القانون وشرحه:

ينص قانون (ديوللو - بتي) والذي تقدم به في عام (1819) كل من الكيميائيين الفرنسيين (بيير لوي ديوللو - Pierre Louis Dulong) و (الكس ثيريز بتي - Alexis Therese Petit)،



على أن كمية الحرارة النوعية (C) لبلورة هي:

$$C = 3 \frac{R}{M}$$

حيث تقاس (C) بوحدات الجول لكل درجة حرارة مطلقة لكل كيلو غرام واحد من المادة البلورية. و (R) هو ثابت الغازات ويساوي (8.314472) جول لكل درجة حرارة مطلقة لكل وزن عياري من المادة. و (M) هي الكتلة العيارية للمادة المدروسة (مقاسة بوحد الكيلو غرام لكل وزن عياري واحد منها).

ينطبق هذا القانون على تصرف المواد بدقة كبيرة للغاية في حدود درجات الحرارة العالية جدا للمواد الصلبة ذوات الهيئة البلورية البسيطة نسبيا. أما في حدود درجات الحرارة الدنيا فينهار هذا القانون بسبب تأثير التداخلات الميكانيكية الكمومية (Quantum Mechanical Effects) والتي تكتسب أهمية أعظم على المستوى الجزيئي فتبرز عن ذاتها عندها، كما يفترض القانون (لثباته ولصحة مجاراته لأسلوب تصرف المواد تحت الاختبار) ألا تمزج المواد ولا تغلي ولا تغير من تشكيله كيائها البلوري ضمن نطاق درجات الحرارة المدروسة.

احتل (الماس) مكانة متميزة في تاريخ الفيزياء الحديثة نظرا لإمكانه تسجيل أعظم زيغ ممكن عن (قانون ديول - بتي) ولحد الآن، فهو لا ينصاع له حتى ضمن نطاق درجات حرارة الغرفة الاعتيادية. دفعت تلك الظاهرة (اينشتين) وأوقدت في ذهنه فكرة احتمال تطبيق (التأثيرات الكمومية - Quantum Effects) للمواد على صفة حرارتها النوعية. فنجح في ذلك أيما نجاح. ومن الجدير بالذكر أن مثل تلك التأثيرات تبلغ مدى بعيدا جدا في حالة (الألماس) وذلك بسبب تشكيلته الذرية البلورية الفريدة رباعية الرؤوس (Tetrahedral)⁽¹⁾ إضافة إلى أن حقيقة صلابة الماس تعود إلى القوة الخارقة التي تتمتع بها الأواصر الرابطة بين ذرات الكربون

(1) Tetrahedral - Lattice Atomic Structure - وهي الأشكال البلورية التي تتخذها بعض المواد بحيث تكون الرؤوس مثلثة الأوجه، كما في الشكل على صفحتي (160) و(161) من هذا الكتاب - (الترجم).

في بلوراته من جهة، واتخاذ تلك الذرات شكلاً مستقراً ثابتاً جداً، حيث ترتبط كل ذرة بذرة مماثلة ومن أقطابها الأربعة ضمن تشكيلته المنتظمة الفريدة من جهة أخرى.

لعل الطريقة المثلى لفهم المقصود (بالحرارة النوعية) هي بإدراك أن المواد ذوات الحرارة النوعية المنخفضة، كالمعادن والفلزات مثلاً تحتاج إلى قدر أقل من الطاقة لرفع درجة حرارتها وتسخينها إلى درجة معينة، بعكس المواد الأخرى ذوات الحرارة النوعية العالية، كالماء مثلاً والتي ستحتاج إلى مقدار أعلى من الطاقة لرفع درجة حرارتها إلى مقدار مماثل لما سبق. وعليه وبعبارة أوضح فإن المقصود (بالحرارة النوعية): هو درجة كفاءة المواد في احتفاظها بحرارتها أو مدى أهليتها وقابليتها لاختزان الطاقة الحرارية داخلها، وقد يكون في هذا التوضيح الأخير سبباً مقنعاً لاستخدامنا لمصطلح (القابلية الحرارية) في التعبير عنها أحياناً.

من الملاحظ مختبرياً ولأجل المزيد من الدقة في توضيح المقصود بتعبيري (القابلية الحرارية - Heat Capacity) و(الحرارة النوعية - Specific Heat) إن المواد المختلفة تختلف في مقدار أو كمية الحرارة المطلوب تجهيزها إلى كل نقطة محددة منها لغرض رفع درجة حرارتها (كلها جميعاً) إلى درجة معينة محددة ومتماثلة. إن مقدار الكمية الحرارية المطلوبة لتحقيق ذلك تعتبر صفة خاصة تنفرد بها كل مادة قيد الدرس والبحث.

أود أن أجذب انتباهك - عزيزي القارئ، وفي هذه المناسبة - هنا إلى أن حاصل ضرب مقدار (الحرارة النوعية) لأي عنصر أو فلز والتي قد يطلق عليها أحياناً مصطلح (القابلية الغرامية الذرية - Gram - Atomic Capacity) في الوزن الذري له، هي قيمة شبه ثابتة دائماً للمواد الصلبة. نستنتج من ذلك أنه بإمكاننا حساب الوزن الذري لتلك العناصر أو الفلزات بقياس درجة حرارتها النوعية حسب القانون المذكور.

يُفضل بعض العلماء كتابة قانون (ديولو - بتي) على الشكل التالي، والذي يركز على حقيقة تعبير الحرارة النوعية لحجم معين من العنصر أو الفلز عن معدل التغير في حرارة، (أي مشتقة الحرارة نفسها) كونها وجهاً من أوجه الطاقة:

$$C = \frac{\partial}{\partial T} (3kTN_A) = 3kN_A/\text{mole} = 24.94 \text{ J/mole}$$

وفي هذه المعادلة متعددة الحدود نجد أن:

k يمثل - ثابت بولتزمان (Boltzmann's) ⁽¹⁾

و T - درجة الحرارة على مقياس كلفن لدرجات الحرارة المطلقة.

و N_A - عدد أفوكادرو و $3kTN_A$ - حداً يمثل مقدار الطاقة لكل وزن عياري واحد (mole).

وباستعمال الصيغة المعدلة السابقة لقانون (ديولو - بتي) للحرارة النوعية، يظهر لنا وعلى سهيل المثال تقارب قيمتي الحرارة النوعية لكل من فلزي الرصاص والنحاس وفق الحسابات التالية:

النحاس (Copper) $0.386 \text{ J/g } ^\circ\text{C} \times 63.6 \text{ g/mole} = 24.6 \text{ J/mole } ^\circ\text{C}$

الرصاص (Lead) $0.128 \text{ J/g } ^\circ\text{C} \times 207 \text{ g/mole} = 26.5 \text{ J/mole } ^\circ\text{C}$

من الملاحظ أن كلا من (ديولو) و (بتي) كانا قد استخدمتا في عام (1819) وحدات تختلف عما نستخدمه اليوم وتمكنا من إثبات حقيقة تساوي (الحرارة النوعية) لكافة المواد تقريباً واعتبراهما في نطاق قيمة مقارنة لـ (6 سرعات حرارية) لكل وزن عياري واحد من المادة مضروباً بلدرجة كالفن، أي:

(6 calories / mole. K)

لاحظ هنا أن اختلاف وتغيير استخدام الوحدات في التعبير عن القيم والكميات الفيزيائية قد تغيرت وتطورت عبر العصور واختلفت باختلاف المصادر والأدييات، وعليه فلا بد للقارئ الحصيف من أخذ ذلك التغيير بنظر الاعتبار، إلا أننا ولغرض الاختصار والتبسيط

(1) Boltzmann's Constant: ثابت فيزيائي يربط الطاقة على المستوى الجزيئي مع الحرارة المقاسة على المستوى الكلي (Bulk Level) ويساوي حاصل قسمة ثابت الغازات (R) على عدد أفوكادرو وله نفس وحدات الانتالبية... (Entropy).
وبلغ قيمته كما يلي حسب الوحدات المكونة لـ (K):

رمزها	الوحدة المستعملة	مقدار قيمة ثابت بولتزمان (K)
J/K	جول لكل درجة حرارة مطلقة واحدة	$10^{-23} \times 1.380654(24)$
eV/K	إلكترون فولت لكل درجة حرارة مطلقة واحدة	$10^{-5} \times 8.617343(15)$
erg/K	أرج لكل درجة حرارة مطلقة واحدة	$10^{-16} \times 1.380654(24)$

(الترجم)

نظمتمكم بأن كافة النتائج كانت متطابقة ومتبادلة وباستعمال مختلف الوحدات.

والآن عودة لما سبق الإشارة إليه في صدر هذا المدخل بأن قانوننا المذكور ينطبق وبدقة في درجات الحرارة العالية وينهار تطبيقه بسهولة في درجات الحرارة المنخفضة (وفقا للتفسيرات الكيميائية)؛ إليك جدول مختصر يبين مقدار القابلية الحرارية العياري لعدد من الفلزات في درجة حرارة الغرفة الاعتيادية (25 درجة مئوية) وتغايرها مقارنة بمقدار القابلية الحرارية لذات الفلزات في درجات الحرارة العالية والتي ستبلغ قيمة شبه ثابتة تقارب ما مقداره $(6 \text{ calories / mole. K})$.

اسم الفلز	قابليته الحرارية المعيارية
الألمنيوم	5.82 Calories / mole K
النحاس	5.85 Calories / mole K
الذهب	6.11 Calories / mole K
الرصاص	6.32 Calories / mole K

يعتبر قانون قوة الأرباع الخمسة (The Five— Fourths Power Law) قانوننا شهيرا متعلقا بقانون (ديولو - بتي) سابق الذكر... وينص على تناسب مقدار فقدان جسم لحرارته إلى الهواء الأبرد الساكن المحيط به مع قوة الأرباع الخمسة لحاصل طرح درجة حرارة المحيط المطلقة من درجة حرارته المطلقة ويمكن التعبير عن هذا القانون بالصيغة الرياضية التالية:

$$H_L = (T - T_s)^{5/4}$$

حيث يمثل H_L - مقدار الحرارة المفقودة.

و T - درجة حرارة الجسم المعني المطلقة. و T_s - درجة حرارة محيطه المطلقة.

للفضوليين فقط:

• لقد غالب سوء الطالع وحظ النحس كلا من (ديولو) و(بتي) فغلبهما وقَتَّ عَضْدِيهِمَا، فجعلهما شريكين في العلم وشريكين في تجرع مآسيهما معاً. أما (ديولو) فقد ولد يتيماً معدماً، ما إن شب حتى أطاح انفجار كيميائي قام هو به، بأصابع يديه وفقاً له عينه، وأما (بتي) فقد



رملته زوجته بعد قرانهما بوقت قصير ولحقها هو إلى مثواهما ولما يتجاوز الثلاثين من عمره.

أقوال ماثورة:

- تزوج (بتي - Petit) ... ولكنه لم ينعم بزواجه إلا لسته أشهر، مرضت حببته بعدها وسرعان ما تخطفها الموت من بين يديه، فصدّم بذلك صدمة انهيار على إثرها فقد كانت حادثة خسارته إيّاها أكبر مما يتحمل قلبه وفوق ما يستطيع مكابذته، فأوشك عقله على الاختلال. أصيب بعدها بهزال جسدي وفكري وشوهدت عليه أعراض الهرم المبكر. ولما لم يعد قادرا على الخروج من داره أو التحدث إلى طلابه، هُرّع إليه صديقه (ديولو - Dulong) و (أراكو - Arago) لمساعدته فحملوا عنه معاناة محاضراته وصاروا يحاضرون بدله ويسدّون عنه واجباته حتى يتمكن من الاستمرار في الحصول على مُرتّبته الذي يُقيته.

وسنيّاك

Jaime Wisniak, (Alexis - Therese Petit), Education Quimica

مقتطف من كتابه (الكس ثيريز بتي).

- لقد ثبت اعتماد (قابلية الحرارة) للمواد الصلبة على درجة حرارة المحيط ساعة قياسها، ولو صادف لـ (ديولو وبتي) أن عاشا في منطقة باردة من العالم، لما خطر اكتشاف مثل قانونهما ذاك لهما على بال.

هولدن

Alan Holden: The Nature of Solids.

مقتطف من كتابه (طبيعة المواد الصلبة).

ملخص لسيرة حياة المكتشفين:

ولد العالم الكيميائي والفيزيائي الفرنسي الشهير [بيير لوي ديولو Pierre Louis Dulong 1785-1838] والذي اكتشف مع زميله العالم الكيميائي والفيزيائي الفرنسي الذي

لا يقل عنه شهرة [الكس ثيريز بتي (Alexis Thevese Petit) (1791-1820) القانون الذي ينص على ثبوت قيمة حاصل ضرب الحرارة النوعية لأي فلز مع وزنه الذري، في مدينة (رويه - Rouen) الواقعة في الجزء الشمالي الغربي من فرنسا، وهي نفس المدينة التاريخية التي سبق أن أُحرقت فيها الفتاة الفرنسية (جوان دارك - Joan of Arc) بعد اتهامها بالسحر في عام (1431) والتي أُعلنت قديسة بعد وفاتها بعد أن ثبتت براءتها مما ألصق بها ولو بعد حين.

فقد (ديولو) كلا والديه، فأصبح يتيما ولما يبلغ من عمره الخمس سنوات، فآلت وصاية رعايته إلى عمته التي أحسنت مثواه، ثم سُجِّل في المدرسة التقنية في باريس في عام (1801) حينما بلغ السادسة عشرة من عمره وكان أصغر من قُبِلَ فيها بالنظر لنباهته وسرعة حفظه وشطارته. إلا أن المحزن في الأمر هو تأثير كثرة الفروض والواجبات المدرسية على صحته فاعتلت، الأمر الذي أرغمه على مغادرتها في العام التالي.

بعد سنوات، وحينما استرد عافيته ونشاطه التحق بكلية الطب وتخرج منها وصار يُعالج الفقراء والمعوزين حتى لو لم يتمكن أحد منهم من سداد أجره فحصه، ولكنه اضطرَّ بعد فترة من الزمن إلى ترك ممارسة مهنة الطب التي لم تُوفّر له الدخل اللازم لمواصلة حياته الكريمة، الأمر الذي يمكن فهمه بسهولة إذا ما علمنا ميله الشديد لمساعدة مرضاه ودأبه على إعفاء الفقراء منهم من دفع رسوم الفحص وإصراره على شراء الأدوية اللازمة، ومن جيبه الخاص للمعوزين أيضا.

تزوج في عام (1803) وتمكن من إنجاب أربعة أطفال، توفي أحدهم وهو لا يزال رضيعاً. أما الخطوة المباركة التي خطاها بعد كل مشاكله المالية فكانت باتخاذ مجال الكيمياء والتجارب مهنة له رغم ما حَفَّ بها من مخاطر وأحاط بها من صعوبات مهنية، فعلى سبيل المثال ولأجل إكمال دراساته في الكيمياء ولإجراء تجاربه فيها، اضطر (ديولو) إلى صرف آخر جنيته في محفظته لغرض شراء الآلات والأجهزة اللازمة لذلك، أضف إلى كل ما سبق معاناته الجسدية الحرجة والأذى الجسيم الذي لحق به عندما شرع بدراسة واختبار بعض المواد شديدة الانفجار كمركب (ثالث كلوريد النتروجين) الذي اكتشفه هو بنفسه والذي كان السبب



المباشر لبتّر إحدى يديه وفقدانه لإحدى عينيه.

حدث انفجار هائل حينما كان (ديولو) يتعامل مع دورقين حوى الأول غاز الكلورين (Cl_2) والآخر كلوريد الأمونيوم (NH_4Cl) امتزجت المادتان وكونتا مركب ثالث كلوريد النتروجين (NCl_3) عديم الاستقرار الأمر الذي ولّد انفجاراً فحاً له إحدى عينيه وأطاح له بعدد من أصابع يده (اختلف المؤرخون وكاتبو سيرته الذاتية في تقدير عددها بالضبط)، لم يُثنه الانفجار ولا فاجعته بفقدان عينه وأصابع يده عن استمراره بدراسة مركب ثالث كلوريد النتروجين (NCl_3) الخطر جدا والتعامل معه، فتعزى إليه اليوم معرفتنا بذلك المركب القلق، عديم الاستقرار، شديد الانفجار، وصفاته الفيزيائية والكيميائية... فهو سائل زيتي أصفر اللون، درجة غليانه حوالي (71 درجة مئوية)، كريحه الرائحة له بخار مخرش للعيون وللأغشية المخاطية. ونعلم اليوم بأن ذلك المركب له قابلية الانفجار بتماسه مع العديد من المواد وحتى لو بمجرد تعرضه إلى الضوء الساطع.

سمع الكيميائي والفيزيائي الإنكليزي الشهير [همفري ديفي (1778-1829) Hemphry Davy] بما قام به (ديولو) من أعمال وتجارب بخصوص تلك المادة المتفجرة المدهشة فقرر إعادة تجاربه لغرض استيعاب القوة التفجيرية لمادة (ثالث كلوريد النتروجين) بنفسه وهكذا كان حذراً جداً بتحضير ما لا يزيد عن حجم حبه من خردل لذلك الغرض، ولكن تلك الكمية الضئيلة سرعان ما انفجرت انفجاراً عنيفاً مهولاً دافعة بشظايا الزجاج للتناثر في كل الاتجاهات وبضمنها تجاه مقلتيه فدخلت واحدة من تلكم القطع حلقة إحدى عينيه ومزقت قرنتها. وثق (همفري ديفي) ذلك الاكتشاف المدهش والحدث الأليم برسالة بعثها إلى الفيزيائي الفرنسي ذائع الصيت [أندريه - ماري امبير Andre - Marie Ampere (1775-1836)] جاء فيها:

((نعم لقد كان ذلك الزيت الذي اطلعتُ عليه وعلى تركيبه زيتاً شيطانياً بكل معنى الكلمة، فلقد كان مدهشاً حقاً وامتاز بقوة تدميرية هائلة أثارَت فضولي وفاقت طموحي وأفقدتني إحدى عيني. لكنني أود تطمينك هنا بأنني سأتمثل للشفاء (بإذن الله تعالى) في غضون أشهر قليلة وسأعود إلى تجاربي وأعمالي)).

قد لا يعقل مقدار الإهمال واللامبالاة التي يتمتع بها العلماء والمكتشفون والتنان ظلتا صفتين ملازميتين لمعظمهم على مر العصور. فمن المتوقع بعد كل تلك الخسائر المادية والإصابات العضوية أن يتعلموا دروسهم ويأخذوا حذرهم في تعاملهم مع تلك المادة الخطرة كي يتفادوا المزيد من الإصابات والأضرار والخسائر، ولكن (ما كل ما يتمناه المرء يدركه...) فهذا هو العالم الكيميائي والفيزيائي الإنكليزي [ميشيل فراداي 1791-1867 Michael Faraday] والذي شغل منصب المساعد الأول للعالم (همفري ديفي) في ذلك الوقت والذي استمر في مساعدته وإعانتته لتحضير المزيد من المادة المرعبة وإجراء العديد من التجارب الخطرة عليها حتى جاء عام (1813) فاكْتَفِيا بما أصابهما من ويلات وما لحق بهما من أذى من جرائها فكتب في تلك السنة رسالة جاء فيها:

((لقد تمكنا من إجراء تجارب أخرى وعلى كميات أكبر من تلك المادة. ولا أخالكم تصورون حقيقة ما حدث في كل مرة، فما تكاد المادة تستقر لهيئات معدودة في مكانها حتى تنفجر بدوي هائل يصمم الآذان وبخراب مريع يسسم الأبدان، ورغم ارتدائنا، أنا والسر همفري أفتعنا الواقعة فقد تطايرت شظايا الزجاج في كل الاتجاهات وأصابته بجر حين عميقين حول ذقنه إضافة إلى ضربة قوية تلقاها رأسه بجبهته رغم سمك القناع وكثرة بطانات وحشوات الحرير لتلطيف ملمسه وطبقات الجلد السميك لتقسية خارجه. عند ذاك طفح الكيل وبلغت خطورة التعامل مع تلك المادة المرعبة مداها فقرّر (السر همفري) إيقاف تجاربه بها وإلى إشعار غير منظور)).

أما (ديولو) نفسه فقد أوقف تجاربه وامتنع عن المضي في بحوثه (وعبثه) بتلك المادة بعد أن نال نصيبه الوافي من الإصابات والجروح والكدمات من جرائها!!

شغل (ديولو) عدة مناصب في حياته منها كرسي الأستاذية في الفيزياء للفترة من (1820) ولغاية (1830) في باريس، وبعد ذلك عُيِّنَ عميداً للدراسات العليا في (المدرسة العليا للبولي تكنيك) في باري، ثم تعاون مع صاحبه الكيميائي الفرنسي (الكس ثيريز بتي) من عام (1815) ولغاية (1820)، ولما وافت زميلة (بتي) منيته استمر على نهج أبحاثهما لوحده



حتى تمكن من نشر نتائجهما وما توصلوا إليه بخصوص مواضع (الحرارة النوعية) و(قابلية الحرارة) وذلك في عام (1829).

لقد تمكن كل من (ديولو) و (بتي) في عام (1819) من اكتشاف قانونيهما الشهير في الكيمياء والذي حمل اسميهما منذ ذلك الحين. نص القانون على تناسب الحرارة النوعية لكثير من الفلزات التي تكون بحالتها الصلبة في درجة حرارة الغرفة الاعيادية (25 درجة مئوية) عكسيا مع أوزانها الذرية - وقد استخدم القانون كما سبق شرحه في استخراج الأوزان الذرية لتلك العناصر. وقد جاء في ورقتهما المنشورة في عام (1819) تحت عنوان (دراسات وأبحاث حول بعض النقاط المهمة التي تخص نظرية الحرارة) ما يلي:

((لعل المراجعة البسيطة والنظرة المتعجلة (لقيم ظاهرتي الحرارة النوعية والوزن الذري النسبي للفلزات) لتلك الأرقام البسيطة قد تقودنا إلى تقريب أبسط وعلاقة أشد بساطة وأغرب من أن تحتسب بذات أهمية، فضلا عن الإدراك العميق بأن ما بين طياتها ومحتواها يكمن قانون على جانب من التفرد والرصانة تمكنه من الامتداد وشمول كافة المواد بسيطة التركيب. ولعل في قرب الملاحظات والتائج التي حصلنا عليها ومقاربة بعضها لبعض عدديا ما يخولنا استنباط واستنتاج القانون الآتي منها: إن لكافة ذرات الأجسام البسيطة (ويعني بذلك العناصر الحرة - عدا المركبات - وبالأخص الفلزات) قابلية حرارة تكاد تكون واحدة)).

أبّن (ديولو) رفيق أبحاثه وزميله العزيز (بتي)، حينما عُيّن خلفا له في منصبه كعميد (للمدرسة العليا للبولي كنك) في عام (1820) قائلا: لعلني لا ألوم إلا نفسي لضعف شخصيتي وقبولي المنصب الذي كان يشغله أعز صديق إلى نفسي (بعد وفاته) وبهذه السرعة. في عام 1823 تم انتخاب (ديولو) عضوا في الأكاديمية الملكية للعلوم وفي عام (1829) توصل إلى إثبات حقيقة أن الأحجام المتساوية من كافة الغازات (مهما كان نوعها) تمتص وتطلق عين الكمية من الحرارة إذا ما تم ضغطها أو خضعت للتمدد المفاجئ إلى ذات الجزء المحدد من حجمها الأصلي. وقد افترضت التجربة إجراء كافة العمليات وكون كل الغازات

تحت نفس الظروف من درجات الحرارة وعين مقدار الضغط، كما اكتشف أيضا تناسب مقدار التغير في درجة الحرارة عكسيا مع الحرارة النوعية لكل غاز إذا ما حفظ حجمه ثابتاً. تباينت ميول (ديولو) وتنوعت مشاربه فخاض غمار أكثر من موضوع علمي وطرق أكثر من باب تجريبي وألف وحاضر في العديد من المواضيع وبرع في الكثير من الحقول شأنه شأن أي عالم موسوعي وعلى مر العصور. وإليك قائمة مختصرة بأعماله وأهم مؤلفاته ومنشوراته، يتصدر كل فقرة منها العام الذي تم فيه إنجازها:

- 1811 - نشر بحثه حول تبادلية التفاعلات الكيميائية.
- 1815 - اختبر صفات ومميزات المحارير الزئبقية وأجرى تجاربه حول قوانين التبريد في الفراغ.
- 1816 - اختبر وتعرف على بعض الصفات الفيزيائية والتغيرات في لون مركب ثلاثي اوكسيد ثنائي النترجين (N_2O_3) وتوصل إلى وصفه بالمادة الصلبة عديمة اللون في درجة (-20 مئوية)، وبالغاز الأحمر اللون عند التسخين.
- 1820 - نشر أبحاثه المشتركة مع الكيميائي السويدي [جونز برزيليس Jones Berzelius (1779-1848)] المتعلقة بخواص وكتافات السوائل، واختبر مع العالم الكيميائي الفرنسي [لوي - جاك ثينار Louis-Jacques (1777-1857) Thenard] خواص المعادن المختلفة ودورها كعوامل مساعدة في التسريع من تفاعلات واتحاد الغازات.
- 1826 - اختبر مواصفات الغازات وعلاقتها بانكسار الضوء.
- 1829 - اختبر صفة الحرارة النوعية لمختلف الغازات وذلك بدراسة التغيرات الحاصلة في النغمات المتولدة من آلة الفلوت الموسيقية عند إمرار مختلف الغازات وبدرجات حرارية متغيرة معلومة خلال فوهتها.

- 1830 - نشر ورقته الشهيرة بمعية الفيزيائي الفرنسي [فرانسوا اراكو Francois Arago (1786-1853)] حول قابلية بخار الماء للتمدد تحت تأثير درجات الحرارة العالية وتصرفه كغاز



اعتيادي عندها.

• 1838 - نشر بحثه المتعلق بكميات ومقادير الحرارة المتولدة من جراء التفاعلات الكيميائية المختلفة.

لم يفث من عضد (ديولو) ولم تنتقص من شجاعته ولم تؤثر على اندفاعه للمجازفة في سبيل الاكتشاف العلمي والكشف التجريبي كل ما عاناه من آلام ومصاعب وإحباطات شخصية، ولا ما كابده من أخطار خلال إجرائه لتجاربه الكيميائية الجسيمة عندما فقد إحدى عينيه من جراء ذلك الانفجار الكبير الذي أعقب تعامله مع مركب ثالث كلوريد النيتروجين (NCl_3) شديد الانفجار عظيم الخطورة، ولكنه دعا صاحبه (أراكو) للمجازفة والشروع في دراسة طويلة خطرة جدا حول صفات وضغوط بخار الماء المسخن إلى درجات حرارية فائقة.

لقد نشأت تلك الفكرة في نفسه واختمرت في ذهنه عندما طلبت منه الحكومة الفرنسية دراسة مواصفات مراحل تسخين المياه وتأثرها بارتفاع ضغط بخار الماء داخلها إلى درجات عالية، وهكذا انبرى (ديولو) بسلسلة من التجارب على مراحل وفوارات المياه الساخنة وبظروف بالغة الخطورة ودرجات ضغط خيالية فاقت ما يقارب الـ 27 ضعف مقدار الضغط الجوي الاعتيادي داخلها مع احتمال انفجارها الأكيد ما بين لحظة وأخرى.

نُقش اسمه ضمن قائمة الـ 72 عظيما ورائدا فرنسيا والذي قرر (كوستاف إيفل) تخليدهم بحفر أسمائهم على دعائم برج إيفل الشهير. (انظر قانون كولوم للكهربائية المستقرة في الجزء الثاني من هذا الكتاب في صفحة).

ولد [الكس ثيريز بتي (Alexis Therese Petit (1791-1820)] في مدينة (فيسو Vesoul) الفرنسية، وكان طفلا موهوبا بكل معنى الكلمة، فقد تقدم وأكمل متطلبات قبوله في (المدرسة العليا للبوليتكنيك) ولما يتجاوز عامه الحادي عشر، وكان قد أدهش لجان القبول في تلك المدرسة بحصوله على معدلات فاقت جميع نظرائه في تلك المرحلة. ورغم النهاية المأساوية لحياته القصيرة، إلا أنه كان قد تمكن من وضع بصماته العلمية على العديد من الإنجازات وفي مختلف الحقول. خير ما يُذكر به (بتي) اليوم هو اشتراكه مع زميله (ديولو)

في وضع القانون الذي خلد اسميهما والذي نص على أن لذرات المواد البسيطة (من الفلزات) المختلفة نفس القابلية الحرارية. ولكنه كان قد أدلى بدلوه أيضا وعكف على تحقيق العديد من المشاركات العلمية في مجال تحديد القابلية الحرارية للعديد من المواد، كما شارك في تطوير تفهمنا لخواص بعض المواد الأخرى فيما يتعلق بانكسار الضوء خلالها. كما عمل كذلك على توضيح كيفية تحول الطاقة الكامنة لقدرة ميكانيكية.

لا نعرف إلا النزر اليسير عن طفولته التي قضاها يتيمًا محرومًا في دار عمته، إلا أن ما نعرفه هو تمكنه من الحصول على إجازة (الدكتوراه) في العلوم في عام (1811) عن أطروحته الموسومة: (نظرية رياضية حول الخاصية الشعرية)، والتي كان الغرض من ورائها إيجاد القانون (أو القوانين) التي ستصف خاصية تحرك السوائل في الفراغات الشعرية كمثال صعود عمود الماء عكس الجاذبية إلى الأعلى خلال الأنابيب الزجاجية الضيقة جدًا والمسماة (بالأنابيب الشعرية - Capillary Tubes)، علما بأن لتلك الظاهرة الفيزيائية أهمية جوهرية في وجود كافة أنواع الحياة على سطح الأرض ولا سيما الحياة النباتية فهي المسؤولة حتما عن إيصال الماء والأملاح التي تمتصها الأشجار العظيمة إلى أعاليها حيث توجد الأوراق المعرضة لأشعة الشمس لغرض إتمام خطوات التمثيل الكلوروفيلي - أصل إنتاج السكروز، وأصل الحياة على هذا الكوكب - .

نعني بالفعل (الشعري) أو (الخاصية الشعرية): ظاهرة التعامل ما بين أي سائل والمادة الصلبة التي يحدث أن تكون بمساس به، وما يحدث حقيقة في هذه الظاهرة هو ارتفاع أو انخفاض مستوى سطح السائل (أو حوافه) عند نقطة التقائه بالمادة الصلبة التي هو بمساس معها. فعلى سبيل المثال، لو أمعنت النظر إلى قدح الماء الذي أمامك لوجدت أن سطحه سيكون مرتفعا قليلا عند الأطراف (نقطة تماسه مع جدار القدح الخارجي) عنه في وسطه.

تنتج الخاصية الشعرية بالحقيقة من تضافر وتعارض قوتين مهمتين تفعل فعلها في المادتين الصلبة والسائلة، هاتان القوتان هما قوة الالتصاق (Adhesion Force) والتي تفعل فعلها بين جزيئات السائل وجزيئات إنائه، وقوة الالتحام (Cohesion Force) وهي القوة التي تضم جزيئات السائل إلى بعضهم البعض.



ولبحث (الخاصية الشعرية) بشيء من التفصيل والعمق، دعنا نراجع ما توصل إليه (بتي) بشأنها. لقد وجدت بأن العلاقة التي تربط القوة (H) وهي القوة التي يُسلطها جدار الوعاء الشعري على السائل الموجود داخله مع القوة (H') وهي القوة التي يُسلطها السائل على نفسه؛ يمكن أن تكتب على شكل القانون التالي:

$$H = H' \cos^2(\bar{\omega}/2)$$

حيث تمثل $(\bar{\omega})$ هنا مقدار الزاوية الفاصلة بين سطح السائل وجدار الحاوي له عند نقطة تلاقيهما (علما بأن اتجاهها سيكون دائما مفتوحا إلى جهة السائل في الإناء). تزوج (بتي) في عام (1814) ولم يُسعد به، فقد كان زواج شؤم مُرصت زوجته على إثره بعد ستة أشهر فقط، ودامت معاناتها مع ذلك المرض طويلا حتى وافاها أجلها المحتوم في عام (1817) تاركة قلبا مكلوما كسير لم يقو على الحياة السوية بعدها فلحق بها وهو في أواخر ريعان العشرينيات من عمره.

رغم وفاته شابا إلا أنه كان قد سجل العديد من الإنجازات والفتوحات العلمية، ففي عام (1815)، نال (بتي) درجة الأستاذية الكاملة في الفيزياء من (المعهد العالي للبوليتكنيك). تقرب من صهره العالم المرموق والفيزيائي الفرنسي الشهير [فرانسوا اراكو (Francois Arago 1786-1853)] وتعاون معه في جل بحوثه المتقدمة، وعملا معا على فحص وإثبات تأثير تغيرات درجة الحرارة على تغيير معاملات انكسار الغازات، فساعدت تلك التجارب لاحقا على تمسكه بالنظرية الموجية للضوء. أما أول ورقة علمية نشرها فكانت في حوالي عام (1816) والتي ثبت فيها أبحاثه بخصوص تغير قوة مادة معينة وتأثيرها على انكسار الضوء خلالها بتغيير درجة تكتلها.

كُرم في عام (1818) بمنحه جائزة الأكاديمية الباريسية عن أبحاثه حول (قانون التبريد)، ونشر في السنة ذاتها بحثا آخر عن المبادئ الأساسية (لنظرية الماكينة - Machine Theory) كما نشر في نفس السنة ورقة ثالثة عن (نظرية الحرارة). لقد كانت علاقته بأصدقائه - وكما ذكرنا سابقا - جيدة جدا، فقد تعاون مع (ديولو) ونشرا معا عدة أبحاث تناولت (نظرية الحرارة)، كما درسا معا القوانين التي تتحكم في تبريد المواد في الفراغ وفي الهواء وفي

مجالات بعض الغازات الأخرى. أما أول ورقة شارك فيها صديقه (ديولو) بنشرها فقد تناولت القوانين التي تصف خواص تمدد بعض السوائل والمواد الصلبة، وقد حصل كلا الباحثان (بتي وديولو) في عام (1818) على الجائزة الفرنسية السنوية للفيزياء والتي تألفت من ميدالية ذهبية لكل منهما مع مبلغ مالي ضخم كبير بلغ (3000 فرنك فرنسي) لكل منهما أيضاً، هذا وقد تَوَجَّع عمل الرجلين المشترك بتوصلهما معا في عام (1819) إلى صياغة قانونهما الشهير بخصوص الحرارة النوعية للعناصر.

لم تتوقف أبحاث وأفكار العبقرى (بتي) عند حد، فقد عمل على اختبار العجالات المائية وكفاءة ضرب المدافع حتى توصل إلى وضع معادلته العملية التي مكنت من حساب كمية البارود الواجب شحنها في مدفع ما لغرض الحصول على أفضل قوة دفع لقنبلته، وأعلى سرعة انطلاق ممكنة منه لها، وأبعد مسافة يمكن أن يوصلها إليها.

لقد تأثر تأثراً شديداً لوفاة زوجته التي تركت له فراغاً نفسياً وعصبياً شديداً حتى صارت تتأثر حالات متقطعة وأحياناً مستمرة من الشعور بالإرهاق الشديد وعدم القدرة على التركيز ونوبات من الكآبة الحادة، منعت من الظهور العلني أو إلقاء المحاضرات على الأساتذة أو الطلاب. لقد طويت صفحة حياته بسرعة وأسدل الستار على إنجازاته العلمية الفذة بوفاته المبكرة بسبب معاناته من (داء السل) ولم يكد يتجاوز التاسعة والعشرين من عمره. أما أهم ما اشتهر بإنجازه فكان قانونه حول (القابلية الحرارية العيانية الثابتة -

(Law of Constant Molar Heat Capacities).

وُوري جثمانه الثرى في مقبرة (الاست - l'Est) وهو المكان الذي سيلحق به صديقه (ديولو) ويدفن معه فيه في بضع سنين. أطلق اسمه تكريماً له وعرفنا بإنجازاته على إحدى فوهات القمر بقطر (5 كيلومترات)، الأمر الذي صادقت عليه الجمعية العامة لاتحاد الفلكيين العالميين في عام (1976).

لقد سبق التطرق إلى عدم دقة قانون (الحرارة النوعية لبتي وديولو)، حيث إن هذا القانون يزوغ زيفاً بينا وينهار انهياراً تاماً في درجات الحرارة الواطئة الأمر الذي استوجب إدخال



التأثيرات الكمومية (Quantum Effects) عليه لإصلاحه. كتب (دونالد دبليو روجرز – Donald W. Rogers) مؤلف كتاب (نظرية اينشتين الأخرى: [نظرية بلانك – بوز – اينشتين للقابلية الحرارية – Einstein's (Other) Theory: The Plank – Bose Einstein Theory of Heat Capacity –] قائلاً:

((لقد لفت ذلك الزيغ انتباه [ألبرت اينشتين Albert Einstein (1879-1955)] وأيقن بانهييار قانون (ديولو – بتي) الحاد وبالأخص فيما يتعلق بمادة (الماس)، والذي أثبتت الدراسات اللاحقة وتحت ظروف حرارية واطئة جداً فشله التام في ذلك وكلماً أمعنا في خفضها، كما أثبتت دراسات علوم التبريد بأن الثابت الذي كانا قد توصلنا إليه وسمي به (ثابت ديولو – بتي) يقترب من قيمته الصغرى بجوار درجة حرارة الصفر المطلق. أما ما قام به اينشتين حقيقة فهو إدخاله بعض التعديلات لتصحيح قابلية التنبؤ بتصرفات القابلية الحرارية لمادة (الماس) حصراً، إلا أنه بعمله الفذ ذلك كان قد توصل إلى نظرية عامة شاملة بخصوص كافة التغيرات المتوقعة والمحتملة لذلك الثابت والذي اكتسب بعد اينشتين صفة (الثابت المتغير C_v) الذي يمكن استعماله مع كامل الطيف الحراري (T) ولكافة المواد الصلبة وحتى بنطاق درجة حرارة الصفر المطلق)).

عمل اينشتين على وضع صياغة جديدة لقانون الحرارة النوعية الذي سبق وأن ابتكره كل من (ديولو وبتي) وذلك بوضع تصور جديد للمادة وهو باعتباره مجموعة من التذبذبات التوافقية المنتظمة المتحركة في نطاق ثلاثي الأبعاد ومرتبطة ارتباطاً وثيقاً بنظام بلوري متوازن محدد النقاط. وبالاتتماد على (المفهوم الكيميائي) السابق تمكن كل من اينشتين والفيزيائي الأمريكي الجنسية ألماي المولد [بيتر ديبي (Peter Debye (1884-1966)] من وضع الصيغة الدقيقة للقانون المذكور والتي تنطبق بدقة عالية جداً ضمن كافة الأطر الحرارية الواطئة منها والعالية على حد السواء. ويمكن التعبير عن أحد صيغ ذلك القانون بالمعادلة التالية:

$$C = \frac{\pi^2 N_A k^2}{2 E_F} T + \frac{12 \pi^4 N_A k}{5 T_D^3} T^3.$$

حيث يمثل k - ثابت بولتزمان⁽¹⁾.

و T - درجة الحرارة مقاسة بدرجات كلفن المطلقة.

و N_A - هو عدد افوكادرو و E_F - هو مقدار طاقة فرمي و T_D - تسمى درجة حرارة

(ديبي - Debye) وتساوي:

$$T_D = h V_D / k$$

حيث V_D هو الحد الأعلى المسموح به لذبذبة الفونون - $Phonon^{(2)}$ [والتي تسمى

اليوم (بذبذبة ديبي)] و h - هو ثابت بلانك

أما الفونونات فتتمثل نوعاً من الذبذبات التي تنتشر خلال المواد بسرعة تقارب سرعة

الصوت وتؤثر على تصرفات حرارتها النوعية.

لقد تمكن ديبي من إثبات وجود درجة حرارة خاصة محددة لكل مادة صلبة بلورية تبلغ

معها درجة حرارتها الذرية المقدار الثابت البالغ (5.67) سعة حرارية لكل درجة، أما

نظرية اينشتين بهذا الخصوص فقد عبرت عن تلك الدرجة الحرارية بالقيمة التالية ($h V_D$)

(/ K) حيث تمثل فيها V_D مقدار الذبذبة الخاصة المحددة لكل ذرة ضمن كيان مادتها

البلوري.

واختصاراً للجهد والتفكير يمكننا الاستعاضة عن المعادلة الطويلة والمعقدة

السابقة بأخرى أكثر سهولة وأشد اختصاراً سميت (بقانون التكميع الحراري المطلق لديبي

(1) Boltzmann Constant) هو ثابت فيزيائي يربط مقدار الطاقة على المستوى الجزيئي مع درجة الحرارة المطلقة على المستوى الكليوي ويساوي حاصل قسمة ثابت الغاز (R) على ثابت افوكادرو (N_A)، أي: ($K_B = R/N_A$) انظر أيضاً القيم الرياضية لهذا الثابت (حاشية صفحة 442). (المترجم).

(2) Phonon - هو كمية (صغيرة) من الطاقة ترتبط بنسق التذبذب الذي يحدث في المواد الصلبة ذات الكيان البلوري المميز. ونبرز أهميته عند دراسة (فيزياء الحالات الصلبة - Solid State Physics) لأنه يفسر صفاتها من حيث قابليتها على التوصيل الكهربائي والحراري. تفسر الفونونات ذوات الأطوال الموجية العالية جداً انتقال الصوت في المواد الصلبة وقد اشتق الاسم (Ph non) من الكلمة الإغريقية التي تعني (الصوت). المترجم



– Debye's Law (T^3) وذلك لتناسب الحرارة النوعية لأي مادة فيه مع مكعب درجة حرارتها المطلقة، كالآتي:

$$C = \frac{12\pi^4 N_A k}{5T_D^3} T^3$$

مصادر إضافية وقراءات أخرى:

Crosland, Maurice P., "Pierre Dulong," in *Dictionary of Scientific Biography*, Charles Gillispie, editor-in-chief (New York: Charles Scribner's Sons, 1970).

Curry, Roger, "Fulminating Oils: Sweat of the Devil: Nitrogen Trichloride and Nitroglycerine," in *Lateral Science*; see lateralscience.co.uk/oil/.

Faraday, Michael, personal letter to Benjamin Abbott, April 8, 1813.

Fox, Robert, "Alexis Petit," in *Dictionary of Scientific Biography*, Charles Gillispie, editor-in-chief (New York: Charles Scribner's Sons, 1970).

Nave, Carl R., "HyperPhysics: Law of Dulong and Petit," Department of Physics and Astronomy, Georgia State University, see hyperphysics.phy-astr.gsu.edu/HBASE/hframe.html.

Rogers, Donald W., *Einstein's "Other" Theory: The Planck-Bose-Einstein Theory of Heat Capacity* (Princeton, N.J.: Princeton University Press, 2005).

Wisniak, Jaime, "Alexis-Thérèse Petit," *Educacion Química*, 13(1): 55–60, 2002.

أفكار فلسفية وآراء للمناقشة:

- ما بين طيات العلم وخفياه، لابد وأن نقع على بعض الافتراضات (الماورائية – Metaphysical)، ليس أقلها شأننا كون عالمنا المحسوس وكوننا المؤلف منصاعان كلية لمجموعة من القوانين. ولا يشك أحد بأهمية وعملية القوانين التي اكتشفناها وعلميتها ولكن العلم لا يجيب على التساؤل الجوهرى فيما لو إذا كانت تلك القوانين قد سبق هندستها وتصميمها قبل وجود الكون أم لا، وهذا سؤال محير جداً قد يعتبر ماوائياً أيضاً. وعلى كل حال ففي كلتا حالتى إيماننا بوجود المهندس الخالق (العظيم سبحانه) الذي صمم هذا الكون أم إيماننا بعدمه فإن ذلك لن يحل معضلة تساؤلنا التي كانت ولا تزال معقدة حائرة تحاول جاهدة معرفة كيفية عمله.

كارول

Robert Todd Carroll, (Intelligent Design), The Skeptic's Dictionary.

مقتطف من (معجم المتشكك) في مدخل (التصميم الذكي).

• لعل خير ما نوصف به ميكانيكية عمل نظام الكون هو باستخدام مجاميع من القواعد والقوانين التي تقوم بفعالها على شكل مراحل وطبقات، لا علاقة للوحدة منها بالأخرى. أوضح ما يؤثر علينا فيها ويمكننا الإحساس به منها في الطبيعة هي قوة الجاذبية، التي تسيطر على... وتحكم الأجسام العظيمة فيها كالنجوم والكواكب والأجرام الأخرى وجسمك وجسمي. تلك هي قوة واحدة من مجموع القوى الأربع التي تحكم الكون، أما الثلاث الباقيات فيختص مجال عملهن في النطاق المادون الذري.

بوسلوف

John Boslough, (Sephen Hawking's Universe)

مقتطف من كتابه (عالم ستيفن هاوكنج).

• في نقطة ما من مراحل التفكير والإنجاز العلمي، لا بد لنا أن نعترف بأهمية وفضل الخيال على العلم والمعرفة. إن من واجب العلم والمعرفة تبيان وتحديد ما نعرفه الآن وما نرغب في فهمه في الوقت الحاضر، أما الخيال فهو سبيلنا الوحيد ومركبنا الفريد لاستشراف المجهول ودليلا الأكيد لما نود اكتشافه وخلقته في المستقبل.

اينشتاين

Albert Einstein, (On Science).

مقتطف من كتاب (في العلم) له.

• يعلم أي منظر في الفيزياء النظرية - وعلى وجه اليقين - حاجته للاحتفاظ في ذهنه على ست أو سبع معادلات على الأقل تمثل ذات الحقيقة الفيزيائية أو نفس القانون بصورة أو بأخرى، وهو يعلم كذلك أنها كلها صحيحة وكلها متقابلة بل ومتوافقة ومتساوية ولا من حاذق يستطيع الجزم بتفضيل أي منها على الأخرى وعلى أي مستوى وفي أي مرحلة. والآن ستسألني إذا؛ ولم يحتفظ بها كلها عبأ على ذهنه؟ جوابي لك حاضر: إنه يركن إليهن كي يتمكن من التوصل لحدس أقرب الى ما يرضي نفسه في حالة معينة وظرف خاص.

فينمن

Richard Feynman, The Character of Physical Law.

في كتابه (خصائص القانون الفيزيائي).



• لقد صار من نافلة القول أن نقر بأن نظرية بسيطة بساطة إمكانية طباعتها على صدر قميص اعتيادي بعشرين حرفاً لا بد وأن تكون بم تناول الجميع علما وعملا، والحقيقة أن هذا هو واقع حال نظريتي النسبية العامة وميكانيكا الكم.

كربين

Brian Greene, (Einstein, An Edge Symposium), WWW.edge.org

• لا يُعبر عن عبق الأسلوب العلمي وشذاه خير من سلاح العقلانية وروعة المنطق: ولذلك فنحن نفترض أن كل شيء في الكون يتصرف على طريقته التي ألفناه يتصرف بها لحكمة معينة ولسبب وجيه، أدر كناهما أم لا. الأمر مختلف تماما فيما يتعلق (بالقوانين) الفيزيائية التي يفترض بنا أن نقبل وجودها ونؤمن بها بلا أي سند من منطق ولا رافد من عقلانية، والآن إذا كان افتراضنا السابق صحيحا فلعل كامل كيان العلم وبرمته كان مبنيا على أساس من خواء.

دافيز

Paul Davies, (Laying Down the Laws), New Scientist.

مقتطف من مقالة له في مجلة (نيوسينتست) بعنوان (وضع القوانين).

قانون القوة المغناطيسية لبايو و سافار

THE BIOT - SAVART LAW OF MAGNETIC FORCE

Π فرنسا، 1820:

يولد التيار الكهربائي المار عبر سلك معدني خطوط حقل مغناطيسي تتشكل على هيئة دوائر تقع مراكزها المتحدة على طول ذلك السلك. تتناسب شدة الحقل المغناطيسي المحيط بسلك معدني مكهرب عكسياً مع مربع المسافة الفاصلة عنه. وستوضح جوانب كثيرة أخرى لهذا القانون من خلال شرحه لاحقاً.

محاور ذوات علاقة:

قانون امبير للكهر ومغناطيسية ودوائرها الكهربائية (AMPERE'S CIRCUTAL LAW OF ELECTROMAGNETISM)، وقانون بايو للامتصاص الضوئي (BIOT'S LAW OF ABSORPTION)، وقانون بايو للتمدد (والانتشار) الدائري (BIOT'S LAW OF ROTARY DISPERSION)، وهانز اورستد (HANS QRSTED) ودانييل برنولي (DANIEL BERNOULLI)، وجوريف كاي-لوساك (JOSEPH GAY-LUSSAC).

من أحداث عام 1820:

- اكتسبت اتفاقية تفاهم ولاية (ميزوري Missouri) الأمريكية بخصوص تنظيم ممارسة تجارة العبيد في مقاطعاتها الغربية صفتها القانونية.

- ادعى جوزيف سميث الابن (Joseph Smith Jr.) مؤسس حركة (قديس اليوم الأخير - Latter Day Saint) والتي كانت الأساس لقيام مذهب (المورمون Mormonism)⁽¹⁾ زيارته أثناء إحدى حالات التجلي من قبل السيد المسيح عليه السلام.

(1) Mormonism - المرمونية مذهب يتضمن التعاليم الدينية والعناصر الحضارية التي نادى بها القس (براهام يونك Brigham Young) والتحمينيات التي أدخلها عليها (جوزيف سميث، الابن) في حوالي أربعينيات القرن التاسع عشر (1840s). تتشابه تعاليمها مع تعاليم (عصبة فساوسة اليوم الأخير - The Latter Day Saint) بقولها بتعدد الزوجات - الذي حرم لاحقاً في عام 1904 - والزواج الأبدى والدعوة إلى زيادة النسل وتختلف معها في أوجه أخرى عقائدية. هي حركة حضارية لها تعاليمها الاجتماعية أكثر من كونها إيمان ديني يعتمد على الأسس اللاهوتية. (المترجم).



– أدخلت (مَيْن - Maine) كالولاية الثالثة والعشرين للاتحاد الفيدرالي للولايات المتحدة الأمريكية.

نص القانون وشرحه:

ينص قانون (بايو وسافار) على تناسب كثافة الفيض (أو الحث المغناطيسي) في جوار سلك معدني طويل موصل ومشحون بالكهربائية طردياً مع ذلك التيار المار به وعكسياً مع مربع المسافة التي تفصله عنه. غالباً ما يعبر رياضياً عن قانون (بايو وسافار) بالشكل التالي:

$$dB = \frac{\mu_0 I ds \times \hat{r}}{4\pi r^2}$$

كل قيمة مكتوبة بالحروف الغامقة تعني أن تلك القيمة هي مقدار ذو اتجاه (أي قيمة متجهة). والقيمة المتجهة هي القيمة التي يحددها مقدارها مضافاً إليها اتجاه معين. ترينا هذه المعادلة، وبوضوح العلاقة المباشرة بين الحقل المغناطيسي (**B**) المتولد بواسطة قطعة قصيرة من السلك (ds) وبين مقدار التيار المنتظم المار خلاله (**I**). أو بعبارة أكثر مهنية:–

فإن (ds) هي المشتقة التفاضلية لطول متجهة التيار، وستتحد بالطبع اتجاهه كذلك، أما المتجهة (\hat{r}) فتشير من مكان تولدها داخل السلك باتجاه نقاط حقل فراغي يحيط به وعملياً فإن (\hat{r}) تشير دائماً من مكان تولدها في قطعة السلك الحاوي على التيار الكهربائي داخله إلى النقطة المحددة والتي نرغب منها قياس الحقل المغناطيسي المتولد.

أما (**r**) غير الاتجاهية الموجودة في المقام فتمثل مقدار المسافة الفاصلة ما بين منطقة تولد التيار داخل السلك وإلى حد نقطة الحقل المحددة سابقاً. ويعني هذا طبيعياً اعتماد قيمة الحقل المغناطيسي وقوته على مقدار بعد موضع أية نقطة عنه والمسافة الفاصلة بينها وبين السلك الأصلي، وتناسب عكسياً مع مربع تلك المسافة.

يقاس التيار بوحدات الامبير والمسافة بالمتر وقيمة الحقل المغناطيسي بوحدات (التسلا - Tesla)، أما قيمة الثابت (μ_0) فتساوي ($4\pi \times 10^{-7} \text{ T.m/A}$) ويسمى ثابت الانتشارية

المغناطيسية في الفراغ.

أما القيمة النهائية لمقدار الحقل المغناطيسي المتولد (\mathbf{B}) في أية نقطة من نقاط الفراغ المحيط بالسلك الحامل للتيار فستساوي حاصل جمع كافة خطوط الفيض المغناطيسي المتولدة من عناصرها، والآن ولحساب قيمة البسط المبين في معادلة (بايو وسافار) والذي يمثل (مقطع) الكمية الاتجاهية ($d\mathbf{s} \times \hat{\mathbf{r}}$) فهذا يعني حسابنا لحاصل ضرب المتجهتين المذكورتين ($\hat{\mathbf{r}} \times d\mathbf{s}$) ومن ثم ضرب الناتج بقيمة (جيب الزاوية θ) وهي الزاوية الفاصلة بينهما.

وبالإمكان اشتقاق قانون (بايو وسافار) من قانون دوائر امبير للكهر ومغناطيسية (انظر المدخل بعد القادم حول هذا الموضوع) الأمر الذي يعزز من الرأي القائل بأنه ليس قانونا مستقلا. (والقانون المستقل الحقيقي كما نعلم، وهو ما يمكن أن تُشتق منه حدود أخرى أو نتائج ولا يمكن اشتقاقه من أي قانون سبقه - المترجم)، ولكن الأمر لن يخلو من بعض الصعوبات العملية، وعليه ولأجل تدليل تلك الصعوبات علينا أن نفترض كون ذلك الحقل من البساطة. يمكن بحيث يؤهلنا حذف قيمته \mathbf{B} من مقدار القيمة العددية لقانون امبير.

وفيما يلي بعض التصورات الحسابية والهندسية لخاصيتين من تشكيلات الأسلاك وكيفية تكون وحساب مقدار الفيض المغناطيسي \mathbf{B} فيها (يمكنك تجاوزها الى الفقرة الموالية إذا أحسست بحاجتك لإراحة ذهنك بعد هذه الرحلة الشاقة ما بين الأسلاك الكهربائية والحقول المغناطيسية والمعادلات الرياضية).

الحالة الأولى: يمكن استخدام النموذج المبسط لحساب قيمة فيض الحقل المغناطيسي حول سلك طويل جدا لا متناهي في طوله، عندما يكون مقدار التيار الكهربائي المار خلاله (I) وعند أي نقطة في جوار أي جزء منه تبعد عنه بمسافة مقدارها (r) بواسطة المعادلة التالية:

$$B = \frac{\mu_0 I}{2\pi r}.$$

عندها سيكون اتجاه كثافة الفيض المغناطيسي \mathbf{B} بجوار السلك المستقيم وعند أي نقطة منه عمودياً تماماً على المستوى المحدد بتلك النقطة وخط سير التيار. ونستنتج من ذلك وجوب اتخاذ خطوط الفيض للأشكال الدائرية ذات المراكز المتواضعة على مسار التيار داخل السلك الحامل له.



أما اتجاهها فستتبع حينئذ (قاعدة أو قانون اليد اليمنى - Right Hand Rule) الذي ستذكره من دروسك الابتدائية لمادة الفيزياء، والذي ينص على أنه (إذا أشار إبهام يدك اليمنى إلى اتجاه مسار تيار في سلك، فإن اتجاه دوران أصابعك المطبقة سيحدد لك اتجاه خطوط الحقل المغناطيسي حوله).

الحالة الثانية: هي لاستخدام ذات النموذج المبسط (الذي وضعه كلاً من بايو و سفار) لحساب قيمة الفيض الحقل المغناطيسي في مركز دائرة قطرها (R) يكونها سلك يمر خلاله تيار كهربائي قيمته (I). وكما يلي:

$$B = \frac{\mu_0 I}{2R}$$

وهنا أيضاً يصح تطبيق قاعدة اليد اليمنى فإذا أشار اتجاه التفاف أصابعها إلى اتجاه التيار خلال دائرة السلك فسيحدد الإبهام على اتجاه مسار الحقل المغناطيسي داخلها. وختاماً هناك أمثلة خاصة أخرى، وقوانين مبسطة لحساب مقادير فيض الحقول المغناطيسية المتولدة فيها كمثال الأسلاك الغليظة جداً والأسلاك الملتفة بدورات كثيرة جداً (Solenoid) والحاملة للتيار والمسماة بالملفات الكهربائية (وهي القلب النابض لكافة المحركات الكهربائية).

للفضوليين فقط:

- ظل الفرنسيون على اعتقادهم بأن كافة النيازك خرافة وتطيروا منها حتى استطاع (جين - بابتست بايو) من إقناعهم بأن مصدرها صخور هابطة من الفضاء الخارجي لا غير.
- أطلق اسمه على خام (البيوتايت الأخضر)⁽¹⁾ الذي اكتشف في مخلفات حمم جبل (فيزوفيس - Vesuvius)⁽²⁾.

(1) Biotite - عبارة عن خام طبقي الترسب من مركبات السيلكون ضمن (عائلة الميكا - Mica Group) شبه البلورية (بأشكال سداسية غامضة) وتجمع عدة عناصر متقاربة. صيغتها الكيميائية العامة هي: $K(Mg, Fe)_3AlSi_3O_{10}(F, OH)_2$ [الترجم].

(2) أحد ثلاثة راكين موجودة في إيطاليا ويسمى تلك اللغة (Monte Vesuvio) ويقع شرق مدينة (نابلس - Naples) كما يمتاز بأحد البركان الوحيد الذي ثار في قارة أوروبا خلال المئة سنة الماضية. (الترجم).

- أمكن إيجاد تطبيق آخر لقانون (بايو - سافار) في حقل ديناميكا الموائع ولا سيما في تطبيقات ديناميكا الهواء التي لها علاقة مباشرة بتصميم الطائرات وقابلية مناوراتها.
- كان (سافار) سباقا في دراساته حول تكون الدوامات في الدم وانتقال أصواتها خلال الأوعية الدموية.

أقوال ماثورة:

- قدم (فيلكس سافار - Felix Savart) وهو أهم عالم درس فيزياء تكوين الأصوات في النصف الأول من القرن التاسع عشر على الإطلاق، تفسيراً خلاقاً مبتكراً الطريقة توليد الصوت البشري. وذلك بمقارنة الحنجرة البشرية بصافرة استدعاء الطيور - وهي عبارة عن أسطوانة قصيرة سُدت كلاً فتحتها بقطعة معدنية سميكة احتوت على ثقب صغير في وسطها والعجيب المبهر في الموضوع أنه استعان - في تفسيره لمنظوره ذاك - بنموذج جبسي لحنجرة آدمية كان قد استخرجها من جثة ميت وعمل قالباً لها بنفسه!

هانكزوسلفرمن

Thomas Hankins and Robert Silverman. (Instruments and the Imagination)

مقتطف من كتابهما (الآلات والخيال).

- لعل في عظمة ما توصل إليه (نيوتن) وبعده أفق استنتاجاته وعمق تفكيره ما أحبط - وإلى غير رجعة - حدود الفكر والخيال العلمي البشري، وعليه ستنهار الكلمات صرعى وتذوب التعابير خجلى عن بيان عمق التأثير العظيم ومقدار التحول الكبير الذي يمكن أن يحدثه حسن الدراسة والتعمق في فهم واحدة فقط من أفكار أو أعمال هذا المفكر العلمي العظيم والمراقب المدهش للطبيعة.

بايو

Jean- Baptiste Biot. Journal de Physique.

مقتطف من (نشرة الفيزياء).



- عاد العالم الفذ [جين - بابتست بايو (1774-1862) Jean-Baptiste Biot] الضليع بالعديد من حقول المعرفة والمساهم الجاد في الإضافة إليها إلى إيمان طفولته الصافي النقي بعد لقائه بقداسة البابا.

كريفز

Dan Graves, (Scientists of Faith: Forty-Eight Biographies of Historic Scientists and Their Christian Faith.
من كتاب (إيمان العلماء والسيرة الذاتية لثمانية وأربعين عالما وقصة إيمانهم المسيحي).

ملخص لسيرة حياة المكتشف:

[جين - بابتست بايو (1774-1862) Jean-Baptiste Biot] و [فيلكس سافار (1791-1841) Felix Savart] عالمان فيزيائيان شهيران، وضعوا قانون (بايو وسافار) لتصرف الحقول المغناطيسية بجوار الموصلات.

لقد تمكن العالم الكيميائي والفيزيائي الدنماركي [هانز كريستيان أورستد Hans Christian Orsted (1777-1851)] في عام (1819) من اكتشاف حقيقة حيود إبرة البوصلة المغناطيسية حين وضعها بالقرب من سلك معدني أثناء إمراره التيار الكهربائي خلاله. وبعد ذلك بفترة قصيرة تمكن العالمان الفرنسيان (جين - بابتست بايو) و (فيلكس سافار) من تسجيل ملاحظتهما القائلة بتولد قوة مغناطيسية يسلطها أي موصل معدني يمر به تيار منتظم على أي مغناطيس يوضع جنبه. وبعد القيام بالعديد من التجارب تمكن الاثنان من التوصل إلى وضع صيغة المعادلة التي تعين مقدار شدة الفيض في الحقل المغناطيسي في أية نقطة في الفضاء المحيط بسلك معدني يمر خلاله التيار الكهربائي المنتظم الموجد لذلك الحقل. وبناء على معادلتهم تلك وما توصلوا إليه فإن مقدار شدة الفيض المغناطيسي المتولد في أية نقطة حول السلك الناقل للتيار الكهربائي المنتظم تتناسب عكسيا مع مربع المسافة الفاصلة بينهما.

ولد (جين - بابتست بايو) لعائلة ميسورة الحال في باريس، والده أحد رجال الأعمال الذي بذل ما في وسعه لتوجيه ميول ودراسة ولده لدخول عالم الأعمال والتجارة، فجلب

له العديد من المدرسين الخصوصيين ودأب على توجيهه للاستزادة من حصص الرياضيات الإضافية في طفولته وشبابه. ولكن ما حدث (لبايو) كان نفس ما حدث للرياضي اللامع [دانيال برنولي (1700-1782) Daniel Bernoulli].

(انظر مدخل [فانسون برنولي لديناميكية الموائع] في الجزء الثالث من هذا الكتاب) - فقد تمرد على إرادة والده ورغبته في اتخاذ سلك الأعمال والتجارة منحى له في حياته.

لقد كانت حياة (بايو) التعليمية والعملية حافلة حقاً، فبعد إكماله لتعليمه في كلية (لويس العظيم)، انضم إلى وحدات الجيش الفرنسي الذي تركه بعد فترة خدمة قصيرة أداها ضمن سلاح المدفعية. وبعد أن أنهى خدمته العسكرية التحق بالمدرسة العليا (للبولي تكنيك) في باريس، سُجن بعدها ولفترة وجيزة لمشاركته ضمن إحدى حركات التمرد ضد الحكومة وسارع بعد إطلاق سراحه للالتحاق بالمدرسة المركزية في (بيوفاز - Beauvais) كأستاذ للرياضيات. وفي نفس عام دخوله إلى سلك الأستاذية والتدريس في سنة (1797)، تقدم للزواج من الفتاة ذات الستة عشر ربيعاً (انتونيا برايسن - Antonia Brisson) والتي أحبها وأحبته ووفقاً يُعلمها أصول الحساب وثوابت العلوم (إضافة إلى خوافي الحب وأسرار الهيام بالطبع!). ترقى بعد ثلاث سنوات من ذلك التاريخ حتى تسنم منصب الأستاذية في الفيزياء الرياضية في الكلية الفرنسية (La College de France).

اشتهر في مناقشاته وإصراره على حقيقة منشأ النيازك ومصدرها وجاهد في ذلك جهاداً كبيراً حتى تمكن من إقناع علماء ذاك الزمان إثر نشر ورقته الشهيرة في عام (1803)، والتي شملت تقريراً مفصلاً ضافياً وأفياً أثبت لهم فيها سقوطها من السماء، وقد كانوا قبل ذلك يتطرون منها ولم يكن أحد منهم يحسب تلك الفكرة إلا ضرباً من الشعوذة والخرافة والأساطير. وفي تلك الفترة كتب رئيس الولايات المتحدة (الثالث) آنذاك [توماس جيفرسن (1743-1826) Thomas Jefferson] رسالته الشهيرة إلى عالم الطبيعيات الأمريكي (اندرو اليوت - Andrew Elliot) يقول له فيها ما يُظهر شكه بما جاء به (بايو):

((لقد دفعت دفقة الخيال بذاك (الفرنسي) إلى فقدانه لاتزانته وحكمته، لقد جسد له



خياله شيئاً لم ولا يمكن تصور حدوثه، لقد بلغ به اقتناعه الشديد وإيمانه العميق بما أنجز أن يقول له على الملأ بجلء فيه وبحساسة وثقة منقطعتي النظر... أعقد جازماً بأن كافة المشاهدات الطيحية والتي توثقها العقول وتعمقها الخبرات لابد وأن توضع في كفة الميزان لقياس رجاحتها بالمقارنة بشهادة من قالها وبمقدار شعوره بالمسؤولية واحتمالية الخطأ وخداع الخواس، إضافة أي ميل سابقة له للكذب والرياء في الكفة الأخرى قبل قبول آرائه وتبني ما جاء به)).

أبحر (بايو) في عام (1804) مع زميله الكيميائي الفرنسي [جوزيف كاي - لوساك Joseph Gay - Lussac (1778-1850)] على متن أول رحلة في منطاد، اصطحبها خلالها الكثير من الآلات والأجهزة العلمية والتي أعانتهم على إنجاز العديد مما خططوا على إنجازه من التجارب. ارتفع الرجلان إلى ما يقارب الـ (13000 قدماً) وتأكد لهما من تجاربهما التي أنجزها خلال تلك الرحلة، وعلى ذلك الارتفاع الشاهق بعدم تأثر المجال المغناطيسي الأرضي تأثراً يذكر. تمثل تلك الارتفاعات الممكنة تسنمها بواسطة المناطيد. وعمل الرجلان كذلك على جمع الكثير من المعلومات الخاصة بالتركيبة الكيميائية لطبقات الجو العليا وعلى مختلف الارتفاعات.

شملت تجاربه العديد من أوجه حقول الضوء وخصائصه، فقد تمكن في عام (1835) من إثبات قابلية المحاليل السكرية على إدارة مستويات الضوء المارة خلالها (أي استقطابها) كما أثبت أن لزواية الدوران تلك علاقة طردية مباشرة مع مقدار تركيز المادة المذابة وهكذا تمكن من وضع استنتاجه القائل بإمكانية استنباط مقدار تركيز السكر في محلول. بمجرد قياس درجة استقطاب الضوء المار خلاله، هذا كما تمكن من البرهنة على أن اتجاه استقطاب الضوء المار خلال المواد العضوية المختلفة كونه باتجاه أو بعكس اتجاه عقارب الساعة ليعتمد اعتماداً أساسياً على مواصفات (المحور الضوئي - Optical Axis) لتلك المواد.

لقد شمل إبداع (بايو) ومساهماته العديدة من حقول المعرفة، كما أدلى بدلوه في الكثير من مناحي العلوم، وشارك في تقدم أخرى حتى بلغت قائمة طويلة ضمت الرياضيات التطبيقية

وعلوم الفلك والمطاوعة والكهربائية والمغناطيسية وعلوم البصريات والتعدين كما تمكن في عام (1847) من اكتشاف الصفات الضوئية والبصرية الفريدة لمادة (الميكـا - Mica) وتُمنّت جهوده وبحوثه في مجالات تلك المادة الخضراء بإطلاق اسمه على خامها ذي التركيب الكيميائي المعقد $[K_2 (Mg, Fe, Al)_6 (Si, Al)_8 O_{20} (H_2O)_4]$.

لقد كان صاحبنا مؤلفاً معطاءً كثير الإنتاج غزير الأفكار، فقد عُرف عن (بايو) ابتكاره لأكثر من (250) عملاً شمل مختلف حقول المعرفة والمواضيع العلمية قبل وفاته عن عمر ناهز الثمانية والثمانين عاماً، ولعل أشهرها على الإطلاق كان ما نشره حول (الطروحات الأولية في مجالات الفيزياء الفلكية) وذلك في عام (1805).

شملت اهتمامات (بايو) وأبحاثه العديد الجُم من مواضيع العلوم وحقولها، ولا يسعنا هنا إلا أن ندرج أمثالا مختارة، وننظر إلى أزهار منتقاة من أطياف اهتماماته وأعماله وإنجازاته المتخصصة... ومن بين الغزير المنشور من أبحاثه:

- كتب السيرة الشخصية لحياة (اسحاق نيوتن).
- درس خاصتي الانكسار والاستقطاب للضوء والصوت.
- درس ظاهرة السراب.
- قام بإجراء دراسة مقارنة بين خامي (الاراكونايت - Aragonite)⁽¹⁾ والمعيني و (الكالسيت - Calcite)⁽²⁾ سداسي الرؤوس.
- قام بتعيين دوائر وخطوط الزوال (Meridian) لمدينة باريس.
- درس تراكيب ومكونات الهواء المتضمن في أغشية سباحة (أي جُعب غطس) الأسماك.

(1) Aragonite - إحدى خامات جذر الكربونات $(CO_3)^{2-}$ وثاني مركب (متعدد الأشكال - Polymorphs) لكربونات الكالسيوم $(CaCO_3)$ إضافة إلى خام (الكالسيت - Calcite) ويختلف عنه بشكله البلوري. تمتاز بلورته بأشكالها الإبرية المزدوجة والتي تعطي الانطباع بأنها بلورات شيد سداسية. وقد يوجد منها خامة على أشكال إبرية أو نسيجية أو أحياناً منفردة (المترجم).

(2) Calcite - إحدى أهم مركبات مادة الكربونات $(CaCO_3)$ الكلسية وأكثرها تنوعاً في الشكل شيوعاً وتكون مع الـ (Aragonite) و (Vaterite) أهم أنواع كربونات الكالسيوم شيوعاً في القشرة الأرضية وفي البحار وقد لا يكتسب بعض منها شكلاً بلورياً. (المترجم).



التي تعيش على سواحل (إبiza - Ibiza) وجزر (الفورمنتيرا - Formentera).

- درس أسلوب انتقال الحرارة في القضبان المعدنية وطرق تمدد السوائل.
- استطاع في عام (1818) اشتقاق ما يسمى اليوم بـ (قانون بايو لامتصاص الضوء) والذي بين اعتماد درجة شدة ضياء الشمس على مقدار سمك الغلاف الجوي ويمكن كتابة القانون على الشكل التالي:

$$I' = I e^{-kt}$$

حيث يمثل I - شدة إشعاع الشمس الساقط.

و I' - شدة إشعاع الشمس النافذ خلال t - من مقدار سمك الغلاف الجوي.

و e - عدد يولر (Euler's Number)⁽¹⁾

و k - معامل الامتصاص.

- وضع قانون بايو لانتشار الدائري (Biot's Law of Rotary Dispersion)

والذي يكتب رياضياً على الشكل التالي:

$$\alpha = k/\lambda^2$$

حيث يمثل α - مقدار زاوية دوران الضوء المستقطب.

و λ - مقدار طول الموجهي.

و k - ثابت التناسب.

(1) Euler's Number - عدد لا اتجاهي يستعمل في حسابات جريان الموائع ويعبر عن العلاقة بين هبوط الضغط في نقطة معينة على مسار مانع ما ومقدار طاقته الحركية بالنسبة لحجمه، ويستخدم لحساب مقدار الفقدان في (طاقة) الانسياب. يبلغ مقدار انسياب سائل عدم الاحتكاك تماماً عدد أولر بقيمة $I = 1$ (واحد صحيح) ويعبر عنه رياضياً كما يلي:

$$E = \frac{p(\text{upstream}) - p(\text{downstream})}{\rho v^2}$$

حيث يمثل E - عدد يولر

و p - مقدار كثافة السائل

و V - مقدار إزاحة انسيابته

$p(\text{upstream})$ - مقدار ضغط السائل في أعلى مكان.

$p(\text{downstream})$ - مقدار ضغط السائل في أوطأ مكان. (المترجم).

وكمثال على ذلك يمكننا ذكر أن مقدار إدارة زاوية استقطاب الضوء الناتجة بعد إمراره ضمن طبقة من مادة (الكوارتز - Quartz) سينقص تدريجياً كلما تغير لون الضوء المستعمل من الأرجواني إلى اللون الأحمر.

ذكر الرياضي وعالم الحاسوب الإنكليزي المرموق [شارل باباك Charles Babbage 1791-1871] الشيء الكثير عن دماثة خلق (بايو) وسعة صدره وتواضعه، وحتى في أخرج ساعات مرضه ما ثبته في كتابه الموسوم: (رسائل وعظات من حياة فيلسوف) والذي جاء به: ((حدث في أواخر أيام (السيد بايو) أن قمت بزيارة لمدينة باريس، وقد ذهبت كالعادة - وحال وصولي إلى الكلية الفرنسية - للاستفسار عن صحة وأحوال (المسيو بايو) من خادمه الذي كان حزينا لسوء حالة سيده، وبعدها التمتته واستفسرت فيما إذا كانت حالته الصحية ستسمح له باستقبال صديق قديم جاء لإعادته. هُرع (بايو) بنفسه إلى الباب الذي أقف عنده - والظاهر أنه كان قد استمع إلى الجزء الأخير من طليبي الذي التمتته من الخادم - فهتف بوجه متهلل سعيد: (نعم يا عزيزي ويا صديقي الكريم: نعم سأكون سعيداً جداً باستقبالك حتى ولو كنت أحتضر على فراش الموت!)).

سميت إحدى فوهات القمر والبالغ قطرها (12 كيلومتراً) باسمه تخليداً لذكراه، وقد تمت المصادقة على هذه التسمية وبورك ذلك التكريم من قبل الجمعية العامة لاتحاد الفلكيين العالمية في عام (1935).

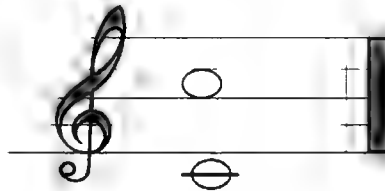
ولد (فيلكس سافار - Felix Savart) في مدينة (مزيرية - Mezieres) بفرنسا، ولم يكد يشب حتى انبرى لدراسة الطب وتخصص به، ولما لم يكن يزوره الكثير من المرضى، فقد شغل أوقاته بإجراء التجارب على آلة الكمان وأعجب بها، ونذر نفسه ووقته لدراسة ظواهر الصدى في الهواء وأصوات الطيور وخصائص الأجسام المتذبذبة. عمد - كأحد أهدافه الأساسية - إلى تقوية أصوات آلة الكمان الموسيقية وعمل على إنتاج آلات موسيقية أعلى صوتاً يمكن سماعها وتميزها ضمن الفرق الأوركستراية الكبيرة وفي الصالات الموسيقية الضخمة.

مارس التدريس في الكلية الفرنسية ابتداءً من عام (1828) وقام بالعديد من الأعمال



والاكتشافات العلمية، فبالإضافة إلى أعماله المشتركة مع صديقه (بايو) في نطاق الحقول المغناطيسية، فقد عمل جاهدًا لتخليد اسمه في عالم علوم الأصوات (Acoustics) وفعلًا قام بالعديد من التجارب فيه، وسجل العديد من المشاهدات والملاحظات المهمة مثل تجاربه على الكمان وأصواته، واختراعه للكمان (fiddle) معيني الشكل وابتكاره لما عُرف (بقرص سافار - Savart Disc)، وهو عبارة عن عجلة مسننة دوارة تصدر أمواجاً صوتيةًذبذبة معلومة، واخترع كذلك (قدح سافار - Savart Cup) وهو آلة مشابهة تكتسب ذبذبتها بواسطة قوس الكمان وتصدر صوتاً معيناً بنغمة خاصة.

أطلق اسمه على إحدى وحدات القياس الموسيقية تخليداً لذكراه واعتراضاً بأفضاله. وتعرّف اليوم (وحدة السافار الموسيقية) بأنها نسبة الذبذبات الفاصلة بين مختلف النغمات فعلى سبيل المثال يوجد (301 سافاراً) في الاوكتاف الموسيقي⁽¹⁾ الواحد. وإذا ما وصفت نغمة ما بأنها أعلى من التي تسبقها بسافار واحد فهذا سيعني بأن النغمة العليا ستضمّن ذبذبة تفوق ذبذبة النغمة التي قبلها بما يساوي [2 مرفوعة الى القوة 301/1، أي $(2^{1/301})$] مرة عدد ذبذبات النغمة السابقة.



(1) Musical Octave - وهي الفسحة الزمنية الفاصلة بين ذبذبتين موسيقيتين بنصف أو يضعف (الذبذبة، وهي ظاهرة طبيعية تسمى بمعجزة الموسيقى الأساسية وتستعمل لكتابة نوتات معظم الآلات الموسيقية، وهناك اوكتاف أعلى (8va) وأوطأ (8vb) كما يسمى بالكامل (P8) - كما يوجد الكامل (الربع) والكامل (الخمس) ويكيان هكلدا (P4) و (P5)، ويرسم الأوكتاف الكامل موسيقياً كما يلي:



مصادر إضافية وقراءات أخرى:

Babbage, Charles, *Passages from the Life of a Philosopher* (New Brunswick, N.J.: Rutgers University Press, 1994).

Bueche, Frederick, *Introduction to Physics for Scientists and Engineers* (New York: McGraw-Hill, 1975).

Consolmagno, Guy, and Martha Schaefer, *Worldly Apart: A Textbook in Planetary Sciences* (Englewood Cliffs, N.J.: Prentice Hall, 1994).

Crosland, Maurice P., "Jean-Baptiste Biot," in *Dictionary of Scientific Biography*, Charles Gillispie, editor-in-chief (New York: Charles Scribner's Sons, 1970).

Dostrovsky, Sigalia, "Félix Savart," in *Dictionary of Scientific Biography*, Charles Gillispie, editor-in-chief (New York: Charles Scribner's Sons, 1970).

Graves, Dan, *Scientists of Faith: Forty-Eight Biographies of Historic Scientists and Their Christian Faith* (Grand Rapids, Mich.: Kregel Publications, 1996).

أفكار فلسفية وآراء للمناقشة:

- يتضمن قالب حلولنا لمشاكل الحث انصياعنا للقوانين الطبيعية المعترف بها والموجودة فعلاً. لا يعني اعتبارنا لهذه القوانين احتراماً لها فقط لدقتها ونظامها في تفسير تصرف الأشياء (مهما كان الزمان والمكان الذي يتم فيه اختبارها) وحسب، وإنما لحاجتنا لها كضرورة كونية لامناص لنا عنها. لا جرم في ذلك، وخير ما يعبر عن تلكم القوانين الكونية وغيرها هو إمكانياتها التامة وقابليتها الموثقة على التنبؤ بتصرف الأشياء والأجرام بصورة منتظمة ممكنة الاستيعاب.

فoster

John Foster, (The Divine Lawmaker, Lectures on

Induction Laws of Nature and the Existence of God).

مقتطف من كتابه الرائع، (المبتكر المقدس لقوانين الكون: محاضرات في الحث الكهربائي وقوانين الطبيعة وتأكيده وجود الخالق (جل وعلا)).

- تتشابه الكثير من فصول تاريخ العلوم مع مثيلاتها من فصول تاريخ الدين بكون الاثنين يعبران حقيقة عن تاريخ السلطة والمال. ولكن هل لي أن أذكر خروفاً لتلك القاعدة؟ وهل لي أن أصفها بالقصة الناقصة في التاريخ؟ بل هل من شواذ تلك القاعدة؟.... أجل فهناك العديد من (القديسين الصالحين المصلحين) والذين توفرت لهم فرصة لعب الدور الرئيس ضمن سياقي الدين والعلم وذلك بتجردهم



عن شهوتي السلطة والمال واستمرارهم في الصبر والنضحية والجهاد والعمل والبحث، هاديههم الوحيد وهدفهم الأسمى هو التقاط ذلك القبس المقدس وتلك اللحظة العابرة التي يتمكنون من خلالها وبواسطتها فهم وتذوق لمسة الجمال الغامرة التي تلف الكون.

دايسن

Freeman Dyson, introduction to John Cornwell's.

(Nature's Imagination, The Frontiers of Scientific Vision)

من مقدمته لكتاب (التصورات الطبيعية : مشارف المنظور العلمي).

• نمتع - ومع الأسف الشديد - بمقدرة فذة ورغبة جامحة على اختصار كافة الاختراعات والإنجازات العظيمة في تاريخ البشرية إلى قائمة مبسطة من الأسماء والتواريخ والأرقام الإحصائية النافهة الأخرى. أناشد الجميع بتوخي الدقة في التعبير وابتغاء العمق في التحليل واستهداف الحكمة في الدراسة، عند ذلك فقط ستمكن من إدراك عمق وثرء الكون الذي نعيش فيه وعظمة وتفاصيل وتنوع البيئة التي تحيط بنا. لا يكفي أن نتمسك بالأفكار فقط - على أهميتها - وإنما علينا أن ننظر بعيون رؤوسنا وعيون أذهاننا وضمائرنا أعمق إلى ما أحاط بالفكرة من سياق وما لفّ مولدها من أحداث وما مكن صاحبها من تجسيدها كحقيقة ملموسة فعلاً.

هشت

Jeff Hecht, (More Than the Sum of Their Parts), New Scientist, August 12, 2006.

من مقالاته المنشورة بعنوان (الكل يساوي أكثر من مجرد مجموع أجزائه).

• لاشك أن ما يدفعنا إلى حقيقة توخي الدقة وابتغاء البساطة في اختيار وابتكار كافة قوانيننا الوضعية للطبيعة هو ذلك الشغف الأزلي بذاك الجمال السرمدى للكون، والنابع من تناغمه وتآلف كافة مكوناته ومكوناته مع بعضها البعض. إن حقيقة ما يحسد الهدف الأسمى من سعينا وراء (الحقيقة)، ليس الحقائق النسبية التي نوجدنا أو نبتكرها فحسب، وإنما هي بمدى إدراكنا وبقدر تفهمنا لتناغم علاقاتها مع بقية موجودات الكون ذاته، وتناسقها مع عجائب مكوناته.

برسك

Robert M. Pirsig, Zenard the Art of Motorcycle Maintenance.

مقتطف من كتابه : (زين وفن صيانة الدراجات).

قانون فورييه للتوصيل الحراري

FOURIER'S LAW OF HEAT CONDUCTION

Π ✱ فرنسا 1822:

يتناسب معدل سرعة الانسياب الحراري بين نقطتين في مادة طرديا مع الفرق بين درجتي حرارتيهما وعكسيا مع المسافة الفاصلة بينهما.

مجاور ذوات علاقة:

رينية دسكارتيه (RENE DESCARTES)، واللورد كلفن (LORD KELVIN)، ونيكول دو كارتييه كوندورسيه (NICOLAS DE CARITAT CONDORCET)، وانتوني لافوازييه (ANTOINE LAVOISIER)، وأوليفر هفي سايد (OLIVER HEAVISIDE).
من أحداث عام 1822:

- أعلن عالم المصريات الشهير الفرنسي (جين - فرانسوا شامبليو - Jean - Francois Champollion) ولأول مرة نجاحه في فك رموز اللغة (الهيروغليفية) المصرية القديمة وذلك من خلال استعماله بما عرف بحجر رشيد (Rosetta Stone)⁽¹⁾
- اقترح الرياضي والمهندس الميكانيكي الإنكليزي (شارل باباك - Charles Babbage) ولأول مرة في التاريخ الحديث بناء آلة تفاضلية أسماها - الآلة الحاسبة الرقمية - مختصة الأغراض. وكان قد حضر لإنجازها ما ينيف على (25000) قطعة، ولكن رغم كل جهوده وإصراره، فشل بعد حين في بنائها.

(1) Rosetta Stone - هو حجر (رشيد) الذي اكتشفته حملة نابليون على مصر في عام 1799، والذي ساهم بلوحة كبيرة على حل وفهم ألغاز الكتابة (الهيروغليفية) المصرية القديمة بعد أن فك رموزه كل من العالم الإنكليزي (توماس يونك - Thomas Young) وعالم الآثار الفرنسي (جين - فرانسوا شامبليو - Jean - Francois Champollion) في عام 1822. والحجر عبارة عن مسلة يعود تاريخها إلى العهد (البطلميوسي القديم - Ptolemaic Era) وقد نحت عليها نصا بثلاث لغات مختلفة هي لغتين مصريتين قديمتين - الهيروغليفية القديمة ولغة الديموتك - Demotic واللغة الإغريقية الكلاسيكية، نحتت تلك المسلة في حوالي العام (196) قبل الميلاد، وتستقر الآن (كغيرها من تحفنا) في المتحف البريطاني. (المترجم).



نص القانون وشرحه:

لا شك بأن الجميع قد لاحظ ارتفاع درجة حرارة الطرف المرئي من الملعقة الصغيرة المغمورة في قدح شاي ساخن. تضمنت هذه الملاحظة البسيطة انتقال كمية من الحرارة من طرف الملعقة الساخن إلى طرفها البارد بواسطة تبادل جزيئاتها في الطرف الأول لكميات من طاقتها الحركية والاهتزازية شيئاً فشيئاً خلال كامل طولها إلى طرفها الثاني بواسطة الحركة العشوائية لتلك الجزيئات. تنتقل الطاقة الحرارية دائماً من الشاي الساخن إلى طرف الملعقة المغمور فيه وإلى طرفها الآخر، (أي من مجال درجة الحرارة المرتفعة إلى مجالها المنخفض) بواسطة عملية تسمى (بالتوصيل - Conduction).

يهتم قانون (فورييه) للتوصيل الحراري ويفسر طريقة انتقال الحرارة خلال المواد المختلفة، وينص على تناسب انتقال فيض الطاقة الحرارية (أو جريانها خلال وحدة المساحة ووحدة الزمن) مع منسوب الفرق في درجات الحرارة. ويمكن كتابته على الشكل التالي:

$$Q = -KA \frac{\Delta T}{\Delta x}$$

حيث تمثل Q - هو مقدار الفيض الحراري ويعني مقدار انسيابية الحرارة في المواد (المختلفة) ضمن وحدة مساحتها وخلال الوحدة الزمنية المعروفة.
و K - ثابت التوصيل والذي يعتمد أساساً على طبيعة ونوعية المادة الموصلة المستخدمة قيد الدرس ودرجة حرارتها.

و A - مقطع المساحة السطحية المتوفرة لانتقال الحرارة.
و Δx - مقدار سمك المادة التي على الحرارة الانتقال خلالها.
و ΔT - مقدار الفرق في درجة الحرارة والتي على (الحرارة) الانتقال ضمن حديدها.
أما العلامة السالبة الموضوعة أمام الحد الأيمن من المعادلة فتعني انسياب دفع الحرارة باتجاه الدرجة المتدنية.
لاحظ هنا أنه برغم ظهور معادلة انتقال وتوصيل الحرارة السابقة وكأنها تُعبر عن فعلها ضمن نطاق بعد واحد، إلا أن لها قابلية التعميم والتطبيق على حالات الأجسام ثلاثية الأبعاد إذا ما

تذكرنا تصور أسلوب انتقال الحرارة وانسيابها كقيمة اتجاهية تتدفق على ثلاث محاور هي السيني والصادي والعيني (س، ص، ع)، علما بأن تطبيقات هذا القانون غالبا ما تشمل أجساما على شكل صفائح من المواد، أو كميات من السوائل أو أطوال من أسلاك معزولة كهربائيا.

ولفهم ما سبق ولإدراك ما سيلبي دعني أسوق لك المثال البين التالي:

لنفترض وجود قطعة قضيب معدنية معزولة طولها (AB)، تمثل (A) إحدى نهايتيها، و (B) الأخرى، والآن فإن معدل جريان (أو انتقال أو انسياب) الطاقة، والتي يمكن اعتبارها كشكل من أشكال التيار الحراري (Heat Current)، سيتناسب طرديا مع مقدار الفرق بين درجتي حرارة (A) و (B)، وعكسيا مع المسافة الفاصلة بينهما. وبعبارة أوضح فإن (الفيض الحراري) موضع البحث سيتضاعف بتضاعف مقدار الفرق بين درجتي حرارة النهايتين (A) و (B) أو بانقاص طول القضيب (AB) إلى النصف.

والآن إذا ما افترضنا تمثيل الحرف (U) لقيمة توصيل مادة ذلك القضيب، أي مقدار قابليتها وكفاءتها للتوصيل الحراري، فسنستطيع كتابة العلاقة التالية:

$$U = \frac{K}{\Delta x}$$

وعندها ستمكن من إعادة صياغة (قانون فورييه) وعلى الشكل التالي:

$$Q = -UA\Delta T.$$

غالبا ما يزدوج امتلاك مادة ما لقيمة توصيل حرارية عالية مع امتلاكها لقيمة توصيل كهربائية عالية، وتعتبر الفلزات من خير المواد الموصلة للحرارة. يشذ (الماس) عن تلك الخاصية، فهو يمتلك قابلية توصيل عالية جدا للحرارة تصاحبها قابلية متدنية جدا للتوصيل الكهربائي. يحتل الماس مركز الصدارة في مقدار قابليته الفائقة في توصيل الحرارة يليه في ذلك وعلى سلم الموصلات الممتازة لها حسب ترتيب الأفضلية، كل من: أنابيب الكربون النانوية⁽¹⁾ ثم عنصر

(1) Carbon Nano - Tubes: هي عبارة عن صفائح ترتبط خلالها ذرات الكربون ببعضها البعض بأوامر أربعة متساوية في الموقع والاتجاه والقوة. وبالإمكان لجها كي نتخذ أشكالاً مختلفة ونعتبر مادة شبه موصلة يمكن تحويل تركيبها قليلا للحصول على مواد شبه موصلة ممتازة. تعتبر الخطوة الجديدة لتقنية كافة صناعاتها. (المترجم).



فلز الفضة يليه النحاس ثم الذهب. ومن الأمثلة الملموسة الشائعة للموصلات الضعيفة جدا في توصيل الحرارة يأتي الخشب والزجاج والماء وحتى الهواء.

تمكن القابلية العالية للتوصيل الحراري التي يتمتع بها الماس الحقيقي الخبراء - وباستعمال بعض الأجهزة البسيطة نسبيا - من اكتشاف الحقيقي منه وتفريقه عن المقلد. هذا ويوجد فحص لا منهجي وغير رسمي - إلا أنه متبع أحيانا بين تجار الماس المبتدئين - وهو الذي يطلق عليه اسم الفحص بالنفس (Breath Test)، أما المبدأ الذي يستند عليه هذا الفحص فهو أيضا صفة التوصيل الفائقة للماس للحرارة والتي تفوق أي مادة معروفة. يظهر (الماس الحقيقي) دائم البرودة لأصابع اليد التي تتحسسها، وهذا ما يجعل البخار المنطلق من فم (الفاحص) تجاه قطعة منه يتبخر عن سطحها بسرعة آنية تفوق مثيلاتها المقلدات ويعود السبب العلمي لذلك إلى قابلية الماس الحقيقي الفائقة في تحويل وتوصيل حرارته إلى بخار الماء المتكثف على سطح قطعة منه فسرعان ما يختفي.

وكتصور خيالي (على الأقل في الوقت الراهن، فلا نعلم ماذا سيكسب العلم غدا!!) وبسبب قابلية (الماس) الهائلة على التوصيل الحراري فلا من مسوغ (علمي) يمنع اعتباره واستعماله لصناعة الرقائق الإلكترونية وذلك لأن خاصيته تلك ستساعد حتما على تبديد الحرارة الناشئة من تشغيل تلك الرقائق. وإذا ما أيقنا ضرورة وأهمية وسرعة اتجاه الصناعات الإلكترونية عموما إلى التصغير والتصغير في كل شيء فإن في إيجاد مادة أولية لصناعة الأجزاء الدقيقة المتقاربة جدا، لها قابلية تبديد الحرارة بتلك الكفاءة العالية التي يتمتع بها (الماس) ستكون حلما عظيما بعيد المنال سيمكن تحقيقه، وذلك لأن مشاكل التسريب الحراري ومنع رفع درجة حرارة الأجزاء الدقيقة جدا والتي تؤدي إلى تلفها الأكيد وبسرعة تكتسب أهمية بالغة كلما أمعنا في تصغير الدوائر الإلكترونية إلى المستويات الميكروية و النانوية. وكما ذكرت سابقا فإن هذا التصور لا يتعدى كونه تصورا خياليا بحثا (في الوقت الحاضر) بالنظر لارتفاع ثمن الماس والذي خير له أن يزين جيد منها مليحة حسناء، من أن يطمر ما بين أسلاك دقيقة كأداء وذبذبات مبهمة صماء (في غياهب مكعب إلكتروني منسي داخل جهاز قد لا

يعرف حتى اسمه إلا ما لا ينيف عن عدد أصابع اليد الواحدة من عواجيز العلم أو معقدي التكنولوجيا والرياضيات!).

لا يزال بعض العلماء واختصاصي المواد وتكنولوجياها يراهنون على إمكانية حل بعض التحديات في مجال التصنيع وتقنية علوم المواد كي يتمكنوا من استخدام (الماس) كأحسن ما وضع الإنسان يده عليه من مواد شبه موصله وذلك سيعود للكثير من الأسباب ؛ منها قابلية اشتغال ترانزستوراتها في ظروف ومجالات حرارية لا يمكن لأي مادة أولية أخرى الاشتغال ضمنها، إضافة إلى تحمل المعالجات الإلكترونية المصنوعة من (الماس) ظروف اشتغال صعبة جدا وبكفاءة فائقة ضمن أطيااف واسعة من ذبذبات التشغيل، إضافة إلى تمكنها التام من تبريد ذاتها بذاتها بسرعات تفوق بمرات ومرات قابلية الرقائق الاعتيادية المصنوعة من المواد الحالية. وكمثال واحد على كفاءة رقائق (الماس) ومدى تحملها لظروف اشتغال استثنائية، فقد وجد أن للترانزستورات الماسية التجريبية قابلية تحمل ذبذبات تفوق (81 كيكاهرتز). ولإدراك ضخامة هذا العدد وأهمية تلك الصفة، لك أن تعلم أن نطاق تشغيل حاسبك الشخصي لا يتعدى (وحتى نهاية 2008، تاريخ طبع هذا الكتاب) تحمل وحدة معالجته لما يزيد عن ذبذبة تتراوح ما بين (2 الى 3 كيكاهرتز) لا غير!

وعلى سبيل المقارنة فإن لرقائق السلكون المستخدمة حاليا في صناعة المعالجات الإلكترونية مشاكل حرارية قاتلة متى بلغت درجة حرارتها (أو درجة حرارة محيطها) ما يقارب الـ (100 درجة مئوية) أو بحدود ذلك، أما المنتجات الماسية فلها إمكانيات تحمل حرارية تفوق الرقم المذكور بعدة أضعاف دون أية مشاكل تذكر. هذا وبالإمكان تحويل الماس العازل التوصيل للكهربائية إلى شبه موصل (وهي المادة الأساس لصناعة الترانزستورات الإلكترونية على اختلاف أنواعها) بإضافة كمية قليلة جدا من عنصر البورون (Br) اليه، تعمل في داخل كيانه البلوري كمادة شائبة.

إن لاستخدامات (قانون فورييه) اليوم مجالات واسعة متعددة ذوات أهمية فائقة إليك مثالا واحدا عليها ؛ وهو باستخدامه لدراسة وحساب قيم وكميات (فيض حرارة التربة) وذاك هو



حقل البحث الخاص بالعلماء المهتمين بمعرفة أسلوب توازن الطاقة ضمن نطاق سطح الأرض. استخدم الفيزيائي الشهير الأيرلندي الولادة والسكوتلندي المقام [وليم تومسن William Thomson (1824-1907)] والذي غالباً ما يعرف باسم (اللورد كلفن - Lord Kelvin) وهو صاحب درجات الحرارة المطلقة، (قانون فورييه للتوصيل الحراري) لتحديد عمر كوكبنا (الأرض)، والذي قدره بحدود ما بين (20 إلى 400) مليون سنة وهي الفترة الزمنية اللازمة كي تبرد الأرض وتصل إلى درجة حرارة سطحها الحالية بعد انفصالها عن الشمس التي ماثلتها بدرجة حرارتها آنذا. ولكن رغم جسارة وألعية مثل تلك المحاوله، إلا أننا نعلم اليوم - وعلى وجه اليقين - أنه قد أخطأ بحساباته كما أخطأ بفرضياته وأن أرضاً (فتية) كالتي اقترح عمرها (اللورد كالفن) لم تكن لتمتلك الوقت الكافي لإتمام تحولات التطور والارتقاء التي أدت إلى نشوء ما عليها من أحياء ونباتات (هذا إذا آمنت أصلاً بصدق تلك النظرية!!). يعود خطأ (كلفن) بفرضياته وحساباته حسب مفهومنا اليوم لعدم إدراكه وجود الفعالية الانشطارية الشعاعية للمواد والعناصر المشعة والتي تزود الأرض بنظام تسخين داخلي ذاتي (هائل التأثير)... يُعطى من سرعة تبدد حرارتها إلى الفضاء الخارجي المحيط بها من كل جانب.

في اليوم الثامن والعشرين من شهر نيسان (أفريل) من عام (1862)، قدم (اللورد كلفن) مداخلته الخالدة الموسومة (في سبيل تفسير علمي لظاهرة برودة كوكب الأرض) والتي كان قد ألقاها أمام المجمع الملكي الأسكتلندي والتي طُبعت كاملة في عام (1864) ضمن دورية (إنجازات المجمع الملكي الأسكتلندي) وقد جاء فيها:

((لعل خير ما توصف به نظرية (فورييه) الرياضية المتعلقة بالتوصيل الحراري كونها قطعة رائعة وعمل مدهش اختص بجانب مهم جداً من مجمل الظاهرة الكونية المعروفة باسم (تبدد الطاقة - Dissipation of Energy)، تلك الخاصية الفريدة والتي تستوجب بلوغ التوازن من قبل أي نظام أو مجموعة أنظمة تعاني أو تحمل في طياتها أي اختلاف في درجات حرارتها. ذلك التوازن الذي لا بد وأن يبلغ مرحلة المساواة المطلقة

بغض النظر عن الفترة الزمنية اللازمة لبلوغها. قد تمتد تلك النتيجة الحتمية إلى ما هو غير منظور من اللامتناهي من زمن المستقبل، ولكنها ستضم حتما إلى توصيفها العلمي بأنها دالة للزمن والذي وإن كان يمتد ويتوسع إلى المالا نهاية في المستقبل إلا أنه لابد وأن يعود إلى نقطة بداية معينة محددة لحقبة زمنية قابلة للتحديد.

لقد سبق لي وأن اقترحت إمكانية القيام (ضمن المبادئ والقوانين المقبولة وتطبيقاتها) بمسح حراري أرضي تام سيمكننا - وهذا ما أطره اليوم - من تحديد نقطة الشروع لبداية فقدان أرضنا (التي نعيش عليها) لحرارتها الابتدائية عن طريق إشعاعها وتبديدها إلى الفضاء النجمي المحيط بها.

إن الغرض الأساسي لورقتي التي أطرها عليكم اليوم - سادتي الأفاضل - هو محاولة تقدير وتعيين - ومنذ لحظة اكتساب الأرض لأعلى درجات حرارتها وإلى يومنا الحاضر - التاريخ التقريبي لبداية عملية فقدان الأرض لحرارتها، وهذا التاريخ وبلاستناد إلى (نظرية لينتز - Leibnitz's Theory)⁽¹⁾ سيكون الإيدان (يوم) ميلاد تاريخها الجيولوجي (...)).

للفضوليين فقط:

- قد يكون مصدر تسمية الماس (في أسواق الجملة التجارية) مجازا (بالثلج) عائدا إلى حقيقة برودة ملمسه بالنظر لقابلية توصيله الهائلة للحرارة والتي يمتاز بها مهما كان صُغر حجم (الماسة) الحقيقية التي قد تُسعد بلمسها يوما.

(1) هو [كونفريد فلهلم فون لينتز (1646-1716) - Gottfried Wilhelm Von Leibniz]، فيلسوف ورياضي وعالم موسوعي ألماني كتب باللغتين الألمانية والفرنسية. احتل مكانة مرموقة في تاريخ الفلسفة والرياضيات ويعود إليه فضل ابتكار الحساب التفاضلي اللانهائي (Infinitesimal Calculus) بنفسه مستقلا عن نيوتن. كما وضع (النظام الثنائي - Binary System) وهو أصل لغة كل الحواسيب في الوقت الحاضر وهو صاحب الرؤية الفلسفية المتفائلة تكون (خلق كوننا الحالي) هو على خير ما يمكن. (المترجم).



• لقد عرف (فورييه) دائما بسوء قابليته على تنظيم (حرارته الشخصية)، رغم شهرته، وعلى نطاق العالم بكونه خير خبير في طرق (تنظيم) وانتقال الحرارة وتوصيلها. لقد كان دائم الإحساس بالبرودة وحتى في أيام قيض الصيف الحارة، الأمر الذي وُصف معه بـ (العُصاب القسري)، فقد كان لا يكتفي بلبس العديد من الألبسة الثقيلة والقلنسوات، وإنما كان دائما ما يرى حاملا أعدادا إضافية منها كاحتياط!!

• لقد نال التدمير العديد من نصب (فورييه) التكريمية وتمثيله، فاختفت من الوجود. لقد دُمّر أحد تماثيله التي صنعها له المثال الفرنسي (بير الفونس فيزار - Pierre-Alphonse Fesard) خلال إحدى غارات الحرب العالمية الثانية على فرنسا، ونُهب تمثال برونزي آخر أقيم لتكريمه في بلدته (او كزير - Auxerre) من قبل الجيش النازي الذي قام بصهره لصناعة الذخيرة.

• قضى أواخر أيامه حافظا نفسه داخل صندوق أعانه على إسناد جسده الذي لم يعد قادرا على إسناد ذاته.

• كان أول من ابتكر إشارة تكامل الرقمين من ألف لغاية باء على الشكل التالي: \int

أقوال ماثورة:

- إن خير ما يدل على أخصب حقول الاستكشاف الرياضي فهو دراستك المعمقة وملاحظتك الدقيقة للطبيعة... (ومن غيرها!!).

فورييه

John Morley, (Voltaire), in Critical Miscellanies. 1872.

مقتطف من كتابه (منوعات حرجة)

- لقد أصاب (فورييه) عالم الرياضيات بصدمة عظيمة عندما توصل ومن خلال تبحره في علوم المثلثات إلى (متناقضة) في إحدى مراحل المساواة ضمن حيز معلوم ما بين بعض التعابير الجبرية والمنتمية إلى أشكال متغايرة. لقد كانت طريقته الرياضية الفذة في التوصل

إلى و (حياكة) تلك (المتناقضة) من القوة والحكمة الأمر الذي استوجب مرور قرن كامل من الزمان قبل أن تتمكن المعادلات التفاضلية غير الخطية من استعادة التوازن... والثقة في أساليب الفيزياء الرياضية الذي تحداها هو (بأحجته المتناقضة) تلك.

رافات وكنس

Jerome Ravetz and I. Grattan - Guinness. (Fourier). in Dictionary of Scientific Biography.
في ملخصهما عن (فورييه)، مقتبس من معجم سير العلماء الذاتية.

ملخص لسيرة حياة المكتشف:

ولد الرياضي الفرنسي [جين بابتست جوزف فورييه Jean Baptiste Joseph Fourier (1768-1830)] في مدينة (اوكرير - Auxerre) المطلة على نهر (اليون - Yonne) والتي عرفت بكاثيدرائتها القديمة العريقة. اشتهر فورييه بكونه أحد أعلام علماء (المصريات القديمة) وتأثيره العلمي البين على العديد من حقول الرياضيات والفيزياء وبابتكاره لمعادلته الشهيرة المعروفة باسمه والمختصة بظاهرة توصيل الحرارة في المواد الصلبة.

لقد كان ترتيبه التاسع من بين اثني عشر طفلاً رُزق بهم والده من زواجه الثاني. اعتاش والده (جوزف) من مهنة الخياطة وكان له من الأطفال ما مجموعه خمسة عشر من زيجتين. توفي والداه وهو بعمر تسع سنوات فتبناه ميتم المدينة الذي كان يديره قساوستها، ولكنهم سرعان ما دفعوا به إلى مدرسة عسكرية يديرها (الربان البندكتيون)⁽¹⁾، وفيها ظهرت موهبته الرياضية وازداد شغفه بها، فقد عُرف عنه قضاؤه الساعات الطوال في بهجة وحبور لا يوصفان وهو يحل المسائل الحسابية والمعادلات الرياضية واحدة تلو الأخرى على ضوء

(1) Benedictine Monks - وهم أتباع مذهب ديني ومنحى روجي مسيحي رهبني حسب تعاليم [بندكت (من نورسيا) النورسي (480-547) Benedict of Nursia] والتي كتبت حوالي القرن السادس الميلادي للربان الطليان - وملخص منح السيد المسيح عليه السلام لكافة أتباعه الخلود في النهاية، أعلن قديسا من قبل البابا (هو نوريوس الثالث - Pope Honorius III) في عام 1220. (المترجم).



الشموع بعد أن يكون الجميع قد أووا إلى فرشهم وأسلموا أجفانهم للذئب الكرى. لما بلغ عامه الرابع عشر، كان قد أكمل دراسته للأجزاء الستة من كتاب (دروس في الرياضيات) لمؤلفه الرياضي المرموق [شارل بيزو (1730-1814) Charles Bezout]. ولما بلغ السادسة عشرة من عمره تمكن من اكتشاف البرهان لقاعدة (دسكارتية - Descartes) لإشارات الأرقام، والتي تنص على ارتباط عدد الجذور الحقيقية الموجبة الموجودة في أي معادلة متعددة الحدود (Polynomial) بعدد مرات تغير إشارات معاملاتها المصاحبة للمجاهيل فيها، [فعلى سبيل المثال وفي عام (1637) كان دسكارتية قد قال بوجود جذر موجب حقيقي واحد على الأكثر في متعددة الحدود التالية $(x^4 + 9x^3 - 4x^2 - x - 5)$] وسرعان ما قبلت وانتشرت طريقة إثبات (المراهق فورييه) وأصبحت الطريقة النموذجية لذلك. وقد تمكن كذلك من تعميم قاعدة (دسكارتية) التي تستعمل لتقدير عدد الجذور الحقيقية الموجودة ضمن عدد محدد من الحدود. حاول قبل بلوغه سن العشرين الالتحاق بالسلك الكهنوتي وبدأ بالتدرب على ذلك، إلا أن الرياضيات كانت قد سلبت له لبه، فهام بها (ولا يجتمع حُبّان في سلك الرهبنة كما تعلمون)، وحينها كانت قد بدأت تختمر لديه الفكرة الجديدة لمحاولة إضافة ما هو جديد ومبتكر بالفعل للمنظومة الرياضية الحصرية، حتى بلغ به الأمر محاولة تشبيه نفسه بالعظماء ومحاولة السير على خطاهم والخدو حذوهم لبلوغ ما بلغوه، فقد كتب لأحد أساتذته يوماً يقول:

((لقد احتفلت يوم أمس بعيد ميلادي الحادي والعشرين، ولكن ذلك لم يبعث شيئاً من

السرور على قلبي، إذ إن العظماء من أمثال (نيوتن) و(باسكال) كانوا قد انتهوا - وقبل

هذه السن من تسجيل أسمائهم في سجل الخالدين)).

وصل (فورييه) في أحد أيام شتاء عام (1787) الممطرة إلى رئاسة الكنيسة البندكتية في حرم القديس (بينو - سور - لور - St. Benoit - sur - Loir) على أمل إكمال الاستحضار اللازم له لإلقاء قسم الكهنوتية البابوية والانخراط في سلك الرهبنة، وخلال التحضير لذلك كان

يجمع الكهنة والرهبان بين الحين والآخر لتدريسهم مادة الرياضيات التي أحبوها بدورهم!! ومع مرور الوقت وإدراكه لمسلكه الحقيقي في الحياة قرر التنازل عن أداء القسم فغادر رئاسة الكنيسة في عام (1789) غير آسف. لقد كان دائم الانشغال عميق الهيام أصيل الوجد بالرياضيات، ولا يمكن أن يجتمع حبان في قلب من يروم الانخراط في سلك الرهبة قط!!.

اعتقل وسُجن خلال فترة الثورة الفرنسية عند محاولته الدفاع عن الكثير من ضحايا (محور الشر والإرهاب)، فقد عمت الفوضى في تلك الحقبة، الأمر الذي أدى إلى إرسال الآلاف إلى خشبات المقاصل بعد اتهامهم بمناهضة الثورة وإجرائها الجذرية الإصلاحية. سُجن أحد أبطال (فورييه) وهو الرياضي [نيكولا دو كاريتا كوندورسيه Nicolas de Caritat (1743-1794)]⁽¹⁾ إثر تصديه للدفاع عن الثوريين الراديكاليين المعروفين باسم (الجاكوبنز - Jacobins)⁽²⁾

ومات في سجنه، كما رُفع بطل آخر من أبطال (فورييه) - واحد أهم أبطال الثورة الفرنسية، وهو العالم الجليل، الفيزيائي والكيميائي الشهير [انتوني لافوازييه - (Antoine Lavoisier (1743-1794)] والموجد الحقيقي لعلم الكيمياء الحديثة - إلى خشبة المفصلة التي أطاحت برأسه. وقدسرت حمى القتل واستشرت الإعدامات من دون وازع من أي شيء على الإطلاق، الأمر الذي حدا بالفرع من الموت أن يتلبس صاحبنا والذي كان على قاب قوسين أو أدنى منه، ولكن التغيرات السياسية السريعة ما لبثت أن أودعت (فورييه) والكثيرين غيره ممن كانوا مهددين بالموت إلى أحضان الحرية.

(1) هو [ماري جين انتوني نيكولا دي كاريتا - مركيز - كوندورسيه - Marie Jean Antonie Nic (1743-1794) (las de Caritat, Marquis de Condorcet)] فيلسوف ورياضي وعالم سياسي فرنسي. اقترح مبدأ الانتخاب بطريقة عرفت باسمه، دافع عن الاقتصاد الحر، والتعليم الشعبي والدستورية والحقوق المتساوية للجميع وبضنهم النساء والأقليات، ساهمت كتاباته في إذكاء عصر التنوير والنهضة والثورة الفرنسية. (المترجم).

(2) Jacobins - حركة ثورية (1789-1794) برزت خلال الثورة الفرنسية ونفصحت بحرية عن آرائها ومثلت في فرنسا الحديثة وجهة نظر حكومة المركز وناهضت الأقليات ولغاتهم. (المترجم).



وفي عام (1795) التحق بالهيئة التدريسية للمدرسة العليا (اللبولي تكنيك) في باريس. وفي عام (1797) خلف عالم الرياضيات الفرنسي المولد الإيطالي الجنسية (جوزف - لوي لاكرانك - Joseph - Louis Lagrange) على كرسي الأستاذية لمادتي التحليل والميكانيك، وقد قُـلـد (فوريه) أخيراً وسام المُحاضر المتميز تقديراً لكفاءته وجهوده العظيمة للعلم وفي التعليم.

كما تم استدعاؤه من قبل الحكومة وصاحب الإمبراطور (نابليون بونابرت) في حملته الشهيرة على مصر عام (1789)، وقام خلال السنوات القليلة التي تلت ذلك التاريخ بدراسة الآثار المصرية التي شُغِف بها ونذر لها جل وقته. وقد قام بالإضافة إلى ما سبق بتحمل أعباء دبلوماسية وكان ضمن هيئة المناقشة والتعليق والمشاركة في الإنجاز الفرنسي العظيم حول كل ما أنجز اكتشافه من آثار، وما جرى رصده من تراث وما تم تسجيله من أحداث، وهو العمل الرائع الذي صدر تحت عنوان (وصف مصر - Description de l'Egypte). وقد قام (فوريه) فيه بتحرير الجزء المعني بتاريخ مصر.

بعد رجوعه إلى فرنسا في عام (1801)، أرسله (نابليون) إلى منطقة (كرينوبل Grenoble) وعينه بمنصب حكومي أشرف من خلاله على عمليات تخفيف المستنقعات وإنشاء الطرق. واستمر طوال هذه الفترة حبه للرياضيات وتطوير قابلياته وممارساته فيها.

كان قد بدأ أبحاثه ودراساته حول نظريته الرياضية في الحرارة حوالي عام (1804)، واستطاع إكمال أطروحته المهمة الموسومة (حول انتقال الحرارة في الأجسام الصلبة) بعد ذلك التاريخ بثلاث سنوات أي في عام (1807). لقد استحوذت فكرة الحرارة وانتقالها على تفكير (فوريه) واهتماماته فصار مهووساً بتفسير ووضع المعادلات الخاصة بانتقالها خلال الأشكال الهندسية المختلفة والتي تراوحت ما بين المستطيلات والحلقات والكرات والأسطوانات وحتى المخاريط. وقد تعمق في عمله ذاك حتى تمكن من الوصول إلى التعبير الرياضي اللازم لبيان أسلوب انتقال الحرارة خلال صفائح المواد الرقيقة جداً، والتي يمكن

اعتبارها أجساماً ثنائية الأبعاد. لقد وضع معادلته بشأن ذلك بالصيغة التفاضلية التالية:

$$\frac{\partial u}{\partial t} = k \left(\frac{\partial^2 u}{\partial x^2} + \frac{\partial^2 u}{\partial y^2} \right).$$

حيث يمثل u - درجة الحرارة

في t - وقت معين

عند (y, x) - نقطة محددة على المستوى

هذا وعادةً ما تُطرح المسائل الحسابية الخاصة بالحرارة من قبل الباحثين على الرياضيين لحلها عند علمهم درجة الحرارة عند نقاط محددة على سطح مادة مستوية وعند حوافها في لحظة زمن صفرية ($t = 0$). يعود الفضل (لفورييه) في استنباطه لمتوالية تحوي الحدود المثلثية المعروفة (كالجيب - Sine - والجيب تمام - Cosine) لغرض حل مثل تلك المسائل. ولقد مكنت نظريته العلماء والباحثين اليوم من تحليل مديات واسعة من الدوال بدلالة (الجيب والجيب تمام)، وتلعب (متواليات فورييه) هذه دوراً مهماً في إيجاد الحلول باعتبارها الأداة الرياضية المناسبة في العديد من حقول الرياضيات والفيزياء.

ذكر كل من (جيروم رافيتز - Jerome Ravetz) و (آي كراتان - كنز - I.

Grattan - Guinness) في معجم (سير العلماء الذاتية) ما يلي:

((تبرز أهمية الإنجازات التي توصل إليها (فورييه) وتجلّى قوتها الرياضية كأدوات

جسورة وجدت لتضع الحلول للمحاولات التي تولدت عنها متواليات متعددة طويلة

والتي أوجدت بدورها مشاكل جديدة في أساليب التحليل الرياضي عملت على إذكاء

وتشجيع القيام بالكثير من الأعمال الرائدة ضمن ذلك الاختصاص ولما تبقى من القرن

التاسع عشر وما تلاه...)).

يمكن تلخيص موضوعات (فورييه) السابقة وتطبيقاتها وأمثلتها بجملة واحدة بسيطة مفادها إمكانية إعادة صياغة أي دالة تفاضلية، ومهما كانت درجة تعقيدها أو غرابة المنحنى المرسوم بموجبتها إلى درجة لا بأس بها من الدقة (وحسب الرغبة) بوضع سلسلة من (الدوال



الجيبية والجيب تمامية) لها وإلى المدى الذي نبغيه لها.

فعلى سبيل المثال دعنا نمنع التفكير في تطبيق متوالية (فورييه) في مجال الصوتيات ونفترض وجود دالة تكرارية رتيبة هي $y(t)$ ، والتي تمثل مقدار إزاحة جزيئات الهواء المجاورة لآلة الكلارنيت الموسيقية أو الطبلبة الاعتيادية. تمكنا متوالية (فورييه) من كتابة تلك الدالة بدلالة الحدود المثلثية

$$y(t) = \sum_n A_n \sin \omega_n t + B_n \cos \omega_n t. \quad \text{وكما يلي:}$$

بحيث تقابل وتساوي أقل ذبذبة زاوية (ω_1) الزمن الحقيقي اللازم للدالة الموجية $y(t)$: والتي تمثل مدى ومقدار إزاحة جزيئات الهواء المجاورة لآلة الطبلبة (Drum) أو الكلارنيت (Clarinet).

ومن الدالة الموجية السابقة $[y(t)]$ وإذا كان $[\omega_1 = 2\pi/T]$ حيث (T) هي التكرارية الزمنية، فستعتمد القيم النسبية لكل من (A) و (B) على شكل الموجة ذاتها وكمثال أقل تعقيدا وأيسر فهما دعني أصور لك الشكل الموجي التقليدي والمسمى بموجه (أسنان المنشار) والتي تشبه بالضبط ما تبدو عليه حافه نصل أي منشار يدوي.

هنا يمكننا التعبير رياضيا عن تلك الموجة بدلالة حاصل جمع ما لا نهاية له من الموجات الجيبية الاعتيادية البسيطة وعلى الشكل التالي:

$$v = y_0 \left[\sin \left(\frac{2\pi t}{T} \right) + \frac{1}{2} \sin \left(\frac{2 \cdot 2\pi t}{T} \right) + \frac{1}{3} \sin \left(\frac{3 \cdot 2\pi t}{T} \right) + \dots \right]$$

حيث (T) تعبر عن التكرارية الزمنية اللازمة لها (وهي Period) أما القيم الأخرى لـ (A) و (B) فتعتمد على شكل الموجة الصوتية المتولدة.

وهنا تمثل (y_0) - مقدار إزاحة الموجة (أي قوتها وشدتها).

و (T) - تكراريتها (أي الزمن اللازم لإكمال موجة واحدة كاملة منها) - وهي الـ (Period).

كتب الفيزيائي البريطاني [السر جيمس جينز (1877-1946) Sir James Jeans] في

دورية (العلم والموسيقى) يشرح أهمية ما توصل إليه (فورييه) قائلا:

((تتيح لنا نظريته إعادة بناء أي منحني مهما كانت طبيعته وكيفما كانت طريقة

التوصل إليه، ومهما كانت درجة تعقيد، وذلك عن طريق إسقاط أعداد كافية عليه من المنحنيات البسيطة المتجانسة - باختصار يمكننا إعادة تشكيل أي منحني بواسطة عدد كاف من الموجات الجيبية وهذا هو ما ابتدعه (فورييه)).

وتضمنت أعماله الأخرى أبحاثاً ناقشت العديد من المسائل والأمور المتعلقة بالمحارير، وطرق تدفئة الدور وتحديد العمر التقريبي لكوكب الأرض إضافة إلى العديد من الطرق الحسابية والرياضية للتفريق بين الجنود الحقيقية والخيالية لمختلف المعادلات وتحديد طرق تقنين زيغ القياسات المختلفة وإنقاص نسبة الخطأ فيها.

في عام (1808) أسبغ (نابليون بوناپرت) عليه لقب (البارون)، وبعد ذلك بفترة خلع عليه رتبة (الكونت)، وفي عام (1817) تم انتخابه عضواً في الأكاديمية العلمية، وبعد ذلك انتخب لمنصب العضو العامل في المجمع الإمبراطوري للشؤون الخارجية.

وفي عام (1822) تمكن من نشر نظريته الرياضية للتوصيل الحراري في المواد الصلبة بالاستناد إلى معادلة تفاضلية بينت تناسب قيمة معادل انسياب الحرارة خلال وحدة المساحة العمودية على المحور السيني ($X - axis$) مع منسوب الحرارة [وهو مقدار قيمة معدل التغير في الحرارة، أو مشتقتها (dt / dx) في ذلك المحور].

ومن المثير والمدهش حقاً أن (فورييه) كان قد كتب وطور نظريته بالاستناد إلى (نظرية المائع الحراري - Caloric Theory) وهي نظرية مخطوءة أثبت بطلانها علمياً وعملياً، وقد كانت تنص على أن انتقال الحرارة كان يتم عن طريق انتقال (نوع ما من المائع) العديم الوزن وغير المرئي، هو المسؤول عن نقل الحرارة من جزء من أي مادة إلى أي جزء آخر منها أو إلى أية مادة أخرى. لقد أثبت (قانون فورييه للتوصيل الحراري) صحته نظرياً ومختبرياً رغم خطأ مفهومه عن (طبيعة) الحرارة، يثبت ذلك - وكما سبق الإشارة إليه وتوضيحه في مقدمة هذا الكتاب - بأن في إمكان القانون المعين تفسير جانب من جوانب الحقائق الكونية العاملة والمشاهدة فعلاً، دون حاجة القانون أو واضعه إلى التطرق إلى... أو معرفة (كيف) يعمل ذلك القانون أو (كيف)... أو حتى (لم) تتصرف الطبيعة بهذه الصورة دون غيرها.



وفي العشرينيات من القرن التاسع عشر (1820s)، بدأ (فورييه) بالتساؤل والتفكير عن ماهية الحرارة الأرضية، وكيف أمكن لكوكب (الأرض) الاحتفاظ بدفئه المناسب لتعميد وإسناد أنواع الحياة القائمة عليه. فلقد اعتقد علماء عصره بأن على الأشعة الحرارية المتولدة في الشمس والواردة إلى الأرض أن تنعكس عن الأرض وعن مسطحاتها المائية (كالبحار والمحيطات) لترجع القهقري وتُفقد إلى الفضاء، أما (فورييه) فقد وافق على مبدأ فقدان جزء من الحرارة الشمسية الواردة إلى الأرض ولكنه اقترح أيضاً احتمال عمل الجو المحيط بالأرض عمل البيت الزجاجي العظيم (Greenhouse)، الذي يمتص كمية كبيرة من تلك الحرارة، فقط ليعيد إشعاعها مرة ثانية إلى الأرض التي يغلفها. وبناء على تفكيره الصائب المبدع والمبكر آنذاك يمكن اعتباره الأب الروحي، وأول من فكر بواقترح وجود ظاهرة الاحتباس الحراري) التي تعاني من جرائها كرتنا الأرضية الأمرين اليوم⁽¹⁾.

سارت الشائعات بأنه كان قد أصيب (بلعنة الفراعنة) بعد مشاركته في حملة نابليون الفرنسية على مصر، فلم يتعاف بعد رجوعه إلى بلاده عقب مشاركته تلك قط. فلقد أصيب مفرار بدنه الداخلي (بالعطل) فلم يعد قادراً على الاحتفاظ بحرارة جسده الطبيعية أبداً فكان دائم الشعور بالبرد. من المنظور العلمي الطبي الحديث بإمكاننا تشخيص حالة إصابته اليوم بانخفاض إفراز هرمون الغدة الدرقية (المكسوديميا - Myxedema) كتفسير لما كان يعانيه، فمن المعروف أن المصابين بتلك الحالة كثيراً ما ينخفض منسوب معدل الاستقلاب في أجسامهم الأمر الذي يخفض معه معدل ضربات قلوبهم ويصيبهم بالتلكؤ وبالبطء في فعاليتهم العادية كالمشي والحركة إضافة إلى معاناتهم المستديمة من الشعور بالبرودة الغامرة وفي كل الظروف وضمن كافة الأحوال. ولكن وعلى كل حال فما يهمنا من حال عالمنا الجليل (فورييه) أنه صار لا يطيق الخروج إلا مُدججاً بمعطف واحد أو اثنين مع حرصه الشديد على اصطحاب أحد خدمه ليحمل له (الثالث) عندما تحين حاجته إليه وكثيراً ما حدث ذلك. لقد بلغ شعوره بالبرد مرحلة مرضية

(1) (ولم تفلح حتى - Hopenhagen 2009 - في إعادة الأمل إليها). (المترجم).

ألزمته بيته فلم يغادره أبداً وإنما حرص على تدفئته صيفاً وشتاءً والبقاء فيه حتى وافاه أجله المحتوم وطويت صفحة حياته في أحد أيام عام (1830) إثر إصابته بنوبة قلبية مفاجئة. وقُيِّل رحيله إلى العالم الآخر ترك (فوريه) رسالة واضحة عنوانها إلى أحد أصدقائه المقرين إليه يخبره فيها بأنه صار يرى (ضفة النهر الأخرى)، والتي يوشك أن يعبر إليها وأنه بدأ يشعر بعلامات (شفائه) من الحياة واستعداده للانتقال إلى حيث لا مرض ولا سقم ولا عين رأت ولا أذن سمعت...

وصف المؤلف (كيل اي. كريستشن - Gale E. Christianson) وأضع كتاب (البيت الزجاجي: قصة المتني عام من ظاهرة الاحتباس الحراري) حالة (فوريه) وقد حبس نفسه في صندوقه الخشبي لا يبارحه لأن تلك كانت الطريقة الوحيدة المعروفة آنئذ لإسناد جسده المتهالك جراء شيخوخته، قائلاً:

((لقد وجد مبتكر أصل وصاحب نظرية (الاحتباس الحراري) نفسه محبوساً وبارادته داخل صندوق خشبي استخدمه لإسناد جسمه المتهالك ومفاصله التي لم تعد قادرة لا على التمدد ولا على الحركة ولا حتى على إسناد ثقله بفعل داء الروماتزم المزمن الذي فت عضدها وأوهن قوتها فلم تعد تجد للحركة الطبيعية سبيلاً. لقد كان ذلك الصندوق وسيلته الوحيدة لإبقاء جسده مستقيماً ويداه (اللتان وضع لهما فتحتان في جانبيه كي تخرجان منه) مستقلتين قادرتين على الإجابة على العديد الجُم من الحطبات والاستفسارات التي كانت ترد وباستمرار إلى السكرتارية الدائمة للأكاديمية العلمية والتي حظي هو بشرف رئاستها)).

لقد شابته حالة (فوريه) وحبه الجنوني للحرارة مواصفات وحب رياضي وفيزيائي ومهندس كهربائي عريق آخر هو الإنكليزي [اولفر هيفي سايد (1850-1924) Oliver Heaviside] لها. لقد نال (هيفي سايد) - بعد تفوقه على كافة منافسيه - (جائزة نوبل) في الفيزياء لعام (1912). ومن بين الإنجازات المتميزة له وضعه للأسس الرياضية الرصينة التي بُنيت عليها نظريات تصميم الدوائر الكهربائية الحديثة، وطرق تحليل القيم الاتجاهية للظاهرة الكهرومغناطيسية. ومن النتائج العملية لنجاح تفكير (هيفي سايد) وصلاية نظرياته تمكنا اليوم من إجراء المحادثات الدولية البعيدة عبر الهواتف الثابتة والنقالة.



لقد أحب، بل عشق (هيفي سايد) العمل في الأجواء بالغة السخونة داخل الغرف الحارة المنارة بمصاييح الزيت وذوائب دخانها. وصف أصدقائه منطقة عمله - بالنظر لسخونتها - بأنها كانت (أحر من جهنم)!! ومن المؤسف أن يذكر التاريخ لنا تآزم حالته وزيادة ولعه بالحرارة إلى الدرجة التي فاقت معها مقادير استهلاكه للغاز الحدود المعقولة وذلك نتيجة لتركه المشاعل والمدافئ مولعة لفترة (24 ساعة) يومياً ولد (365 يوماً) في السنة. لقد بلغ ولع (هيفي سايد) بالحرارة والعمل في الجو الحار درجة لا معقولة استعر معها شجاره مع شركات الغاز حول تقصيرهم تجهيزه بحاجته من الغاز من ناحيته، وبالتحديد بمقاضاته لعدم دفعه للفواتير الهائلة المتراكمة في ذمته من ناحيتهم... لقد بلغ استهلاكه من الغاز رقماً فلكياً مبالغاً فيه قارب الـ (800000 قدماً مكعباً) سنوياً.

لم تُقبل كافة نظريات (فورييه) الرياضية وآراؤه بشأن العديد من الظواهر التي عاجلها رغم جديتها ونبوغها لسبب قد يعزى إلى إخفاقه في تقديم الدعم الرياضي الموثوق والبرهان القاطع المقبول على صحتها. توقع مؤلف كتاب (الكيمياء الفيزيائية للجزيئات العملاقة) وهو الكاتب (اي. اف. صن - S. F. Sun) معاناة (فورييه) ونكاية زمانه به رغم عبقريته وإمكانياته حين كتب يقول:

((لفورييه كامل الحق أن يموت كمدا وأن يُعصر قلبه قبيل وعند وفاته حسرة على ما فرط أصحابه وزملائه في حقّه، فهو لم ينل لا الاحترام ولا الشهرة التي كان يستحقها لقاء إنجازاته الرياضية. ولكن ما لم يحصل عليه في حياته ابتداءً بحصده بعد وفاته ولو بعد فوات الأوان... نعلم اليوم ونقر بفضل (فورييه) ومتوالياته في تطوير أساليب التحليل الحديث والتي صارت تلقى من الرواج والتقدم (بعد إدراك فوائدها) ما يلقاه تطور ونمو علوم الحاسب الآلي من الرواج والتقدم. لقد أدركنا اليوم أهمية ما ابتكره (فورييه) من التداخلات والتفاضلات التي تحمل اسمه (Fourier's Integral)⁽¹⁾

(1) و (2) Fourier's Integral + Fourier's Transform - هي طرق رياضية ابتكرها وحملت اسمه نعمل على تحويل دالة معقدة متغير حقيقي إلى أخرى أسط وتستعمل في معالجة الإشارات حيث أساسها هو الزمن (Time) وقد يكون أساسها (الذبذبة - Frequency Domain). (المترجم).

والتحولات (Fourier's Transform)⁽²⁾ والتي أمكن اشتقاقها مباشرة من متوالياته (Fourier's Series)⁽³⁾ وأهميتها جميعاً في كافة حقول التكنولوجيا كالهندسة والفيزياء والكيمياء وعلوم الأحياء والطب)).

لخص الكاتب (ايوان جيمس - Ioan James) بكفاءة واقتدار إنجازات (فورييه) في كتابه القيم (فيزيائيون متميزون) حين قال:

((طوال حياته وخلال كافة أعماله لم يجاريه أحد في كفاءته، في ربح إخلاص وتقدير أصدقائه وتلاميذه الذين يصغرونه عمراً، فلقد كان مثالا للتضحية والإيثار وحب مساعدة الغير والوقوف إلى جنبهم في محنتهم وأزماتهم... هذا من الناحية الإنسانية، أما من الناحية العلمية فقد برز الجميع بإنجازاته الفذة ولا سيما في دراساته حول طريقة انتشار الحرارة وأبحاثه وأفكاره في استنباط وتطوير السبل الرياضية لدفع تلك الدراسات قدماً إلى الأمام.... لقد وهبه الله (عز وجل) ملكة خارقة استثنائية في السيطرة وامتلاك نواصي الأساليب التحليلية في الرياضيات، أما السر وراء نجاحاته المثيرة والخالدة، فقد كان تتمعه بالإضافة إلى كافة مواهبه الأخرى بقوة الإرادة والتصميم المفعمة بالحدس العلمي في حقلي الفيزياء والرياضيات)).

سميت إحدى فوهات القمر والبالغ قطرها (51 كيلومتراً) باسمه تخليداً لذكراه وتتمينا لأعماله، وتم إقرار ذلك في عام (1935) من قبل الجمعية العامة لاتحاد الفلكيين العالميين. لقد اختار (كوستاف ايفل - Gustave Eiffel) مهندس وصاحب فكرة نصب (برج ايفل) المسمى باسمه، اسم (فورييه) من ضمن أسماء علماء فرنسا البارزين الاثنين والسبعين الذين قرر تخليدهم بخفر أسمائهم على روافد البرج المذكور. [انظر (قانون كولوم للكهربائية المستقرة) في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

(2) (3) Fourier's Series - هي طريقة رياضية لتحليل دالة متواترة (Periodic) أو إشارة متكررة (Periodic Signal) رتبته إلى مجموعة من الدوال الجيبية البسيطة، وضعها أصلاً لحل مسائل انتقال الحرارة في المسطحات المعدنية. (المترجم).



مصادر إضافية وقراءات أخرى:

Christianson, Gale. *Greenhouse. The 200-Year Story of Global Warming* (New York: Walker & Company, 1999); see www.nytimes.com/books/first/c/christianson-greenhouse.html.

James, Ioan. *Remarkable Physicists: From Galileo to Yukawa* (New York: Cambridge University Press, 2004).

Jeans, James, *Science and Music* (New York: Dover, 1968).

Jiji, Latif, *Heat Transfer Essentials: A Textbook* (New York: Begell House, 1998).

Ravetz, Jerome, and I. Grattan-Guinness, "Fourier," in *Dictionary of Scientific Biography*, Charles Gillispie, editor-in-chief (New York: Charles Scribner's Sons, 1970).

Smith, Eric J., "81GHz Diamond Semiconductor Created," *Geek News*, August 27, 2003; see www.geek.com/news/geeknews/2003Aug/gee20030827021485.htm.

Sun, S. F., *Physical Chemistry of Macromolecules: Basic Principles and Issues* (Hoboken, N.J.: Wiley, 2004).

Thomson, William (Lord Kelvin), "On the Secular Cooling of the Earth," *Transactions of the Royal Society of Edinburgh*, 23: 167-169, 1864; read April 28, 1862; see zapatopi.net/kelvin/papers/on_the_secular_cooling_of_the_earth.html.

أفكار فلسفية وآراء للمناقشة:

- ما الذي يدفع الكواكب للدوران حول الشمس؟ سؤال وجيه ومحير في نفس الوقت!! لقد وجد عامة الناس في زمن (كبلر - Kepler) الجواب الشافي الكافي (لهم آنذاك) فآمنوا بوجود الملائكة العظام الذين لا يكفون عن الضرب بأجنحتهم لتوليد التيار الهوائي اللازم والكافي لإدامة حركتها في مداراتها. وكما ستعلم لاحقاً، فإن هذا الجواب لم يكن ليجافي الحقيقة كثيراً، سوى أن على الملائكة (بتصورنا الحديث) أن توجد في الاتجاه المعاكس وأن على أجنحتها أن تدفع بقوتها إلى الداخل.

فاينمن

Richard Feynman, (The Character of Physical Law)

مقتطف من كتابه (مواصفات القانون الفيزيائي).

- لو افترضنا الإمكانية الخارقة لقوانين الكون والطبيعة على تحويل الذرات والجزيئات إلى حياة ابتدائية، ومن ثم نقلها وبعد مراحل كثيرة إلى كائن عضوي عاقل... بمعنى إمكانية استخراج الحياة

المعقدة العاقلة (كالعقل البشري) من مزيج بدائي كربوني بسيط كنتيجة متأتية عن مسبب لسبب (كان يأمر ونهن بقولهم اصنعوا الحياة!)... فهذا سيعني أن لقوانين الكون قابلية خلق من سيفهمها.

دافيز

Paul Davies, (The Fifth Miracle).

مقتطف من كتابه (المعجزة الخامسة).

• هنالك في مكان ما من ذلك (الفضاء) المحيط العظيم البعيد الأفق حتى المالا نهاية... وما بين ظلمات أمواجه الحالكة والحاجة لأي ومضة نور (عنا... وفي الوقت الحاضر على الأقل) تقع الحقيقة... وما بين صحف أسفارها تقبع الإجابات الوافية لكافة أسئلتنا عن الكون والخلقة والحياة... وفي اليوم الذي نصل فيه إلى هناك ونروي ظمأ جهلنا من مياه معرفة كوثرها الرقراق، عندها سننتشي بالحقيقة التي طال بحثنا عنها... ولكن بعد أن نفيق من سكرتنا بها ستجلى أمامنا أسئلة جديدة بأبعاد وليدة لم تكن لنا مجرد إمكانية تصورها ولا ملكة تخيلها من قبل... وسننظر إليها وننتظر حيارى كحيرة (دودة الأرض) اليوم وهي تحاول جاهدة سبر أغوار أذهاننا ومحاولة فهم شعورنا ونوايانا وتفكيرنا الآن... ولكن دون أي طائل وبلا أدنى جدوى.

دايسون

Freeman Dyson, (Science & Religion, No Ends in Sight)

Newyork Review of Books

مقتطف من كتابه : (العلم - الدين - لالتقاء في الأفق المنظور).



قانون أمبير للكهر ومغناطيسية ودوائرها الكهربائية

AMPERE'S CIRCUITAL LAW OF ELECTROMAGNETISM

π فرنسا، 1825:

تناسب كمية الدوائر المغناطيسية المحتثة في الفضاء الحر المحيط بمسار تيار كهربائي مع مقداره المار خلال السطح المحيط بمساره، والمراد قياس كمية فيض مغناطيسية تلك الدوائر حوله، أي تناسب كمية تلك الدوائر ذوات المراكز المتوحدة المتوضعة على طول السلك الموصل للتيار الكهربائي مع قيمته.

معاور ذوات علاقة:

قانون بايو-سافار (BIOT-SAVART LAW)، ومعادلات مكسويل (MAXWELL'S EQUATIONS)، وهانز أورستد (HANS QRTSTED)، وجوزف هنري (JOSEPH HENRY)، وميشيل فراادي (MICHAEL FARADAY)، وجين - بابتست بايو (JEAN-BAPTISTE BIOT)، وفيلكس سافار (FELIX SAVART).

من أحداث عام 1825:

- حصلت بوليفيا على استقلالها من البيرو.
- تم افتتاح قناة إيري (Erie Canal) التي وفرت الممر المائي من منطقة الباني (Albany) في نيويورك إلى بحيرة (إيري) وبذلك تم ربط البحيرات العظمى مع المحيط الأطلسي.
- أقر القانون الفرنسي اعتبار تدنيس وانتهاك المحرمات إهانة كبرى ووافق على سن أشد العقوبات بحق مقترفيها.

نص القانون وشرحه:

لم تكن العلاقة الطبيعية بين المغناطيسية والكهربائية قد عرفت بعد قبل عام (1819)، عندما اكتشف الفيزيائي الدنماركي [هانز كريستيان أورستد (1777-1851) Hans Christion Qrsted]

انحرف إبرة البوصلة المغناطيسية عند وضعها بجانب سلك كهربائي ومن ثم إمرار التيار خلاله وقطعه عنه. وعلى رغم الجهل التام آنذاك بمناهية المغناطيسية أو تأثيراتها إلا أن تلك التجربة البسيطة كانت قد فتحت بابا كبيرا وكتبت عنوانا عريضا مفاده وجود العلاقة الوطيدة (وبشكل ما) ما بين الظاهرتين، ولقد صدق العلم ما ذهب إليه حدس العلماء فسرعان ما تجمعت الاختراعات والاكتشافات التي تؤكد ذلك وتؤيده وتستفيد منه مثل التلغراف والمذياع والتلفزيون والحاسوب. لقد أذكت الورقة القصيرة التي نشرها (اورستد - Qrsted) في عام (1820) والتي ضمنها ملاحظاته وما توصل إليه شعورا خاصا لدى الفرنسيين الذين أصلا كان قد تولد لديهم اهتمام عجيب وهوس غامر بظاهرتي الكهرباء والمغناطيسية، ونتيجة لذلك فقد تكاملت العديد من التجارب والملاحظات خلال الفترة الزمنية الواقعة ما بين عامي (1820-1825) ولا سيما تلك التي قام بها على وجه الخصوص الفيزيائي الفرنسي [اندريه - ماري امبير (Andre-Marie Ampere (1775-1836)] وآخرون والتي أثبتت تولد حقل مغناطيسي حول كل سلك معدني يمر خلاله تيار كهربائي. ويطلق اليوم على تلك العلاقة البسيطة وذلك الاكتشاف البين بالإضافة إلى كافة متعلقاته ونتائجه، من خلال وبواسطة الأسلاك المعدنية الموصلة اسم (قانون امبير للكهرباء ومغناطيسية Ampere's Law of Electromagnetism).

وإليك بعض الأمثلة والتوضيحات: يتولد حقل مغناطيسي قيمته (**B**) يحيط بكل سلك يمر عبره تيار كهربائي ما مقداره (**I**). (ويعني استعمال الحروف التخينة أن تلك القيمة هي مقدار اتجاهي تتضمن مقدارا واتجاها في عين الوقت). وتناسب قيمة (**B**) مع مقدار التيار (**I**) المار عبر السلك وتكون دائرة وهمية نصف قطرها (**r**) ومركزها في وسط السلك المعدني الموصل الناقل للتيار. وبعد القيام بالعديد من التجارب؛ استطاع (امبير) وغيره إثبات حقيقة قابلية الأسلاك التي يمر عبرها التيار الكهربائي على جذب برادة الحديد إليها (... وبناء على ذلك تقدم امبير بنظرية مفادها إمكانية اعتبار التيار الكهربائي مصدرا لتوليد المغناطيسية).

وللمهتمين منكم ولمن قد قام ببعض تجارب الكهرباء ومغناطيسية البدائية المبسطة مثل لف سلك معزول حول مسمار حديدي ومن ثم إيصال طرفيه إلى قطبي بطارية، فني تلك التجربة البسيطة



تحقيق لما كان (امبير) قد قام به فعلاً في بادئ الأمر. وباختصار فإن ما قام به كان إثباته للعلاقة ما بين أي حقل مغناطيسي وبين التيار الكهربائي الذي ولّده. وهذا القانون، شأنه شأن أي قانون آخر تضمنته صحائف هذا الكتاب، له تطبيقاته العملية والعلمية التي تتعلق بفهمنا وبنائنا للمغانيط الكهربائية والمحركات والمولدات والمحولات التي يكون الكهرباء أساساً في تشغيلها. يمكننا كتابة (قانون امبير) بأشكال متعددة، ولكن أشهرها هو الذي يحتوي على إشارة التفاضل كما في المعادلة التالية:

$$\oint_S \mathbf{B} \cdot d\mathbf{s} = \mu_0 I_{enc},$$

حيث تمثل \mathbf{B} - الحقل المغناطيسي

و \mathbf{s} - هي المجال الدائري المغلق له

و μ_0 - ثابت المغناطيسية ويعرّف بالنفوذية خلال الفضاء الحر ويساوي (\oint) والد (Wb) - هو اختصار لوحدته (الويبر - Weber) وهي الوحدة التي يقاس بها مقدار الفيض المغناطيسي و (A) - هي وحدة الامبير.

و I_{enc} - مقدار التيار الكهربائي الذي يحويه أو يتولد منه منحني خط الفيض المغناطيسي S. وتستنتج من وضع المعادلة حقيقة تناسب عدد خطوط فيض الحقل المغناطيسي حول أي نقطة عشوائية يمكن اختيارها على خط مسار التيار، مع خالص مقدار التيار الكهربائي المار في تلك الدائرة المغلقة. ويمكن استخدام (قانون امبير) لتعيين وحساب مقدار فيض أي حقل مغناطيسي سواء كان متولداً خارج سلك مستقيم طويل أم داخله.

ولاشك أنك قد لاحظت عنوان هذا المدخل وعرفت أن المسمى الآخر (لقانون امبير) هو (قانون امبير للدوائر الكهربائية)، ويعود سبب ذلك إلى حقيقة كون القيمة الاتجاهية في حل عن حدود نصف قطر المسار الدائري حول السلك وتمتاز بثباتها لقيمة S مادام التيار المار في السلك المعدني الموصل ثابتاً.

تمكن عالم الفيزياء السكوتلاندي [جيمس كلارك ماكسويل (1831-1879) James Clark Maxwell] من تنقية وتطوير هذا القانون وجعله أكثر كفاءة في التعبير عن العلاقة ما بين الحقول المغناطيسية وبين مقدار التيار المتواجد في المكثفات الكهربائية، وفيما يلي جزء من مجموعة المعادلات التي اصطلح على

تسميتها (معادلات مكسويل):

$$\oint_S \mathbf{B} \cdot d\mathbf{s} = \mu_0 I_{\text{enc}} + \frac{d\Phi_e}{dt},$$

وفي المعادلة السابقة يمثل الرمز (Φ_e) مقدار الفيض الكهربيائي خلال السطح. ويمكن إعادة صياغة ذات المعادلة بشكل تفاضلي آخر هو:

$$\nabla \times \vec{B} = \mu_0 \vec{J} + \mu_0 \epsilon_0 \frac{\partial \vec{E}}{\partial t}$$

هنا يمثل \vec{J} - مقدار كثافة التيار الكهربيائي.

هذا وقد أثبت مكسويل كذلك أن أي تغيير في الحقل الكهربيائي سيولد حتما تغيرا معلوما في الحقل المغناطيسي المصاحب له حتى لو حدث هذا التغيير في الفضاء الخالي. لقد توالى وتواترت الاكتشافات وظهرت الكثير من العلاقات ما بين الكهربية والمغناطيسية، ولا سيما تلك التجارب التي قام بها العالم الأمريكي [جوزف هنري (1797-1878) Joseph Henry] والعالم البريطاني [ميشيل فراداي (1791-1867) Michael Faraday] و [جيمس كلارك مكسويل James Clark Maxwell].

ولم يكدمضي شهر واحد على وصف العلامة (اورستد - Orsted) لمشاهداته حول تأثير التيار الكهربيائي على تصرف إبرة البوصلة حتى شرع كل من الفيزيائي الفرنسي [جين بابتست بايو Jeam Baptiste Biot (1774-1862)]، وزميله الفيزيائي الفرنسي [فيلكس سافار Felix Savart (1791-1841)] بدراسة العلاقة ما بين التيارات الكهربية المارة خلال الأسلاك والتأثيرات المغناطيسية التي تنتجها جراء ذلك. لقد تمت الاستفادة من قانون (بايو - سافار) [والذي كنت قد أفردت له مدخلا خاصا له في هذا الكتاب - انظر صفحة (459)] من قبل (امبير) نفسه. ومن الجدير الإشارة هنا إلى أنه رغم عمومية (قانون امبير) ونجاحه في وصف التيارات المنتظمة، ورغم إمكانية تطبيقه - وبكفاءة عالية - على مسارات بسيطة للتيار الكهربيائي، كذلك التي تستوجب حسابه لحقل متواضع في... أو عند مركز دائرة واحدة من مسار السلك، إلا أنه قد يصعب علينا أحيانا تطبيقه لايجاد الحسابات العملية لبعض التشكيلات الأكثر تعقيدا كمثل تشكيلات الملفات السلكية (الحاوية عدداً كبيراً جداً



من الدورات) وعليه فقد جاء (قانون بايو - سافار) ليقدم الإسناد العلمي والعملي لـ (قانون أمبير) في الدوائر الكهربية ويقوم محله في حساب الحالات التي تستوجب حلول مختلفة لأجل إيجاد قيم الحقول المغناطيسية (B) والناجئة عن مرور التيار في تشكيلات أكثر تعقيدا من السلك المستقيم لامتناهي الطول أو الدائرة المنتظمة ذات المركز المعلوم.

لم يكدير أسبوع واحد على اطلاع أمبير على ما توصل إليه (أورستد Qrsted)، حتى تمكن من إثبات حقيقة تجاذب تيارين كهربائيين إذا سارا متوازيين وبنفس الاتجاه وتنافرهما إذا ما سارا متوازيين ولكن باتجاهين متعاكسين.

للفضوليين فقط:

- لقد تشرب أمبير وانغمس في ولعه وعشقه وهيامه بالكهربائية واعجب بها إلى الدرجة التي اعتقد أنها لا بد وأن تمثل روح الإله (جل وعلا) (1)(2).
- أعدم والد أمبير بفصل رأسه عن جسده بالمقصلة!!

أقوال ماثورة:

- لم يطلب مني والدي، يوما أن أتعلم شيئا ولم يجبرني على الدراسة قط، ولكنه استطاع وبنجاح - وهذا هو الأهم - غرز بذرة حب المعرفة والتوق إليها داخل نفسي وكياني.

أمبير

Andre - Marie Ampere, quoted in James R. Hofmann's (Andre - Marie Ampere).

- من كتاب هوفمن بعنوان (أمبير) ..

- لقد حزمت أمري واتخذت قرارى النهائي بالاختصاص في موضوع الرياضيات. نعم أعترف بأنى قد جابهت بعض الصعوبات والمتاعب في أول عهدي بها، ولكنني الآن قد تمكنت

(1) ((سبحان ربك رب العزة عما يصفون...)) سورة الصافات. آية (180). (المترجم).

(2) ((... سبحان الله عما يصفون)) سورة المؤمنون. آية (91). (المترجم).

من نواصيها ولا أريد منها فككا. إن في النشوة والحبور، بل وبشعور الاستعلاء ومسحة السحر الحلال والسرور الذي ينتابني حينما أغمر نفسي فيها وأتمتع بجمال ممارستها وإيجاد الحلول لمسائلها، لأكثر من برهان وأنصح من دليل على أنني قد وجدت لها ولا من مجال لغيرها في ذهني وكياني قط، وما أراي قد خلقت وخلق تفكيري إلا لها وحدها وليس لغيرها.

امبير

Andre - Marie Ampere, quoted in James R. Hofmann's (Andre - Marie Ampere)

- من كتاب جيمس هوفمن بعنوان (امبير) ... عنه .

ملخص لسيرة حياة المكتشف:

ولد العالم الفيزيائي الفرنسي الشهير [أندريه - ماري امبير (1775-1836) Andre - Marie Ampere] والذي تمكن بحلول عام (1825) من إرساء قواعد وأسس النظرية الكهرومغناطيسية، في مدينة بوليمو - (Poleymiewx) على (جبل الذهب) قرب منطقة (ليو - Lyon) في فرنسا. لقد انضوى (امبير) تحت لواء العظماء، وانتمى إلى مسيرة العباقرة الذين لمع نجم نبوغهم وإبداعهم مبكرا في حياتهم. تذكر لنا الموسوعة البريطانية في طبعتها لعام (1911)، ما يلي: ((لقد شغف امبير ومنذ نعومة أظفاره بالسعي إلى ينابيع العلم والمعرفة والنهل من الرائق منها. لقد ظهر تطور قابلياته الرياضية الفذة في وقت مبكر وبفترة قياسية، فقد كان باستطاعته التوصل إلى حاصل جمع العديد من الحدود باستعمال كميات من (البلي - Pebbles) وفتات البسكويت حتى قبل تعرفه على نطق الأرقام)).

وثق كل من (ميشيل اورلي - Michael O'Reilly) و (جيمس ولش - James Welsh) أحداث طفولة (امبير) وعلامات العبقرية التي ظهرت عليه آنذاك في مؤلفهما الرائع المنشور في عام (1909) بعنوان (صانعو الكهرباء) والذي جاء فيه:

((لقد بدأت بواكير عبقريته بالظهور على شكل ولع غير إرادي وحب غامر للتعبير الحسابية فلقد تمكن (امبير) الطفل - وحتى قبل أن يتعلم كتابة الأرقام - من اختراع طريقة خاصة به مكنته من التوصل إلى نتائج حسابية صحيحة لجمع أعداد وأرقام



كبيرة جداً عن طريق استخدامه (للبي - Pepples) وحبّات البازيليا، أما والدته فقد كانت شديدة الخوف عليه وقد غلّكها القلق - خلال إحدى نوبات إصابته بأحد الأمراض - ودرءاً لأي شر كان يمكن أن يصيبه من جراء استمراره بأعماله الفكرية، فقد عمدت إلى حرمانه من كل ما يمكن استخدامه في عملياته الحسابية).

ولقد شيع عن (أمير)، أنه كان قد تمكن من فهم واستيعاب كافة كتب الرياضيات التي كانت متوفرة في زمانه، ولما يبلغ السنة الثانية عشرة من عمره بعد. ورغم ما قد يبدو على تلك الحكاية من تهويل ومبالغة ولكن طموح الفتى وإمكاناته الفذة سرعان ما أفصححت عن نفسها خلال السنوات القليلة اللاحقة، فقد تمكن من الشروع في كتابة النظريات الهندسية وإثباتها عند أو قرابة بلوغه لتلك السنة، الأمر الذي أهله فعلاً للالتحاق بالمدرسة العليا المركزية في مدينة (بور - Bourg) وتسبب منصب الأستاذية والفيزياء فيها وهو في السادسة عشرة من عمره، ومن ثم شق طريقه صعوداً نحو كرسي الأستاذية في الرياضيات في (المدرسة العليا للبولتكينيك) في باريس بعد ثماني سنوات من ذلك التاريخ. لقد كان صاحبنا متضارب الميول دائماً، ظاهر الشغف عظيم الوله بكل نواحي العلوم شديد التعلق بكل ما هو جديد عليه، لدرجة أنه كان قد أتم قراءة النسخة الكاملة للموسوعة الفرنسية والتي كانت قد طبعت بعشرين مجلداً، وجاء على كل محتواها وهو في حوالي الخامسة عشرة من عمره.

لم يكن (أمير) يتمتع بكل تلك القابليات التجريبية الفذة التي تمكن منها العديد من المخترعين والعلماء غيره وحسب، وإنما كان يبرزهم بقدراته النادرة على النفوذ إلى دواخل الأشياء ومضامين الأفكار أيضاً، فقد كان شديد الاستيعاب سريع الفهم لكل ما كان زملاؤه العلماء ينشرونه أو يجربونه أو يتحدثون عنه. وإليك مثال واحد عما سبق:

فلم يكدمر أسبوع واحد فقط على اكتشاف (اورستد - Orsted) لحقيقة تأثير التيار الكهربائي المار بسلك موصل على حركة إبرة البوصلة المغناطيسية الموجودة بالقرب منه، حتى شرع (أمير) بكتابة باكورة أبحاثه التي اكتملت إلى سلسلة كاملة من المقالات التي وضعت وبكل دقة الأسس النظرية الكاملة لكل تلك الملاحظات والتجارب. لقد تمكن

امبير في عام (1826) من نشر أشهر أبحاثه بخصوص ظاهرتي الكهربائية والمغناطيسية تحت اسم (أطروحة حول النظرية الرياضية للظاهرة الكهربائية الحركية والمستمدة حصرياً من تجاربها). لقد تضمنت تلك الأطروحة تجارب عدة واشتقاقات رياضية متنوعة لقانون (القوة الدافعة الكهربائية أو ما نعرفه اليوم بالفولتية – emf – Electromotive Force). لقد كان الزمن الذي استغرقه (امبير) في التوصل إلى كل تلك المعلومات وتمكنه من وضع الأسس الراسخ لعلم جديد نسبياً لعلماء ذلك الزمان، قياسياً بكل الاعتبارات، الأمر الذي حدا بالكثير من المعاصرين والعلماء إلى التشكيك بقدرته في ذلك، ومنهم العالم المرموق (مكسويل – Maxwell) والذي كتب في مقالته المعنونة (إيضاحات حول ظاهرتي الكهربائية والمغناطيسية) ما يلي:

((عليّ المسؤول هنا عن إلقاء الكثير من ظلال الشك على حقيقة ما اكتشفه (السيد امبير) وعلى ما أسماه به (قانون الفعل الكهربائي) وبالطريقة التي ذكر هو بها تجاربه ووصف بها ما تم القيام به بالفعل. لقد ذكر فقط (ولم يكشف لنا) الطريقة التي مكنته من التوصل إلى ذلك الاكتشاف، أضف إلى ذلك إقدامه على إزالة كل الآثار التي خلفتها الآلات والأدوات والروافع التي ادعى أنه استعملها لبناء نموذج الحقيقي قبل تشغيله أمام أعيننا)).

لقد تجاوزت تطبيقات قانون امبير (صيغة الدوائر الكهربائية) التي تم التطرق والتركيز عليها في الجزء الأول من هذا الكتاب، حيث فسر (امبير) كذلك الطبيعة الرياضية للقوة المغناطيسية المرتبطة بتيارين كهربائيين. فعلى سبيل المثال وفي هذا المجال، كان (امبير) قد تمكن من إثبات تجاذب تيارين كهربائيين لبعضهما البعض، إذا ما سارا متوازيين وباتجاه واحد. وأنهما سوف يتنافران إذا ما سارا باتجاهين متعاكسين، والحقيقة التاريخية تقول بتمكن (امبير) ومنذ عام (1820) من صياغة القانون الذي يحكم تصرف تيارين، إضافة إلى تمكنه من وضع العلاقة التي تربط تلك القوة بمقدار التيارين وبالاتجاهين النسييين للسلكين الحاملين لهما. وعليه ومن الناحية العملية فإن القوة المتولدة نتيجة مرور التيار الكهربائي خلال السلكين ستكتسب



صفة (قانون التربيع العكسي) والذي ينص على تناسب تناقص مقدار القوة بين سلكين مع مربع المسافة الفاصلة بينهما، مع احتفاظ تلك القوة على تناسبها الطردي مع حاصل ضرب قيمتي التيارين الكهربائيين المارين خلالهما. هذا وتختلف مواصفات الجذب والنفر في الطبيعة وعند استخدام التيار الكهربائي المتردد مع مواصفاتها عند وجود الكهرباء المستقرة.

لقد أثر (والد امبير) كثيرا عليه وكان قد ترك طابع شخصيته مميزا في حياته، فقد كان تاجرا ثريا اشترى لابنه مكتبة ضخمة عامرة وكان كثيرا ما يصحبه لشراء كتب أخرى على هواه، وغالبا ما شجعه على القراءة والاطلاع على كل ما رغبت به نفسه التواقة لتعلم كل شيء فلم يحرمه موضوعا مماه. لقد تمكن (امبير) من حفظ واستظهار أجزاء كاملة من الموسوعة الفرنسية، كما استطاع أن يُعلم نفسه (نظرية الأرقام) واختطه منها جانا منظما للاطلاع بعمق على مؤلفات (أقليدس) بنفسه ودون طلب مساعدة من أي مدرس. لقد عكف على تعلم اللغة اللاتينية فقط ليستطيع قراءة كتب الرياضيات وليروي نهمه في الاطلاع على أعمال [ليونارد يولر (Leonard Euler (1707–1783)] والذي غالبا ما فضلها ووصفها كمرشد له للكتابة والتأليف.

وصف (جيمس هوفمن - James Hofmann) توب (امبير) للمعرفة، وجانبها من شغفه للاعتراف منها في كتابه المعنون (اندرية ماري امبير - رجل التنوير والديناميكا الكهربائية) حين قال:

((لم توفر عائلة امبير - وبطريقة تقليدية - التعليم لكل أفرادها كما أنها لم تحرم أحد أبنائها منه، لقد كانت عائلة محافظة متغلقة بعض الشيء جاهدت على صقل شخصيات أبنائها على حب العلوم والتفائل باكتسابها كما حرصت على زرع روح التنوير والافتداء وللانصياع لإيمان المذهب الكاثوليكي. لقد ولد تصارع قوتي الإبداع وتوقع التميز مع الروحية العالية للعاطفة الدينية شداً عظيماً على شخصية العبقري القادم ومهرت شخصيته بطابعها الذي لم تقو لا السنوات الطوال على تغييره ولا القادم من تجاربه في الحياة على تحويله)).

لقد كان لحادثة إعدام أبيه بواسطة (المقصلة) خلال اضطرابات وأحداث الثورة الفرنسية ولما يناهز هو السادسة عشرة من عمره بعد، الأثر العميق على تصرفاته وإعادة هيكلة شخصيته، فصنعت منه إنسانا انطوائيا عازفا عن الاختلاط بالناس كارها للاطلاع على أحوال العالم حتى أنه جافى أصحابه وخلّاه وقطع اتصالاته بأصدقائه وأعوانه، وظل على تلك الحال لما ينيف عن العام الكامل... بعد تلك الفترة الحزينة التي قضاها في العزلة والتفكير والتأمل، يتذكر (امبير) بأن عاملين اثنين بل وملاكين رحيمين كريمين هما (أمه وأخته) اللتين كان لهما الأثر الأسمى في انتشاله من محنته وإنقاذه من حالات اليأس والبوس والكآبة التي كانت تُغرقه حتى أم رأسه، ذلكما الحارسان كانا اللذان قد هدياه إلى استعادة اهتمامه بعلوم النبات ووقوعه في أحضان غرام كتاب أمهات القصائد اللاتينية (CORPUS POETAVICM LATINORUM).

تزوج امبير وهو في مقتبل عمره من الفاتنة (كاثرين اتونيتا - Catherine Antoinette) والتي اضطربت بينهما قصة حب توجت بزواجهما في عام (1799). يذكر (امبير) من خير ما يذكر؛ تلك السنوات الأربع التي كان قد قضاها برفقة زوجته وهما على خير حال من قمة نشوة السعادة ومنتهى تناغم الانسجام، وقد توج حبهما وأثمر لهما ابنهما اللذان أسمياه (جين - جاك - Jean - Jacques)، ولكن الصبي لم يكن يحمل فالا حسنا لأمه ففارقت الحياة بعد ولادته بوقت قصير في إحدى ليالي عام (1803) اليلاء.

نجح الابن (جين - جاك) في حياته التعليمية والعملية حتى أصبح من أعلام مؤرخي اللغات ونشوتها وتطورها. رزق (امبير) بعد ذلك بابنة من زواج ثان له سرعان ما انتهى بالطلاق، وفي عام (1827) تزوجت الابنة من أحد ضباط جيش (نابليون بونابرت) الذي لم يكن يحسن معاملتها، وكثيراً ما كان يضربها بعد الإكثار من الشراب تلك العادة التي تملكته حتى أدمن عليها، فأنجر على إثرها إلى المقامرة التي أدمن الخسارة معها أيضاً. لقد كان ذلك الصهر العاق مصدر آلام مريرة وحسرات شديدة (لامبير) وسبباً أساسياً لشقائه وكآبته نظراً للكثرة مشاكله ودوام استدعائه إلى مراكز الشرطة لاستجوابه.



تلاشت اهتمامات (امبير) العلمية وخبأ نجم إبداعاته وإنجازاته بعد أن حقق أعظم نظرياته في خلال عشرينيات القرن التاسع عشر (1820s) بتوحيد حقلي الكهرباء والمغناطيسية واعتبارهما وجهان لعملة واحدة، فبعد تلك الحقبة صار كثير الانطواء على نفسه وانكب على مراجعة ودراسة الآراء والعلوم الفلسفية وصار همه الوحيد التوصل إلى التصنيف الأمثل للعلوم الإنسانية، وهكذا أنهى (امبير) حياته كما بدأها منزوياً متديناً خصوصاً بعد أن رُسخ في قرارة نفسه وثبت اعتقاده في ذاته أنه باكتشافه للكهربائية كان قد توصل إلى اكتشاف (روح) المولى القدير (جل جلاله)، تبارك وتعالى علواً عظيماً عما يصفون⁽¹⁾.

كثرت ديونه في أواخر أيامه وعانى الكثير من المشاكل المالية التي لم تحسن أخته التصرف بها فزادت طينتها بلة بكثرة الاقتراض وإصرارها على الاحتفاظ ببهرج قصرهما الكبير الذي ورثاه عن عائلتهما.

تدهورت صحته بشدة وبسرعة خلال عام (1829) حتى صار كثير الشكوى من نوبات شديدة ومتأزمة من السعال والتهاب القصبات الهوائية والتي لازمته حتى نهاية عشرينيات القرن التاسع عشر (1820s). طفق أطباؤه لمعالجته بوضع (دود العلق)⁽²⁾ على جلده والذي صار يمتص دمه بكثرة وبشراهة أسلمته إلى حالة يرثى لها من الضعف والعجز نتيجة فقر الدم المفقود إلى أحشائها.

ظل (امبير) يصارع المرض والضعف زمناً طويلاً إلى أن أفل نجمه وطويت صفحته وتاقت روحه إلى لقاء بارئها فوافاه أجله المحتوم في ليلة باردة من ليالي عام (1836).
لقد أعجب (اللورد كلفن - Lord Kelvin) صاحب درجات الحرارة المطلقة المسماة

(1) ((سبحان ربك رب العزة عما يصفون)) سورة الصافات. الآية (180). (المترجم).

(2) leeches - وهي أحد أنواع الديدان الطفيلية (parasites) وكثيراً ما تستخدم لفصد الدم. وتنتمي إلى صنف الديدان المسطحة (Annelida) ومنها ما تعيش في التربة أو المياه المالحة أو المياه العذبة. لها جزء أمامي يسمى (الحظم - Oral Sucker) يلتصق بجسم الكائن المضيف، بعضها فقط يعتبر ماصاً للدم ولها قابلية إفراز مادة مخدرة كي لا يشعر بها المضيف، كما تفرز مادة مضادة لتجلط الدم تسمى (أنزيم الهايرويدن - Hirudin) وتسقط عن جسم المضيف من تلقاء نفسها متى ما امتلأت منه دمًا. (المترجم)

باسمه، أينما إعجاب بشخص (امبير) وبإنجازاته العلمية وبشخصيته المتوازنة والتزامه الديني الذي لم يكن يُشَقُّ لأي منها غبار وعمل جاهدا لتخليد ذكره ونجح فعلا بإطلاق اسمه تيمنا به واحتراماً له وتقديراً لصاحبه على وحدة التيار الكهربائي، والتي صارت منذ ذاك تعرف بوحدته (الامبير - Ampere) تبجيلاً له.

لقد أُضيف اسم امبير كذلك إلى سجل الخالدين حينما نُقش مع أسماء العلماء الفرنسيين الاثنين والسبعين الذين زين بهم العالم الفرنسي والمهندس الجليل (جوستاف ايفل - Gustave Effel) روافد برجه الشهير في باريس والذي يحمل اسمه إلى اليوم (كبرج ايفل). انظر كذلك مدخل - قانون كولوم للكهربائية المستقرة - في الجزء الثاني من هذا الكتاب. كتب (اوريلي - O'Reilly) و (والش - Walsh) تخليداً لأهمية العبقرية التي حملها (راس امبير) فوق كتفيه ما يلي:

((لم يُعجب القرن التاسع عشر رجالاً اثار الجدل والاهتمام أكثر من (اندرية - ماري امبير)... والذي يوصف اليوم وبحق بكونه الموجد الحقيقي لأسس وتطبيقات علوم الديناميكية الكهربائية. لا يعاب على (امبير) نشأته المتواضعة الخجولة الهادئة في صباه... لأنه استطاع بعد ذلك تجاوز ذاته وجاهد على تطوير إمكانياته... حتى صار من أوسع الرجال اهتماماً وأغزرهم اطلاعاً وأكثرهم إنتاجاً فكرياً وتطبيقاً وفي حقول متعددة من العلوم وفي مجالات ثرة من مجالات الحياة... لقد وصفه (دومنيك اراكو - Dominique Arago)⁽¹⁾ ذات مرة وبإعجاب شديد لاكتشافه طبيعة ظاهري الكهرباء والمغناطيسية بقوله: لم يشهد تاريخ العلوم الفيزيائية - على طوله وثرأه تاريخه - ما شهدته لاكتشاف (امبير) المبدع، فلم يسبق أن مر له في سجلاته مثل ذلك

(1) Dominique Arago - [فرانسوا جين دومينيكا اراكو] (1786-1853) Francoise Jean [Francois Jean] رياضي وفيزيائي وفلكي وسياسي فرنسي (من مقاطعة كافا لونيا). كان أكبر أربعة أولاد لمدير مكتب ضرب المسكوكات. هاجر إلى الولايات المتحدة وصار جنرالاً في الجيش المكسيكي، أعجب سلاح المدفعية وحاول تعيين (خطوط الزوال). (المترجم).



الإنجاز اللامع الذي استطاع أن يحوز على كل ذلك الفهم ويتمتع بكل تلك التجارب والإثباتات وأن يتم كل ذلك بسرعة قياسية، كما تم (لامبير) وقانونه)).

لقد ساورت (أمبير) بعض الشكوك والترددات بخصوص صلابة إيمانه خلال الفترة المظلمة والرهبة التي صاحبت الثروة الفرنسية، ولكنه استطاع - (حسب ما ذكره أورلي ووالش) - أن يستعيد رباطة جأشه ويعيد نور الإيمان إلى قلبه حتى صار من أعلام الكاثوليكيين الأصحاء في زمانه، فلم يكن قد أمضى يوماً دون الذهاب إلى الكنيسة للصلاة أو التفكير في ذلك، أما أحب صلواته إلى قلبه فكانت صلاة (روزاري - Rosary)⁽¹⁾

مصادر إضافية وقراءات أخرى:

- Darrigol, Olivier, *Electrodynamics from Ampere to Einstein* (New York: Oxford University Press, 2000).
- Hofmann, James, *André-Marie Ampère: Enlightenment and Electrodynamics* (New York: Cambridge University Press, 1996).
- James, Ioan, *Remarkable Physicists: From Galileo to Yukawa* (New York: Cambridge University Press, 2004).
- Maxwell, James Clerk, *A Treatise on Electricity and Magnetism*, (London: Macmillan, 1873).
- O'Reilly, Michael, and James Walsh, *Makers of Electricity* (New York: Fordham University Press, 1909).
- Williams, L. Pearce, "Andre-Marie Ampere," in *Dictionary of Scientific Biography*, Charles Gillispie, editor-in-chief (New York: Charles Scribner's Sons, 1970).

أفكار فلسفية وآراء للمناقشة:

- يتفق الجميع أنه لا يوجد في صلب أي قانون، وإن أمعنا في تشريحه ودراسته ما ينم عن السببية حول الظاهرة التي يفسرها [أي (لم) هي هناك و/أو (لم) تتصرف كذلك]، وإن كان يعوي بين طياته

(1) Rosary Based Prayers - هي صلاة وتراويل كاثوليكية رومانية تقام باستخدام (المسبحة) لمجد عيسى المسيح (عليه السلام) وأمه البتول مريم العذراء (عليها السلام) والآب. أو جدهما الأب البابا (بيوس الخامس Pius V)، في القرن السادس عشر من خمسة عشرة (خريزة أو حبة) كل حبة تترنيلة وظلت كما هي حتى القرن العشرين حتى جاء البابا (جون بول الثاني - Pope John Paul II) والذي زاد على حباتها ولم يحذف من أصلها. (المترجم).

أكثر من مجرد وصف لهذه الظاهرة أو تلك.

يتفق الجميع على صحته لأنه - وبما جُبل عليه وبالنظر لوضوحه - جميل ورشيق وبسيط. ولكن لا أحد يتفق على إطلاق صلاحية كل قانون واكتمال سرمديته في كافة الحالات، وعلى مر الأزمان والأمكنة مطلقاً. هناك على الدوام شيء ما من عدم الدقة يكتشفه (أو لنقل مقداراً من قلة الحقيقة داخله)، وهناك دائماً شيء باق من هالة الغموض حوله والتي ستظل تؤكد لنا وعلى مر العصور وباستمرار نضج الأفكار وتطورها بأن هناك دائماً ما يمكن إضافته إلى هذا المبدأ، أو عمله لتحسين تلحم القاعدة... أو إضافته لتصبح ذلك القانون... ما دام الإنسان حياً.

كليك

James Gleick, Genius, Life & Science of Richard Feynman

quoting Richard Feynman's The Character of Physical Law

من اقتباس في كتابه (العبقري: حياة وعلم ريتشارد فاينمان) عن كتاب (صفات القانون الفيزيائي) ليفنمن.

• لا بد أن يكون القانون العلمي قابلاً للاختبار والقياس من حيث المبدأ، ولكن ليس عليه بالضرورة أن يكون خاضعاً لهما عملياً، آخذين بنظر الاعتبار حدود وإمكانيات قابلياتنا التكنولوجية فليس من المستغرب - أحياناً - أن يتطلب منا إثبات نظرية... أو التحقق من قانون فيزيائي مرور عقود عديدة. والحقيقة التي أمامنا تؤكد لنا أن النظرية الذرية - التي بين أيدينا اليوم - كانت قد احتاجت إلى قرون لإثباتها وإقرارها.

سيكفريد

Tom Siegfried, (A Great Unraveling), New York Time Book Review, September 17, 2006.

من كتابه (الكشف العظيم).

• كلانا على يقين أن هناك ملايين من القراء الذين هم على استعداد لتأكيد تفهمهم واستفادتهم من قراءة روائع (سكبير)... دون أن يكون لديهم أدنى استعداد (لتضييع) أوقاتهم وما قد يحصلون عليه من جراء اطلاعهم على... أو سماعهم ب... قانون الكيمياء هذا أو معادلة الفيزياء تلك... وقد أوفقت الرأي تماماً على استحالة الاستفادة من أي منهما في زيادة حصيلة مضارباتك في أسواق



الأسهم - (لأنهما ببساطة مهتمان بالكشف عن أسرار الكون التي لا يزال يحفظ لنا بالكثير منها إلى اليوم والتي لن يؤثر إلا جزء صغير منها في حياتك مباشرة) ... ولكن إذا ما كنت على اطلاع ضئيل على القانونين الأول والثاني (للديناميكا الحرارية) فإنك حتماً ستوصل من خلالهما - وعن يقين - إلى الاستنتاج بأن أي استثمار في مجالات الآلات الحرارية (دائمة) الاشتغال سيكون ضرباً من الانتحار.

انكرام

Jay Ingram, The Barmaid's Brain and Other Strange Tales from Science.

مقتطف من كتبه (عقل النادل... وقصص علمية غريبة أخرى).

• ليس لدينا أي مبرر للمطالبة أو افتراض ضرورة زيادة مقدار دقة أي قانون فيزيائي عن جزء واحد من (10) مرفوعة إلى (القوة 120) من الأجزاء. لأن أي القانون وعند مقدار (دقة) أكبر من القيمة الهائلة المذكورة سوف لن يمثل إلا هراء.

دافيز

Paul Davies, Laying Down the Laws, New Scientist.

من مقالاته - صناعة القوانين.

قانون أوم للمقاومة الكهربائية

OHM' LAW OF ELECTRICITY

1827، ألمانيا

تناسب شدة التيار الكهربائي المار خلال أي موصل طردياً مع قوته الدافعة الكهربائية، وعكسياً مع مقاومة ذلك الموصل.

مجاور ذوات علاقة

قانون رولاند (ROWLAND'S LAW)، وقانون بويسيل لانسيابية الموائع (POISEUILLE'S LAW OF FLUID FLOW)، وقانون فورير للتوصيل الحراري (FOURIER'S LAW OF HEAT CONDUCTION)، وجيمس كلارك ماكسويل (JAMES CLERK MAXWELL)، وهمفري ديفي (HEMPHRY DAVY)، وإسحاق نيوتن (ISAAC NEWTON)، وجوزيف هنري (JOSEPH HENRY)، وعائلة برنولي (THE BERNOULLI FAMILY).

من أحداث عام 1827

— توفي في هذه السنة كل من المؤلف الموسيقي الألماني العبقرى لدوفك فون بتهوفن، (Lodwick Von BETHOVEN) والشاعر الإنجليزي الفذ وليم بلاك (William Black).
— تم توحيد شركتي نقل سكة حديد بلتيمور (Baltimore) وأوهايو (Ohio) فأصبحتا شركة واحدة (B & O) وهي الأولى من نوعها التي استطاعت تقديم كل خدمات النقل التجاري والشحن البري في كامل أنحاء أمريكا الشمالية.

نص القانون وشرحه

يُفصح (قانون أوم) عن نفسه بعدة أشكال، ومن بين تلك الأشكال نصه الصريح على تناسب كمية التيار الكهربائي المنتظم (I) في أي دائرة كهربائية: طردياً مع الفولتية (V) والتي تسمى أيضاً



(القوة الدافعة الكهربائية – The Electromotive Force) المسلطة عليها لتخطي مقاومتها، وعكسياً مع قيمة تلك المقاومة (R)، وعليه يمكن صياغة قانون أوم بالشكل الآتي:

$$I = V/R$$

لقد أثبت قانون (أوم) الذي تم اكتشافه في عام (1827) صموده وصحة توقعاته وعلى مديات واسعة من التجارب التي شملت قائمة طويلة ومتنوعة من المواد. فعلى سبيل المثال وكما توضحه المعادلة أعلاه، فإن في مضاعفة قيمة فرق الجهد الكهربائي (Potential Difference – V) والذي قد يسمى أيضاً بمقدار الفولتية أو مقدار القوة الدافعة الكهربائية (Electromotive Force) على نهايتي وصلة سلك، (والمقاس بوحدة الفولت) فإن كمية التيار الكهربائي (I) المار خلاله ستضاعف أيضاً. وعليه فإن مضاعفة قيمة مقاومة ذلك السلك (مع الاحتفاظ بقيمة القوة الدافعة الكهربائية أو الفولتية على نهايتيه ثابتة) ستؤدي إلى اختزال مقدار التيار الكهربائي المار خلاله إلى النصف. علماً أن وحدة المقاومة هي (الأوم) نسبة إلى اسم المكتشف.

لقد أثبتت مئات التجارب وآلافها ثبوت قيمة مقاومة المواد المختلفة وضمن نطاق واسع من قيم (القوى الدافعة الكهربائية) ومقادير التيار المارة خلالها على شرط ثبوت درجات حرارتها. وتنطبق هذه المعادلة في حالة وجود التيار الكهربائي المتردد أيضاً شريطة إجراء بعض التعديلات المناسبة على متغيراتها. فعلى سبيل المثال ينطبق (قانون أوم) على تصرف دائرة كهربائية يكون مصدر قوتها الدافعة الكهربائية (فولتية مترددة AC Current) ويمكن استخدام ذات القانون ($I=V/R$) ولكن باعتبار معدل الجذر التربيعي [Root Mean Square (rms)] لكل من القوة الدافعة الكهربائية (V) والتيار (I). ومن تعريف التيار الكهربائي المتردد (AC) نتوقع تغير مقدار القوة الدافعة الكهربائية (V) على طرفي المقاومة في دوائره، بأسلوب جيبي منتظم (Sinusoidal) متوافق تمام التوافق مع التيار المار بها. وبعبارة أوضح فإن كلا الفولتية والتيار سيصلان إلى نهايتهما العظمى والصغرى بتوافق تام وفي ذات التوقيت.

وبالمفهوم نفسه وبإضافة بعض التعديلات، يمكننا تطبيق قانون أوم (بعد إعادة صياغته) على

القوى الدافعة المغناطيسية (Magnetomotive Forces) والتي نواجهها في الظواهر التي تؤدي إلى نشوء الحقول المغناطيسية. وبصورة عملية، يمكننا تحويل القانون قليلاً حتى يمكن تطبيقه على قيمة النسبة الثابتة ما بين القوة الدافعة المغناطيسية (mmf) ومقدار الفيض المغناطيسي (Magnetic Flux) المقاس ضمن دائرة مغناطيسية معينة. فعلى سبيل المثال يمكننا إعادة صياغة (قانون أوم) السابق للقوى الدافعة الكهربائية وتحويله إلى (قانون أوم) للقوى الدافعة المغناطيسية بإبدال رموزه الكهربائية إلى رموز مغناطيسية وعلى الشكل الآتي:

$$\text{mmf} = \Phi \mathfrak{R}$$

حيث تمثل mmf - القوة الدافعة المغناطيسية لحقل مغناطيسي معين

و Φ - مقدار قيمة الفيض المغناطيسي لذلك الحقل.

و \mathfrak{R} - (المعارضة - Reluctance) وهي مقدار ميل الحقل المغناطيسي لفقدان

مغناطيسيته أو مقدار مقاومة حقل ما لاكتسابها.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا هو وجود اختلاف جذري بين ما بين تطبيق (قانون أوم) على الدوائر الكهربائية وما بين تطبيقه على الدوائر المغناطيسية، فمن المعلوم أن مقدار معارضة (Reluctance) أي مادة لتغيرات الفيض المغناطيسي المفروضة عليها تتغير بتغير شدة تركيز ذلك الفيض المار خلالها، الأمر الذي يجعل من العلاقة السابقة ($\text{mmf} = \Phi \mathfrak{R}$) علاقة لا خطية. ويمكن تقريب التعبير إلى ذهن القارئ الكريم، بتصورنا ما يحدث في دائرة كهربائية اعتيادية، ينطبق عليها قانون أوم السابق ($V=IR$) مع إبدال المقاومة (R) الثابتة إلى مقاومة متغيرة (R) تتغير بتغير منسوب التيار الكهربائي المار خلالها. يطلق على المعادلة السابقة ($\text{mmf} = \Phi \mathfrak{R}$) والتي تعني (مساواة القوة الدافعة المغناطيسية في دائرة مغناطيسية ما لحاصل ضرب مقدار كثافة الفيض المغناطيسي فيها مع مقدار معارضتها لاكتسابه)، اسم (قانون رولاند - Rowland's Law) وذلك نسبة إلى العالم [هنري أوغسطس رولاند (Henry Augustus Rowland (1848-1901)] والحاصل على مركز الأستاذية الأول في الفيزياء من جامعة جونز هوبكنز (Johns Hopkins) الأمريكية والذي عُرف



بكونه عالماً تجريبياً لامعاً أجرى العديد من الأعمال والاختبارات شملت حقلي الكهرباء والمغناطيسية.

كما أن هناك (قانون أوم) آخر خاص بالتأثيرات الصوتية، والذي يربط العلاقة ما بين الضغط الذي تسببه الموجات الصوتية (Sound Pressure) وما بين الحث الصوتي للهواء (Acoustic Impedance) ومقدار إزاحة جزيئاته (Particle Velocity) وشدة الصوت (Sound Intensity). يعنى بالإزاحة الجزيئية عندما يتعلق الأمر بالموجات الصوتية العابرة خلال الهواء - سرعة جزيئات الهواء فيذبذبتها ذهاباً وإياباً في اتجاه مرور الموجة الصوتية عندما تعبر في سفرها خلال الهواء.

وقبيل الاسترسال في بحثنا بخصوص (قانون أوم) وتطبيقاته، لابد لنا من إيضاح بعض المصطلحات لتعم الفائدة الشروع والاستفاضة. فخذ على سبيل المثال مصطلح (المادة الموصلة Conductor) الذي غالباً ما يستخدم لإيضاح وتفسير القانون المذكور، وهي تعني ذلك الجزء المحدد من الدائرة الكهربائية التي سيتم قياس القوة الدافعة الكهربائية (أو الفولتية) على طرفيه. ونعني بالمقاومات (Ressitors): مواد موصلة (Conducors)، عملها الأساسي تقليل انسيابية الكهرباء عبرها لمقدار محدد. وإذا أردنا التوضيح بمثال فسنقول إن مقاومة معينة لها قيمة (مقاومة عالية) في حدود 20 ميكا أوم (أي 20 مليون أوم) تعتبر موصلاً رديئاً للكهرباء. وفي عالم الإلكترونيات الحديثة صارت (المقاومات) غالباً ما تصنع من مواد نانوية التركيب من أنواع اللافلزات بطريقة تجعلها تامة الانصياح (لقانون أوم). وقد يطلق اسم (مواد-أوم-أو قطع-أوم) على الكثير من المواد والمقاومات المصنوعة من الفلزات أو اللافلزات والتي لها قابلية التصرف ضمن نطاق ذلك القانون وضمن حيز واسع جداً ومديات متفاوتة ومتباينة من درجات الحرارة. ومن الجدير بالذكر تمكن كل من العالم الفيزيائي الاسكو تلاندي [جيمس كلارك مكسويل (1831-1879) James Clerk Maxwell] والعالم الرياضي الاسكو تلاندي [جورج كرايستل (1851-1911) George Chrystal] لاحقاً من إثبات حقيقة صحة (قانون أوم) حتى بلوغ التيارات الكهربائية درجاتها القصوى القادرة على قطع وصهر الأسلاك الكهربائية في دوائرها.

تُعرَّف المواد (الأومية - Ohmic Materials) بأنها المواد تامة الانصياح (لقانون أوم) المذكور بأنها تلك المواد التي لا علاقة لمقاومتها المنصوص عليها في القانون ($I=V/R$) لا بالتيار المار في دوائرها الكهربائية ولا بالقوة الدافعة الكهربائية لها. بعبارة رياضية فإن أي موصل لا يعتبر خاضعاً لـ (قانون أوم) ما لم يكن منحني علاقة قوته الدافعة الكهربائية - أي فولتيته - بتياره علاقة خطية تامة، وعليه يمكننا الاستنتاج أن العلاقة المعروفة بـ ($R=V/I$) للمقاومة، لا تمثل بذاتها إحدى علاقات (قانون أوم) وإنما تعني - وبأبسط صورها - تعريفاً للمقاومة في دائرة موصلة سواء انصاعت تلك الدائرة لذلك القانون أم لا. وعليه أيضاً ويرسم منحني علاقة القوة الدافعة الكهربائية بالتيار المار في لمبة إضاءة مصباح اعتيادية، تستنتج عدم خضوع (شعيرتها) المتوهجة لهذا القانون بالنظر لعدم تمتع المنحني المرسوم لها بالصفة الخطية.

ولنا في سياق الحديث هنا أن نخرج على علاقة المقاومة بدرجة الحرارة التي تهتم العلماء كثيراً في دوائرها الكهربائية على اختلاف أنواعها وتغاير غاياتها، رغم الحقيقة القائلة إن هذا النقاش لا يعتبر من جوهر حقيقة (قانون أوم) موضع البحث.

ولنا هنا - وكما رجعة بسيطة - أن نقول: إنه بزيادة درجة حرارة أي موصل فإن عدد الاصطدامات الحادثة ما بين جزيئاته وذراته سوف تزداد (أي أن العلاقة بينهما طردية). وبالاستناد إلى النموذج الكلاسيكي لأسلوب التوصيل الكهربائي، فإن مقدار مقاومة أي جسم موصل للكهرباء يتناسب عكسياً مع معدل طول خط المسار الحر (للإلكترونات في ذلك الموصل) الفاصل ما بين ذراته المتصادمة. وكما نعلم فإن ازدياد درجة حرارة موصل ما سيؤدي حتماً إلى زيادة شدة تذبذب ذراته، الأمر الذي يعني - بالضرورة - إنقاص مدى معدل المسار الحر للإلكترونات في مجال حركتها، الأمر الذي سينعكس وجوباً على زيادة مقاومتها. وهذا سيؤدي أيضاً إلى تقلص قابلية سريان الإلكترونات دون ملاقاتها للتداخل والإعاقة نتيجة اصطداماتها المتعددة بذرات وجزيئات مادة السلك الموصل ذاته لدى ارتفاع درجة حرارته. أما اليوم، وبرغم نجاح (النظرية الكلاسيكية) للتوصيل السابق شرحها في التنبؤ بتفاصيل (قانون أوم) إلا أنها كانت ومنذ زمن، قد أخلست موقعها لنظرية أكثر حداثة ودقة في تفسير ظاهرة التوصيل، تعتمد كلياً على مبادئ (ميكانيكا الكم Quantum



(Mechanics) وهي بالفعل أكثر دقة في تفسيرها لاعتماد ظاهرة المقاومة على درجات الحرارة.

تعتمد مقاومة (مواد أوم) على درجة الحرارة بطريقة يوضحها القانون الآتي:

$$R = (L/A) \times \rho = (L/A) \times \rho_0 [\alpha(T - T_0) + 1].$$

وهنا يمثل L - مقدار الطول الثابت للمادة الموصلة

و A - مقدار مساحة مقطعها

و T - درجة حرارتها مقاسة بدرجات (كلفن) المطلقة.

و T_0 - أي درجة حرارة ابتدائية يشرع منها القياس

و ρ و α - ثابتان يعتمد في مقداريهما على مواصفات المادة الموصلة ذاتها.

(راجع الجدول رقم 7 في أدناه للتعرف على بعض قيم قابلية المقاومة - Resistivity ρ)

وبعض (معاملات الحرارة - Temperature Coefficients α) لبعض المواد).

Material	Resistivity ρ at 20°C (Ω.m)	Temperature Coefficient α at 20°C (per °C)	إسم المادة
Silver	1.6×10^{-8}	3.8×10^{-3}	الفضة
Copper	1.7×10^{-8}	3.9×10^{-3}	النحاس
Aluminum	2.8×10^{-8}	3.9×10^{-3}	الألمنيوم
Tungsten	5.5×10^{-8}	4.5×10^{-3}	التنكستن
Iron	10×10^{-8}	5.0×10^{-3}	الحديد
Lead	22×10^{-8}	4.3×10^{-3}	الرصاص
Mercury	96×10^{-8}	0.9×10^{-3}	الزئبق
Carbon	3.500×10^{-8}	-0.5×10^{-3}	الكربون
Germanium	0.45	-48×10^{-3}	الجرمانيوم
Silicon	640	-75×10^{-3}	السليكون
Wood	10^8 to 10^{14}	-	الخشب
Glass	10^{10} to 10^{14}	-	الزجاج
Hard rubber	10^{13} to 10^{16}	-	المطاط الصلب

توجد اليوم الكثير من المواد المصنعة التي تبلغ قيمة مقاومتها الكهربائية (صفرًا) عند حد

درجة حرارة معينة تسمى [درجة حرارتها الحرجة - T_c (Its Critical Temperature)],

ويطلق على هذه الظاهرة اسم ظاهرة (التوصيل الفائق - Superconductivity) والتي

كان قد اكتشفها في عام (1911) العالم الفيزيائي الدنماركي الحائز على جائزة نوبل (هيك كمرلنك أو نر (1853-1926) (Heike Kamerlingh Onnes). وتبلغ تلك الدرجة التي يصبح فيها معدن الألمنيوم مثلاً، فائق التوصيل للكهربائية، بمعنى تصبح مقاومته لمرور التيار الكهربائي خلاله صفرًا تمامًا، (1.2) درجة حرارية مطلقة على مقياس كلفن. وتجد تلك الظاهرة الفريدة التفسير المقنع ويمكن فهمها بالاستناد إلى نظرية (ميكانيكا الكم - Quantum Mechanics) أو (ميكانيكا الكم) إن شئت.

لقد تطور حقل دراسات المواد فائقة التوصيل للكهرباء (Superconductivity)، وتمكن العلماء ببحوثهم الحديثة المستمرة من إيجاد مواد فائقة التوصيل للكهربائية وبدرجات حرارة عالية نسبياً، الأمر الذي دفع (أنطوني أندرسن Antony Anderson) إلى كتابة مزحته الآتية في مجلة (نيوسينست) وتوقعه لواقع حال اختفاء (الأوم - Ohm) في المستقبل نتيجة لانتشار وتوسع استخدام المواد فائقة التوصيل حين قال:

((سيأتي - إن عاجلاً أم آجلاً - اليوم المنشود الذي ستلاشى فيه المقاومة الكهربائية من جميع الماكينات والمعدات التي تعمل بالمحركات الكهربائية وستصبح وصلاتها مثالية وبلا أدنى مقاومة، وعندئذ سنقوم فرحين بوضع (الأوم) بعد نزاع كبريائه عنه على الرف، فلن يتمكن بعد ذلك من مصاحبة رفيقي دربه الأزليين (الفولت) و(الأمبير) وسيعم الخير علينا ولن ندفع فواتير كهرباء باهظة وإنما سندفع (ملاليم) و(أفلاس) قليلة في حين ننعيم بحياة (كهربائية) فاخرة في عالم أحلام - لا أروع ولا أبده -، ولكنني على يقين من ضرورة احترازنا وحرصنا على أن (لا ننفي) الأوم المسكين بعيداً ولا نطمسه عميقاً فقد نحتاجه لسبب أو لآخر هنا أو هناك، وواقع الحال سينبئنا بحاجتنا إليه عندما ستحيط بنا درجات الحرارة المدتنية جداً (واللازمة لإدامة ظواهر التوصيل الفائق) من كل جانب وصوب، عندها سنتذكر عزيزنا (الأوم) وسنهرع إليه لإعادته إلى أحضاننا فسنكون عندها في أمس الحاجة إليه معنا في شتاء بارد جنب مدفأة زيتية ساخنة أو نلفه بحب وشوق في داخل أعطينا الكهربائية الحانية)).



إن لقانون (أوم) أهمية كبرى في تقدير مدى خطورة تعرض الجسم البشري لحالات الصعقات الكهربائية على اختلاف مصادرها وأنواعها ويمكننا القول - بصورة عامة - إن خطورة أي صعة كهربائية على الحياة واحتمال تسببها في الوفاة تعتمد على شدة التيار فهي تزداد بزيادته. تُحسب كمية التيار المار خلال الجسم البشري عن طريق حساب مقدار (القوة الدافعة الكهربائية المسلطة عليه) (بوحدّة الفولت) بين نقطتين من نقاطه مقسومة على مقدار مقاومته لها. وعليه يمكننا الاستنتاج أن مقدار ما يمكن لجسم بشري تحمله من (فولتية) كهربائية دون أن يتعرض إلى الموت بالفعل تعتمد بالدرجة الأساس على مقدار مقاومة الجسم لها، وتلك قيمة متغيرة من شخص إلى آخر وقد تعتمد على مؤثرات خاصة بالجسم الواحد كمثل وجود الشحوم في منطقة الصعة الكهربائية ومقدار كمية السوائل الموجودة في الجسم حينها، كما تعتمد على مقدار قابلية الجسم على التعرق (لأن العرق يحتوي على مادة ملح الطعام (كلوريد الصوديوم - NaCl) الموصلة أصلاً للكهربائية، وعلى مقاومة المنطقة التي تعرضت للصعة. ويعلم الأطباء أن السبب الرئيس للوفاة نتيجة التعرض للصعة الكهربائية ينتج عن القصور التنفسي (أو الاختناق) الناتج عن التداخل الكهربائي مع فاعلية عضلات التنفس في الصدر أو تأثيره على المركز التنفسي في الدماغ⁽¹⁾.

يزيد الجلد المبطل من احتمالية الصعة الكهربائية فمقاومته لا تكاد تبلغ الألف (1000 أوم) أو أقل، في حين قد تزيد مقاومة الجلد الجاف لها نتيجة لمقاومته العالية نسبياً لها والتي قد تبلغ ما يقارب الخمسمئة ضعف (أي 500000 أوم).

إن لمثل هذه المعلومات أهمية بالغة لدى الجهات المشرفة على عمليات الإعدام باستخدام الكرسي الكهربائي، وكما جاء ذكره في البحث المقدم من قبل (ميشيل اس. مورس - Micheal S. Morse) بعنوان (تقرير بالنتائج والتوصيات) بعد زيارة موقع العقوبات

(1) (أو الاثنين معاً) علماً بأن أهم مصادر الخطر على الحياة من جراء الصعة الكهربائية هو المتأني من تداخل الكهرباء الحاريجة مع الكهربائية المنتظمة اللازمة لتوليد وتنظيم ضربات القلب وإيصال الدم إلى الدماغ، الأمر الذي يؤدي إلى حدوث ارتجاف العضلة القلبية (Myocardial Fibrillation) وفشلها في توليد قوة الانقباض المنتظمة اللازمة لها لأداء عملها (المترجم).

المركزي في مدينة (ستارك - Starke) الواقعة في ولاية فلوريدا (FL) الأمريكية، حين كتب يقول:

((لقد قمت، بصاحبي السيد (وشرت - Wiechert) بالقيام بالعديد من الفحوصات على آلة الإعدام الكهربائية. ابتدأنا أعمالنا بإجراء الفحوصات وقياسات مقدار القوة الدافعة الكهربائية (الفولتية) ومقدار التيار الكهربائي الناتج عنها في الآلة. أمكن ملاحظة وجود إناء كبير مملوء بالماء، تغمر في داخله الأقطاب الكهربائية قبيل القيام بعملية الإعدام وذلك لغرض التقليل من مقاومتها لدى مساسها لجلد المحكوم عليه بالإعدام. كما قمنا فعلياً بقياس مقدار مقاومة نقطة تماس الأقطاب مع الجلد فوجدناها تساوي ما بين (200 و 250) أوم فقط وهذا ما يضعها في المجال المناسب لإيصال كمية الكهرباء اللازمة في حالة الجسم البشري كما تم مشاهدته فعلاً خلال جلسات الإعدام)).

ومن الفوائد الاقتصادية لتطبيقات حساب ودراسة مقدار المقاومة الكهربائية، استخدامها لقياس ومراقبة درجات التآكل المعدني التي تتعرض لها باستمرار الأنابيب المعدنية الضخمة المدفونة تحت الأرض وللملايين الكيلومترات حول الأرض أو تحت سطح البحار والمحيطات لغرض نقل أو تصدير النفط الخام ومشتقاته والغاز الطبيعي أو حتى لحماية الدروع المعدنية لبعض الأجهزة الحساسة تحت المياه مثل كابلات الاتصالات المحورية بين القارات. ويعتمد مبدأ تلك المراقبة على حقيقة تغير مقدار المقاومة الخالصة للأسطح المعدنية نتيجة لحسran جزء من كتلتها بتحويلها إلى أملاح هشة نتيجة التقادم و/أو الصدأ. وعليه فقد تم اختراع وتصميم أجهزة تعقب وقياس خاصة بمراقبة مقدار التآكل تزرع بصورة دائمة على الأنابيب المعدنية وعلى مسافات معلومة وتوصل أقطابها بمحطات مراقبة تُبنى خصيصاً لذلك الغرض لتوفير معلومات مستمرة عن حالتها. كما توجد أجهزة محمولة يمكن إيصالها كهربائياً بالأنابيب العملاقة لجمع وتحليل المعلومات عن سلامتها من التآكل و/أو التلف وعند اقتضاء الحاجة لذلك.

ولمزيد من الحقائق حول تطبيقات قانون أوم (أو مشابهاً له) في حقول العلم الأخرى.. راجع مدخل (قانون بويسيل لجريان الموائع - Poiseuille's Law of Fluid Flow)



لاحقاً للاطلاع على تفاصيل قانون مشابه لـ (قانون أوم) يتعلق بتطبيقاته على جريان السوائل خلال الأنابيب الأسطوانية ذوات المقاطع المنتظمة. وعند تطبيق (قانون بويسيل) سنرى أن هبوط ضغط المائع في الأنبوب سيثابه (هبوط الفولتية أو القوة الدافعة الكهربائية)، كما سيثابه معدل جريان السائل فيه كمية التيار الكهربائي المار عبر الأسلاك الموصلة.

الفضوليين فقط

- صادف الحظ وعلى مر الأزمنة والعصور أن يذوق كل ذي تفوق وإباء الأمرين... زاد ذاك المزار أم نقص!! لقد اكتشف (جورج أوم) واحداً من أعظم القوانين الأساسية في حقل الكهرباء أهمية على الإطلاق، إلا أن إهمال أصدقائه له واستخفافهم بأفكاره وأعماله، أودت به إلى برائن الفاقة يصارعها دون جدوى لأغلب فترات حياته، فتصرعه.
- لقد أطلق حساده وعذاله والمتعكزين على جهده التقوّل واللسان دون جهد الفكر والبيان على دوائره الكهربائية اسماً عكس احتقارهم لها ولموجدتها هو (دوائر الخيال العارية).

أقوال ماثورة

— لديّ اعتقاد راسخ وإيمان وطيد بأن عظمة أي شيء لا بد أن تكمن في بساطته.

أوم

George Ohm: quotel in Kenneth Canev (George Ohm)

قول مقتبس من سيرته الذاتية.

— يعتبر ما قام به (أوم) من الأعمال القليلة الخالدة عبر العصور والتي كان ولا يزال لها إمكانية الصمود والمطاولة لوحدها دون حاجة إلى مدافع ولا ضرورة لمعين. وكلما تقدم بنا الزمان —وابتداء من اليوم— فإننا سنزداد إعجاباً بهذا القانون وبدقته، وبرهافة فكر واضعه، واحترامنا له ولصبره ولروحه الملهمة، وذلك لرحابة المساحات التي استندت وتستند على

ذلك القانون الصغير القصير الذي يعتبر مناراً عالياً هادياً وعلماً سامقاً راسياً ما بقي على هذه الأرض نفس مدرك واع.

توك وود

Thomas Lockwood, 1891 preface to Ohm's (The Galvanic Circuit Investigated Mathematically)

من مقدمته لكتاب أوم القصير (الاختبارات الرياضية للدوائر الكهربائية الكلفانية).

ملخص لسيرة حياة المكتشف

ولد الفيزيائي الألماني [جورج يوهان أوم (George Johann) (1854-1787)] والشهير بأعماله الباهرة حول خصائص القوة الدافعة الكهربائية وطبيعة المقاومة في الدوائر الكهربائية، في مدينة (إرلانجن - Erlangen) من مقاطعة بفاريا (Bavaria) التي تقع اليوم ضمن الحدود الألمانية.

كان (أوم) واحداً من سبعة أشقاء ولدوا لصانع الأقفال الألماني (يوهان أوم - Johann Ohm)، لم يعيش منهم طويلاً إلا هو وأخوه (مارتن) الذي درس الرياضيات حتى برع فيها وأصبح أستاذاً، وأخته (اليزابث). لقد حرص الوالد الذي كان حرفياً ماهراً اكتسب صناعته بالمراقبة والممارسة، على تعليم أولاده خير تعليم فكان يقضي الساعات الطوال معهم يعلمهم (مع حبه لهم) أصول الرياضيات والعلوم والفلسفة. وبالنظر لمهارة الأب (يوهان) في التدريب وقدرته على حب أولاده وجذبهم إلى النهل من ينابيع المعرفة، فقد جرت العادة على مقارنة (عائلة أوم) (بعائلة برنولي) وهي عائلة سويسرية متميزة أنجبت ثمانية من فطاحل علماء الرياضيات خلال ثلاثة أجيال.

انخرط (أوم) في عام (1805) في جامعة مدينته (إرلانغن - Erlangen)، ولكن بدلاً من أن يقضي وقته في الدراسة الجامعية الجدية المثمرة، صار يقضي أوقاته في اكتساب الأصدقاء والتمتع بوقته كما يحلو للشباب أن يتمتعوا به. وهنا غضب أبوه عليه غضباً شديداً وقطع



عنه مساعدته المادية وأجبره على ترك تلك الجامعة التي كان (يقتل) فيها جل وقته، الأمر الذي اضطره إلى السفر إلى سويسرا لغرض العمل وكسب لقمة العيش. استطاع (أوم) بذكائه ومهارته في الرياضيات الحصول على وظيفة مدرس رياضيات في إحدى مدارس مدينة (كوتاستات بي نيداو - Gosttstadt bei Nydau). استمر فيها مع دأبه على الاستزادة من علوم الرياضيات ذاتياً كلما وجد إلى ذلك سبيلاً. وقد أثمرت دراسته الخاصة وتطويره لذاته سريعاً، فاستطاع أن يعود إلى جامعته في (إرلانغن) والحصول منها على إجازة الدكتوراه في الرياضيات في عام (1811)، والتي قُبِلته محاضراً في نفس المادة فيها أيضاً. لقد اضطر (أوم) خلال تلك الفترة إلى تجرع مرارة الحاجة والفقر بالنظر لضيق ذات اليد التي تولدت لديه نظراً للرواتب المتدنية التي كان يتسلمها من الجامعة حتى اضطر بعد ثلاث سنوات، وفي عام (1813) إلى قبول مركز أقل أهمية ووظيفة دون مستواه العلمي والأدبي في إحدى مدارس مدينة (بامبرك - Bamberg)، لا لشيء، سوى الحصول على أجور تدريسية أجزى. واستمر يعمل مدرساً في تلك المدرسة - على مضض - حتى تم غلقها في عام (1816).

وفي العام التالي (1817) أثمر بحثه عن عمل إلى حصوله على وظيفة مدرس للرياضيات والفيزياء في مدرسة التربية البدنية للآباء اليسوعيين في مدينة (كولون - Cologne)، ولقد كانت تلك المدرسة مكاناً لا بأس به من الناحية التدريسية بالنظر للخدمات والمرافق التي كانت تتحلى بها، إلا أن مستواها العام والمستوى العلمي لخريجيتها من الطلاب استمر في الاضمحلال خلال فترة وجود (أوم) فيها. وبالنظر لطموحه الشخصي وشخصيته التي جُبِلت على المثابرة والتعلم، فقد أثر الاستمرار في دراسته وتبعه على انفراد من خلال استغلال كافة أوقاته في التحصيل والقراءة ومتابعة الكتب المنهجية لأعلام علماء الرياضيات والفيزياء الفرنسيين، إضافة إلى قيامه ببعض التجارب الخاصة به لإثبات آرائه وأفكاره العلمية إرضاء لفضوله ونزواته وعلى انفراد؛

كتب (كنث كانيفا - Kenneth Caneva) حول تلك الفترة من حياة (أوم) في مدخله من المؤلف القيم (معجم سير العلماء الذاتية) ما يلي:

((لقد سأم (أوم) من كثرة محاضراته وتزايد طلابه ومشاكلهم. فلم يُرضِ التدريس أو الجو الروتيني في مدرسته طموحه ولم يشبع تطلعاته العلمية، فقرر حينئذ - وقد تقبل واقع حاله، من ضيق ذات اليد (وضيق ذات الوقت) - تبني فكرة العزوف النهائي عن الزواج والامتناع التام عن الانخراط في أعبائه كما قرر اللجوء إلى الجانب العلمي والانكفاء عليه والتفرغ تماماً له، حتى يتمكن من إثبات ذاته أولاً، وأن يقدم شيئاً قيماً للعالم من حوله ثانياً، على أن يكون ذلك الشيء من الصلابة والقوة وحسن القبول ما سيمكنه من تسنم مواقع وظيفية أكثر جدارة وفي محيط أكثر ملاءمة له وأنسب لطموحه ولكفاءته)).

لم يتمكن (أوم) من نشر أول بحث له إلا في عام (1825) وقد كان بحثاً رصيناً رائعاً ضمنه تجاربه الخاصة التي توصل من خلالها إلى إثبات كيفية توليد (القوة الدافعة المغناطيسية - Electromagnetic Force) في سلك وكيف لها أن تقل كلما زاد طول السلك الذي تكونت حوله. لقد تشبع (أوم) بالمغناطيسية وأفكارها حتى أوصله حده يوماً إلى الاعتقاد أن على التيار المار في سلك موصل أن يتناسب مع القوة الدافعة المغناطيسية التي تولده عبر ذلك الموصل. وفي عام (1826) تمكن من نشر بحثين له ضمنهما التفسير والبرهان الرياضي على أسلوب التوصيل في الدوائر الكهربائية بالاستناد إلى نماذج (فورييه - Fourier) وقانونه في التوصيل الحراري. (راجع المدخل قبل السابق من هذا الكتاب).

وأخيراً وفي عام (1827) ظهر (قانون أوم) منشوراً في كتابه الموسوم (اختبارات رياضية للدوائر الكهربائية الكلفانية - Die Galvanische Kette: Mathematisch Bearbeitet) وقد ناقش فيه نظريته الخاصة في الكهرباء وقدم الأسس والقواعد الرياضية الشاملة لكامل هذا الحقل من المعرفة، وبذلك كان قد وضع الأسس الرياضية التي أوصلت الرياضي والفيزيائي الألماني (كوستاف كرشهوف - Gustav Kirchhoff) فيما بعد إلى وضع القانون المعروف إلى اليوم باسم (قانون أوم) والذي ينص على تناسب كمية التيار الكهربائي المنتظم (I) والمار خلال مادة موصلة ما مع القوة الدافعة الكهربائية (V) المسلطة على طرفي تلك المادة وعكسياً مع مقدار مقاومتها (R). ومن الجدير بالاستدراك والذكر هنا أن العالم (همفري ديني -



(Hamphry Davy) كان قد درس وبحث صفات التوصيل لأطوال متغيرة من أسلاك، ولكن الفضل يرجع كاملاً (أوم) في تمكنه من صياغة القاعدة الرياضية والقيام بالتجارب العملية التي أوصلت إلى اتخاذ هذا القانون لشكله النهائي كقانون رياضي رصين.

لقد جرت أحواله وطموحاته إلى الاعتقاد بأنه بنشره لنظريته وقانونه سيكون محط أنظار الجامعات المرموقة التي ستهافت عليه لتقديم عروض العمل المغري له لديها، ولكن أمله خاب أشد الخيبة، وأصابه المرار واليأس؛ إذ لم تقدم أي جامعة بعرضها إليه، أضف إلى ذلك أن بحوثه وتجارب لم تمكننا من اقتناص حتى اهتمام الفيزيائيين الألمان أو تقديرهم له ولما قام به، بل على العكس من ذلك، وحسب ما أثبتته الأحداث فقد جزموا جميعاً بأن ما قام به (أوم) وما قدمه على أنه قانون جديد أو اكتشاف فريد، ما هو في الحقيقة - حسب رأيهم - إلا مكابرة رياضية قصد (أوم) من ورائها التقرب من مُسلمات فيزيائية وحقائق طبيعية - سبق التعرف إليها - بأسلوب ملتوٍ مختلف وبحنكة رياضية مبتكرة لا تخلو من خبث، ليس إلا!!

لقد بلغ اليأس (بأوم) من سوء استقبال معاصريه لفكرته وببذخهم لقانونه واحتقارهم لشخصه مبلغاً ألم نفسه، وجرح كبرياءه إلى العمق الذي حدا به إلى تقديم استقالته إلى عمادة كلية الآباء اليسوعيين في (كولون - Colonge) والتي كان يشغل منصب الأستاذية في الرياضيات فيها ولغاية عام (1828). لقد كان التطاول عليه شديداً والتجني عليه عتيداً إلى الدرجة التي حدا بواحد من منتقدي كتابه أن يكتب علناً في حقه مايلي:

((لا يعدو هذا العمل كونه جهداً شخصياً متزعج الجذور لا يمت إلى الفيزياء ولا للطبيعة

بصلة، بل وعلى العكس هو يسيء إليهما أشد الإساءة.. يهينها ويهين فيزيائيتها أشد

الإهانة وفي الصميم)).

أما وزير التعليم الألماني فقد قال كلمته الفصل، والتي كانت بمثابة المطرقة القاصمة الهوجاء، والضربة القاضية الرعناء على كل آمال الرجل وشخصه والطعنة النجلاء لكامل كبريائه وطموحه وذلك حين أعلن على الملأ: (إن أستاذاً بهذا القدر من الصفاقة وقلة الإدراك والذي سمح لنفسه بتجاهل مبادئ الطبيعة وعلوم الفيزياء لا يستحق وبكل بساطة أن يكون أستاذاً لتدريس العلوم!!).

نعم... لقد عاش (أوم) في فترة شهدت أوروبا وبريطانيا خلالها سوق عالم جليل مثل (إسحاق نيوتن) سوقاً إلى الجنون حينما انبرى إليه بضعة من الآباء الإنجليز اليسوعيين يناقشونه في نظريته في تكوّن ألوان الطيف، مدافعين عن جهلهم وآرائهم البالية متناسين نهضة الفكر ورجاحة العقل التي كان يزههم فيها، منتقصين من أدائه، مقللين من شأن تجاربه، مصممين على الاستمرار في نقاشهم مصرّين على ذلك مدة طويلة من الزمن دفعت نيوتن دفعاً إلى مهاوي الانهيار العصبي، بل وأوشك فعلاً على الجنون.

استمر (أوم) في صبره وكفاحه فتقدم في عام (1883) لمنصب الأستاذية في مدرسة البوليتكنيك في مدينة (نورنبرك - Nurenberg)، وقبّل بها وابتدأ دراساته وأبحاثه من جديد فيها، وواضح عليهما أملاً في الحصول على شيء من الاحترام أو التبجيل من قبل المجالس العلمية خارج التراب الألماني. داوم على ذلك، حتى أطلع الفيزيائي الأمريكي ذائع الصيت (جوزيف هنري (Joseph Henry (1878-1797) على أعماله، واعتبرها - بحق - طفرة علمية هائلة وقد أعجب بها أيما إعجاب بالنظر لدقتها العالية واتسامها بالوضوح والشفافية وعمق التفكير الذي امتازت به، والذي لا بد أن يعتبر إضافة نوعية، بل طفرة نادرة في مجال علوم الدوائر الكهربائية!

قيّمت أعمال (أوم) وأبحاثه أخيراً، بعد تلك الفترة المرة المظلمة في حياته، والتي عاش خلالها منسياً مروناً منطوياً على نفسه وأفكاره، وذلك بمنحه الميدالية الشرفية المسماة بـ (ميدالية كوبلي - Copley) وذلك في عام (1811) وتم الاعتراف به علماً، وبأعماله إبداعاً وذلك من قبل الجمعية الملكية ولكن بعد ثمان سنوات طوال عجاف من الجهد والمثابرة... تلك المدة التي كان بإمكانها سحق أي إنسان غيره أقل منه صبراً وجلداً وألين منه عوداً وشكيمة.

في عام (1843) انتقل اهتمام (أوم) إلى دراسة الأسس والمسلّمات الخاصة بعملية انتقال الأصوات وركز أبحاثه على دراسة طرق انتقال وتفسير الأصوات في الأذن البشرية وكيفية إدراكها لذلك الطيف المعقد المترامي من النغمات، ولكنه في طريقه لإنجاز ذلك، تعكز على سلسلة طويلة من الفرضيات الرياضية المعقدة وغير المبررة، الأمر الذي أذكى نزعة التكالب



و النقد عليه من جديد وبالأخص من قبل الفيزيائي (أوكست سيبك (1805-1849) (August Seebeck)⁽¹⁾.

وأخيراً تمكن (أوم) من تتويج آماله وتحقيق أحلامه قبل وفاته بسنتين اثنتين فقط أي في عام (1852)، وذلك بتسليمه كرسي الأستاذية في الفيزياء في جامعة (ميونخ - Munich).
لخصت (كنث كانيفا - Keneth Caneva) في مداخلها من كتاب (معجم سير العلماء الذاتية) حياة (أوم) بقولها:

((لقد كان لانطوائية (أوم) في شخصيته، والألمعية الساطعة في طبيعة أفكاره وإقدامه وصبره ومجالاته في عمله صفات أصيلة الجذور واجبة الحضور في كيان وفكر إنسان استطاع تحويل المجردات الرياضية إلى حقائق كيميائية ملموسة، ووقائع فيزيائية محسوسة تمكن من توظيفها ضمن القاعدة العريضة للكهرباء الكلفانية))⁽²⁾.

أما اليوم، فقد حفظ شرف (أوم) ومُجد تقديره بإطلاق اسمه على وحدة المقاومة الكهربائية وهي (الأوم). وتعرّف (الأوم) بأنها المقاومة الحادثة في (موصل) إذا ما ولد فرق جهد قوة دافعة كهربائية مقدارها (فولتاً واحداً)، تياراً ما بين وصلتيه مقداره (أمبيراً واحداً). ويتخذ (الأوم) رمز الحرف الإغريقي الأخير من أبجديته وهو (الأوميكا - Ω) دلالة له، وتعتبر وحدات الأوم والكيلوأوم [10 (عشرة تكعيب) Ω] والميكأوم [10 (عشرة مرفوعة إلى القوة السادسة) Ω] وحدات معروفة جداً وشائعة التداول والاستعمال ما بين مهندسي الكهرباء

(1) هو الأستاذ الدكتور الذي غالباً ما يذكر اسمه مقترناً بأبحاثه حول الأصوات وحاسة السمع. درس في جامعة دريزدن للتكنولوجيا (Technische University Dresden) وقدم أبحاثاً ثورية حول علاقة الترددات بالنغمة الأساسية وشدة الصوت. عارضت أفكاره (التي اكتسبت أحقية علمية لاحقاً) أفكار كل من (أوم - Ohm) و(هلمهولتز - Helmholtz) اللذان كانا قد نبّتها منظور (فورييه - Fourier) لتحليل الموجات. (المترجم).

(2) Galvanic Electricity - وتعني القوة الدافعة الكهربائية (ق.د.ك) والتيار المستمر الناتج عن البطاريات بكافة أنواعها، أو بواسطة المزدوجات الحرارية (Thermal Couples) والخلايا الشمسية ومكان توليدها المعروفة (بالمولدات - Dyn mos). وتنسب التسمية إلى (لوكي كالفاني - Luigi Galvani (1737-1798))، الطبيب والفيزيائي الإيطالي الذي عاش ومات في مدينة (بولونيا - Bologna) والذي تمكن في عام (1771) من اكتشاف اختلاج عضلات أفخاذ الضفادع الميتة عند مسها مشرارة كهربائية. ونفع بذلك ناب ما عرف لاحقاً (بالكهرباء الحيوية - Bioelectricity)، وهي اليوم أساس دراسات توليد وانتقال الإيعاز العصبي والتقلص العضلي ودراسة فسلجتها لدى الإنسان وبقية الأحياء، (المترجم).

والإلكترونيك، وكتقدير مضاف واعتراف آخر بفضل (أوم) وأعماله فقد أطلق اسمه على إحدى فوهات القمر بقطر (64 كيلومتراً)، وتمت المصادقة على تلك التسمية من قبل الجمعية العامة لاتحاد الفلكيين العالميين في عام (1970م).

لقد أنصف كاتب السير الذاتية المؤلف (رولو ابليارد - Rollo Appleyerd) أوم حينما قيّم أعماله، وعكس أهميتها على مجمل التقدم التكنولوجي والعلمي في حقل الكهرباء وحقول العلم الأخرى، حسب ما ثبته في كتابه الصادر في عام (1930م) بعنوان (رواد الاتصالات الكهربائية) والذي جاء فيه:

((منذ قرن مضى وحسب، لم يكن لشيء اسمه (علم وممارسة القياسات الكهربائية) أي وجود!! ما عدا استثناءات هنا، وشواذ هناك، فقد عملت المصطلحات العشوائية في مجالي شدة الكهرباء وكمياتها العارية عن الدقة والانضباط، إضافة إلى تداول الأفكار والآراء الفجة بخصوص ظاهرة التوصيل واشتقاق الدوائر التي لم تبلغ نضجها بعد، على تأخر تقدم بل وحتى تخلف البحوث والتجارب الكمية الكهربائية... ولكن برغم هذا التخبط وكل ذلك الارتباك أمكن ولادة الفكرة التي قلبت كل تلك الفوضى وكل ذاك التخبط إلى نظام جميل سائغ للعقل ولل فکر، حيث أمكن تحويل القياسات الكهربائية إلى أعظم العلوم والعمليات الفيزيائية دقة وأكثرها وضوحاً، مكنته من مد يد العون وتطوير كافة أوجه وفروع البحوث الكمية الكهربائية الأخرى. وما تم كل ذلك الظفر وما تَوَجَّح كل ذلك الانتصار إلا بجهود قيمة جليلة فذة، وعمل مستمر مضمّن خلاق من لدن شخص واحد اسمه [جورج أوم]).

وختاماً دعنا نطلع على روح الدعابة وخفة الظل والمرح التي قلما تجد لها نظيراً في تاريخ الكهرباء المعقد، وذلك بقراءة الوصف الفريد لمثالب وفوائد [المقاومة (الكهربائية بالطبع) ومن يستطيع أن يقصد غيرها!!] وعراياها الأستاذ الدكتور أوم.

((نعم لا أحد ينكر بعض المثالب، وحتى الأخطار التي يمكن أن تنجم عن... أو التي قد تسببها (المقاومة) عند مرور التيار الكهربائي خلال الأسلاك على اختلاف أنواعها وأشكالها، و/أو خلال الموصلات، الخطب الذي قد يؤدي إلى احتراقها أو احتراق أغلفتها البلاستيكية أو



طلاتها، كما يمكن أن تسبب في تصاعد الدخان والروائح الكريهة. ناهيك عن احتمال احتراق الدوائر الكهربائية وعطوبها و/أو ذوبان أجزائها المعدنية. ولكن من جهة ثانية دعنا نهدأ قليلاً ونفكر في أن ضياع فائدة الكبح الكهربائي الذي توفره لنا المقاومة، ودون الطاقة الحرارية والضوئية التي قمنا بإيها، ستكون كافة آلاتنا وكأنها قد تحررت من زمامها، وأفلتت من عقابها، وصارت تدور وتعمل بلا ضابط من احتكاك ولا كابح من حرارة، وكأن كفائتها قد تحررت من ضوابطها... ولهذا الأمر من خطورة الحال، وسوء المآل، ما يمكننا تشبيهه بإصابتها بحالة مماثلة لإصابة الإنسان بداء (الباركنسون)⁽¹⁾ بحيث لم تعد له سيطرة على دقة تحركاته ولا على براعة أدائه. أضف إلى كل ذلك أنه بذهاب المقاومة الكهربائية سنفقد وإلى غير رجعة متعة التذثر بالأغطية الكهربائية شتاء وتسخين المياه لتحضير فناجيل الشاي في أباريقها مساءً، كما سنتحسر على غياب لألأة المصابيح الكهربائية الحمراء الجميلة في أمسية عشاء رومانسية!!...)).

مصادر إضافية وقراءات أخرى

Anderson, Antony, "Spare a Thought for the Ohm," *New Scientist*, May 7, 1987; see www.antony-anderson.com/ohm.htm.

Appleyard, Rollo, *Pioneers of Electrical Communication* (London: Macmillan & Company, 1930).

Bueche, Frederick, *Introduction to Physics for Scientists and Engineers* (New York: McGraw-Hill, 1975).

Caneva, Kenneth, "Georg Ohm," in *Dictionary of Scientific Biography*, Charles Gillispie, editor-in-chief (New York: Charles Scribner's Sons, 1970).

Lockwood, Thomas, preface to "The Galvanic Circuit Investigated Mathematically" by Georg Ohm, Berlin, 1827; translated by William Francis (New York: D. Van Nostrand Company, 1891).

Morse, Michael S., "Report on Findings and Recommendations, Prepared Following Visit to Florida State Penitentiary at Starke, FL," Florida Corrections Commission, April 8, 1997; from www.fcc.state.fl.us/fcc/reports/methods/cemappa.html (website no longer accessible).

(1) Parkinson's Disease – Parkinsonism: متلازمة عصبية يعاني المصاب بها من الرُعاش (العضلي - Tremor) ووهن القوى (Hypokinesia)، وتصلب العضلات (Muscular Rigidity)، وعدم استقرار الهيئة والانتصاب (Po-tural Instability). أسبابها متعددة وتشخيصها معقد وقد تنتج عن الضور العصبي وبعض السموم، أو الأمراض الأيضية أو حتى بعض الأدوية مثل مضادات الكآبة ومضادات الدمان والعصاب. (المترجم).

أفكار فلسفية وآراء للمناقشة

• لم يتوصل أوم بنفسه إلى توصيف نتائجه التجريبية، ولم يتمكن مطلقاً من وضعها في الشكل الرياضي المحبك شديد الاختصار كما نعرفه اليوم، وهو تناسب الفولتية مع التيار ($V \propto i$) أو مساواة الفولتية لحاصل ضرب التيار في المقاومة ($V = iR$). وإغنا يعود الفضل في ذلك إلى العالم والفيزيائي الألماني [كوسلاف كرشهوف (1824-1887) Gustav Kirchhoff]، الذي استطاع أن (يستبصر) النور المظلم ما بين طيات تجارب (أوم) المعقدة وتمكن من إدراك الظاهرة العامة للتوصيل الكهربائي بالمنطق العلمي الحديث، وصاغ بموجب ذلك القانون أعلاه. ولكن برغم كل ذلك احتفظ العلم بحق (أوم) وبمجهوده، فلم تذكر منذئذ أي علاقة خطية تربط أي تيار بأي قوة دافعة كهربائية إلا وأطلق عليها اسم (قانون أوم).

ايسبرك وليرنر

Robert M. Eisberg and Lawrence S. Lerner. (Physics).

ما جاء في كتابهما (علم الفيزياء).

• دعنا نناقش -وبموضوعية مطلقة- ما ارتآه واقتراحه (أندريه ليندي - Andrei Linde) في احتمالية وجود أكثر من مجموعة واحدة من القوانين الكونية شمولية الصحة وعالمية التطبيق في كافة أرجاء الكون وإبدالها بفكرة وجود أكوان متعددة لكل واحد منها مجموعته الخاصة به من القوانين التي يتقاد إليها والنظريات الذاتية التي يعمل بموجبها، وكل كون من تلك الأكوان الكثيرة والكثيرة جداً (واللانهاية العدد) يختلف عشوائياً بكيانه ووجوده وقوانينه الفيزيائية ونظرياته عما سواه.. والآن وضمن هذه الفرضية الجامحة، ألا يستوجب علينا -منطقياً- أن نوقف أنفسنا إلى واقع الحال ونوقف عن (الحلم) الطفولي الساذج بتوقع الوصول إلى أي قانون فيزيائي كوني مطلق قابل للتطبيق فيها جميعاً؟!

والآن لنعد إلى لبّ الفرضية: أن مجرد افتراض كون فكرة الأكوان العشوائية اللامتناهية العدد هي فكرة إلهية، لا بد وأن يتضمن من المثالب الشيء الكثير بل هي فكرة مقبورة في مهدها لسبب واضح



بسيط جلبي ألا وهو أن العشوائية بعد ذاتها لا تمثل ولا تتبع من أي فكرة أصلاً، فضلاً عن كونها نتاج لتفكير الإله السليم (جل وعلا) ذاته.

بسك

Peter Pesic, (Bell & the Buzzer, On the Meaning of Science) Daedalus, Fall 2003

من مقالاته - في معنى العلوم.

• لعل من أهم خصائص (القانون الطبيعي)، بل أخالها الصفة الأبرز التي تجعلها قانوناً طبعياً عاماً، هي وجوب تحليه بصفة (الانزلاق) والتملص من بين أصابع يديك ومن خلال نتائج تجاربك كلما حاولت إحكام قبضتك عليه. عبارة علمية أدق... إن أدق ما يمكن أن يقال بشأن أي قانون كوني حصيف هو كونه لا يتجاوز مجرد (نظرية) أمكن إثباتها والتأكد من صحتها بعد إخضاعها للمئات بل وللآلاف من التجارب التي أمنت للجميع سلامة الركون إليها وتطبيقها والقبول بصوابها. ولكن احترس! عليك أن تعلم أنه لا يوجد ما هو (طبيعي) حقاً بشأن أي منها، إنها جميعاً عبارة عن صناعة بشرية بحثة وبامتياز.

Naw Scientist, (Editorial, Breaking the Laws), April 29, 2006

من مقالة للمحرر بعنوان (تخطيم القوانين). مجلة نيوزينتست.

• لا أستطيع - إطلاقاً - اعتبار العلم إلا عملاً تخريبياً مدمراً حتى النخاع!! (هذا ما صرح به (دايسن فريمن - Dysan Freeman) .. (واليك الدليل) ..

لا يهمني إن كان هؤلاء قد تعكروا - على العلم - أو استندوا إليه، ولا يهم إن كان ذلك تغيراً جذرياً لفكرة متأصلة كما قام به (هيزنبرك - Heisenberg) من إنهاء مبدأ السببية بتقديمه (نظرية ميكانيكا الكم - Quantum Mechanics). أو ما جاء به (كودل - Godel) بتدمير المسلّمات الرياضية التي نادى بها المبدأ الأفلاطوني الحقيقي، أو الدعوة العامة لآزدرء وتحقير، ومن ثم نبذ الروح الدينية والمبادئ السياسية، كما فعل (غاليليو - Galilio) و(أندريه سخاروف - Andrei Sakharov) ...، وذلك لأن الخلق العلمي (وفي ذلك أعني أن تتبع سجيكتك على هواها وأن تطلق العنان لأفكارك لتبلغ سماها) هو الخطر المدمر الأكبر لكافة النظم والصرور والمزعزع لشتى المنشآت

الفكرية على اختلاف أنواعها عبر العصور.

جونسون

George Hohnson, (Dancing with the Stars) New York Times Book Review

جزء مقتطف من كتابه (الرقص مع النجوم).

• ... بعد جهد جهيد وسفر شاق بين الأفكار والمعتقدات استقر رأي العالم على اتخاذ العلم مذهباً له... وبإله من مذهب، فكلما تعمقت في دراسة (حقائقه) العلمية، أيقنت بل وضدمت بكونها حالات وقتية طارئة لا تلبث أن تخلي محلها لغيرها... إن للحقيقة العلمية صفة تناسب العكسي مع مقدار الجهد الذي بذل للوصول إليها، وعليه نجد أن دورة حياة وأعمار اكتشافات منتصف وأواخر القرن العشرين لهي أقصر بكثير مقارنة بمخيلاتها من القوانين والأسس والمبادئ الأقدم في التاريخ. ولا نجد في الواقع سبباً حقيقياً لذلك إلا بكثرة الفرضيات (الجاهزة - أو التي ستجهز وتنضج بعد فترة وجيزة) والتي تستعد متأهبة لاستبدالها والحلول محلها.. ولكن إذا ما أطرقنا قليلاً أو فكرنا بعمق أكثر لإيجاد السبب المقنع الذي أدى إلى تكاثر وتراكم تلك الأعداد (الهائلة) من الفرضيات. فلن نجد إلا اتباع (الأسلوب العلمي) (Scientific Method) ذاته سبباً مباشراً لذلك.

برسك

Robert Pirsig, (Zen and the Art of Motorcycle Maintenance)

مقتطف من كتابه (زين وفن صيانة الدراجات).



قانون كراهام للتنافذ

GRAHAM'S LAW OF EFFUSION

أسكوتلندا، 1829  

تناسب معدلات تنافذ غازين عكسياً مع الجذر التربيعي لكثافتهما. تتنافذ (أي تختلط) الغازات الأقل كثافة - تحت درجات الحرارة عينها ومناسيب الضغط ذاتها - أسرع من مثيلاتها الأكثر كثافة.

معاور ذوات علاقة

جون دالتن (JOHN DALTON)، وميشيل فراداي (MICHAEL FARADAY)،
ويوهان دوبرينير (JOHANN DOBEREINER)، وقانون أفوكادرو للغازات
(AVOGADRO'S GAS LAW).

من أحداث عام 1829

- تم تحريم تجارة العبيد في المكسيك.
- مُنحت أول براءة اختراع أمريكية لأول آلة طباعة للأمريكي (وليم برت - William Burt) من ولاية ديترويت. وقد أطلق عليها في حينها اسم (Typographer).
- منحت الدولة العثمانية اليونان استقلالها.

نص القانون وشرحه

ينص قانون (كراهام) على تناسب تنافذ أي غاز عكسياً مع الجذر التربيعي لكتلة جزيئاته، بطريقة يحكمها القانون الآتي:

$$\frac{R_1}{R_2} = \sqrt{\frac{M_2}{M_1}}$$

حيث يمثل R_1 - معدل نفوذية أحد الغازات.

و R_2 - معدل نفوذية الغاز الآخر.

و M_1 - الكتلة العيارية (Molar Mass) للغاز الأول.

و M_2 - الكتلة العيارية (Molar Mass) للغاز الآخر.

ينطبق قانون (كراهام) على ظاهرتي (التنافذ - Effusion) و (الانتشار - Diffusion). ولا حاجة لنا للتأكيد هنا بأن الأحجام المتساوية من الغازات المختلفة التي تحتوي على ذات العدد من الجزيئات، وحسب (قانون أفوكادرو) للغازات، ستحتوي بالطبع على نفس عدد الأوزان العيارية (Moles) في اللتر الواحد، هذا على شرط خضوعها لعين ظروف درجات الحرارة ومناسيب الضغط. وعليه ستتناسب كثافة أي غاز طردياً مع كتلته العيارية [راجع تعريف وشرح المعنى العلمي لموضوع الأوزان العيارية (Moles) في مدخل (قانون أفوكادرو للغازات) كذلك].

تعرف ظاهرة التنافذ (Effusion) بأنها العملية التي تتحرك بموجبها جزيئات غاز (ما) خلال ثقب صغير جداً بحيث لا يسمح (نظرياً) إلا بمرور جزيئية غاز واحدة خلاله في المرة الواحدة. ويعتمد معدل التنافذ على الوزن الجزيئي للغاز المعني بالطبع. بمعنى أن الغازات ذوات الأوزان الجزيئية الخفيفة جداً (كالهيدروجين) مثلاً ستكون لها قابلية التنافذ بسرعة أكبر من تلك التي تتمتع بأوزان جزيئية أثقل، وذلك لسبب بسيط هو أن الأولى سيكون لها حرية التحرك بسرعة أعظم. وبإمكاننا فهم هذه الظاهرة ببسر، إذا ما تصورنا غازين مختلفين يتألفان من نوعين متغايرين من الجزيئات، ولكنهما يحملان المقدار نفسه من الطاقة الحركية (أي مخزونين تحت ذات ظروف درجات الحرارة ومناسيب الضغط)، وبالتعبير الرياضي:

$$E_1 = E_2$$

ولما كان $E_1 = 1/2 M_1 V_1^2$

و $E_2 = 1/2 M_2 V_2^2$

إذن $1/2 M_1 V_1^2 = 1/2 M_2 V_2^2$

$$M_1 V_1^2 - M_2 V_2^2$$

وهذا يعني أن باحتواء الغازين على القيم نفسها من كمية الطاقة الحركية، فإن الجزيئة الأخف (أي الأقل كتلة) لابد لها أن تسير بسرعة أعظم، حتى تتم مساواة المعادلة الأخيرة.



وعليه فإن البالون المملوء بالهواء الاعتيادي سيفرغ نفسه بسرعة أبداً من البالون المملوء بغاز الهيدروجين، لأن الغاز الأخير أخف، أي أن جزيئاته كتلة أقل.

تعرّف ظاهرة الانتشار (Diffusion) بأنها الطريقة التي تستعمل لتفسير أسلوب (انتشار أو تحرك) مادة ما خلال أخرى، كما ينتشر شذى عطر أخاذ في أرجاء صالة عشاء دخلتها لتوها أنيقة حسناء. ويصحّ على ظاهرة (الانتشار) ما صحّ على ظاهرة (النفوذ)، بمعنى قابلية الجزيئات الأخف كتلة على التحرك خلال الوسط بسرعة أعظم.

لقد تطرق أول بحث نشره (كراهام) في عام (1829) بالخصوص إلى شرح ظاهرة (الانتشار) في الغازات والذي ذكر فيه إمكانية مقارنة المعدلات النسبية (لانتشار) الغازات بالمعدلات النسبية (لنفوذيتها). وعلى الرغم من احتواء هذا البحث الذي صدر تحت عنوان (شرح مبسط للبحوث التجريبية الخاصة بانتشار الغازات خلال بعضها البعض والأساليب الميكانيكية لإعادة فصلها) على كل أساسيات ومبادئ قانونه، إلا أن ورقته الموالية التي نشرت في عام (1833) تحت عنوان (في سبيل قانون للانتشار الغازي) كانت قد تمكنت بالفعل من إيصال فكرته وتوضيح مراده وقد جاء فيها:

((تتم عملية الانتشار، أو ما يقصد بها عملية الامتزاج المتبادل ما بين غازين متماسين بتبادل مواضع وأمكنة كميات متناهية الصغر من حجوم كلا الغازين وإحلال جزيئات من أحدهما مكان الأخرى. ولا يشترط أبداً أن تتساوى أحجام الغازات المتبادلة ولكنها والحالة هذه لابد أن تتناسب عكسياً مع الجذر التربيعي لكثافتهما، بمعنى أن على التنافذ أو الإحلال أن يتم ما بين الوحدات الدقيقة والمتناهية الصغر من الغازات، لا أن يتم ما بين كتل محسوسة منهما)).

واعتقد (كراهام) أو لعله اقترح فعلاً بأن خير استخدام وأمثل استفادة من قانونه هي باستعماله لتعيين قيم (الجاذبية النوعية - Specific Gravity) للغازات بدقة كبيرة وهو بذلك كان قد تفوق على كل الطرق والأساليب المتوافرة آنذ. ويمكن كذلك -ومن خلال تجاربه على قياس تنافذ الغازات عبر ثقب صغير في قطعة معدن فاصلة بين حيزين مُحَكَمَيْنِ

يحتويان على غازين مختلفين - من إثبات التناسب العكسي ما بين سرعة إزاحة كل منهما مع الجذر التربيعي لكثافته.

وكمثال على ذلك دعنا نحسب معدل التنافذ (Effusion) النسبي ما بين غازي الهيدروجين [H_2] ووزنه الجزيئي (2) والنيتروجين N_2 ووزنه الجزيئي (28)، فبتطبيق قانون كراهام للجذر التربيعي العكسي سنحصل على:

$$\frac{R_H}{R_N} = \sqrt{\frac{28}{2}} = 3.74$$

وهذا يعني أنه بإمكان غاز الهيدروجين (الأقل وزناً جزيئياً) أن ينتشر (Diffuses) أو أن ينفذ (Effuses)، بمقدار (3.74) من المرات أسرع من غاز النيتروجين (الأكثر وزناً جزيئياً). وهنا وباستعمال القانون السابق سيكون باستطاعتك - وعن طريق التعويض المباشر - إيجاد قيمة الوزن الجزيئي التقريبي لأي غاز مجهول، إذا ما علمت معدل سرعة تنافذه النسبي مع أي غاز آخر يكون وزنه الجزيئي معلوماً لديك.

للفضوليين فقط

- لقد كان (كراهام) أول من صاغ مصطلح (غروي - Colloid) لوصف أحد أنواع المحاليل، كما كان من أوائل المبتكرين لطريقة الفصل بواسطة التنافذ الثنائي عبر غشاء فاصل بين محلولين (Dialysis)⁽¹⁾. وقد استعملها فعلاً لفصل (المحاليل الغروية - Colloids) عن (المحاليل الحقيقية - Crystalloids).
- وصف في أحد بحوثه المنشورة الأقل شهرة وتداولاً طريقته التي ابتكرها لتعيين مقدار نقاوة أكواب القهوة المحضرة تجارياً.
- لقد ظلت (الجمعية الألمانية لعلوم الغرويات) لسنين عديدة تمنح جائزة اسمها جائزة

(1) وهي عملية (الميز الغشائي). (المترجم)



(توماس كراهام - Thomas Graham) للإنجازات المتميزة في تقدم تلك العلوم، وتضمنت الجائزة -من ضمن ما تضمنته- مسكوكة ذهبية تذكارية.

• لقد ساعد (قانون كراهام للتنافذ) الولايات المتحدة الأمريكية على تحقيق هدفها في صناعة القنبلتين الذريتين اللتين ألقتهما على مدينتي هيروشيما و نكازاكي اليابانيتين ودمرتهما.

أقوال ماثورة

- لا توجد في الطبيعة انتقالات مفاجئة، ولا تحولات جذرية سريعة.. ولا يمكننا الفصل بين الأحداث والكائنات والأشياء بخطوط صارمة ولا تصنيفها ضمن مراحل جامدة محددة.

كراهام

Thomas Graham, describing crystalloid and colloid states of materials, in (Liquid Diffusion Applied to Analysis).

من وصفه للفرق بين المحاليل الحقيقية والغروية في مقالاته المنشورة بعنوان (ظاهرة التنافذ بين السوائل كأحد أساليب تحليلها).

- لقد أمضى (توماس كراهام) حياته في تصفح وقراءة كتاب الطبيعة بتمعن شديد وصبر جميل وكان كثيراً ما يُتحف العالم -بين الفينة والأخرى- بما تجود به قريحته وتتوصل إليه عبقريته من بنود المعرفة وجواهر الحقيقة التي كان يعثر عليها فيه. على المنصفين ألا يحدّوا تقييم هذا الإنسان ولا يُقصروا احترامه على ما جادت به قريحته من نافع العلوم ونفائس المعرفة، وإنما بطول الصبر وقوة الشكيمة وصلابة العزيمة التي تحلى بها ونذر عُمره في سبيلها، وجبّل نفسه على سجيته واتخذها نبراساً له ألهمته وأعانتته في تجاوز صعاب وتحقيق أهداف تجاربه الفلسفية النبيلة التي لم تكن لترى النور لولاها.

وليمسن

A.W. Williamson, (The Late Proferssor Graham), Nature November 4, 1869

مقتبسة من مقالة له في مجلة (نيتشر) بعنوان: البروفيسور كراهام.

- عُرف (توماس كراهام) بكونه رجلاً متردداً شديد الخجل والحياء، أمضى جلّ حياته بين دوارق المختبرات وأنابيها، ولم يكن له قبلاً في الفصاحة الخطابية ولا في الخبرات الاجتماعية... فلم يتمكن من تملك زمام نفسه، وضاع منه رباط جأشه حينما حضر -ولأول مرة- إلى قاعة المحاضرات في (جامعة كلاسكو) لإلقاء أول محاضرة له في موضوع (الكيمياء). فما أن رأى جموع الطلاب المحتشدة حتى تلفّت حوله بارتباك وولى هارباً.

- (The Victorian Age Part Two), in Cambridge History of English and American Literature. (1907-1921).

من مجلدات العصر الفكتوري الجزء الثاني - تاريخ جامعة كمبردج في الأدبين الإنجليزي والأمريكي للفترة (1907-1921).

ملخص لسيرة حياة المكتشف

ولد العالم الكيميائي الأسكتلندي [توماس كراهام (1805-1869) Thomas Graham] والذي اشتهر بقانونه للغازات وبأعماله وتجاربه في حقل الكيمياء الغروية (Chemistry Colloid)، في مقاطعة كلاسكو (Glasgow) في أسكتلندا.

لقد أصّر والده الذي كان يعمل صانعاً للنسيج والأقمشة دائماً على أن يتخذ (كراهام) المسلك الكهنوتي وأن يصبح قساً ضمن الكنيسة الأسكتلندية، الأمر الذي دفعه -على الدوام- إلى معارضة ميول ولده وتطلعاته للاستزادة من مواضيع الكيمياء التي أحبها وشغف بها. ولكن على الرغم من تعنت الوالد وإصراره وتعصبه لرأيه، فقد كان (لكراهام) بقية وافرة من حظ جميل دفع كلاً من والدته وشقيقته إلى دعمه ومساندته ومد يد التشجيع والمواظرة له على طول خط خلافه مع والده وبث روح الصبر والمطاولة فيه وحثه باستمرار على مواصلة دراساته واهتماماته بمواضيع العلوم والبحث، الأمر الذي مكّنه من تحقيق أحلامه وتبسيد طموحاته في مجالات وميادين العلوم والإبداع لا ضمن أقبية ودهاليز القسوسة والكهنوت.

التحق (كراهام) في عام (1814) بالمدرسة المتوسطة والثانوية في مدينة (كلاسكو)، وظل مواظباً على الدراسة والحضور، حتى إنه لم يُسجّل عليه -وخلال السنوات الخمس اللاحقة-



غياب يوم واحد. لقد أحب الدراسة وأبدع فيها وتخطى سنيها بنجاح واطراد حتى تمكن بعد سنواتها الخمس، أي في عام (1819) من الدخول إلى (جامعة كلاسكو) ولما يبلغ الرابعة عشرة من عمره، كما تمكن من تخطي سنوات الجامعة السبع بنجاح أيضاً كلفة بحصوله على درجة الماجستير منها (M.A.) في عام (1826) وذلك قبل أن يكمل مشواره التعليمي التخصصي لستين آخرين في جامعة أدنبره (Edinburgh).

لقد وُصف في خلال تلك الفترة من حياته -وتمتته الشفافية والانفتاح في إحدى المقالات التاريخية المنشورة في مجلة (نيتشر - Nature) - بأنه:

((كان المصان المحاط بهالة أمه القدسية والتي كانت بمثابة (ملاكه الحارس)، حيث تعاطفت معه في كل مشاعره وشاركته في كافة أفراده وأتراحه وكانت له المعين إذا أعوز والناصح إذا أخفق. حتى ارتبط بها برباط قوي من المحبة والولاء الذي يتعدى بمراحل عدة مجرد وصفه (بالاحترام) الذي يكنه أي ولد صالح لأمه. ومن سمات تعبيره عن حبه وتبجيله لها أنه قام بشراء الكثير من الهدايا الجميلة لها ولأخته بمجرد استلامه لأول دفعة مال نالها في حياته من جهده الخاص بعد إنجاز له بعض الأعمال الأدبية)).

وفي عام (1830) احتفل بتعيينه أستاذاً في الكيمياء من ضمن الهيئة التعليمية الموقرة لجامعة أندرسن (Andersonian University) في كلاسكو. لقد كان القدر وفيّاً لسخاء الإنسانية والمرأة والأم التي صنعت من ابنها رجلاً وبطلاً وعالمًا، فقد وصل إليها خبر تسنمه لمنصب الأستاذية ووصلت إلى قلبها نشوته وقبل أن تلفظ أنفاسها الأخيرة وهي تحتضر على فراش الموت، فكان ذلك بلسماً لروحها وعوناً لها في بداية رحلتها إلى العالم الآخر بسلام.

انتخب (كراهام) بعد أربع سنوات، أي في عام (1834) زميلاً للجمعية الملكية، وتمكن بعد ذلك ببضع سنين أخرى من الحصول على الترقية التي أهلتته إلى الوصول إلى منصب الأستاذية في الكيمياء في جامعة كلية لندن (London College University) العريقة.

وصف (جورج كوفمن - George Kaufman) كراهام وحقيقته التي عاشها في تلك الأيام بمشاركته في الكتاب الثمين (معجم سير العلماء الذاتية) قائلاً:

((لم يأل (كراهام) جهداً في الاستفادة القصوى من وقته خلال تلك الفترة من حياته فقد كان كثير الانغماس، عظيم الاهتمام في أمور التدريب والتحرير والتأليف وإسداء النصح والاستشارة لكبار أصحاب المصانع الكيميائية وحتى في تصحيح وتدقيق الميزانية السنوية للدولة وإبداء الرأي في كثير من أمورها الأخرى... أما بعد وفاة (جون دالتن - Johon Dalton) في عام (1844) فقد أصبح هو بحق (عميد الكيميائيين) الإنجليز ورأس قائمتهم، وهو بذلك كان قد قُلد المنصبين الفخري والفعلي لأساطين كيميائي العصر من أمثال (جوزف بلاك - Joseph Black)، و(جوزف برستلي - Joseph Pristly)، و(هنري كفنديش - Henry Cavendish)، و(وليم ولستن - William Wollstone)، و(همفري ديفي - Humphry Davy)، و(جون دالتن - John Dalton)... أما فيما يخص قابليته وكفاءته في التدريس العام وإلقاء المحاضرات على الطلبة، فكان خير ما يوصف به في هذا المجال كونه محاضراً سيئاً شديداً الاضطراب، كثير التردد...!!!)).

لقد حصل (كراهام) في خلال حياته على العديد من الأوسمة، والكثير من آيات الاحترام ومعاني التبجيل، فقد قُلد في عام (1837) الميدالية الملكية التي منحتها إياه الجمعية الملكية، كما قُلد في عام (1862) ميدالية (كوبلي - Coply) من قبل الجمعية الملكية أيضاً، وعادت الجمعية الملكية مرة أخرى لتقليده (الميدالية الملكية) مرة ثانية في عام (1855). وعين كذلك في عام (1837) أستاذاً للكيمياء في جامعة لندن العريقة وقد ظل محتفظاً بمنصبه فيها حتى عام (1855)، حين خَلَف (السر جون هرشل - John Herschel) في رأسه لدار ضرب المسكوكات الملكية. لقد حاز مجال (الانتشار - Diffusion) على اهتمام (كراهام) منذ البداية فاتخذة حقلاً لاختصاصه وميداناً لتركيز أفكاره وأعماله، وعليه فتعد تجاربه وآراؤه في بحالي قياس مقدار الإزاحة النسبية لجزيئات الغازات والسوائل ومحاولة مقارنة ذلك وتبيان علاقته بكثافتها و/أو أوزانها الجزيئية من أهم إنجازاته ولكن علينا ألا ننسى، أن ما حفّز (كراهام) على ولوج هذا المجال وأثار اهتماماته وشحذ تفكيره يعود -بالدرجة الأولى- إلى بحوث وأعمال



سابقة كان قد قام بها الكيميائي الألماني [يوهان دوبرينر (1780-1849) Johann Dobereiner]، والذي كان قد لاحظ وقتها بأن قابلية انتشار أو (هروب) غاز الهيدروجين من خلال شرح بسيط في إناء زجاجي كانت أسرع من قابلية الهواء المحيط به على النفاذ إليه لمعادلة فرق الضغط الناتج وإحلاله محله. لقد قام (كراهام) خلال تجاربه الكثيرة بقياس معدل سرعة انتشار الغازات و(هروبها) من خلال فتحات صغيرة في أغطيتها المطاطية وعن طريق أنابيب دقيقة أدخلت إليها ومن خلال ثقوب مجهرية أحدثت فيها. وفي واحدة من أشهر تجاربه التي حفظها التاريخ له، قيامه بقياس كمية غاز الهيدروجين المتسربة من خلال ثقب دقيق جداً كان قد أحدثه في سطح سدادة محكمة من (معدن البلاتين) استخدمها لختم إناء يحتوي على غاز (الهيدروجين) ومن ثم إعادة التجربة ذاتها باستخدام نفس الإناء وعين السدادة (البلاتينية) المحكمة الحاوية على الثقب بعد إبدال غاز الهيدروجين الذي كان فيه بغاز (الأوكسجين). وبعد إعادته لتلك التجربة مرات ومرات والتأكد من حساباته وقياساته، تمكن من التوصل إلى حقيقة الاستنتاج بأن في مقابل كل جزئية (أوكسجين) أمكنها الخروج من خلال فتحة ذلك الإناء كانت هناك أربعة جزيئات من غاز (الهيدروجين) تخرج في الفترة الزمنية ذاتها، أي ما يدل على أن سرعة خروج ونفاذ جزيئات الهيدروجين تفوق سرعة نفاذ جزيئات غاز (الأوكسجين) وفي خلال نفس الفتحة الدقيقة أربعة أضعاف.

تمكن (كراهام) في عام (1829) من تصميم وإنجاز التجربة الآتية والتي قام خلالها بغمر أسطوانة زجاجية مفتوحة الطرفين داخل إناء مملوء بالماء وذلك لغرض دراسة سرعة نفاذ الغازات منها وانتشارها خارجها وبالأخص محاولته بعد ذلك دراسة معدل سرعة امتزاج غازين ببعضهما. ففي محاولته الأولى قام بسد نهايتي الأسطوانة الزجاجية بلاصق محكم يحتوي على ثقوب كبيرة نسبياً تسمح بتسرب الهواء المحصور داخلها بحرية إلى إناء مائي بعد غمرها فيه، ثم قام بعد ذلك بعمل الأسطوانة ذاتها بغاز الهيدروجين (H_2)، ثم عاد وغمرها في ذات الإناء المائي السابق فلاحظ ببطء ارتفاع منسوب الماء فيها، مقارنة بسرعة ارتفاعه عنها في الحالة السابقة، وفسر ذلك بسرعة انتشار جزيئات غاز الهيدروجين (وهروبه) إلى خارج

الأسطوانة إلى الإناء المائي (بوتيرة أسرع)، مقارنة بجزئيات الماء التي تحاول الدخول إليها. وبدراسة سرعة زيادة ارتفاع مستوى ماء الإناء الحاوي على الأسطوانات الزجاجية أو سرعة دخول الماء إليها وارتفاع منسوبه فيها، تمكن كراهام من تعيين معدل تسرب الغازات المختلفة من الأسطوانات المغمورة إلى الإناء المائي الذي يحتويها، ومن ثم تعيين معدل سرعة امتزاج الغازات المختلفة التي تحويها مع الهواء.

وبإعادة وضبط وقياس كافة المتغيرات والثوابت في تجاربه المختلفة، توصل إلى الاستنتاج بأن معدل سرعة انتشار الغازات لا بد أن يتناسب عكسياً مع الجذر التربيعي لكثافتها. وكما ذكرنا آنفاً فإن (كراهام) كان قد توصل إلى نتائج مشابهة عند اختباره ودراسته لعملية هروب وانتشار الغازات باستعماله قطعة المعدن الحاوية على الثقب الدقيق عند قياسه لمعدل سرعة نفاذ الغازات إلى الفراغ. ففي هذه المجموعة كان قد توصل أيضاً إلى الاستنتاج بأن معدل سرعة نفوذية الغازات لا بد وأن تتناسب عكسياً مع الجذر التربيعي لكثافتها أو لأوزانها الجزيئية.

شرح (كراهام) في الخمسينيات من القرن التاسع عشر (1850s) وضمن إستراتيجيته البحثية الموسعة بدراسة الطرق والأساليب التي تمكنه من اكتشاف استعمال (المواد غير الملائمة) وتحديداتها، وتعيين الشوائب التي طفق مروجو القهوة على مزجها معها لغرض خداع زبائنهم، لتحقيق أغراض ربحية مادية طائلة غير مشروعة، فقد توصل في عام (1857) إلى الكثير من النتائج المؤكدة التي نشرها في بحثه الموسوم (تقرير في طرق اكتشاف خلط مختلف المواد النباتية (الرخيصة) مع مشروب القهوة أو حبوبها بغرض الخداع) في دورية الجمعية الكيميائية في لندن. أما اليوم فهناك العديد من التقنيات المتقدمة باستعمال طيف الأشعة ما دون الحمراء و(بصمات القهوة) المتعارف عليها دولياً وذلك لتصنيف مصادر ونوعيات وخواص القهوة المتداولة في الأسواق من جهة، ولتحديد المغشوش ونسبة ونوعية الغش في أنواع كثيرة منها من جهة أخرى. فعلى سبيل المثال: لقد تم سحب رخص وغلق العديد من مطاحن القهوة التي دأبت على استخدام ما لا يقل عن (20 ألف طن متري) من المواد النباتية الرخيصة الأخرى لخلطها معها وجني الأرباح منها.



وقد قام (كراهام) أيضاً بدراسة (خواص نفوذية) و(قابلية ترشح) العديد من المواد والمحاليل، وتوصل إلى حقيقة وجود بعض المحاليل التي هي -بالحقيقة- (مواد معلقة في سوائل) تمتاز أحجام جزيئاتها بأنها أكبر من أن تتمكن من المرور من خلال مرشحات جلود الغزلان أو الماعز (Parchment). وقد تمكن في عام (1861) من صياغة المصطلح المعروف اليوم بـ(الغرويات - Colloids) وهو يشمل مجموعة المحاليل ذوات القوام المستحلب أو الهلامي (الجيلاتيني) والتي لا تنفذ إلا ببطء شديد وصعوبة بالغة من خلال المرشحات المسامية الاعتيادية.

يعد (كراهام) اليوم الأب الشرعي لعلم كيمياء الغرويات (Colloid Chemistry)، ففي خلال أبحاثه وتجاربه توصل إلى تصنيف الجسيمات الصغيرة والجزيئات إلى مجموعتين، الأولى وهي تلك التي يمكنها حين ذوبانها الكامل في الماء أن تكون (المحاليل الحقيقية - Crystalloid)، وخير مثال وأبسطه عليها هو ذوبان ملح الطعام الاعتيادي وهو مادة متبلورة في الماء، حيث تكون جزيئاته من الصغر بحيث تنتشر ضمن جزيئات الماء بسرعة. والثانية... هي تلك المواد التي تنتمي إلى مجاميع (النشأ النباتي - Starch) أو (النشأ الحيواني - Glycogen) و(أنواع الأصماغ - Gums) و(الهيلام - Gelatin) والتي لا تستطيع النفوذ أبداً أو تستطيع فقط ولكن بصعوبة كبيرة، وتمتاز تلك المواد بعدم قابليتها على تكوين البلورات⁽¹⁾.

أعلن (كراهام) آراءه ونتائج أبحاثه وتجاربه في مقالة علمية نشرتها له دورية (الإنجازات الفلسفية للجمعية الملكية) في عام (1861) والتي جاء فيها:

((من الممكن اعتبار مادة الهيلام (Gelatine) مثلاً حياً على ما أصفه بمجموعة الغرويات أو المحاليل الغروية (Colloids)، وقد تم اشتقاق هذا المصطلح من الكلمة الإغريقية (κ'όλλα) وتعني (الصمغ أو الغراء - Glue)، وبإمكاننا الآن أن نصف ونصنف مجموعة محددة من المواد التي لها مواصفاتها الخاصة كسوائل (بالمحاليل الغروية).

(1) تنقسم المحاليل حديثاً إلى ثلاثة أنواع: المحاليل الحقيقية (Crystalloids)، والمحاليل الغروية (Colloids)، والمحاليل المعلقة (Suspensions)، وللمزيد يمكنك مراجعة أحد كتب الكيمياء الفيزيائية (Physical Chemistry). (المترجم).

وهناك بالطبع المواد المعتادة التي لها قابلية الذوبان التام في محاليلها والتي صُنِّفت بمجموعة المحاليل الحقيقية (Crystalloid). ومن التجارب والاختبارات يظهر أن لصف الغرويات أو المحاليل الغروية ميل دائم للتصرف كمواد مستحلبة (Curdled). وبإمكان محاليلها أن تقتص الماء من المحاليل الحقيقية (Crystalloids) كلما وضعت بتماس معها. وعليه يمكن اعتبار الصف الأول كحالة حركية (ديناميكية) للمادة، على حين يمكن اعتبار الصف التالي كحالة ثابتة (ستاتيكية) لها)).

نُعرِّف اليوم ضمن قياساتنا الفيزيائية الحديثة المحاليل الغروية أنها تلك المحاليل الحاوية على مواد وجزئيات تتراوح أقطارها ما بين (10 مرفوعة إلى الأس السالب الرابع و10 مرفوعة إلى الأس السالب السابع) ستنمترأ. ومثل هذه الجزئيات عادة ما تكون من الكبر بحيث لا يمكن فصلها عن محاليلها بواسطة عمليات الترشيح الاعتيادية عبر المرشحات الاعتيادية أو بالاعتماد على تأثير الجاذبية فقط. لقد ابتكر (كراهام) طريقة فريدة مكنته من فصل مكونات تلك المواد عن محاليلها، والتي أسماها بعملية الميز الغشائي أو (الديلزة - Dialysis). وقارن كذلك بين مواصفاتها (كونها بطيئة الديلزة، أو (الميز) غشائياً، مقارنة بالمحاليل الحقيقية والتي تحوي على مواد ذات جزئيات بأقطار أصغر بكثير عن أبعاد أقطار الجسيمات أو الجزئيات الغروية آنفة الذكر وتمتاز هذه الأخيرة بكونها سريعة الديلزة. وقد استخدم العديد من أنواع الأعشبة والمرشحات في تجاربه لغرض فصل المكونات الغروية عن الماء وعن المواد الأخرى سهلة الذوبان فيه كالأملاح والسكريات.

لم يكن (كراهام) السباق الأول لتولوج عالم الغرويات ومحاليلها رغم حصوله على فضل صياغة المصطلح المستعمل لها ولحد اليوم، فقد سبقه لذلك العديد من البحاثة والعلماء، نضرب لك مثلاً منهم العالم الكيميائي والفيزيائي الإنجليزي عالي الشأن [ميشيل فرادي (Michael Faraday (1791-1867)] والذي كان قد قام في عام (1856) بأول محاولة علمية منهجية لدراسة محاليل عنصر الذهب المعلقة وتقديم بالعديد من التوضيحات والاقتراحات من أجل تفسير مختلف العوامل المسؤولة عن ظهور تلك الحالة واستمرارية استقرارها، أما محاليل (فرادي) الغروية فقد أطلق عليها اسماً مثيراً رناناً وهو (محاليل الذهب



المنشط) والتي كانت عبارة عن معلقات مائية لجسيمات ذهبية بلغت أقطارها أقل من الجزء الواحد من المليون جزء من المتر، ونعرف اليوم أن محاليل الذهب الغروية ومعلقاتها في الماء ستكتسب لوناً أحمر أخاذاً أسراً إذا ما بلغت أقطار جزيئاته أبعاداً أقل من (100 نانومتر)⁽¹⁾.

لم يكن (فراداي) أول من عرف (ماء الذهب) أو (محلول الذهب الغروي) إن شئت تسميته بالتعابير العلمية الحديثة، فلقد عُرف من قبل عهود غابرة وغالباً ما كان يستعمل لطلي الزجاج، ولكن مع ذلك يحتفظ (فراداي) بأسبعية دراسته بالصورة العلمية الحديثة فهو أول من بين أن سبب انتشار اللون الراق الذي كان يتحلى به (ماء الذهب) ويميزه عن غيره من أنواع الطلاء ليعود إلى الصغر الفائق لجزيئات الذهب فيه.

وإذا ما عدنا إلى إنجازات (كراهام) الكثيرة واختراعنا منها نموذجاً لبدءه في وصف المركبات الكيماوية لقلنا إنه كان من بين الأوائل الذين تمكنوا من تحديد الفروق الكيميائية والفيزيائية بين ثلاثة أنواع متغايرة من مركب (حامض الفوسفوريك) وكان السباق بذلك للتأسيس لمبدأ المركبات متعددة القلوية (Polybasic Compounds)، فعلى سبيل المثال: تمكن من التفريق بين حامض الفوسفوريك والمعروف الآن بالمصطلح الكيميائي الحديث: $(P_2O_5 \cdot 3H_2O)$ وهو ما يسمى بالحامض المائي لاحتوائه على ثلاث جزيئات ماء... وبين الحامض شبه المائي المسمى بايبرو حامض الفوسفوريك (Pyrophosphoric Acid) والمعروف الآن بالمصطلح الكيميائي الحديث: $(P_2O_5 \cdot 2H_2O)$ والحاي على جزيئتي ماء فقط ضمن تركيبه الكيميائي وبين حامض الفوسفوريك المتزهر، الذي لا يحتوي إلا على جزيئة ماء واحدة في تركيبه الكيميائي والمسمى (بالميتا حامض الفوسفوريك - Metaphosphoric Acid) والمعروف الآن بالمصطلح الكيميائي الحديث $(P_2O_5 \cdot H_2O)$. كما أثبت كذلك وجود ثلاثة من أملاح الصوديوم المتحدة مع جذر الفوسفات وهي (Na_3PO_4)

(1) Nano meter - وهي وحدة القياس البالغة جزءاً واحداً من البليون جزء (أو من الألف مليون جزء) من المتر، وتقنيات المواد بهذه الأبعاد (Nanotechnology) تطبيقات ثورية في عوالم المواد المختلفة، لا نزال نتلصق طريقنا الحذر فيها لعجائبها ولغرائبها. (المترجم).

والمسمى بفوسفات الصوديوم، و(Na_2HPO_4) والمسمى بفوسفات الصوديوم أحادية الحموضة و(NaH_2PO_4) والمسمى بفوسفات الصوديوم ثنائية الحموضة. إن لقانون (كراهام) الكثير من التطبيقات العلمية العملية ساعدت العلماء وأعانتهم لإنجاز العديد من الاكتشافات. فعلى سبيل المثال: بالإمكان تعيين الكتلة الجزيئية لغاز مجهول باتباع الطريقة الآتية:

((يُحقن الغاز المجهول وبضغط معلوم إلى إحدى جهتي حاوية معدنية محكمة يفصلها ثقب صغير عن جزئها الثاني المفرغ من الهواء. ينتقل الغاز المجهول إلى الجهة الفارغة بواسطة عملية الانتشار خلال الثقب الدقيق حتى يتعادل ضغط الغاز على جهتي الحاوية وبالإمكان التحقق من ذلك بواسطة آلات قياس الضغط المتصلة بكل منهما. يُحسب الوقت اللازم لبلوغ التعادل والموازنة بين ضغط جهتي الحاوية بالنسبة للغاز المجهول. تعاد ذات العملية ويتم عين القياس بالنسبة لغاز معلوم، كالنتروجين الحر مثلاً، والآن وعند تعويضنا لمقدار الكتلة الجزيئية (Molecular Mass) لغاز النتروجين ومعدل الزمن اللازم لانتشاره ومعدل الزمن اللازم لانتشار الغاز المجهول -وتحت نفس ظروف درجة الحرارة ومنسوب الضغط- في (قانون كراهام)، يمكننا تعيين الكتلة الجزيئية لذلك الغاز المجهول)).

لقد كان (وما يزال) لهذا القانون تطبيقات صناعية وعسكرية مهمة جداً في أربعينيات القرن العشرين (1940s) عندما استعمل في منشآت المفاعلات الذرية لفصل الغازات المشتقة ذوات معدلات النفوذ والانتشار المتباينة -بسبب اختلاف أوزانها الجزيئية (Molecular Weights) بعضها عن بعض. وقد تم عملياً فصل نظيري اليورانيوم ($\text{U}-235$) و ($\text{U}-238$) عن بعضهما البعض، باستخدام خزانات الفصل الغازي بالانتشار والتي كانت تبلغ عدة مئات من الأمتار طوياً. أُنجرت بالفعل -وتنجز اليوم- عمليات الفصل الغازي وذلك بالشروع ابتداءً بتفاعل اليورانيوم مع غاز الفلورين (F_2) وذلك لإنتاج غاز سداس فلوريد اليورانيوم (UF_6) بنظيرين، الأول وهو الأثقل الذي يحتوي على نظير اليورانيوم الأثقل



أي (U-238) والثاني وهو الأخف الذي يحتوي على نظير اليورانيوم الأخف أي (U-235)، وحسب قانون (كراهام) للتنافذ فإن الغاز الثاني الأخف وهو الحاوي على اليورانيوم القابل للانشطار سيكون أسرع بالتجمع في نهاية خزان المفاعل وبذلك يتم جمعه وزيادة نسبة تخصيبه.

لقد كان لطريقة الفصل الغازي بالانتشار أهميتها في ذلك التاريخ بالنظر لسعي الولايات المتحدة المحموم آنذاك لتطوير إنتاج القنبلة الذرية، فقد استوجبت العملية فصل نظير اليورانيوم (U-235) المطلوب لإحداث التفاعل الانشطاري المتسلسل (وهو قلب وروح القنبلة الذرية) عن النظير الثقيل (U-238) والذي لا ينفع لذلك الغرض⁽¹⁾. ولفصل نظير اليورانيوم (U-235) عن النظير (U-238) عمدت حكومة الولايات المتحدة إلى بناء منشأة تخصيب اليورانيوم بطريقة الانتشار والتنافذ الغازي في مدينة كلنتون (Clinton) في ولاية (تيسي - Tennessee) وخصصت لذلك ميزانية ضخمة جداً بمقاييس أربعينيات القرن الماضي بلغت (100 مليون) دولار أمريكي.

وقد اعتمدت تلك المنشأة بالفعل على تنافذ غاز سادس فلوريد اليورانيوم (UF_6) للنظيرين وفصلهما عن بعضهما باستعمال طريقة النفوذ عبر ثقب دقيقة ومن ثم تم نقل (اليورانيوم U-235) المخصب لاستعماله في (مشروع منهاتن - The Manhattan Project) وهو الاسم الرمزي لعملية إنتاج القنبلة الذرية التي أسقطتها على اليابان أواخر أيام الحرب العالمية الثانية عام (1945).

ولأجل إتمام عملية فصل النظيرين، كان على المنشأة الذرية آنذاك أن تعتمد ما لا يقل عن (4000) مرحلة فصل جمعت كلها في أسطوانة من الفولاذ الصلب حُفظت في بناء جاوز طوله نصف الميل (حوالي 800 متر) وبارتفاع خمسة طوابق. ولما كان مبدأ الفصل مبنياً على نفوذ غازات سادس فلوريد اليورانيوم (UF_6) الحارقة والمخرشة من خلال

(1) (U-238) - وإنما ثبت نفوذ زيادة الخراب والدمار واستهداف الدروع، وهو ما سمي (اليورانيوم المنضب)، مع كل ما جره وما يجره من تلوث بيئي ونسب بشري طويل الأمد. (المترجم).

ثقب مجهرية، ولتلك المسافة الطويلة وعبر كل تلك الخطوات الصعبة، فلك أن تتصور مدى ضرورة استعمال المواد عظيمة القوة والمقاومة لصناعة الفواصل الحاملة لتلك الثقوب كي تتمكن من تحمل كل ذلك الإجهاد الحراري والكيميائي قبل أن تنهار! ولعمري ما كان سيدور بخلد (كراهام) إذا ما علم بأن قانونه البسيط الذي ابتدعه بكل شفافية وبراعة لاستعماله للأغراض العلمية والتجريبية سوف يكون وبعد أقل من خمسة وسبعين عاماً على وفاته الأساس الفاعل والعصب المحرك للّب العملية التي أودت بحياة أكثر من (100000) شخص قُتلوا غير مأسوف عليهم بالقنبلتين الذريتين الأمريكيتين على هيروشيما وناكازاكي في اليابان.

في حوالي الساعة التاسعة من مساء يوم الثلاثاء الموافق السادس عشر من شهر سبتمبر (1869)، فاضت (وانتشرت) روح (توماس كراهام) إلى بارئها. فقد وافاه قدره المحتوم في منزله الكائن في (No. 4 Gordon Square, in the London Boroyth of Camden). وقد ظلت ذكراه شاخصة منذ ذلك اليوم بواسطة تمثاله البرونزي المهيّب الذي انتصب في (ساحة الملك جورج) في مقاطعة (كلاسكو) بعد أن أزيح الستار عنه في عام (1872).

لقد نُحت قالب ذلك التمثال وُصّب جسمه بشكل معبر، شُخص (كراهام) بنظرة متفائلة إلى المستقبل يتأبط كتاباً نُقشت عليه آلات علمية. ومن المفرح أن يُعبر ذلك التمثال على سمو الخلق وطيب الوفاء إضافة إلى تعبيره عن إنجاز العلم وروعة الإبداع، ذلك لأن ثمنه وكامل مصاريف نصبه كان قد تبرع بها الصناعي الثري (جيمس يونك - Young) وقد كان أحد تلامذة (كراهام) النجباء.

وبإمكان المهتمين بالاطلاع على الكثير من الصور الفوتوغرافية والاستزادة من معاني ذلك التمثال، الرجوع إلى مؤلف (راي ماك كنزي - Ray Mckenzie) تحت عنوان (تمثيل ونصب مدينة كلاسكو)، وللذين يرغبون في المزيد عن خلفية تميمه [كالأب الشرعي لعملية (الميز الغشائي - Dialysis)] الرجوع إلى مقدمة كتاب (تاريخ علوم وأمراض الكلّي، الجزء الثاني) لمؤلفه (كراييد اكنوين - Garabed Eknayan) وزملائه.



ومن التطبيقات المثيرة الأخرى (لقانون كراهام) ما جاء في كتاب (طبيعة العلوم) لمؤلفه (جيمس تريف - Trefil James) والذي جاء فيه:

((من الطبقات المدهشة والغريبة لهذا القانون، هو وضعه نصب العين عند إطلاق مركبات الفضاء المأهولة إلى أعماق الفضاء البعيدة في رحلاتها لفترات طويلة، ففي خلالها وبعد مرور الوقت الكافي لابتداء غاز الأوكسجين الذي يملأ قمرات الملاحين وبقية (قمرات) طواقم المركبات الفضائية من أن يتسرب ويتلاشى إلى الفضاء الخارجي عبر الطبقات المتعددة لهيكل سفنهم الفضائية - حسب ما ينص عليه قانون (كراهام) - ولتلافي ذلك لابد للسفن الفضائية خلال رحلاتها صوب أعماق المجرات من حمل مولداتها الذاتية لتجهيز غاز الأوكسجين))⁽¹⁾.

أفكار فلسفية وآراء للمناقشة

• يكاد يقيننا يزاد يوماً بعد يوم وكلما توغلت معرفتنا في دواخل وأسرار الكون.. بأن موجوده ومهندسه (تبارك وتعالى) كان قد بناه وأنشأه على أسس رياضية.. وهكذا قدّر له أن يبقى.

جينز

James Hopewood Jeans, (The Mysterious Universe), 1930

مقتطف من كتابه (الكون الغامض) طبعة عام (1930).

• تبرز عياناً إلى السطح - ما بين فترة وأخرى - بعض الفروق الحسابية أو الجوهرية ما بين واقع الظواهر والحقائق المقاسة، وبين القوانين التي تتنبأ بها وتوقعها.. وهذا لعمري هو سرّ تقدم الفيزياء لأنها دائمة المواظبة واللاهات وراء تعديل هذا القانون أو ذاك عسى أن يكونا أكثر دقة وأقل زيفاً في

(1) إحدى الأفكار المستقبلية التي ستبناها وكالة (ناسا - NASA) الفضائية الأمريكية لحل مشكلة تخزين الأوكسجين اللازم للحياة خلال الرحلات الكونية البعيدة (والتي قد تستغرق سنين طويلة) هي ليس بحمل صهاريج الأوكسجين وإنما بتوليدته طبيعياً باستخدام نباتات نباتية حية معهم تجهزهم بالأوكسجين وتحل لهم مشكلة تراكم غاز ثاني أكسيد الكربون وتزودهم بالغذاء كذلك. (المترجم).

المستقبل عما سبق.

دوهام

Pierre Duham, (The Aim and Structure of Physical Theory, 1962

مقتطف من كتابه (غرض وهيكلية النظرية الفيزيائية).

• لقد تنوعت مشارب وميول وآراء الإعلام الأكثر قرباً من واقع التقدم العلمي وخفاياه غاية التنوع، كما تضاربت وتغايرت مفاهيم وأفكار ونظريات فلاسفته ذروة التضارب حول طبيعة مجمل قوانين الكون والغاية من ورائها... فهي معادلات ورموز رياضية اختلقها البشر ليس إلا [كما ارتأى آينشتين (Einstein) وبور (Bohr) وبوبر (Popper)]، وهي سرمدية أبدية الوجود لم يوجد لها بشر [كما ذهب إلى ذلك بلانك (Plank)]، وهي علامات بينة على حقيقة النظام السرمدى الذي ينطوي عليه الكون [في رأي آينشتين]، وهي لا تعدو عن كونها نماذج عملية لا تكتسب شرعيتها ووجودها إلا من خلال استعمالها وإثبات مطابقة تنبؤاتها مع الواقع [كما اعتقد كل من فون نيومن (Von Neumen) وفينمن (Feynman)]، لا بل هي خطوات صغيرة على درب فهم الحقيقة الكاملة الطويل [كما آمن فينمن (Feynman) ودوتش (Deutsch)]، وقد تكون خطوات مجهولة على طريق لا نهاية له [كما قال بورن (Born) وبوبر (Popper) وكوهن (Kuhn)].

فراين بلانارزه

(Michael Frayn, (The Human Touch

مقتطف من كتابه (اللمسة البشرية).

• لقد تضارب فهم المقصود -الحقيقي- من كلمة (نظرية)، فاستخدامها من قبل العلماء يغيّر استيعاب معناها من قبل العامة... ولقد استغل المناهضون للتطور هذا التضارب وعمقوا هذا الخلاف سلباً (لغرض في نفس يعقوب)... وعليه فإن لي أن أقترح (ودفعاً للارتباك والشك ومن أجل الاستخدام الأمثل للغة الطيّعة التي بين أيدينا)، أن نحصر استخدام كلمة (قانون) على المعرفة والحقائق العلمية الثابتة والتي لا نشك فيها إلا بمقدار شكنا في قيمة قطعة حقيقية من الذهب الخالص، وأن نتوقف تماماً عن تسميتها



(بالنظريات) التي نطلقها على كل ما دون ذلك.

ثومبسون

Clive Thompson: (A war of Words), WIRED

من مقالة له بعنوان (الحرب الكلامية).

قانونا فراداي للحث الكهرومغناطيسي والتحلل الكهربائي

FARADAY'S LAWS OF INDUCTION AND ELECTROLYSIS

1831، إنجلترا،  π

قانون الحث الكهرومغناطيسي:

ينتج أي حقل مغناطيسي متغير حقلاً كهربائياً.

قانون التحلل الكهربائي:

أثناء أي عملية للتحلل الكهربائي، يتناسب مقدار التغير الكيميائي الذي يحدثه تيار كهربائي مع كميته المستخدمة، كما يتناسب مقدار التغير الكيميائي الذي تحدثه ذات الكمية من الكهرباء في المواد المختلفة مع أوزانها المكافئة.

معاور ذوات علاقة

جوزيف هنري (JOSEPH HENRY)، وجيمس كلارك مكسويل (JAMES CLERK MAXWELL)، وهمفري ديفي (HEMPHRY DAVY) وهنريخ هرتز (HEIRICH HERTZ)، وكوكليمو ماركوني (GUGLIELMO MARCONI)، وهانز أورستد (HANS ORSTED)، وأندريه - ماري أمبير (ANDRE - MARIE AMPERE)، وفرانسوا أراكو (FRANCOIS ARAGO)، وشارل - أوغست كولوم (- CHARLES COULOMB)، وأوتو فون كيوركي (OTTO VON GUERICKE)، وأوغستين كولومب (AUGUSTIN COULOMB)، وهرمن فون هلمهولتز (HERMANN VON HELMHOLTZ)، وقانون لنز (LENZ'S LAW)، وعدد أفوكادرو (AVOGADRO'S NUMBER)، ومعادلات ماكسويل (MAXWELL'S EQUATIONS).

من أحداث عام 1831

- أبحر شارل دارون (Charles Darwin) في رحلته الشهيرة حول العالم على متن سفينة صاحبة الجلالة المسماة بيكل (الباحث) - H.M.S. Beagle.



- ولد عالم الفيزياء الرياضية الأسكتلندي (جيمس كلارك مكسويل - James Clerk Maxweel) والذي اشتهر لاحقاً بوضعه لمجموعة المعادلات (والقوانين) الأساسية التي تحكم ظاهرتي الكهرباء والمغناطيسية وهن اللاتي ما سيعرفن باسمه.
- تم افتتاح جسر لندن الشهير.
- ابتداء استعمال طلائع الحافلات العامة التي تجرها الخيول في مدينة نيويورك الأمريكية.
- كتب الشاعر والكاتب (صموئيل فرانس سميث - Samuel Francis Smith)⁽¹⁾ كلمات قصيدته الشهيرة (إليك يا وطني أغني - My Country 'Ts of Thee).

نص قانون فرا داي للحث الكهرومغناطيسي وشرحه (1831)

يعتبر اكتشاف العالم الإنجليزي (ميشيل فرا داي - Michael Faraday) لظاهرة الحث الكهرومغناطيسي من أجل وأهم أعماله قاطبة، فلقد لاحظ في عام (1831) بأن في استطاعته دائماً توليد تيار كهربائي محسوب في ملف سلكي موصل عند تحريك قطعة مغناطيس داخله. لقد قام العالم الأمريكي [جوزف هنري (1797-1878) Joseph Henry] بتجاربه المماثلة في ذات الوقت وبصورة مستقلة، وتلعب هذه الظاهرة اليوم الدور الأساسي في تجهيزنا بالطاقة الكهربائية من محطات توليدها على اختلاف أنواعها.

لقد لاحظ (فرا داي) أيضاً أنه، كلما حرك سلكاً موصلاً بجانب قطعة مغناطيسية دائمة، فإن تياراً كهربائياً سيتولد في السلك، كما لاحظ تكوّن تيار كهربائي في سلك آخر منفصل عند إمراره لتيار كهربائي في ملف قريب منه، ولما أعاد تجاربه بإمرار تيارات مختلفة الشدة خلال الملف نفسه، لاحظ تغير شدة الفيض المغناطيسي المتولد عنه، الأمر الذي أدى إلى إمكانية تسجيل تغيرات ملموسة متزامنة في التيار الكهربائي المار خلال السلك الموصل

(1) (1815-1808) - كاتب صحفي ومؤلف ورجل دين (مُعتمد) مسيحي ولد في مدينة بوسطن وكتب هذا النشيد الوطني الأمريكي في عام 1831 (المترجم).

الموجود بالقرب منه والمنفصل عنه.

لقد بيّن الفيزيائي الإسكوتلاندي [جيمس كلارك مكسويل (James Clerk Maxwell) (1831-1879)] لاحقاً أن التيار الكهربائي المتغير والمار في ملف السلك الموصل الأول والمؤدي إلى تكوين (المغناطيس الكهربائي) متغير الفيض، والذي -بدوره- تمكن من إحداث التيار الكهربائي الممكن تتبعه في السلك الموصل الثاني المنفصل الموضوع إلى جانبه لم يكن ليحدث تياراً فيه فقط، وإنما استطاع كذلك إثارة حقل كهربائي (بمعنى تحريك الإلكترونات) في كامل الفضاء المحيط به ولو من دون وجود أي شحنة، وما كان فضل السلك الموصل الثاني المنفصل في تلك الحالة (وكما عبر عن ذلك مكسويل) إلا كونه واسطة أو وسيلة للكشف عن ذلك الحقل الكهربائي الذي ولّده (وفي كامل الفضاء المحيط به) حقل الفيض المغناطيسي الذي تولّد في الملف الأول بعد إمرار التيار الكهربائي المتباين خلاله، والذي ولّد بدوره المغناطيس الكهربائي المتغير فيه.

لقد عبر (مكسويل - Maxwell) عن تغيرات الفيض المغناطيسي وعلاقته بـ(حث)، وتوليد [القوة الدافعة الكهربائية (ق.د.ك) (Electromotive Force (emf)]، وبما يعرف اليوم [بقانون فرادي للحث (Induction)] الكهربائي بالقانون التالي:

$$\varepsilon = - \frac{d\Phi_m}{dt}$$

حيث تمثل (ε) هنا - مقدار القوة الدافعة الكهربائية (المحثّة) في السلك و(Φ_m) مقدار الفيض المغناطيسي المار خلال دائرته.

وكمثال تقريبي لما يمكن أن نتصوره بخصوص هذا (الفيض)، فنقول بإمكانية تشبيهه بمقدار وكمية الماء المتدفقة خلال مقطع خرطوم الماء الحاوي له في كل وحدة زمنية (ثانية مثلاً). أما (فرادي) فقد اعتقد وتصور طبيعة الحقل المغناطيسي وكأنه مكوناً من العديد من (خطوط الحث)، والتي يمكن الاستدلال على وجودها كلما قربنا (إبرة بوصلة) منها، حيث ستدلنا عليها. وعليه فإن مجموع تلك الخطوط التي سيحدث وأن تتقاطع مع أية مساحة معينة



مفروضة، هو ما سيولد (الفيض المغناطيسي) فيها.

بناء على ذلك (وبالاستناد إلى ما نادى به معادلة الحث السابقة)، فإن أي تغيير في الحقل المغناطيسي لا بد وأن يصاحبه تولد (قوة دافعة كهربائية "ق.د.ك" Electro motive Force (emf)) في دائرة السلك الموصل القريب منه بحيث يمكن الاستدلال عليها بملاحظة تكون تيار كهربائي فيها، ولهذا فبالإمكان (من وجهة النظر الفيزيائية) اعتبار مقدار (ق.د.ك) في أية دائرة تجسيدا لمقدار (الشغل - Work) المنجز من قبل وحدة الشحنة المتولدة من الحقل الكهربائي أثناء حركتها خلال دائرته المغلقة.

وإذا ما ألقينا نظرة فاحصة مقربة على معادلة الحث آنفة الذكر، فسيستري انتباهنا وجود علاقة التناسب الطردي ما بين مقدار (ق.د.ك) المحتثة في دائرة كهربائية ما ومقدار معدل التغيير في كمية (الفيض المغناطيسي) عبرها. أما وحدة تلك القوة الدافعة الكهربائية (emf) فستكون (بالفولت Volt)، إذا كانت وحدات الفيض المغناطيسي مقاسه بوحدات (الويبر - Weber) في الثانية الواحدة (و/ثا - W/s).

أما ما يجذب النظر في (قانون فراداي) آنف الذكر فالصبغة السالبة التي توشحه، وهذا ما بينه (قانون لنز - Lenz's Law) والذي ينص على أن لكل من القوة الدافعة الكهربائية (ق.د.ك) والتيار المحتث صفة الاتجاه وبطريقة تعاكس التغيير الذي ولدهما آنفاً. أما واضع هذا القانون فهو الفيزيائي العريق الروسي المولد والألماني الجنسية (هنريخ لنز 1804-1865 Heinrich Lenz) وذلك في عام 1833، وبناء على ذلك وكمثال واحد بسيط على حقيقة هذا التصور في ذاك القانون نقول بأنه كلما أمعنا في محاولتنا زيادة مقدار (الفيض - Flux) المغناطيسي خلال دائرة كهربائية، كلما تولد لدينا تيار كهربائي ديدنه العمل على إنقاص ذلك الفيض. وللدلالة على صدق ما ذهب إليه هذا القانون، دعنا نتصور ما يحدث عكس ذلك، فإذا أمكن عكس (قانون لنز) فإن زيادة (الفيض) ستكون زيادة في مقدار قيمة التيار المتولد، والذي سيعمل بدوره على زيادة (الفيض) الذي ولده، وهذا بدوره سيعمل على زيادة مقدار (القدرة - Power) في تلك الدائرة.. وإلى ما لا نهاية. ولكننا نعلم جيداً أنه من

المستحيل الوصول إلى تلك الحالة استناداً إلى الحقائق والتجارب التي أثبتت عدم إمكانية بلوغ منسوب القدرة اللانهائية في أية دائرة بالنظر لسريان التيار الكهربائي المحتث فيها بشكل وباتجاه معاكس دائماً للتغير المغناطيسي الذي أوجده أول مرة.

وللملحة استنتاجاتنا وما توصلنا إليه من كل ما سبق نقول: إذا كان لدينا ملف يحتوي على عدد معين من اللغات مقدارها (N) فإن القوة الدافعة الكهربائية (ق.د.ك) المتولدة سيمكن رصدها في كل لفة منه، وسيكون لها جميعاً صفة التجمع والتكامل. وعليه بإمكاننا إعادة صياغة القانون الذي يحكم الـ (ق.د.ك المحتثة - Induced emf) في ملف (مكثف) وعلاقتها بالفيض المغناطيسي المسؤول عن توليدها بالمعادلة الرشيقة التالية:

$$\varepsilon = -N \frac{d\phi_m}{dt}$$

لقد تمكن (دونالد كرس - Donald Kerst) من جامعة (إلينوي - Illinois) الأمريكية في عام (1941) من توظيف (قانون فراي) سالف الذكر بطريقة جريئة مذهشة فاعلة باختراعه المعجل الإلكتروني المسمى (بالبيتاترون - Betatron). وبإمكان هذه الآلة تعجيل الإلكترونات إلى طاقات عظيمة جداً وذلك بإمرارها خلال أنبوب معدني مجوف مفرغ من الهواء، دائري الشكل يشبه تماماً (حلوى فطيرة الدونت - Doughnut) بالضبط. يتم إخضاع الإلكترونات (في تلك الآلة لتعجيلها) إلى حقل كهربائي متولد عن فيض مغناطيسي مجاور يولده مغناطيس كهربائي. تتعرض الإلكترونات المحقونة إلى داخل تلك الدائرة، وفي كل مرة تدور فيها خلالها إلى فرق جهد كهربائي مساوٍ لمقدار القوة الدافعة الكهربائية (Electro-Motive Force - emf) المختبة فيه.. وعليه ستكون القوة الدافعة الكهربائية المتولدة عبارة عن دالة لمقدار الفيض المغناطيسي المتولد بدلالة الزمن وستخضع للقانون الآتي:

$$\varepsilon = d\Phi_m / dt$$

حيث تمثل ε - القوة الدافعة الكهربائية (emf).



و Φ_m - مقدار الفيض المغناطيسي المتولد.

و $(d-/dt)$ - بدلالة الزمن.

يمكن الاستفادة من الإلكترونات التي يولدها معجل (البيتاترون - Betatron) في العديد من بحوث فيزياء الجسيمات الأولية وفي بحوث الأشعة السينية (X-Ray) فائقة التغلغل والنفوذية (وإنتاجها)... والمفيدة جداً في علاج بعض أنواع الأورام السرطانية. ومن الجدير بالذكر أنه بإمكان هذا النوع من المعجلات وعند تجهيزها بمقدار طاقة تبلغ (100 مليون إلكترون) فولت، وتسمى اختصاراً بالميكاترون فولت (100 MeV)⁽¹⁾ أن يدفع بسرعة الإلكترون الدائر خلاله إلى سرعة فلكية تبلغ ما لا يقل عن (0.999986) من سرعة الضوء. ولتوضيح ما ذهبنا إليه في شرحنا السابق، دعنا -على سبيل الفهم- نحل مسألة عملية وتجربة فيزيائية أجريت في أحد معجلات البيتاترون، قطع خلالها إلكترون مسافة (2x10 مرفوعة إلى القوة الخامسة) دورة داخل حلقة الجهاز قبل أن يتم توجيهه وإطلاقه صوب شريحة معدنية لغرض إنتاج الأشعة السينية (X-Ray).

إذا علمت أن مقدار القوة الدافعة الكهربائية (emf) المستعملة خلال الوقت المخصص للتجربة كان قد بلغ $[d\Phi_m/dt = 400]$ فولت، احسب الطاقة التي يحملها هذا الإلكترون قبل اصطدامه بالشريحة المعدنية المخصصة كهدف له في تلك التجربة، واحسب سرعته النسبية كذلك.

الحل:

بعد أن يكون الإلكترون قد قطع مسافة (2x10 مرفوعة إلى القوة الخامسة دورة)، فإنه كان قد تعرض إلى ما يعادل (2x10 مرفوعة إلى القوة الخامسة) [400x] أو ما يساوي (8x10 مرفوعة إلى القوة 7) فولتات. وعليه ستبلغ طاقته الكلية ثمانين ميكا إلكترون فولت (80 MeV).

(1) MeV - يعتبر الإلكترون - فولت إحدى وحدات قياس مقدار الطاقة في الفيزياء ونعرف بأنها مقدار الطاقة الحركية الحاصلة التي يكتسبها إلكترون حر عند تعريضه إلى فرق جهد كهربائي مستقر مقداره (فولت) واحد يؤدي إلى تعجيله.
 $10 \times 1.60217653 \times 10^{-19}$ مرفوعة إلى الأس السالب 19 جول. (الترجم).

وباستعمال المعادلات المتوافرة لحساب مقدار الطاقة الحركية التي يكتسبها مثل ذلك الإلكترون والذي أصبح الآن يسير بسرعة نسبية عالية جداً نستطيع أن نحسب سرعته النسبية والتي ستبلغ في مثل تجربتنا تلك ما يعادل (0.99998) من سرعة الضوء!!

قانون فراداي للتحلل الكهربائي (1833)

دعنا قبل أن نبتدئ بشرح قانون فراداي للتحلل الكهربائي ومناقشته، أن نراجع شيئاً من مبادئ الكيمياء الأولية ونفهم شيئاً عن معاني مفردات هذا القانون.

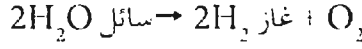
يُعرف (التحلل الكهربائي للمواد) بأنه عبارة عن عملية إمرار تيار كهربائي خلال محاليل موصلة له، أو خلال منصهرات أملاح بعض العناصر والتي يؤدي مروره خلالها إلى تحللها واستخلاص مركباتها الأولية منها. وعليه فحينما تتم عملية إمرار تيار كهربائي مستمر خلال محلول موصل للكرباء (كان يكون مُنصهر أحد أملاح مادة ماء، أو محلولاً حقيقياً لها)، فإن تفاعلاً كيميائياً شديداً يحدث عند نقاط تماس الدائرة الكهربية المغلقة بذلك المحلول أو المنصهر، وعادة ما تتحقق نقاط التماس تلك باستخدام أقطاب معدنية (أو غيرها) موصلة للكهرباء تُغمر فيها. يسمى القطب المتصل بالجانب السالب للبطارية (بالقطب الكاثودي - Cathode Pole) وهو المسؤول عن نقل وتجهيز الإلكترونات من البطارية، ويسمى القطب المتصل بالجانب الموجب للبطارية (بالقطب الأنودي - Anode Pole) وهو المسؤول عن استلام وإرجاع الإلكترونات من داخل المحلول أو المنصهر بواسطة السلك الذي يربطه بالبطارية إليها.

وقد يتذكر بعض القراء الأعزاء الإعجاب والدهشة التي تملكهم أثناء إجراء عملية التحليل الكهربائي للماء في الفصل العملي من دروس كيمياء مرحلة الدراسة المتوسطة، فما حصل في تلك التجربة لم يكن سوى إمرار تيار كهربائي مستمر مستمداً من بطارية سائلة - أو من محولة كهربائية متصلة بمكبس التيار الكهربائي المتردد الاعتيادي الذي يُجهز كافة مرافق المدرسة - خلال قطبين معدنيين نظيفين مغمورين في حوض من الماء تحت دورقين زجاجيين



مقلوبين إلى داخل الحوض ومملوئين بالماء، كي يمكن جمع الغازين المتولدين من عملية (التحليل الكهربائي للماء إلى غازي الأوكسجين والهيدروجين) داخلهما.

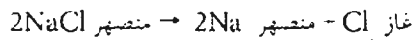
تتم عملية التحليل الكهربائي للماء وفق المعادلة الآتية:



يعتبر الماء (من الناحية العملية) موصلاً رديئاً للكهربائية، وعليه فلا بد من إضافة قطرات قليلة من حامض الكبريتيك (H_2SO_4) شديد التأين وذلك من أجل تسهيل عملية مرور التيار الكهربائي خلاله بطريقة كفوءة. وتحصل التجربة على طاقتها اللازمة لفصل أيوني الأوكسجين والهيدروجين عن بعضهما، كما تحصل أي عملية تحليل كهربائي أخرى على طاقتها من منبع عام للتيار الكهربائي. وإذا ما مر في بالنا الاستفسار المهم عن معنى (Electrolysis) أو التحليل الكهربائي لوجدنا الجواب أمام أعيننا في ذات الكلمة نفسها، فالملاحق (lysis) يعني بالإغريقية (تحلل أو فصل) ولهذا نجد أن الكلمة العربية للمصطلح ليست بحاجة إلى تفسير يذكر.

يؤمن الكثير من علماء اليوم بأهمية هذا النوع من التفاعل الكيميائي الفريد وذلك لإمكانية تجهيز غاز الهيدروجين (H_2) القابل للاحتراق وتحرير الطاقة، الأمر الذي يؤهله حتماً لاحتلال مركز مرموق كأحد مصادر الطاقة المجهزة لمحركات ومكانن المستقبل، هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية فإن الغواصات النووية التي عليها أن تغوص وتبقى تحت سطح الماء لفترات طويلة جداً ستستفيد أقصى الاستفادة من هذا التفاعل الذي سيمكنها من توفير احتياجاتها الطويلة الأمد ذاتياً من الأوكسجين، وربما لبعض احتياجاتها الموازية البسيطة للطاقة عن طريق الهيدروجين الناتج عرضياً من توليدها للأوكسجين.

وكمصدر رئيس رخيص الثمن فائق الوفرة لحصولنا على مادتين ثمينتين أساسيتين لكثير من الصناعات والأغراض، يمكننا الحصول على كل من عنصري غاز الكلورين (Cl_2) والصوديوم الحر (Na) عن طريق التحليل الكهربائي لمنصهر ملح الطعام الاعتيادي عالي النسبة سهل الاستخلاص من مياه البحار والمحيطات المالحة.. وحسب المعادلة الآتية:



ينطوي (قانون فراادي) على شقين اثنين. ينص الأول على تناسب مقدار التغير الكيميائي الناتج (داخل أي منصهر أو محلول حقيقي مركز) عن التيار الكهربائي خلاله مع كميته ومقداره، أي أن مقدار العناصر المفصولة أو المترسبة بواسطة عملية إمرار تيار كهربائي خلال محاليلها أو منصهراتها يتناسب دائماً مع مقدار وكمية الشحنة الكهربائية المارة خلال تلك الدائرة. وينص الثاني على أن مقادير التغيرات الكيميائية أو كمياتها التي تنتج عن طريق إمرار أي كمية من الكهرباء خلال مختلف المواد لابد أن تكون متناسبة أيضاً مع أوزانها المكافئة (Equivalent Weights). وبالمثل فإن مقدار كتلة العناصر المترسبة أو المفصولة لابد أن تكون متناسبة مع كتلتها الذرية (Atomic Masses). إن التدقيق بالمعنى المستخلص من تلك المشاهدات يمكننا من الاستنتاج بأن لذرات العناصر المختلفة كميات محددة (مستقلة) من وحدات الشحنة الكهربائية.

يُكتب قانون فراادي للتحليل الكهربائي اليوم على الشكل الآتي:

$$m = \frac{Q}{qn} \cdot \frac{M}{N_A} = \frac{1}{96,485 \text{ C}} \cdot \frac{QM}{n}$$

حيث تمثل m - مقدار كتلة المادة المتحررة أو المترسبة عند قطب خلية التحليل الكهربائي مقاسة بوحدة الغرام.

و Q - كمية الشحنة الكهربائية التي تم إمرارها خلال محلول أو منصهر ملح المادة الموصلة لها بوحدة الكولوم.

و q - مقدار شحنة الإلكترون الكهربائية الواحد ومقدارها (10x1.602 مرفوعة إلى القوة السالبة (19-)) بوحدة الكولوم / لكل إلكترون واحد.

و n - هو المتغير المساوي لقيمة مقدار التكافؤ للمادة الموجودة في المحلول أو المنصهر عندما تكون في حالتها الأيونية.

(يُعرف مصطلح قيمة مقدار أو عدد التكافؤ (Valence Number) بأنه العدد الذي يتراوح ما بين (-4 و +7) والذي يصف أسلوب اتحاد الذرات في أي تفاعل كيميائي. فعلى سبيل المثال بإمكان فلز الحديد أن يتخذ عدد تكافؤ (+3) عند تفاعله بصفة (الحديدك - ferric) و (+2) عند تفاعله بصفة (الحديدوز - Ferous). ويتخذ الهيدروجين دائماً عدد



التكافؤ المساوي لـ $(+1)$ ، كما يتخذ عنصر الألومنيوم عددي التكافؤ $(+2)$ و $(+3)$ في حالتي الألومنيوز والألومنيك على التوالي على حين يتخذ غاز الكلور المتأين دائماً عدد التكافؤ (-1) ... وهكذا.

و M - هي مقدار الكتلة العيارية (Molar Mass) للمادة مقاسة بوحدة الغرام لكل وزن عياري (Mole) من تلك المادة.

و N - هو عدد أفوكادرو من الأيونات والمساوي لـ $[6.022 \times 10]$ مرفوعة إلى القوة (23) أيوناً لكل وزن عياري من المادة.

أما القيمة العددية المذكورة في القانون وهي $(96,485.3383)$ والتي تحمل وحدات (الكولوم لكل وزن عياري واحد) فتسمى بثابت فراداي (F) والتي تُعرّف بأنها مقدار الشحنة الكهربائية التي يحملها وزن عياري (Mole) من الإلكترونات، أي مقدار الشحنة الكهربائية التي يحملها عدد أفوكادرو من الإلكترونات، ويكتب التعبير النصي الأخير رياضياً كما يأتي:

$$F = N_A \cdot q$$

وأخيراً فإن الحرف (C) يعني وحدة التيار وهي (الكولوم).

والآن دعنا نستفيد من التطبيق العملي لقانون فراداي لحل مسألة يُطلب فيها منا تعيين كمية المادة المستهلكة أو المنتجة عند أحد أقطاب خلية تحليل كهربائي، آخذين بنظر الاعتبار ما تعلمناه سابقاً من أن مقدار المادة المستهلكة عنده أو المترسبة عليه لا بد وأن يتناسب طردياً مع مقدار الكهرباء (والمقصود هنا مقدار الشحنة الكهربائية) المارة خلال خلية التحليل. وتذكر أيضاً أنه عند إمرار (أمبيراً واحداً) من التيار خلال دائرة كهربائية لمدة ثانية واحدة من الزمن فإننا في الحقيقة (وحسب التعريف السابق) نمرر ما مقداره (كولوم واحد) من الشحنة خلالها.

والمطلوب منك الآن هو تعيين عدد غرامات عنصر فلز الصوديوم الحر المترسبة على القطب السالب (الكاثود - Cathod) في خلية تحليل كهربائي تحتوي على منصهر مادة كلوريد الصوديوم (ملح الطعام الاعتيادي - NaCl) عند إمرار تيار كهربائي فيها

مقداره (20 أمبيراً) مدة 8 ساعات متواصلة.

نبدأ حل المسألة بحساب كمية الشحنة الكهربائية التي ستمر خلال دائرة خلية التحليل الكهربائي موضوع الحديث:

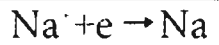
$$20 \text{ amperes} \times 8 \text{ hours} \times \frac{60 \text{ min}}{1 \text{ hour}} \times \frac{60 \text{ sec}}{1 \text{ min}} \times \frac{1 \text{ C}}{1 \text{ ampere sec}} = 576.000 \text{ C}$$

ويعني الحرف (C) هنا وحدة الأمبير.

ثم نستعمل ثابت فراداي لتعيين مقدار الأعداد العيارية (Number of Moles) من الإلكترونات (e^-) والتي ستنقل إلى خلية التحليل الكهربائي عند إمرار (576.000) من كولومات الشحنة الكهربائية خلالها:

$$576.000 \text{ C} \times \frac{1 \text{ mole } e^-}{96,485 \text{ C}} = 5.97 \text{ mol } e^-$$

وبما أن كل أيون حر واحد من الصوديوم (Na^+) يحتاج إلكترون واحد لترسيبه على القطب السالب (Cathod) للخلية على شكل العنصر الحر وحسب المعادلة الآتية:



فإننا سنحصل بالفعل على وزن عياري واحد من فلز الصوديوم الحر لقاء كل عدد عياري واحد من الإلكترونات (ويساوي هذا العدد بالمناسبة عدد أفوكادرو من الإلكترونات)، وعليه فلننتج ما مقداره (5.97 وزناً عيارياً) من عنصر الصوديوم لابد لنا من أن نضرب كل وزن عياري واحد منه بعدد غرامات الصوديوم الموجودة فيه «وهذا يساوي وزنه الذري (Atomic Weight) بالضبط بالغرامات أي (22.99g)»، وكما يأتي:

$$5.97 \text{ mole Na} \times \frac{22.99 \text{ g Na}}{1 \text{ mol Na}} = 137.25 \text{ g Na}$$

وهي كمية فلز الصوديوم الحر الممكن استخلاصها من منصهر ملح كلوريد الصوديوم



في (8) ساعات. وعليه فلكي ننتج كيلو غراماً واحداً من عنصر الصوديوم بطريقة التحليل الكهربائي لمنصهر ملحه الموجود طبيعياً كمادة ملح الطعام أو كلوريد الصوديوم (NaCl) لابد لنا من إمرار تيار كهربائي مقداره 20 أمبيراً لمدة»

$$\frac{1000g \times 8h}{137.25g} = 58.287797 \text{ ساعة}$$

أي ما يعادل يومين وعشر ساعات وعشر دقائق.

للفضوليين فقط

- لقد كان (سفر أيوب)⁽¹⁾ من التوراة، أحب قصصه إلى فراداي وأكثرها إثارة لحماسة، ولعله كان أكثر الفصول تجسيدا على يده، فكثيراً ما كان يذكر للمقربين منه أنه ليس سوى إحدى صنائع الإله (تبارك وتعالى)، وأن المغزى الحقيقي من وجوده وحياته شخصياً هو في توضيح وبيان عظمة خلق الله (عز وجل) من ظواهر وأحداث في الكون للناس (والصبر على ذلك)، ليدركوا معانيها ومن ثم ليتوصلوا إلى إدراك شيء من عظمة الخالق (العظيم جل وعلا).
- حدث خلال فترة أربعينيات القرن التاسع عشر (1840s) أن وقع فراداي في أحضان، وعانى كثيراً من إصابته بالانهيار العصبي التام.
- انخرط خلال الفترة ذاتها ضمن رعايا الكنيسة السنديمانية - Sandemaniam⁽²⁾ (Cahrch) وصار أحد كبار أساقفتها وقد أثرت كلتا الحادثتين في مجرى حياته تأثيراً بالغاً انعكس سلباً على نوعية إنجازاته وكميتها خلال تلك الفترة.

(1) The Biblical Book of Job - وهو أحد فصول التوراة القديمة التي تسري قصته سيدنا أيوب (عليه السلام) ابتداء من وصف شخصيته وأحواله إلى إصابته بالمرض وامتناعه من قبل الله (عز وجل) وخلاصه أخيراً. وتعتبر من أكثر قصص التوراة (وقد جاء ذكرها في القرآن الكريم أيضاً) عبرة وتأثيراً ومثل ملخص صراع الخير والفضيلة مع الشر والذيلة بالمفهوم التوراتي، وقد كتبت شعراً وهي بعدة أقسام. (المترجم)

(2) أو Glastie - إحدى النحل المسيحية التي أسسها (جون كلاس - John Glas) حوالي سنة (1730) في اسكتلندا ونشرها صهره (روبرت ساندمن - Robert Sandeman) إلى بريطانيا وأمريكا. وتؤكد على ضرورة عمق الإيمان بالله (سبحانه) وبتضحية المسيح - عليه السلام - (المترجم).

- طُبعت صورة وجهه الوسيم على الورقة النقدية الرسمية لبريطانيا العظمى من فئة العشرين باونداً (£20) خلال الفترة (1991 – 1993).
- كُرِّم بإطلاق اسمه على وحدتين مهمتين من وحدات القياس الكهربائي، فهناك [الفاراد - F (Farad)] وهي وحدة قياس مقدار السعة للمتسعات أو المكثفات الكهربائية، و [الفراداي - Fd (Faraday)] وهي وحدة قياس الشحنة الكهربائية.
- واطب (فراداي) على حضور دروس مكثفة في التمثيل والخطابة بغية تقليل تأثير اللعثة اللافتة التي كان يعاني منها عند نطقه ولغرض التخلص منها تماماً.
- اشتغل مساعداً وكان له تأثير كبير على أعمال عالم الكيمياء والفيزيائي الإنجليزي الشهير (همفري ديفي - Hemphry Davy) وكان دائم المواظبة على تجربة الغازات الجديدة التي كان يكتشفها على نفسه!! فعرض نفسه بذلك مراراً إلى خطر الموت، ولكنه بأسلوبه ذاك كان قد تمكن من اكتشاف فوائد وصفات غاز «أوكسيد النتروز (NO) Nitrous Oxide»⁽¹⁾.

أقوال ماثورة

- لقد شحذت علاقة فراداي بالطبيعة نوعاً من التعمق والنشوة الروحية لديه، فلم يمكن الفصل ما بين إيمانه وشعوره الديني من جهة وبين إدراكه وعمقه العلمي من جهة ثانية، كما تمتع بموهبة المزج والتزاوج بينهما حتى إنك لتلاحظ أمشاج التناسق والوئام بينهما ظاهرة على كل أعماله.

تندال

John Tendall (Faraday as a Discoverer)

مقتطف من كتابه (فراداي المكتشف).

- لقد ولد (فراداي) في العام ذاته الذي توفي فيه الموسيقار اللامع (موزار - Mozart) ...⁽²⁾ لم تصل

(1) والذي عُرف فيما بعد (بالغاز المضحك) (وقد استعمل قديماً كغاز مخدر في عيادات خلع الأسنان). (المترجم).

(2) اسمه الكامل - Johannes Chrysostomus Wolfgang Theophilus Mozart

(1756-1791) موسيقار موهوب من العهد الكلاسيكي. ألف ما ينصف عن (600) عمل شملت قسم وروائع السفونيات والكونسرتات وموسيقى الفاعسات (Chamber Music) ومقطوعات البيانو والأوبرا والموسيقى الكورالية (Choral Music). ابتدأ تأليفه الموسيقي وهو في الخامسة من عمره وعُرف أمام الملوك وهو في السابعة عشرة. (المترجم).



شهرته ولم يتمكن الناس من استيعاب كافة أعماله والتمتع بها كما وصلتهم شهرة (موزار) وطربوا لأعماله، ولكننا ندرك اليوم أن في أهمية إنجازات الأول وتأثيرها على الحياة وعلى الحضارة ما يوازي إن لم يفق تأثير عبقرية الثاني عليها. لقد صنعت اكتشافات فراداي (الدوران الكهرومغناطيسي - Electromagnetic Rotation) و (الحث المغناطيسي - Magnetic Induction) الأسس الحقيقية الصلبة للتقنيات الكهربائية الحديثة، وكونت البوتقة المتكاملة والهيكل المناسب لجمع وتوحيد نظريات الكهرباء والمغناطيسية والضوء.. لقد آمن (فراداي) ودافع بضراوة عن اعتقاده القائل بأن ما يمنح الأجسام صفاتها المعروفة لا يتأتى من مادتها بذاتها وإنما من تأثير كافة أنواع القوى التي تملأ الفراغ فيما بينها عليها.

كودنك

David Gooding, (New Light on an Electric Hero), Times Higher Education Supplement
من مقالاته في ملحق جريدة التايمز اللندنية للتعليم العالي والتي نشرت بعنوان (أضواء جديدة على بطل كهربائي لامع).

- عاش الغالبية العظمى من فيزيائي العالم على مر العصور حياة ضمن مستوى الطبقة الوسطى من عامة الشعب، وقد وجدوا أنفسهم بضمنها من مستوياتها الدنيا إلى العليا وشقوا طرق حياتهم وسط خضمتها جميعاً، ولم يجدوا (أو يضعوا) أنفسهم قط في مستويات سمت أو تدنت عما سبق... إلا (ميشيل فراداي) فقد كان استثناء واضحاً وشدوذاً فريداً عن القاعدة السابقة، فقد ولد في أكثر أماكن لندن اكتظاظاً بالسكان وأكثرها فقراً وبؤساً وضيقاً وكمداً..

كروبر

William H. Cropper, Great Physicists.

مقتطف من كتابه (فيزيائيون عظام).

ملخص لسيرة حياة المكتشف

ولد العالم الفيزيائي والكيميائي [ميشيل فراداي (1791-1867) Michael Faraday] الذي اشتهر بقانونه الذي يبين العلاقة ما بين الحقل المغناطيسي المتغير وقابليته للتأثير على الحقل الكهربائي المصاحب له، وبتجاربه في مجال التحليل الكهربائي، في منطقة (نيونكتن بتس -

Newington Butts) جنوب مدينة لندن.

كان أبوه حداداً مُعديماً، بلغت به الفاقة وضيق ذات اليد إلى درجة أنه ما كان ليعطي أولاده -وفراداي- مثلهم سوى رغيف خبز (لوف -Loaf) واحد وعليهم مسؤولية اعتباره حصة طعامهم من دار أبيهم لمدة أسبوع كامل. انتمى وعائلته إلى (الكنيسة السندمانيانية - Sandemanian) التابعة من أحد مذاهب الديانة المسيحية التي تأسست في سكو تلاندا عام (1730). تضمنت تعاليمهم التركيز المعمق على معاني الحب والروح التعاونية الجماعية وبالإيمان المطلق العميق بصحة التوراة وتعاليمها.

شرح (ال. بيرس وليامز - L. Pearce Williams) مدى تعلق فراداي وعائلته بذلك المذهب ومدى تأثيره العميق البالغ عليهم على وجه العموم وعلى (فراداي) ذاته على وجه الخصوص وذلك في مدخله من كتاب (معجم سير العلماء الذاتية) قائلاً:

((لقد منحته (السندمانيانية - Sandemanism) تشرباً روحياً عميقاً وغائراً في الشعور بضرورة وحدة الكون التي لا بد وأن تتبع من وحدة ولطف ورحمة خالقه (سبحانه وتعالى) وعمق الإحساس بضالة الإنسان وضعفه تجاهه. لقد أسهم هذا الإحساس ودفع (فراداي) دفعا إلى إجراء تجاربه (حول الكهرباء) وهو مفعم بالشجاعة والإيمان التامين بوحدة وترابط كافة الظواهر الكونية وبدرجة عظيمة من اليقين لا جدال ولا مجال للشك فيه مطلقاً، الأمر الذي لم يدع حيزاً لأي تردد في نفسه عند إقدامه على نشر نتائج تجاربه التي توصل إليها)).

آمن (فراداي) إيماناً راسخاً بأن المولى (تبارك وتعالى) قد خلق الكون برمته وهو (وحده) الذي أبقاها ثابتاً مستقراً يدور بانتظام ويحكم (بقوانين)، كما آمن أيضاً بأن كل تجاربه واختباراته إنما هي محكومة بالقدر الذي ألهمه العقل والحكمة والقبالية على كشف الحقائق والأسرار التي انطوى عليها وتوضيحها وتقديمها إلى عقول العامة وألباب معاصريه وزملائه من العلماء، والذين سيقومون (إن رغبوا بذلك) بالبناء والاعتماد عليها لدفع عجلة العلوم والتقدم إلى الأمام. كما ولا يخفى أنه اعتقد اعتقاداً جازماً بصحة كل ما جاء في التوراة، وأن



اعتقاده كان راسخاً حرفياً مطلقاً، ولكنه ووفق مقتضيات العقل ومتطلبات الحكمة كان عليه أن يقوم بالاختبار والتجريب بصورة معمقة علمية لا تقبل الجدل؛ لأنه - وببساطة - اعتقد أيضاً أن في الإثبات العلمي والبرهان الحسني العملي قوة إقناع لا تجاريها قوة مثلها، وأن فيهما المنطلق والأساس لقبول كافة التأكيدات والمشاهدات الأخرى إن هي استندت عليها. ذكر (بنس جونز - Bence Jones) في كتابه الشيق (حياة ورسائل فراداي) عن لسانه قائلاً:

((لم أكن في بداية حياتي وربعان شبابي سوى فتى حالمًا خيالياً أحب الاستماع إلى القصص ورؤية الأحداث وتصديقها - على علاقاتها -، لقد كنت من الموقنين بصحة وصدق كل شيء قرأته سواء كان (قصص ألف ليلة وليلة) أو ما جاء على صفحات (موسوعة المعلومات البريطانية)،. ولكن على قدر ما يتعلق ذلك (بالحقائق) فقط، فقد كانت من أحبابي الأقرب إلى قلبي وحديسي ووجداني. لقد آمنت بالحقائق الملموسة الصادقة، وكنت قد اتخذت عهداً على نفسي أن أجرب وأفحص وأطمئن إلى (تأكيد) أي حقيقة قيلت لي أو لغيري أو حتى مجرد قد سمعت بها، قبل قبولي بإها)).

وبناء على عهده ذاك، فقد دأب (فراداي) على إعادة قياس كل ما جاء تأكيده على لسان معاصريه وأبحاثهم ومن سبقهم، كلما وجد إلى ذلك سبيلاً. وقد خصص بالفعل جل وقته للتجريب وإعادة التجريب قبل أن يعلن قبوله لأي تأكيد جاء قبله أو استنتاج.

أما بخصوص معتقده بالمذهب (السندمتي - Sandemanism) وعن أصل ذلك المذهب وعمق تأثيره عليه وعلى أعماله وشخصيته، فإليك مختصر عنه:

لقد انحدر جل أتباع هذا المذهب وتحولوا إليه بعد أن كانوا أتباعاً لمذهب آخر انتشر في أسكتلندا وهو المذهب (البرسبتاري - Presbyterian)⁽¹⁾ والذي كان تابعاً إلى كنيسته في أسكتلندا والكنيسة الإنجليزية. وفي عهد (فراداي) وشبابه كانت معظم الكنائس (السندمتية)

(1) Presbyterianism - وهو دين وعقيدة العديد الجم من الكنائس التابعة للمذهب (الكالفيني - Calvinist) ضمن المذهب (البروتستانتي - Protestantism) المسيحي. وأهم ما يدعو إليه من الأسس اللاهوتية هو عبادة الله (عز وجل) والإيمان بصدق كافة أجزاء العهد القديم (التوراة)، وبالخصول على الرحمة والعفو الأبدى من خلال الإيمان بالسيد المسيح - عليه السلام - (الترجم). راجع حاشية صفحة (429) كذلك.

تدار من قبل الشيوخ والرهبان والقساوسة من كبار السن، والذين كان قد وقع الاختيار عليهم دون أدنى التفاتة أو اهتمام لا بمستواهم التعليمي ولا لتحصيلهم الدراسي والثقافي ولا المهني والذين كانوا رغم الاختلاف في مناصبهم، سواسية لا يختلف أحدهم عن الآخر علماً ولا فهماً ولكنهم كانوا قد أجمعوا على اتباع تعاليم واحدة لا يختلفون عليها فكانوا يُحرّمون أكل لحوم الحيوانات والدواجن المقتولة خنقاً، كما كانوا يحرمون شرب الدم، ومن المكروه جداً وإلى حدّ التحريم أن يحاول أحدهم اكتساب ثروة أو يميل إلى جمع مال.

لقد بدا (المذهب السندمتي) بالفتور والاضمحلال من العالم بعد وفاة (فراداي). وقد بدأ أتباع هذا المذهب بتركه رويداً رويداً حتى آلت جميع الكنائس (السندمنية) إلى الاختفاء التام من أمريكا بحلول عام (1890). أما (فراداي) نفسه فكان قد أعجب بهذا المذهب منذ صباه وكان كثيراً ما يصفه بالمذهب البسيط المعتدل، ومن أكثر المذاهب المسيحية تسامحاً وقرباً للنفس وترويضاً لها. أما (روبرت سندمن - Robert Sandman) منشئ الكنيسة الخاصة بهذا المذهب فقد وصفه بأنه:

((المذهب الذي يؤمن إيماناً خالصاً بوجود الله (عز وجل) وأن وجوده (جل وعلا) لبين من خلال كافة التناقضات الموجودة في الكون الذي خلقه، وعلى الذين لديهم ذرة من شك أو قطمير من حيرة أن يرفعوا أنظارهم إلى سمو السماوات فوقهم وعظمتها، ويفكروا في موجدتها ومن رفعها عند ذاك ستبدد شكوكهم وستنجلي حيرتهم مهما تجذرت)).

لم ينل (فراداي) في طفولته ولا في صباه أي تعليم مطلقاً، فقد كان بالكاد -وكما ذكرنا سابقاً- يستطيع الحصول على رغيف واحد يقوّ صلبه أسبوعياً! وقد كتب هو نفسه عن تعليمه قائلاً:

«كاد تعليمي -ولندرته وبساطته- ألا يذكر، فقد كان اعتيادياً ودون أدنى مستوى يخطر لك على بال ولم تكن في جعبتي منه إلا النزر القليل من بقايا قراءة متعثرة وكتابة مشوهة وشيء من الحساب لا يفهم ولا يمت للدقة بصلة، والخلاصة لقد كانت كل حصليتي من التعليم لا تكاد تفوق ما يناله طالب اعتيادي في يوم دراسي ابتدائي (واحد)».



ولقد اضطر لما بلغ عامه الثالث عشر ولم يكد يتمكن حينها من فك رموز الخط بعد، أن يترك المدرسة وينخرط في أسواق العمل اليدوي المتعب والجهد الجسمي المضني لكسب لقمة عيشه بنفسه، وما كاد...

وصف (توماس وست - Thomas West) مؤلف كتاب (عين البصيرة - Mind's Eye) وبإسهاب معاناته في صعوبة التعلّم أولاً، وإبتلائه بمعاناته من التلعثم الشديد في قدرته على النطق ثانياً، كما وصفه بضعف الذاكرة ومواجهته لصعوبات جمّة في إدراكه لمبادئ قواعد اللغة وأسس التنقيط (Punctuation) في الكتابة، مضافاً إليها شيء من ضعف القابلية الرياضية⁽¹⁾. ولكنه رغم كل ذلك كان يتمتع بحاسة بصر حادة ثاقبة وذهن متوقّد صاف. ذكر (مكسويل - Maxwell) لاحقاً بأن قوتي حدس وبصيرة (فراداي) كانتا من القوة والدقة بحيث إنه كان باستطاعته توليف الصور الذهنية الكاملة لخطوط القوى (المغناطيسية والكهربائية) واستشراف تكوّنها وهندستها ونظام توزيعها لتملأ كافة الفراغات المحيطة بوحدات تجاربه ومن ثم قابليته على استنتاج أشكالها ونُظم هندستها بأسلوب منطقي مفهوم ومقبول.

لم يتوان (فراداي) في صباه وشبابه على ممارسة أرذل الأعمال وأحقرها في سبيل الحصول على دريهمات معدودة يقوّت بها نفسه ويدفع كاهل الفاقة وشبح الجوع والعوز عن أفراد عائلته، فقد زاول توزيع الصحف اليومية وباع الكتب القديمة وعمل مجلداً للكتب الجديدة ورفع القمامة ونظّف الشوارع، ومع ذلك ظلت همته عالية ورغبته في التعلّم وتطوير نفسه حاضرة. لقد تحققت بعض أمانيه عندما أخذت الأمية بالانحسار في أوروبا وجاء مد المعرفة وانتشار القراءة بفضل تطور صناعة طبع الكتب وتوزيعها، وما نجم عن ذلك من ارتفاع في مناسيب شراء الكتب بسبب رخص أثمانها، ولم يجد (فراداي) متعة في حياته كذلك التي كان يشعر بها ويلتذ حينما عمل بطباعة وتجليد وتنظيف الكتب التي وصلت إلى متناول يده نتيجة

(1) أشك في وجود الموجب الأساسي المرضي أو الخلقّي لكافة تلك الأعراض ولا أظنها ثانوية ناتجة من أي علة. ولعلها مجملها تنطوي تحت عوارض وظواهر سوء التغذية الذي عانى منه فراداي طويلاً، ندليل عدم ذكر التاريخ لأي ترسبات أو عوارض رافقته منها إلى مراحل رجولته. (المترجم).

عمله فصار قريباً منها. لقد حاول اقتناص تلك الفرصة وبدأ شيئاً فشيئاً يطور قابليته وإمكانيته على القراءة والفهم. ولقد أعجب خلال تلك المدة أيما إعجاب بكتاب (الدكتور إسحاق وات - Dr. Isaac Watt) الذي عنوانه (تطوير المهارات الذهنية) واحتفظ بنسخة منه (في حله وترحاله) دائماً معه في جيبه وصار يتفحصها ويقرأ - بل ويحاول فهم وتطبيق - كل ما جاء فيها من نصائح رفع الهممة وتطوير الذات وتنوير الفهم والذهن. وخير ما أعجب به (فراادي) من كتابه ذاك هو مناقشته للسبل الثلاثة لتطوير ملكة الذكاء، وهي: حضور المحاضرات وأخذ الملاحظات عما تسمع وترى بدقة والتفاعل والاحتكاك المستمر مع كل من له ميول يشابه ميولك واهتمامات تقترب من اهتماماتك.

أما إيقاد شعلة حب (فراادي) للعلوم بصورة عامة وشغفه وهيامه بموضوع الكهرباء بصورة خاصة وسلبها إياه للبه، فقد حدث عن طريق صدفتين غريبتين غير متوقعتين تماماً حضرهما له القدر الذي كان قد اختط له مستقبله ليكون عالماً مرموقاً وأباً شرعياً لعظميات نظريات الكهرباء وأشهر قوانينه وكان قد كتب ذلك سلفاً في لوح الأزل.. ففي أحد الأيام وقعت بين يديه نسخة من (الموسوعة البريطانية) لأحد زبائنه ليجلدها له، فأعجب بها أيما إعجاب وافتتن غاية الافتتان بـ(127) صفحة منها كانت شرحاً لمدخل جديد أذهله وأحبه اسمه (الكهربائية - Electricity)، فما كان به إلا أن سارع لدراستها، ثم لتطبيق بعض التجارب المبسطة التي جاءت تلك الموسوعة على ذكرها باستعمال ما وصلت إليه يده من قنآن قديمة وقطع خشب عتيقة، كما تمكن من بناء آلة مبسطة تدار باليد غرضها إنتاج بعض الشرارات الكهربائية. وبعد أن تعمق في دراسة ما استطاع الحصول عليه من كتب ومعلومات (ربما عن طريق عمله كمجلد للكتب والمخطوطات) توصل إلى استنتاج مهم مفاده: أنه رغم معرفة العلماء للكهرباء ووصفهم لها منذ قرون، إلا أن هناك الكثير والكثير جداً مما يجب عليهم فهمه ودراسته بعد.

تلك كانت الصدف الأولى، أما الثانية وهي التي غيرت حاله وأبدلت حياته إلى الأبد، فكانت في عام (1812) حينما أصيب العالم الإنجليزي العظيم [همفري ديفي (1778-1829) Hemphry Davy] بالعمى المؤقت نتيجة انفجار إحدى تجاربه عليه مما اضطره إلى البحث



عن مساعد له من أجل إكمال تجاربه التي لم يتمكن منها فكاكاً، فساق القدر (فراداي) إليه فعينه (ديفي) مساعداً له. وللمهتمين الذين يرغبون في التعرف على المزيد من تفاصيل ذلك الانفجار وعلاقته بأعمال الكيميائي الفرنسي [بيير دولو (1785-1838) Pierre Dulong]، انظر مدخل (قانون ديولو وبتي للحرارة النوعية The Dulong – Petit Law of Specific Heats) في هذا الكتاب صفحة (416). وفي عمله معه تعرّض (فراداي) بدوره إلى مجموعة من الانفجارات من جراء تجاربه وأعماله. أما أخطرها فكان يوم حمل بين أصبعيه الإبهام والسبابة أنبوباً يحتوي على مركّب (ثالث كلوريد النتروجين – Nitrogen Trichloride NCl_3) القلق، وعندها حدث الانفجار المروع الذي أوشك أن يطيح بيده كلها! وبعد أن ثبتت أقدامه في ميدان العلوم وصار معروفاً في مجالات تجاربها شرع بنشر أبحاثه، وكانت غزتها ذلك الذي نشره في عام (1816) وكان بعنوان (تحليل مادة جير توسكاني الحارقة)⁽¹⁾ Analysis of Caustic Live Tuscany) وفي عشرينيات القرن التاسع عشر (1820s) تمكن من عزل المادة الكيميائية التي تعرف اليوم باسم (البنزين – Benzene)⁽²⁾، وبعد عدة تجارب واختبارات توصل إلى حقيقة احتواء هذا المركب الجديد على أعداد متساوية من ذرتي الكربون والهيدروجين، فأطلق عليه اسم (الهيدروجين الم كربن – Carbonated Hydrogen). وفي عام (1820) تمكن ولأول مرة في تاريخ الكيمياء من توليد مركبي الكربون والكلورين المعروفين علمياً باسم (رابع كلورو أثيلين)⁽³⁾ (Tetrachloroethylene) – أو – رابع كلورو أيثين (Tetrachloroethene) ورمزه الكيميائي (C_2Cl_4) .

(1) Caustic Lime – ويسمى بالجير المحروق أو الجير السريع وهو مركّب أوكسيد الكالسيوم (CaO) القاعدي البلوري الأبيض اللون وكثيراً ما يستعمل كمادة أولية للبناء. وكما لا شك الطوب والأحجار بعضاً ببعض.. ويختلف عن الإسمنت (الكونكريت) بضعف مقاومته للرطوبة. (المترجم).

(2) Benzene – أو البنزول مادة كيميائية من فصيلة الكحولات العضوية، رمزها الكيميائي العام (C_6H_6) وهو عبارة عن سائل عديم اللون سريع الاشتعال حلو الرائحة يستعمل كمذيب عضوي، وهو من المواد المسرطنة المعروفة (المترجم).

(3) ويسمى (بسائل الغسيل الجاف – dry-cleaning fluid) وهو سائل شفاف يستعمل لذلك الغرض، عديم اللون ذو رائحة (حلوة) يمكن تمييزها ابتداءً من تركيز $1 / 1000000$ – جزء واحد من مليون جزء، في الهواء. وكان عالمنا (فراداي) قد تمكن من تحضير المركب الأول من تسخين المركب الثاني. (المترجم)

وسادس كلورو أيثيلين (Hexachloroethelene) أو سادس كلورو ايثين (Hexachloroethene) ورمزه الكيميائي (C₂Cl₆).

وفي عام (1821) تزوج من الحسنة الناعمة ذات الثلاثة والعشرين ربيعاً (سارا برنارد - Sarah Barnard) والتي منحتة زواجاً سعيداً مريحاً فرح به أشد الفرح طوال حياته معها. لاحظ في ذلك الزواج أن (سارا) لم تكن بذلك الذكاء الحاد ولا الألمعية التي كان يتمتع هو بهما، ولكن (شحنات) العاطفة المتدفقة والحب الدافئ الذي منحتة إياه كان كل ما هو بحاجة إليه. لم تدرس (سارا) الكيمياء من قبل ولم تحاول البروز فيها، ولكنها كانت فخورة بما هي عليه وبإمكانياتها المتأججة لكسب حب واحترام زوجها وفنونها في إضفاء كل ما من شأنه أن يضيف البهجة والخبور والارتياح إلى حياته. نقل مؤلف كتاب (ميشيل فراداي) الكاتب (ال. بيرس وليامز - L. Pearce Williams) قولها بثقة:

«نعم... لا أظنني بحاجة إلى الكيمياء أملاً بها رأسي وقلق بها راحتي... فهي مادة على قدر عال جداً من الأهمية والصعوبة وقد تمكنت من الاستحواذ على رأس (فراداي) كاملاً، إضافة إلى سلب كل اهتماماته إلى الدرجة التي حُرم معها من النوم. أما أنا فقد رضيت غاية الرضا عن دوري - كمجرد وسادة - تستطيع أن تعيد هذا الرأس العبقري، وذلك الذهن الشارد المشغول المتوقد إلى نومه الهادئ ببساطة!! فلا حاجة لي برأسه وإنما حاجتي في قلبه».

ولعل (فراداي) كان محظوظاً لحصوله على مثل تلك الزوجة، إلا أن التاريخ يروي لنا أنه أوشك أن يفقد تلك الحانية الذكية رغم جمالها ومواصفاتها الاجتماعية المميزة فقد كانت ابنة (راعي الكنيسة السندمانيه Sandemanian Elder). حدث ذلك بعد أن أعجب بها وأعجبت به، فأهداها في خلال أحد لقاءاتهما قصيدة شعرية - حاله حال كل المعجبين والمحبين - إلا أنه وبذل أن يتغزل بها ويسمعها همس قلبه وألحان حبه، جرح شعورها في العمق بتمجيده (للعلم!!) فيها ومدحه إياه بطريقة فهمت منه وأفهمها بأن الحب ما هو إلا خدعة تسلب المرء ليه وتُفقد وعيه وتمنعه من تحقيق غاياته السامية. أدارت له ظهرها وغلقت بوجهه أبواب قلبها بعد تلك القصيدة المشؤومة، فما كان منه إلا أن أدرك مدى (غبائه العاطفي) و (أميته في معاملة



النساء) وهو العالم الذكي المتميز في علم الكهرباء والكيمياء فبادر بإصلاح خطئه القاتل ونجح أخيراً باسترجاع قلبها الطائر، إليه وغرامها القاهر به بعد أن أفهمها أن حبه وولعه وهيامه بها لا يقل، بل قد يفوق حبه وولعه وهيامه بالعلم الذي بين يديه، فقبلته زوجاً لها.

لقد سبق التطرق إلى اكتشاف (فرا داي) لمواصفات الكهر ومغناطيسية وأبحاثه الفيزيائية ذوات العلاقة. أما عمله المبدع الجديد بخصوص تحويل الطاقة الكهربائية إلى طاقة ميكانيكية فقد نُشر في عدد تشرين أول (أكتوبر) من عام (1821) في الدورية العلمية المرموقة (المجلة الفصلية للعلوم) تحت عنوان (حول بعض العلاقات والحركات الكهرو - مغناطيسية ونظرية المغناطيسية).

أما تجربته الفريدة، وما احتواه مقاله أعلاه فقد كان وصفاً دقيقاً ومدهشاً لما قام به بالفعل:

((لقد قام (فرا داي) بإدخال سلك كهربائي بصورة عمودية في مركز إناء زجاجي وختم قاعه ثم ملأ الإناء بالزئبق وأرسل تياراً كهربائياً خلال ذلك السلك من أسفل الإناء إلى أعلاه، ثم قام بعد ذلك بوضع قضيب مغناطيسي فيه وأركسه في قعره بحيث يقف منتصباً داخله. أسفل مستقر وحر الحركة، وأعلاه ظاهر يُرى فوق سطح مستوى الزئبق في الإناء، ولما أغلق (فرا داي) دائرة السلك الكهربائية وبدأ التيار يسير فيه ابتداءً قضيب الحديد المغناطيسي بالدوران وكأن تياراً خفياً أو قوة ما تجبره على الدوران. لقد كان ما فعله (فرا داي) حينها يمثل وبطريقة ما أول محرك كهربائي في الوجود!!)).

اشتعلت نار الحسد في قلب (همفري ديفي - Hemphry Davy) لما شاعت شهرة (فرا داي) العلمية وابتداءً نجمه بالصعود، وغضب غضباً شديداً وفقد أعصابه من غيرته مما صنعه غريمه، فصار يتهجم عليه في كل مجلس ولقاء ويتهمه بسرقة أفكار زملائه ومساعديه، وقد بلغ به الحق والكراهية مبلغاً أعماه، فصار يُؤلب عليه المعارف والعلماء ويستحثهم على نقض طلباته للانتماء إلى الجمعية الملكية أو انتخابه عضواً فيها، ولكن بأت كافة محاولاته بالفشل وجرّ أذيال الخيبة عندما نجحت مساعي (فرا داي) وتم انتخابه بالفعل عضواً فيها في عام (1824).

وفي عام (1831) أهدته نباهته وحده إلى اكتشاف فريد. لقد كانت فكرته هذه المرة تتمحور حول إمكانية جعل تيار كهربائي يمر في سلك معزول ويولد تياراً آخر في سلك ثانٍ

معزول عن الأول. ولهذا الغرض قام بربط مقياس للتيار الكهربائي من نوع (الكلفانومتر - Galvanometer) وتثبيتته بطرفي سلك لفه على جانب حلقة معدنية غليظة (تشبه فطيرة الدونت)، وعلى جانبها المقابل قام بربط سلك آخر بدائرة كهربائية خارجية بعد أن لفه بنفس الطريقة حولها. أما خطته فكانت بإرسال التيار الكهربائي من المصدر والذي سيدور في السلك المربوط به ويولد نوعاً ما من (الحلقات المغناطيسية) - أو الفيض) والذي سيتدفق عبر فراغ الحلقة الحديدية الغليظة ويحث توليد تيار كهربائي جديد في السلك الثاني المربوط بجهاز الكلفانومتر وسيعتبر تجربته وتفكيره صائبين إذا ما تمت قراءة أي مقدار من التيار الكهربائي (وقد تولد في الملف الثاني) في ذلك الجهاز. ولكن ما وجده (فراي) حقيقة، وعند غلق الدارة الكهربائية وإمرار التيار الكهربائي في حلقات السلك الأول كان ثغراً مفاجئاً تم في الجهاز. بمعنى تولد كمية تيار فيه ثم عودته فوراً إلى قراءته الصفرية مهما كانت فترة بقاء التيار سائراً في الملف الأول. ولكن المفاجأة الحقيقية، وما أذهله فعلاً هو ما حدث عند فتح الدارة الكهربائية الأولى وقطع التيار الكهربائي عن ملف السلك الأول، فحينها، وحينها فقط لاحظ تولد التيار الكهربائي في السلك المربوط بجهاز الكلفانومتر (بدليل تحرك إبرته)!!

أما حقيقة ما اكتشفه فكان احتفاظ حلقة الحديد بالمغناطيسية التي ولدها مرور التيار الكهربائي في سلك الملف الأول المتصل بالمنبع. عملت تلك المغناطيسية المتبقية (أو المحفوظة) وبعد انقطاع التيار (بحث) تيار جديد في ملف السلك الثاني. كما وجد أن هذا التيار (الثانوي) الجديد لا يتولد إلا عند زيادة أو نقصان التيار في الملف الأول المتصل بالمنبع - ولا يتولد أي تيار في الملف الثانوي حين استمرار مرور تيار ثابت في الملف الأول ومهما كانت فترة وصله بالمنبع.

قام (فراي) بوصف ملاحظاته التي صاغها بلغة إنكليزية بسيطة على شكل قانون ينص على:

- (1) تولد القوة المغناطيسية تياراً كهربائياً كلما تغيرت.
 - (2) تردد كمية الكهرباء المتولدة كلما زادت سرعة تغير القوة المغناطيسية التي (تستحثها).
- بعد عدة أسابيع من التجارب والمحاولات خرج (فراي) على الملأ وقد أثبت أن



باستطاعته استعمال المغناطيس الدائمة لتوليد التيارات الكهربائية كما أثبت أنه بالإمكان تحويل القوة المغناطيسية إلى قوة كهربائية. واستعمل في ذلك قرصاً نحاسياً ينتج تياراً كهربائياً عندما يدور ما بين قطبي مغناطيس دائم.

لقد كان لتلك التجربة تأثيراً إيجابياً باقياً (وراسخاً) على تاريخ تجارب وتوليد الكهرباء والمغناطيسية وكافة تطبيقاتها منذ ذلك الحين وحتى اليوم، فقد استطاع العالم (مكسويل - Maxwell) في خلال ستينيات (1860s) و سبعينيات (1870s) القرن التاسع عشر الاستفادة من الأسس والمبادئ التي أرساها (فراي) لوضع نظريته في الحقول الكهرومغناطيسية. والحقيقة أن نظرية (فراي) التي صورت خطوط القوى وهي تنتقل بصورة ديناميكية حركية ما بين الأجسام التي لها صفات كهربائية ومغناطيسية، هي التي مكنت (مكسويل) من اشتقاق نظريته الرياضية لوصف طريقة انتشار الموجات الكهرومغناطيسية، فقد استعمل في عام (1865) طريقة رياضية ليثبت بواسطتها أن انتشار تلك الموجات يتم بسرعة الضوء وبنفس طريقة انتشار موجاته في الفراغ. لقد مهد ربط سرعة الموجات الكهرومغناطيسية بسرعة الضوء لوضع الأسس الأولية للاتصالات الراديوية والتي أثبتت التجارب العملية التي قام بها العالم الفيزيائي الألماني المعروف [هنريخ هرتز - Heinrich Hertz (1857-1894)] في عام (1888) صحتها، الأمر الذي مهد بدوره الطريق وفتحته أمام المخترع الإيطالي الشهير [كوكليمو ماركوني - Guglielmo Marconi (1874-1937)] لوضع التخطيط العملي وبناء أول جهاز راديو في العالم.

لم تكن إنجازات (فراي) ولا أفكاره يوماً مجرد إرهابات فكرية وتطلعات خيالية، وإنما كانت ذات تطبيقات عملية خطيرة صار لها أعظم الأثر في حياة كل فرد على كرتنا الأرضية، فقد أدت قوانينه إلى اختراع (المولدات الكهربائية) التي تنتج قوى مغناطيسية دائمة التغير عن طريق إدارة المغناطيس باستمرار، أما حركة هذه المغناطيس فيمكن إدامتها عن طريق مجاري المياه الساقطة أو الشلالات أو البخار أو الغاز الطبيعي، أو عن طريق أي مصدر طاقة آخر حفري كان أم نووي. وإذا ما أُدريت المغناطيس العملاقة في المولدات الجبارة صار بإمكاننا توليد الكهرباء برتبة واستمرارية،

وما علينا إذا ما رغبتنا في زيادة محصول الكهرباء الناتجة منها إلا زيادة سرعة دورانها. وبإمكاننا الاطلاع على العديد من التجارب الأخرى التي قام بها (فراداي)... فعلى سبيل المثال وفي إحدى تجاربه، عمد إلى إعادة تجربته السابقة مع حلقة الحديد الشبيهة (بحلوى الدونت - Donghnt) ولكن باستعمال ملفين منفصلين [الف(أ) وباء(ب)] ثابتين، قَرَّب أحدهما من الآخر وربط أحدهما: (أ). بمفتاح وببطارية تزوده بالقوة الدافعة الكهربائية وبالإلكترونيات. وربط الثاني (ب) بجهاز قياس كمية ومقدار القوة الدافعة الكهربائية (ق. د. ك.). المارة به (الكلفانومتر). ولما أغلق الدائرة الكهربائية الحاوية على الملف (أ) شاهد انحراف إبرة الكلفانومتر المربوط بالملف (ب) بصورة مؤقتة، ولما فتح الدارة (الحاوية على الملف أ) وقطع عنها تيار البطارية الكهربائية، لاحظ انحراف إبرة الكلفانومتر المربوط بالملف (ب) أيضاً مرة أخرى بصورة مؤقتة ولكن بالاتجاه المعاكس. وبناء على ذلك استطاع إثبات، وبالتجربة العملية أن هناك قوة دافعة كهربائية تتولد في الملف (ب) كلما تغير مرور التيار الكهربائي في الدائرة الحاوية على الملف (أ). شرح (فراداي) تجاربه ونتائجه بأسلوبه الخاص في بحث نشره عام (1832) وكان بعنوان (في سبيل حث واستحداث التيارات الكهربائية)، وقد جاء فيه:

((أحضرتُ قطعة كبيرة ومناسبة من الخشب ولففت حولها متنين وثلاثة أقدام من سلك النحاس المعزول كهربائياً وبطول واحد مستمر دون أي انقطاع، ثم قمت بإحضار ما مقداره متنين وثلاثة أقدام من ذات السلك النحاسي ولففتها بشكل حلزوني متداخل ما بين دورات السلك الأول وحرصت ألا يوجد أي تماس ولا تلامس بين أي من أجزاء السلكين أبداً (أي أن يكونا معزولين عزلاً كهربائياً تاماً). ثم قمت بربط طرفي أحد الملفين الحلزونيين بقطبي جهاز (الكلفانومتر) وربطت طرفي الملف الثاني مع قطبي بطارية كهربائية مكونة من مئة زوج من الألواح النحاسية والتي سبق وأن قمت بشحنها شحناً جيداً. كما حرصت على جودة الاتصالات بين الأقطاب ونقاط التلامس وتأكدت مرة أخرى من عدم وجود أي تلامس أو خدوش ما بين الملفين ذاتهما أو أي جزء من أسلاكهما المتظافرة. ولما قمت بإغلاق الدائرة الكهربائية وإمرار التيار الكهربائي من البطارية خلال الملف



الأول، لاحظت حدوث انحراف فجائي بسيط في الكلفانومتر المربوط بالملف الثاني، كما لاحظت عين ذلك الانحراف الجزئي الضئيل عند فتحي لدائرة البطارية الكهربائية وقطع مسار التيار خلالها. وفي الحالة الثالثة ولما حرصت على استمرارية إمرار التيار من البطارية خلال الملف الأول، لم ألاحظ أي تغير في حركة إبرة (الكلفانومتر) المربوط بالملف الثاني، ولم ألاحظ استحداثه أي كهربائية محسوسة أبداً، رغم تأكدي التام باستمرارية مرور القوة الكهربائية من البطارية وبمناسيب عالية جداً)).

لقد نال (فرداي) كأس السبق في تسجيل نتائج تجاربه حول إمرار الكهرباء في الأسلاك المعزولة كهربائياً واختبار تأثيراتها المختلفة، ولكن من الجدير بالذكر هنا، أن أقرب شخص كان على وشك كشف اللثام عن العلاقة الأثرية المهمة بين ظاهرتي الكهرباء والمغناطيسية هو الفيزيائي الدنماركي [هانز أورستد (1777-1851) Hans Orsted]. وكان قد سبق (فرداي) فيما ذهب الاثنان إليه، فلقد اكتشف (أورستد) وفي عام (1820) تأثير التيار المار في سلك على إبرة البوصلة المغناطيسية الموضوعة بجانبه واستنتج بأن هناك قوة تُشابه القوة المغناطيسية في تصرفها قد تولدت من مرور ذلك التيار في ذلك السلك.

يذكر لنا تاريخ الكهرباء أيضاً العديد من التجارب والكثير من الأسماء الالامعة التي شاركت و/أو توصلت إلى نتائج مقاربة أو مشابهة لما قام به أو توصل إليه (فرداي) نذكر لك منها ما يلي: لقد قام كل من العالمين، الفيزيائي الفرنسي [اندريه - ماري امبير (1775-1836) Andre Marie Ampere]، والفيزيائي والرياضي الفرنسي [فرانسوا اراكو (1786-1853) Fransois Arago] بابتكار مغناطيس كهربائي حقيقي عندما اكتشفا قابلية التيار الكهربائي المار عبر سلك موصل على شكل حلزوني من جذب برادة الحديد. وقد وجد الفيزيائي الفرنسي [شارل اوكستين كولوم (1736-1806) Charles Augustin Coulomb] وبعد تجارب عدة تشابهها بينا في مواصفات كل من المغناطيسية والكهربائية: كأن تناسب شدة كلا القوتين عكسياً مع مربع المسافة الفاصلة بينها وبين آلة قياسها. كما أثبت العالم الألماني [أوتو فون كيورك

(1602-1686) [Otto Von Guerick] أن لكلا الظاهرتين قطبية معلومة تتمتع

بظاهرتي التجاذب والتنافر.

هذا ويتوفر كل التجارب والحقائق أمام (فراداي) وبهضمها جميعاً في ذاكرته ومُخيلته، استطاع أن يتوصل إلى الاستنتاج القائل بضرورة كون قوتا الكهرباء والمغناطيسية قوتين متبادلتين، عبارة أخرى لما توصل العالم (أمبير) إلى حقيقة إمكانية تصرف الكهرباء كمغناطيس - أي باستطاعتها تكوين حقل مغناطيسي وأثبت ذلك عملياً، صار (فراداي) يتساءل فيما إذا كان بالإمكان استخدام المغناطيسية لتوليد الكهرباء؟! وقد كان مصيباً في تساؤله ذاك كل الصواب.

لقد اهتم (فراداي) كذلك - وكما تقدم ذكره - بظاهرة التحليل الكهربائي، وهي إحدى الطرق التي يمكن بواسطتها إحداث التغيرات الكيميائية عن طريق تفاعلات تتم عند أقطاب كهربائية موصلة بتيار كهربائي مستمر. وكان بذلك الأب الشرعي لما سيعرف لاحقاً في المستقبل بـ (علم الكيمياء الكهربائية - Electrochemistry). ويمكن تلخيص أعماله الخالدة تلك بنقاط عدة أهمها؛ أنه استطاع أن يُثبت [وباستخدام الكلفانومترات، وهي أجهزة قياس (ق.د.ك.) القوة الدافعة الكهربائية، وبقية المواد الضرورية لإجراء عمليات التحليل الكهربائي كالأقطاب المناسبة والأسلاك والبطاريات... إلى آخره] تناسب التفاعل الكيميائي طردياً مع كمية الكهرباء المارة خلال ما يسمى - بخلية التحليل الكهربائي - أي خلال محلولها أو خلال منصهرها، أي تناسب كميات المواد المترسبة أو المتفاعلة مع شدة وكمية التيار الكهربائي المعين المار خلالها من جهة، ومقدرة تلك الكمية المعينة من التيار على ترسيب المواد بصورة متناسبة مع أوزانها المكافئة (Equivalent Weights) من جهة ثانية. يحفظ لنا التاريخ مقدار استفادة الفيزيائي الألماني [هرمن فون هلمهولتز (1821-1894) Hermann Von Helmholtz] من أوراق (فراداي) بعد وفاته لاستنباط ودعم نظرياته القائلة بوجود تكون الكهرباء من جزيئات مفردة منفصلة سريعة الحركة، تحمل شحنات متشابهة، [والتي أسميناها فيما بعد بـ (الإلكترونات - Electrons)].



حدث في عام (1839) أن أصيب عالمنا الجليل (بالانهيار العصبي الحاد) والذي يعزیه بعض المؤرخین إلى ما يقارب العقد الكامل من الجهد الذهني والبدني المستمرين وطول السهر والعمل المضني، كان (فراداي) قد أنفقها من رصید صحته ومقاومة جسمه ونشاط عقله من أجل فهم كُنه وطبيعة ظاهرتي الكهربية والمغناطيسية، ومع ذلك ظلّ الرجل صامداً يدلي برأيه بين الحين والآخر ويقوم بهذه التجربة أو تلك بين الفينة والفينة، ورغم إمكاننا القول إنه لم ينقطع تماماً عن غرارة إنتاجه ودقة تفكيره ورهافة حسه... تماماً خلال تلك الفترة، إلا أنه كان قد أوشك على ذلك.

ومن العجيب، أيضاً أن يذكر لنا التاريخ أن (فراداي) كان قد أوقف عن عمله الكنسي في عام (1844) (ككبير للكنيسة السندمنية - Sandemanian Church)⁽¹⁾ وذلك لغيابه عن إقامة قداس واحد بعد ظهر أحد أيام الأحد - علماً أن هذا هو الأحد الوحيد الذي كان قد تخلف عنه طوال حياته!! - وقد رُفض طلبه لنيل العفو والسماح بلطف ولكن بمنتهى الحزم حين أجابته عصبة كبار الكنيسة بأن دعوته لحضور الغداء مع الملكة (فكتوريا - Victoria) والذي صادف ظهر ذلك اليوم لم يكن عذراً كافياً لتخلفه!!

والظاهر أن اكتشافاته لم تكن لتقف عند حد، ففي عام (1845) استطاع أن يكتشف حقيقة إمكانية إدارة مستوى استقطاب الضوء عند إمراره خلال زجاجة بوجود حقل مغناطيسي مجاور لها. تسمى هذه الظاهرة اليوم (بتأثير فراداي - Faraday Effect). وتبرز أهمية هذا الاكتشاف كونه النور الأول الذي هدى الجميع إلى حقيقة وجوب وجود العلاقة الوطيدة ما بين الضوء والمغناطيسية. كتب إلى صديقه الأستاذ السويسري [كرستان فردريخ شونبين (Christian Friedrich Schoenbein) (1799 - 1868)] في شهر تشرين الثاني

(نوفمبر) من عام (1845)، يصف له أحواله ويجري سير أعماله واكتشافاته حيث قال:

((الآن وفي خلال هذه الأيام، أكاد لا أجد لحظة واحدة من وقت كي أضيعها بغير العمل

والبحث والتجربة... تصور أنه حدث وتمكنت من إيجاد علاقة فريدة مذهشة مباشرة ما

(1) راجع شرح معنى الكلمة أسفل صفحة (429) و صفحة (568) من هذا الكتاب. (المترجم).

بين المغناطيسية والضوء، كما اكتشفت علاقة أخرى ما بين الكهرباء والضوء واعتقد أن هذا الإنجاز الذي قد فُتح أمامي يمثل بداية حقبة بحوث جديد وعصر أحداث مثيرة، من الطبيعي أن أجد نفسي منغمساً به رغباً في تفحصه واستكشافه عن كُتب نفسي أولاً. لا أجد بين يدي الآن ما أستطيع أن أروح لك به ولا يسعني إلا أن أتحرى العمل الجاد خلال هذه الأيام. كاد رأسي أن ينفجر من كثرة الأفكار التي غزته وعيناي أن تكل من كثرة تصور المشاهدات العلمية، وصرت أصاب بالدوار غالباً وبالإعياء أحياناً وعليه فقد قررت المجيء إلى هذا المكان (برايتن - Brighton) للاستجمام قليلاً ولكنني لم أتمالك نفسي، فجلبت كل آلاتي وأدواتي وأبحاثي معي إلى هنا)).

وفي عام (1845) اكتشف (فراداي) ظاهرة فريدة في عالم المغناطيسية أسماها (بالثنائية المغناطيسية - Diamagnetism)، وهي عبارة عن وجه من أوجه المغناطيسية الاعتيادية ولكنها تفصح عن نفسها في بعض الفلزات فقط إذا ما تم وضعها في حقل مغناطيسي، وسُلط عليها قسراً. ولكن رغم الحقيقة القائلة بأن لمعظم المواد المعدنية في الطبيعة مثل تلك الخاصية، فقد اصطلح اقتصار استعمال هذه الكلمة - أو الصفة - وعدم إطلاقها إلا على عائلة محددة من الفلزات - ومنها الذهب - والتي تبرز خاصية الثنائية المغناطيسي فيها بشكل قوي مُبهر لا يقبل الجدل أو الشك. وللاستزادة حول هذا الموضوع وللتعرف على صفات الفلزات والمواد المنتمية إليه، انظر مدخل (قانون كيوري للمغناطيسية وقانون كيوري - ويس).

عندما حل عام (1855) وفي السنين القليلة التي تلتها بدأ عالمنا الجليل يعاني من قصور حاد وشديد في نشاطه الذهني، حيث بدأت تظهر عليه علامات الشيخوخة والخرف، عندها بدأ (فراداي) بالتخلي الطوعي شيئاً فشيئاً عن مسؤولياته الوظيفية وصار أكثر انطواءً، فابتعد عن أكثر فعالياته الاجتماعية، ما عدا مواظبته المستمرة على تدريس الكيمياء والفيزياء.

لقد تبنى فراداي وفي سني حياته المتأخرة فكرة بسيطة جدية بالاهتمام والاقتداء ألا وهي الإعلان والتحضير لإلقاء محاضرة موسعة ولكنها مبسطة عن العلوم وتطورها، والفيزياء وأهميتها، والكيمياء وعجائبها في أمسية عيد الميلاد وسمى تلك الفعالية (بمحاضرة عيد



الميلاد - Christmas Lecture) التي كانت تجذب الكثير من الأطفال واليافعين وقد جروا معهم ذويهم أيضاً إليها، وجعل منها احتفالاً مزدوجاً بالعلم والمناسبة ذاتها. ولكن القدر لم يمهله كفاية من قوة وبقية من همه فلم يتمكن من إلقاء محاضراته لعامي (1860 و 1861) كما درج قبلها لسنين عدة، فتم تحريرها وإعادة صياغتها وأُقيمت من قبل أساتذة آخرين غيره... ومن الجدير بالذكر أيضاً أن الجمعية الملكية الخاصة بهذه الفعالية والتي اتخذت اسمها الرسمي كـ (المؤسسة الملكية لمحاضرات عيد الميلاد) والتي تم تأسيسها تقديراً لأهمية ما قام به وابتكره (فراداي) أولاً، لازالت تزاوّل نشاطها السنوي وحتى اليوم!!

ذكرت إحدى القصص التي رويت عن آخر ساعات نزعهِ وقُبيل وفاته بقليل، وكان قد أيقن بدنو أجله واقترب ساعته، أن سأله أحد الحاضرين بمجاملة له - ذلك السؤال الذي أجاب عليه (فراداي) بطريقة آخر ما يمكن أن توصف بأنها كانت متوقعة - مستفسراً: عزيزنا الأستاذ (فراداي) ما هي يا ترى تخميناتك ونظرياتك وأنت في هذه الساعة؟ فأجابه (فراداي) بتصميم غريب وبارادة بينة وبصوت جهوري واضح: ((عزيزي فلان في هذه اللحظات... ولعلي أحسبها الأخيرة في عمري المديد، لا يتحمل رأسي الآن أي تخمينات ولا تخطر على بالي أي فرضيات... لا يعتمر في عقلي ولا يحوي رأسي الآن إلا اليقين!!)). ثم تلا على الملأ الإصحاح الثاني عشر من الفصل الأول من كتاب (التيموث - Timothy 1-12)⁽¹⁾ والذي جاء نصه:

(أنا على يقيني بالذي هداني إليه (الله جل وعلا) ويقيني راسخ بأنه (تبارك وتعالى) عند حسن ظني بأنه إلى جانبي في هذا اليوم). ثم فاضت روحه إلى بارئها وهو جالس بارتياح على كرسيه المفضل، وقد أقيمت له مراسيم جنازية بمنتهى البساطة والاختصار ولم يُدع إليها بل لم تضم إلا أقرب المقربين من أقربائه بناءً على وصيته المسبقة بذلك.

(1) Timothy - رجل دين مسيحي من القرن الأول الميلادي (توفي في عام 80 م) وأحد التلاميذ المقربين من (بولس - أو بول - Paul) الرسول، أحد حواربي السيد المسيح عليه السلام. وقد كانت أمه وجدته لأمه يهوديتين ولا يعرف الكثير عن والده. صاحب القديس بول في تنقلاته الكثيرة والذي اعتقد بأن لأصله (اليهودي) تأثيراً مباشراً على قبول دعونه للملا إلى (المسيحية) الجديدة. وقد عينه ككاهن لإحدى الكنائس الإغريقية في إيطاليا (إيطاليا). المترجم.

لعل من أصدق وأكثر السير الذاتية الشخصية لـ (فراداي) تأثيراً هي تلك التي كتبها (جون هول كلادستون - Johb Hall Gladstone) في عام (1872) وقد كان زميلاً له في المعهد الملكي لعدة سنين.

كتب (كلادستون - Gladstone) يصف أواخر أيام (فراداي) قائلاً:

((قلت ساعات العمل الموكلة إليه بحكم تقدمه في العمر لتقدير زملائه لفضله عليهم، فصار يقضي جل وقته بعد سويغات التدريس القليلة جالساً عند النافذة الغربية حتى الغروب يمسلاً تجاريف قلبه ونسيمات روحه من ذاك المنظر الأزلي الخلاق الباهر قبل أن يشيع مقلتيه من النظر إليه، وحدث في أحد الأيام الممطرة أن حاولت زوجته بكل لطفها وجهاً له جذب انتباهه إلى روعه (قوس القزح) الذي افترش نصف السماء وقت الغروب عند ذلك المكان، فما كان من (فراداي) إلا أن شخص بعينه إلى ما وراء زخات المطر بل إلى ما يعلو الألوان الفريدة لذاك القوس وقال [لم يضع (سبحانه) آية من آياته، أعظم مما وضع هناك (في السماء)].

لقد أتى خلاصه، وفاضت روحه إلى بارئها بكل دعة وسكون وسلام وعلامات الرضا على وجهه والابتسامة مرتسمة في قلبه قبل أن تبدو على شفثيه في اليوم الخامس والعشرين من شهر آب (أغسطس) من عام (1867).

سُميت إحدى فوهات القمر بقطر (69) كيلومتراً باسمه تقديرًا له وتيمناً به وقد صادقت الجمعية العمومية لاتحاد الفلكيين العالميين على تلك التسمية في عام (1935).

لعل من غرائب بل من فضائل أعماله احتفاظه ودأبه على كتابة مذكراته العلمية وطوال فترة حياته الحافلة بالإنجازات والاكتشافات. بدأها في عام (1832) واستمر فيها مانحاً لكل فقرة من فقراتها رقمها الخاص بها حتى نمت واتسعت بنهاية فترة حياته العملية بُعيد عام (1861) لتبلغ ما مجموعه (16,041) فقرة ضمتها سبع مجلدات ضخمة. لا تزال تلك المذكرات بمجلداتها السبعة مصدراً نافعاً وشاخساً خالداً لما يمكن أن يضيفه إنسان واحد من فكر مبدع خلاق إلى دنيا العلم. لقد عكف (فراداي) طول حياته على الاستئناس بالحكمة والركون إلى المنطق العلمي وكان كثيراً



ما يؤخر أحكامه ويتأني باستنتاجاته حتى يُشبع موضوعه بحثاً ويُقلبه درساً - وقد كان عبارة عن ذهن يقظ مفكر، بلغ استعداده لقبول كل ما هو جديد من أفكار وآراء درجة تقرب من العجب.... ذكر (ميشيل كيولن - Micheal Guillen) مقدار ما ساهم به (فراداي) في مساعدتنا على فهم العالم من حولنا ما يلي: مقتبساً من كتابه الرائع (المعادلات الخمسة التي غيرت وجه العالم).

((لقد تمكن (فراداي) بمعية (أورستد - Orsted) من إثبات حقيقة توليد الكهرباء من المغناطيسية وتوليد المغناطيسية من الكهرباء وأكدا علاقة (النسب) بينهما بقوة وتبادلية إلى الدرجة والعمق التي لا تكاد معها أن تدركها أي علاقة مثلها في الطبيعة.... لقد كشف ابن العامل البسيط اللثام، وخط بيده كلمات سر لعله من أعظم أسرار الدنيا، إن لم يكون أعظمها على الإطلاق. ذلك السر الجميل الذي جلب بنشره نهاية عصر قوة البخار و(الثورة الصناعية) و وضع بقوته أقدام العالم على أعتاب [الثورة الكهربائية]).

وختاماً لهذه الجولة الممتعة بين سطور وتفاصيل وإنجازات حياة هذا العبقرى وبعد تقليب صفحات حياته، إليك ما كتبه محرروا (دوفر - Dover Editors) كمقدمة للكتاب الرائع الذي ألفه (فراداي) بنفسه، بعنوان (التاريخ الكيميائي لشمعة) والتي عكست، بل نحتت عبارات احترام ووفاء له ستبقى خالدة على مدى الأدهر والأحقاب، وقد جاء فيها:

((لا مرأى بتريع (فراداي) على عرش منصب أعظم فيزيائي القرن التاسع عشر على الإطلاق وحيازته على لقب أعظم الباحثين التجريبيين في عالم الفيزياء بلا منازع. لقد انتمى إلى الطبقة العليا من نخبة نخب فطاحل فيزياء العالم عبر العصور بلا منازع، وهي ذات الطبقة التي ضمت وبكل فخر واعتزاز أكابر وعظماء من أمثال (أرخميدس - Archimedes) و (غاليليو - Galileo) و (نيوتن - Newton) و (لافوازييه - Lavoisier) و (داروين - Darwin).

ذكر اينشتين - وباعتزاز - أن تاريخ العلوم الفيزيائية - على سعته ورحابته - لم يُنجب إلا زوجين اثنين من قِسم أساطين العلم: (غاليليو ونيوتن) من جهة و (فراداي ومكسويل) من جهة ثانية... برأيي، لا بد وأن يُجل (فراداي) بصورة تفوق، بل هو

بالحقيقة أفضل بكثير من (غاليليو نفسه)).

علينا ألا ننسى - ونحن نمر عبر سيرة حياة هذا العالم الفذ (فراداي) - أنه لم يكن خطيباً مفوهاً ولا كاتباً بارعاً، بل بالعكس، فإنه لم يتمكن من التعبير عن آرائه وأفكاره إلا بلغة إنكليزية بسيطة، ولم يكن يوماً رياضياً بارعاً. ولعل ذلك كان السبب وراء تأكيد المرة تلو الأخرى بأنه لا ينوي الكتابة بالأسلوب العلمي المعقد رفيع المستوى، وإنما قصده أن يبلغ مدارك وفهم الناس البسطاء (مثله!!) من حوله. ولكن بساطته في تعبيره لم تمنعه من التفصيل في أفكاره وتعميقها إلى الدرجة التي دفعت العالم (مكسويل - Maxwell) وبعد ثلاثين عاماً إلى الاستناد على... والرجوع لاكتشافاته الفريدة والتشرف بالاعتراف بذلك حين نشر بحثه المميز العريق (نظرية ثورية في واقع الحقل الكهرومغناطيسي)، والذي توصل فيه إلى إعادة صياغة اللغة الإنكليزية البسيطة التي وصفت قوانين الكهرومغناطيسية إلى اللغة الرياضية السامقة من نوع:

$$\nabla \times \mathbf{E} = \frac{-\partial \mathbf{B}}{\partial t}$$

[لديّ نظرية تقول (بأنه لا يوجد علم صعب وإنما يوجد مفسر سيئ)]⁽¹⁾ وعليه فإن ما نحاول المعادلة الغريبة أعلاه أن نقوله لنا هو - وببساطة - إن مقدار الكهربية المتولدة ($\nabla \times \mathbf{E}$) ومقدار معدل التغيير في الحقل المغناطيسي ($-\partial \mathbf{B} / \partial t$) هما قيمتان متساويتان. وعليه فلن نتولد أية كهربائية إذا لم يحدث تغيراً في الحقل المغناطيسي. لقد تمكن (مكسويل) من كتابة معادلات مشابهة لكل من (قانوني كاوس للكهربائية والمغناطيسية - Gauss's Laws of Electricity and Magnetism)، و(لقانون أمبير للدوائر الكهرومغناطيسية - Ampere's Circuital Law of Electro magnetism) هي معادلاته الشهيرة الأربعة التي تمكنت من تفسير كامل تصرف حقلي الكهرباء والمغناطيسية. ولشيء من التوضيح نقول إن معادلاته تلك، قد مثلن أفضل طريقة لبيان كيفية تكوين الحقول الكهربائية بواسطة شحناتها، كما بينت حقيقة استحالة وجود ما يسمى (بالشحنات المغناطيسية -

(1) المترجم.



(Magnetic Charges)، كما يَبين كيفية توليد التيارات الكهربائية للحقول المغناطيسية وكيفية تكوين الحقول الكهربائية بتأثير تغير الحقول المغناطيسية. أما اليوم فأحدى الطرق التي يمكن بواسطتها التعبير عن معادلات (مكسويل) الشهيرة الأربع فهي بالطريقة التالية:

$$\nabla \cdot \mathbf{D} = \rho / \epsilon_0 \quad \bullet \text{ وهو قانون (كاوس) للكهربائية}$$

$$\nabla \cdot \mathbf{B} = 0 \quad \bullet \text{ وهو قانون (كاوس) للمغناطيسية}$$

(ويعني استحالة وجود أقطاب مفردة مغناطيسية)

$$\nabla \times \mathbf{E} = - \frac{\partial \mathbf{B}}{\partial t} \quad \bullet \text{ قانون (فراي) للحث}$$

$$\nabla \times \mathbf{H} = \mathbf{J} + \frac{\partial \mathbf{D}}{\partial t} \quad \bullet \text{ قانون (امبير) مع إضافة (مكسويل)}$$

ولتفسير الرموز الواردة في المعادلات أعلاه نقول: تمثل الحروف الصلبة كميات اتجاهية.

و تمثل \mathbf{E} - الحقل الكهربائي بوحدات (الفولت/متر).

و \mathbf{H} - الحقل المغناطيسي بوحدات (الامبير/متر).

و \mathbf{D} - كثافة الفيض الكهربائي بوحدات (كولوم/متر تربيع).

و \mathbf{B} - كثافة الفيض المغناطيسي بوحدات (التسلا أو الوايبر/المتر المربع).

و ρ - كثافة الشحنة الكهربائية الحرة بوحدات (كولوم/متر تكعيب).

و ϵ_0 - مطاوعة الفضاء الحر (Permitivity of Free Space).

و \mathbf{J} - كثافة التيار الحر بوحدات (أمبير/متر تربيع).

و ∇ - معامل التشتت (للمتر الواحد) - (The Divergence Operator).

و $\nabla \times$ - معامل اللف (للمتر الواحد) - (The Curl Operator)

يقيس (معامل التشتت) مقدار ميل حقل اتجاهي للاشعاع من... أو التجمع في... نقطة معينة.

ويقيس (معامل اللف) مقدار الدوران الاتجاهي لأي حقل.

قيّم (روبرت ب. كريز - Robert P. Crease) جمال وأهمية معادلات (مكسويل)

أنفة الذكر في كتابه المعنون (أعظم المعادلات على الإطلاق) بقوله:

((تجمع معادلات (مكسويل) حقيقي البساطة السلسلة في التعبير من جهة، والجرأة المطلقة في إدراك تصورنا للكون وتوحيد ظاهري الكهرباء والمغناطيسية إضافة إلى ربطهما بالجغرافية والتضاريس والفيزياء من جهة ثانية. لقد أثبتت أهميتها الفائقة. كطليعة (لمعادلات المجال - Field Equations) ليس فقط بفتحها لعيون العلماء على منحنى جديد لعلم الفيزياء وإنما بأخذها إياهم بثبات ليخطوا الخطوات الأولية نحو: فكرة توحيد قوى الكون الأساسية)).

أجرى (كريز - Crease) في عام (2004) استفتاءً علمياً عاماً سأل فيه علماء الفيزياء حول العالم حول مرشحهم الأثير لمنصب (أفضل وأعظم المعادلات وعلى مر التاريخ)، فربحت معادلات مكسويل، وحسب فرز قائمة المصوتين ذلك التقدير. عبّر (توني واتكنز - Tony Watkins)، وكان أحد المشاركين في ذلك التصويت عن رأيه باختيار مجموعة معادلات (مكسويل) لذلك المنصب الرفيع المرموق بين معادلات الفيزياء عبر التاريخ بقوله:

((لا أزال أذكر بوضوح تام واعتزاز كبير تاريخ أول يوم رأيت معادلات (مكسويل) فيه وقمت بدراستها ضمن مقرر (المتجهات) في الجامعة. لقد هالني ما أقدمت تلك المعادلات على شرحه وبيانها وكمية المعرفة الهائلة التي اكتنزتها.... لقد أدركت حينها (ولأول مرة في حياتي) ما يعنيه المتكلمون والعلماء حول جمال الرياضيات ورشاققتها في الإفصاح عن مكنونات علم الفيزياء. لقد اهتز كياني بأكمله لقوتهن وضعت بفحواهن. لقد كان ذلك اليوم وذلك اللقاء بتلك المعادلات منعطفاً جذرياً في حياتي العملية والمهنية منذ تخرجي من الكلية ولحد هذا اليوم، ببساطة لقد فحّرت أربعة سطور قصيرة من رموز بسيطة كل الحب في الرياضيات وكامل الولع لديّ بالفيزياء)).

هذا وقد خلّد (ريچارد فينمن - Richard Feynman) أهمية معادلات (مكسويل)

في كتابه (محاضرات فينمن في الفيزياء) حين قال:



((إذا ما راجعنا كافة إنجازات الكائن البشري عبر الزمن - ولفترة طويلة جداً، دعنا نعتبرها
العشرة آلاف سنة الماضية - فلن يتطرق إلينا الشك أبداً ولن نتردد مطلقاً باعتبار معادلات
(مكسويل) في الديناميكا الكهربائية كأعظم وأسمى حدث منذ ذلك التاريخ وحتى
اليوم من ناحية، ولكونها الحدث الأعظم على الإطلاق خلال القرن التاسع عشر من
ناحية ثانية... ستلاشى وتذوي أهمية أحداث عظام بمستوى الخرب الأهلية الأمريكية
إذا ما قورنت بالأهمية العلمية والإنجاز البشري الهائل المتمثل بتلك المعادلات)).

مصادر إضافية وقراءات أخرى:

Bueche, Frederick, *Introduction to Physics for Scientists and Engineers* (New York: McGraw-Hill, 1975); provides information on the betatron.

Cantor, Geoffrey N., David Gooding, and Frank James, *Michael Faraday* (Amherst, N.Y.: Humanity Books, 1996).

Crease, Robert P., "The Greatest Equations Ever," *Physics World*, October 2004; see <http://physicsweb.org/articles/world/17/10/2/1>.

Faraday, Michael, *The Chemical History of a Candle* (New York: Courier Dover Publications, 2003).

Faraday, Michael, "On the Induction of Electric Currents," *Philosophical Transactions of the Royal Society of London*, 122: 125-162, 1832.

Feynman, Richard, *The Feynman Lectures on Physics*, volume 2 (Boston: Addison Wesley Longman, 1970)

Gladstone, John Hall, *Michael Faraday* (New York: Harper & Brothers, 1872)

Gooding, David, "Envisioning Explanations - the Art in Science," *Interdisciplinary Science Reviews*, 29: 278-294, 2004.

Gooding, David, "From Phenomenology to Field Theory: Faraday's Visual Reasoning," *Perspectives on Science*, 14(1): 40-65, 2006.

Gooding, David, "Michael Faraday, 1791-1867: Artisan of Ideas," University of Bath; see www.bath.ac.uk/~hssdeg/Michael_Faraday.html.

Gooding, David, "New Light on an Electric Hero," *Times Higher Education Supplement*, July 26, 1991, p. 17.

Guillen, Michael, *Five Equations That Changed the World* (New York: Hyperion, 1995).

Hamilton, James, *Life of Discovery: Michael Faraday, Giant of the Scientific Revolution* (New York: Random House, 2004).

Hirshfeld, Alan, *The Electric Life of Michael Faraday* (New York: Walker & Company, 2006).

James, Frank, *The Correspondence of Michael Faraday* (Herts, U.K.: Institute of Electrical Engineers, 1991).

Jones, Bence, *The Life and Letters of Faraday* (Philadelphia: J. B. Lippincott and Co., 1870).

Ludwig, Charles, *Michael Faraday: Father of Electronics* (Scottsdale, Pennsylvania: Herald Press, 1978).

Morus, Iwan, *Michael Faraday and the Electrical Century* (Eastbourne, U.K.: Gardners Books, 2004).

O'Connor, John J., and Edmund F. Robertson, "Michael Faraday: 1791-1867," in *MacTutor History of Mathematics Archive*, School of Mathematics and Statistics, University of St. Andrews, Scotland: see www-history.mcs.st-andrews.ac.uk/history/Mathematicians/Faraday.html.

Thompson, Silvanus Phillips, *Michael Faraday His Life and Work* (London: Cassell & Company, 1901).

Tyndall, John, *Faraday as a Discoverer* (New York: D. Appleton and Company, 1868).

Tweney, Ryan, and David Gooding, *Michael Faraday's "Chemical Notes, Hints, Suggestions and Objects of Pursuit" of 1822* (Herts, U.K.: Peter Peregrinus, Ltd., 1991).

West, Thomas, *In the Mind's Eye: Visual Thinkers, Gifted People with Learning Difficulties, Computer Images, and the Ironies of Creativity* (Amherst, New York: Prometheus Books, 1991).

Williams, L. Pearce, "Michael Faraday," in *Dictionary of Scientific Biography*, Charles Gillispie, editor-in-chief (New York: Charles Scribner's Sons, 1970).

أفكار فلسفية وآراء للمناقشة:

- كلما تعمقنا بالعلوم وتمكنا من معارفها، كلما اتضحت أمانتنا إشكاليات الكون وعجائبه، وازداد يقيننا بأنها كلها قد انضوت تحت راية مجموعة واحدة من القوانين الرشيدة الفريدة والتي جمعت ما بين البساطة الميسرة وبين الشمولية الكاملة. يعتمد بعضها على بعض ويتداخل بعضها ببعض بأسلوب مقنن ودقيق غاية في الحبكة والتنظيم مما يدلّك - وبلا شك - إلى (العقل الفريد) الذي يحركها جميعاً.

براون

Olympia Brown (1835-1900), U.S. Minister (first woman ordained

in (U.S.), Sermon, c. January 13, 1895, Mukwonago, Wisconsin.

مقتطف من كتابها (أول امرأة نُصِّبت كوزيرة في الولايات المتحدة الأمريكية).

- لم تأل العلوم جهداً في محاولاتها لرسم الكون بصورة أقرب ما يمكن أن تكون حقيقته وطبيعته ذاتها، بلا أدنى اعتراض أو مضادة من فلسفة ودون أقل تدخل أو حكم مسبق من دين... يُشبهه،



(بـل يعتقد) البعض إن عملية البحث عن (الحقيقة) العلمية ما هي في الحقيقة إلا عملية بحث عن (الحقيقة الثابتة الأزلية) من بين شذرات الملاحظات المتضاربة وكميات المعرفة المتداخلة التي توصلها إلى إدراكنا مجمل حواسنا القاصرة. هم يعتقدون - وأشاطرهم رأيهم - بأن نهاية ذلك السباق غير المتكافئ وذروة النجاح الذي يمكن للإنسان أن يحققه فيه هو باقتناص (أحد قوانين الكون والطبيعة) والذي سيمثل قبس النور الذي سينظم ويهدي كافة التغيرات والمتضاربات التي نشعرنا بها حواسنا - بينما يظل هو صامداً ثابتاً بلا تغيير.

سموثن

Lee Smolin, (Never Say Always), New Scientist September 23, 2006

مقتطف من مقالته (لا تقل دائماً أبداً).

• كإنسان محافظ وعالم جامع... لا أعتقد أبداً أني سأجد أي حرج في تقسيم الفيزياء وعلمها المترامي من النظريات والآراء إلى عالين؛ كبير وصغير، لقد عشنا بونام وسلام وشعرنا بمنتهى السعادة، على الأقل لفترة الثمانين سنة المنصرمة بالاعتراف والتعامل مع مجموعتين منفصلتين من النظريات، الأولى رتبت لنا عالمنا الكبير من نجوم وكواكب والثانية أفهمتنا [(عالم الكم - The Quantum World) - أو الكم إن شئت] بما فيه من ذرات والكروونات.

دايسون

Freeman Dyson, (The World on a String), New York Review of Books, May 13, 2004.

مقتطف من كتابه (تاراج العالم على حبل).

• لا تدين الفيزياء بالمسيحية - رغم اختراعها من قبل المسيحيين - ولا يدين الجبر بالإسلام - رغم ابتكاره من قبل المسلمين، نشعر - نحن العلماء - أنه وبوقوعنا على أي (جزء) من الحقيقة مهما يكن وأينما وجد، بأننا قد تجاوزنا بل وطورنا حضارتنا نحو الأفضل وتخطينا ما جُبلنا عليه (من إحساس قاصر وملكات محدودة). وإن لفي الفكر المنظم الحر، وفي تبادل الآراء والحوار يكمن سر تفوقنا على بدائية الجنس البشري بكل قصوره ومثالبه.

هارس

Sam Harris, (The God Debate), Newsweek, April 9, 2007.

مقتطف من كتابه (النقاش المقدس).

قانونا كاوس للكهربائية والمغناطيسية

GAUSS'S LAWS OF ELECTRICITY AND MAGNETISM

Π ألمانيا، 1835:

يتناسب مقدار الفيض الكهربائي عبر أي مساحة مغلقة مع صافي الشحنة الكهربائية التي يمكن لتلك المساحة استيعابها. تبلغ قيمة أي مقدار من الفيض المغناطيسي عبر المساحات المغلقة صفراً.

محاور ذوات علاقة:

قانون (فراداي) للحث الكهربائي وقانونه للتحليل الكهربائي – (FARADAY'S LAWS OF INDUCTION AND ELECTROLYSIS)، و(قانون بود للمسافات الفاصلة بين الكواكب – BODE'S LAW OF PLANETARY DISTANCES)، وقانونا كرشهوف للدوائر الكهربائية والإشعاع الحراري (KIRCHHOFF'S ELECTRICAL CIRCUIT AND THERMAL RADIATION LAWS).

من أحداث عام 1835:

- أعلنت (تكساس) حق انفصالها عن (المكسيك).
- سُجِّلَت أول محاولة لاغتيال رئيس للولايات المتحدة الأمريكية.
- سجلت تلك المحاولة ضد حياة الرئيس الأمريكي السابع للولايات المتحدة (اندرو جاكسون – Andrew Jackson)، عندما كان يزور العاصمة، وقد باءت بالفشل.
- وُلِدَ الكاتب الأمريكي الشهير (مارك توين – Mark Twain)⁽¹⁾.
- تمت إزالة كتاب (كوبرنيكوس – Copernicus) الخالد حول دوران الأرض حول الشمس والمعنون (دوران الأرض في مدارها – De Revolutionibus Orbium Coelestium) من القائمة (الكنيسة الكاثوليكية – Catholic Church) السوداء

(1) صاحب قصة فتى المغامرات الشهير (توم سوير – Tom Sawyer) وغيرها. (المترجم).



للكتب المحظور قراءتها وتداولها.

وتحتوي تلك القائمة الفهرسة الكاملة لكافة الكتب التي اعتقدت الكنيسة الكاثوليكية بهرطقتها وتشكيلها لخطر حقيقي على الديانة والمعتقد المسيحي.

نص وشرح قانون كاوس للكهربائية:

لعله من المناسب جداً، وقبل الدخول في تفاصيل (قانون كاوس للكهربائية) أن نراجع ونعرف الحدود والمتغيرات الأساسية فيه مثل:

مقدار فيض الحقل الكهربائي [يعبر رياضياً عنه بالرمز Φ]؛ ويقاس بعدد خطوط القوى التي تخترق مستوى وهمياً يقطع ذلك الحقل أو جزءاً منه. ويمكن لهذا المستوى أو السطح أن يكون مفتوحاً - كمساحة اعتيادية ببعدين، أو أن يكون مغلقاً كالكرة وفي هذا الحالة سيكتب الفيض كقيمة موجبة إذا ما أشارت خطوط قوته واتجهت خارجها على الدوام. وسيكتب كقيمة سالبة إذا ما أشارت خطوط قوة فيض الحقل الكهربائي إلى داخل الجسم (الكرة)، ولقد سبق مناقشة ما يعنيه مفهوم (الفيض - Flux) في مدخل (قانونا فراادي للحث والتحليل الكهربائيان - Faraday's laws of Induction and Electrolysis) آنفاً⁽¹⁾.

ولإزالة الصبغة (النظرية - Theoretical) الإضافية على مفهوم (الفيض - Flux). دعنا نناقش هذا المفهوم بطريقة تكسبه معنى مادياً ملموساً ومحسوساً؛ تصور حصولك على (حوض سمك - Aquarium) بحجم مناسب كهديّة من أحد أصدقائك، وفيه العديد من المصنخات لتدوير مائه، وتصور كذلك إدخالك لشبكة قنص الأسماك إليه... والآن فإن كمية المياه التي تعبر خلال تلك الشبكة في لحظة زمن معينة - من حيث التشبيه البدائي المجرد - (فيض) ذلك الماء خلالها، ومن السهل تصور زيادة تلك الكمية المارة عبرها كلما قرّبناها من إحدى المصنخات العديدة الموجودة في الحوض، لزيادة سرعة الماء المتدفق خلالها،

(1) راجع صفحة (553) من هذا الكتاب رجاءً. (المترجم).

فتقول إن مقدار (الفيض) المار خلال الشبكة قد ازداد. والآن إذا ما ضاعفنا حجم الشبكة فمن السهل أيضاً تصور زيادة مقدار (الفيض) المائي المار خلالها حتى لو احتفظنا بسرعة الماء ثابتة بلا تغيير أو زيادة، لأن حجمها ببساطة قد ازداد.

والآن لك أن تتصور شحنة كهربائية (موجبة) محاطة بسطح مغلق كأن تكون محاطة ببالون مطاطي (وردي) اللون جميل، وهي طافية داخله، سيكون (الفيض) المتولد عنها (موجبا) لأن خطوط قوته موجبة بفعل انبعاثها من الشحنة الموجبة إلى الخارج. وبنفس المنطق، إذا ما أحاط سطح كروي بشحنة سالبة طافية داخله، فإن خطوط فيضه ستتجه إلى داخله لأن خطوط الشحنة السالبة ستتجه بطبيعتها إلى الداخل...

وعليه، يوفر لنا (قانون كاوس) العلاقة الرياضية المناسبة التي تحكم علاقة (الفيض - Φ Flux) المار إلى خارج مستوى مغلق مع الشحنة الكهربائية المكونة داخله، وكما يلي:

$$\Phi = \oint_S \mathbf{E} \cdot d\mathbf{A} = \frac{1}{\epsilon_0} \int_V \rho \cdot dV = \frac{q_{\text{int}}}{\epsilon_0}$$

حيث \mathbf{E} تمثل - الحقل الكهربائي المتجه

وكل $d\mathbf{A}$ - يمثل تفاضل المساحة المقترنة مع كل جزء معين من السطح. (وبإمكانك تصور كافة متجهات هذه القيمة كحزم متجهه نحو الخارج) شأنها شأن حزم الأشواك على ظهر (الدعج - Procupine) وهو من القوارض.

و q_A - مقدار الشحنة المحصورة بالمساحة.

و ρ - مقدار كثافة الشحنة في إحدى نقاط فراغ الحجم (V).

و ϵ_0 - مقدار مطاوعة الفضاء الحر (Permittivity of Free Space) ويساوي: $8.8541878176 \times 10^{-12}$ مرفوعة للقوة السالبة الثانية عشرة [بوحادات الفاراد لكل متر.

و \oint - إشارة التكامل للمساحة S والتي تحتوي الحجم V .

أما الدائرة الصغيرة عليها فتعني أن مساحة التكامل عبارة عن سطح مغلق (كالكرة مثلاً). وفيما عدا تخصيص نوع السطح المعرض لنوع [الفيض Φ Flux] الكهربائي (كرة أو



مسطح)، فلا يختلف المعنى الرياضي لها عما هو متعارف عليه لدى الفيزيائيين. وبعيداً عن المعنى العميق - والمربك أحياناً - للمعادلة الرياضية المعقدة السابقة، ففي تفسيرها باللغة الاعتيادية الكثير من التوضيح الوافي عن الشرح، فهي ببساطة تدلنا على نقاط أو مبادئ ست هي: -
أولاً: يساوي مجمل مقدار الفيض الكهربائي الناتج عن مساحة سطح مغلق معين - حاصل قسمة - مقدار الشحنة الكهربائية الصافية المحتواة بواسطة ذلك السطح على مقدار (مطاوعته - Permittivity).
ثانياً: وإذا لم يحو ذلك السطح أو يضم أية شحنة: [وكما في الحالة التي تساوي فيها (q) صفراً] فمن الطبيعي أن نتوقع قيمة صفرية لمقدار الفيض الكهربائي ($O = \Phi$).

ثالثاً: يؤكد القانون على وجوب كون مقدار الشحنة (q) خالصاً... بمعنى ضرورة أخذ المجموع الجبري لكافة الشحنات المتواجدة (وسيساوي الفيض صفراً إذا ما تواجدت شحنتان في نطاق ذات الفراغ، و كانتا متساويتين في المقدار ومتعاكستين في العلامة في ذات نطاق الحيز الفراغي لحسابه).
رابعاً: تحسب قيمة الشحنة الخالصة داخل نطاق السطح المعلوم (q) ولا أهمية ولا تأثير ولا اعتبار لأي شحنة خارجه.

خامساً: إذا ما كان السطح الحاوي على الشحنة (q) الكهربائية المعلومه كروياً كاملاً الانتظام فلن يؤثر موقعها مهما كان داخله على قيمتها.
سادساً: تبرز أهمية (قانون كاوس للكهربائية) بمقدرته على حساب مقادير الحقول الكهربائية المولدة من توزيع منظم للشحنات المحدثة لها.

لقد أيقن الكثير من الفيزيائيين والعلماء واعترفوا بعظمتهم (قانون كاوس للكهربائية) لأنه وببساطة متناهية وأسلوب رياضي رشيق أخاذ، يصف لك ويتنبأ بمقدار قيمة (الفيض الكهربائي) المتولد داخل سطح مغلق بدقة عالية بربط تناسبه فقط مع خالص مقدار الشحنة المحتواة فيه، بغض النظر عن أي تشوهات أو عدم انتظام تعاني منها خطوط الفيض وبدون أدنى اعتبار لشكل أو انتظام أو تشوه ذلك السطح.

ومن المفيد أن نعلم أنه لم يتم نشر (قانون كاوس) ذلك إلا بعد مرور ما يقارب (32) عاماً على وضعه من قبل مبتكره في عام (1835).

نص وشرح قانون كاوس للمغناطيسية:

يعتبر (قانون كاوس للمغناطيسية) من القوانين الأساسية للموضوع، وهو عبارة عن الأسلوب العلمي المختصر الجامع للإقرار باستحالة وجود قطب مغناطيسي منفرد. وبالإمكان صياغة هذه المعلومة المهمة رياضياً على الشكل التالي:

$$\Phi_B = \oint_S \mathbf{B} \cdot d\mathbf{A} = 0$$

يؤكد هذا القانون على أن مقدار الفيض المغناطيسي الخالص (Φ_B) عبر أي مساحة مغلقة، لا بد وأن يساوي صفراً، بمعنى، أنه في كافة حالات المغنايط ثنائية الأقطاب، فإن مقدار الفيض المغناطيسي الموجه داخلياً باتجاه القطب الجنوبي لا بد وأن يساوي مقدار الفيض المغناطيسي الموجه خارجياً باتجاه القطب الشمالي، وعليه فإن مقدار (الفيض - Flux) المغناطيسي الصافي لا بد وأن يساوي صفراً للمغنايط ثنائية الأقطاب دائماً.

والآن إذا ما افترضنا وجود مصدر مغناطيسي أحادي القطب، فإن هذه الحالة ستستوجب وجود حالة مغناطيسية صافية لا صفيرية، وعليه ينص قانوننا هذا على استحالة وجود الأقطاب المغناطيسية الأحادية. ومن المفيد التذكير بأن مثل هذا الإطلاق لا يصح في حالة الشحنات الكهربائية المستقرة (الستاتيكية - Electrostatics)، لأنه وببساطة يمكن للشحنات المفردة أن تكون وتوجد!! ولقد اعتبرت حقيقة وجود الأحادية القطبية للكهربائية وانعدامها بالنسبة للمغناطيسية - معضلة ومتناقضة - قائمة بذاتها وفريدة من نوعها. ولقد ظل العلماء والباحثون، ومنذ أوائل القرن التاسع عشر في تساؤل ودهشة مطبقتين، وهم حيارى تائهون عن التفسير الحقيقي لواقع إمكانية وجود الشحنات المفردة، السالبة، والموجبة بالنسبة للكهربائية واستحالة وجود الأقطاب المفردة الشمالي أو الجنوبي بالنسبة للمغناطيسية!!

لقد كان عالم الفيزياء النظرية الإنكليزي [بول ديراك (Paul Dirac (1902-1984)] من أوائل الذين لم يقتنعوا باستحالة وجود الأقطاب المغناطيسية المفردة إلى الدرجة التي يادر معها في عام (1931) إلى استنباط النظرية القائلة بوجودها. لقد دأب العلماء والباحثون -



ومنذ ذلك الحين - على محاولة إيجاد القطب المغناطيسي المفرد، ولكن عبر السنين ولحد اليوم لم يفلحوا بسعيهم ذاك لفصل أحد القطبين (الشمالي أو الجنوبي) عن ملازمة القطب الآخر (الجنوبي أو الشمالي)، ومن الطريف تذكيرك - عزيزي القارئ - بأنه وحتى حين محاولتك قطع المغناطيس الاعتيادي الحاوي على قطبين (شمالي وجنوبي) إلى قطعتين، فستحفظ كل منهما بقطبيها الشمالي والجنوبي، بعبارة أخرى فإن قطع، وفصل قطب عن آخر (من قطعة مغناطيس واحدة) لا يمكننا من الحصول على قطعتي مغناطيس أحادية القطب أبداً وإنما ينتج قطعتي مغناطيس بقطبين لكل منهما.

بتقدم الفيزياء النظرية وبظهور الفرضيات الجديدة وشروعها لتفسيرها (ابتداءً بوجود الكون)، وعلى طريق توحيد (القوى الكهربائية الضعيفة - Electroweak) مع (القوى الكهربائية الجسيمة - Electrostrong)، صار التفكير، وتوقع وجود الأقطاب الأحادية من قبل العلماء (أكثر واقعية؟؟) خصوصاً عند مناقشة واقع حال فيزياء الجزيئات ما دون الذرية. ولكن هذا الوجود النظري للأقطاب الأحادية سيستوجب الصعوبة المتناهية لتحقيق (أو للتحقق من) وجودها فعلياً، حتى باستعمال المعجلات العملاقة بسبب توقع احتوائها على كمية هائلة من الكتلة والطاقة تقارب حدود [10 - العشرة مرفوعة للقوة السادسة عشرة - من بليونات وحدة الإلكترون - فولت (10^{16}GeV)].

للفضوليين فقط:

• تقاس قيمة (الحث المغناطيسي - Magnetic Induction) وهو المصطلح المقابل لكثافة فيضه (Flux Density) بوحدة (الكاوس - Gauss Units) تقديراً لأعماله الفذة وتثميناً لجهوده العظيمة في حقل المغناطيسية، وتساوي وحدة الكاوس الواحد - وحدة ماكسويل واحدة (One Maxwell Unit) لكل سنتيمتر مربع واحد.

• لقد امتاز (كاوس) بسريره الغريبة تجاه أعماله ودأبه الدائم على إخفائه إياها، وعدم رغبته في الإفصاح عنها أبداً!!!... لقد انتقد مؤرخ علوم الرياضيات (ارك تمبل بل - Eric

(Temple Bell) كاوس في منحاه ذاك، بتأكيد مسؤوليته الكاملة عن تأخير تقدم علوم الرياضيات الصرفة لما لا يقل عن الخمسين عاماً. ويؤكد (بل - Bell) بناء على ذلك بأنه كان يُمكننا التعرف على - معجزات رياضية - لا يسعنا اليوم إدراكها لو كان (كاوس) قد قام بالفعل بنشر أعماله في حينها.

• حرصت حكومة ألمانيا الاتحادية على تخليد ذكرى هذا العالم الجليل بطبع صورته على عملتها الورقية من فئة العشر ماركات خلال تسعينيات القرن الماضي (1990s)، مشفوعة بمنحنى التوزيع الطبيعي (Normal Distribution) والذي يسمى باسمه أيضاً (كتوزيع كاوس الطبيعي - Gaussian Distribution).

• لقد دأب (كاوس) وشدد على منع طلابه من أخذ أو كتابة أي ملاحظات خلال محاضراته (حرصاً منه على تركيز اهتمامهم وانتباههم على ما يقوله هو لهم). درس على يده وتخرج من معهده العديد من فطاحل وعظماء الرياضيين في العالم من أمثال [جورج ريمان (George Riemann 1826-1866)]⁽¹⁾.

• لقد كان (كاوس - Gauss) رجلاً دقيقاً بكل معنى الكلمة، يعشق التفاصيل ويُقدسها. لدرجة أنه احتفظ بكتيب مذكرات له سجل فيه كل مشاهداته وملاحظاتة بما فيها تاريخ وكيفية كسر أحد أولاده لسن من أسنانه أثناء لعبه وشغبه يوماً!!

أقوال ماثورة:

- لا يسعك اليوم أن تجد أي فكرة رياضية ولا منطلق ولا مبدأ علمي رياضي أصيل - وفي خلال كامل هذا القرن - التاسع عشر - إلا وقد كان لـ (كاوس) هذا شأن به، فحملوا وسموا جميعاً باسمه.

كرونيك

L. Kronecker, Zahlentheori

مقتطف من كتابه (في نظرية الأرقام).

(1) من عباقرة الرياضيين الألمان الذين وضعوا إسهاماتهم الخالدة إلى الأسس التحليلية في الرياضيات وهي الهندسة التفاضلية والتي ساهمت بدورها في دفع وإيجاد وتطور النظرية العامة في النسبية. (المترجم).



- أوشك الجميع أن يعيب على (كاوس) ميله الشديد للانعزال بنفسه وبأفكاره منذ فترة طفولته المبكرة، فقد كان فهمهم لواقع حاله صعباً جداً، وبالأخص حرصه غير الطبيعي وأسلوبه (الشاذ) للاحتفاظ بكافة أفكاره لنفسه وعدم إطلاع أحد عليها... لقد امتاز ذهنه بقابلية فذة على توليد سيول الأفكار وفيض الابتكارات وبزخم شديد جداً منعه من إمكانية تطوير أو سبر غور أي منها... لم يمثل ما قام (كاوس) بنشره فعلاً من آرائه وأفكاره تلك إلا ما لا يكاد يتجاوز نصفها، وحتى ذلك النصف كان قد صيغ بعبارات غامضة مقتضبة جامدة مختصرة حدثت وإلى أدنى الحدود إمكانية انتشارها بين قُرَّائه والمعجبين به.

ماي

Kenneth O. May, (Carl Gauss), in Dictionary of Scientific Biography-

مقتطف مما كتبه في مدخل (كارل كاوس) في (معجم سير العلماء الذاتية).

- إن لسحر وعظمة هذا العلم النبيل (يقصد الرياضيات العالية التي استخدمها في طرح أفكاره وتأكيد آرائه) من المنزلة السامية والفنون المكنونة ما لا تُفصح عن نفسها إلا لذوي الشجاعة والجرأة والحنكة، وإلا لمن تحلّى بالإقدام والجسارة لتخطي عقبات الغور فيها والاستمتاع بما تكتنزه أعماقها. ولكن إذا ما تمكنت أي امرأة - وكلنا يعلم ما يفرضه عليها جنسها وطبيعتها وحتى مجتمعتها وزملاء عملها من أعباء لا تحصى وعقبات لا تُمحى، لا تقارن أبداً بما يُفرض على الرجل - (وبرغم كل ما سبق) - إن استطاعت تحمل الأعباء وتخطي العقبات، فإنها حينئذ ستكون - وبلا أدنى شك - قد أثبتت جدارتها وبنيت شجاعته، بل وحتى أفصح جلياً عن عبقريتها اللامعة ومهاراتها الخارقة، في هذا المجال، فستستحق حينئذ كل الاحترام وأسمى التبجيل.

كاوس

Carl Gauss, 1807 letter to Sophie Germain

من رسالة له إلى (صوفي جرمن)⁽¹⁾

(1) [ماري - صوفي جرمن (1776-1831) Marie - Sophie Germain] [رياضية وفيزيائية وفيلسوفة فرنسية لامعة، تمكنت من تثقيف نفسها بنفسها وإعطاء عبقريتها من خلال نهل العلوم من مكتبة والدها العامرة، رغم ما لاقتة

- إنني لعلني يقين بقصور الإدراك والتصور البشري عن توضيح وتفسير عمق الحقائق الهندسية الوضعية فضلاً عن استيعاب وتحليل خفايا الحقائق الهندسية الكونية، على الأقل بمستوى الذكاء البشري الاعتيادي... لبيان ذكاء بشري اعتيادي آخر. ولا أدري ما إذا سيكون في مقدورنا - وفي وقت ما في المستقبل البعيد - من أن نمتلك ناصية فهم مثل ذلك الإدراك العميق الخلاق. وإلى أن يحل ذلك الحين ما علينا إلا اعتبار الهندسة كنظام ميكانيكي تركيبي، لا أن نعتبرها نظاماً فكرياً تحليلياً سامقاً كالرياضيات.

كاوس

Carl Gauss, letter to Heinrich Olbers, 1817

من رسالة له إلى (هنريخ أولبرز)⁽¹⁾

ملخص لسيرة حياة المكتشف:

[كارل فريدريخ كاوس (1777-1855) Carl Friedrich Gauss] رياضي وعالم ألماني يُعتبر من خير من أنجبتهم البشرية من عظماء الرياضيين على الإطلاق ومن خير من وطئت قدمه ثرى أرضها. اشتهر بمساهماته في العديد من حقول الرياضيات وعلوم الفلك والكهر ومغناطيسية، كما كانت له مشاركات في دراسة وتطوير علوم البصريات، ونظرية الأرقام، والتحليل وهندسة التفاضل وعلوم الأرض - Geodesy (التي تشمل فيما تشمل دراسة حقولها المغناطيسية والفعاليات الأرضية كتحرك قشرتها وتصرف

← من مصاعب واعتراضات من الديها والمتجسب بسبب جنسها. احتلت مركز الصدارة من بين العاملين على (نظرية المرونة - Elasticity Theory) وكان لها الكثير من المراسلات العلمية مع فطاحل تلك الحقبة من أمثال (لكرانك - Lagrange) و (لكندر - Legendre) و (كاوس - Gauss). ربحت الجائزة الكبرى للأكاديمية الباريسية للعلوم لبحونها حول نظرية المرونة، وكان لأعمالها وأبحاثها، وبالأخص على نظرية (فرمات لاس - Fermat Last) الرياضية التأثير البين عليها ولمئات لاحقات من السنين. (المترجم).

(1) [هنريخ فلهلم ماثيوس أولبرز (1758-1840) Heinrich Wilhelm Matthaus Olbers] فيزيائي وفلكي ألماني، درس الطب ومارسه في مدينة (برمن - Bremen) في ألمانيا. جعل سطح بيته مرقباً فلكياً للنجوم ليلا ونظراً لدراساتها. كان من المهتمين بدراسة النيازك وحساب مداراتها، وكان أول من صاغ كلمة (المذنبات - Astroids) اللاتني كن قبله يعرفن (الكويكبات). اكتشف النجم (فستا - Vesta) وطلب من صديقه (كاوس) تسميته. كما اكتشف (المذنب الدوري Periodic Comet 13P/Olbers) والذي سمي فيما بعد على اسمه. (المترجم)



أمواج بحارها وحتى تغير وتحرك أقطابها الجغرافية والمغناطيسية) إضافة إلى اشتغاله في (نظرية الخطأ أو الشك - The Theory of Errors)⁽¹⁾ ومواضيع الكهر ومغناطيسية.

وكباقي المفكرين والرياضيين المتدينين، فقد كان (كاوس) غالباً ما يُنكر أي جهد ذهني أو معاناة فكرية لدى ابتكاره لأي مبدأ أو إثباته لأي نظرية، فهو غالباً ما كان يعزو فضل ذلك إلى الإلهام الذاتي والاستبصار الكوني الذي كان قد وُهب إليه من لدن (الباري المصور سبحانه). لقد نقل عنه المؤلف (جيمس آر. نيومن - James R. Newman)، في كتابه الموسوم: (عالم الرياضيات) قوله:

((إني لعلى يقين من وجود العديد من المعضلات والمسائل والتي لا بد وأن تُعيرها منتهى اهتمامنا و غاية عنايتنا وجل وقتنا، غير المسائل والأمور الرياضية - مثل المسائل الأخلاقية الملحة أو علاقتنا مع الخالق (عز وجل)، أو إلى أين ستمضي بكوكبنا وما عليه من مخلوقات، أو حتى تفكيرنا بمستقبلنا. رغم اتفاقنا مع معظم زملائنا من العلماء والمفكرين في ذلك، إلا أنني مع الاعتقاد القائل بأنها جميعاً تقع خارج منظومتنا العلمية وبعيدة عن حدود سيطرة مملكتها)).

لقد فاق ما أمتاز به (كاوس) من عبقرية خالصة وإبداع في التصور وموهبة في الإبداع ووسع في الأفق كثير من السابقين والمعاصرين حتى الذين جاؤوا من بعده واللاحقين من عباقرة الرياضيين على مر العصور والأدھر وبلا منازع، حتى أنه ارتقى إلى مصاف الخالدين من أمثال: (أرخميدس - Archimedes) و(نيوتن Newton) و(يولر Euler)⁽²⁾

(1) The Moral Error Theory: وتنسب إلى الفيلسوف النمساوي [جون ليرلي مكي John Leslie Mackie 1917-1981] وقد كان له ما يقوله أيضاً في فلسفة الأديان وما فوق الطبيعيات وفلسفة اللغات. وتستند على مفهومين، الأول: للنسلمات الأخلاقية دائماً دوافع ذاتية، والثاني: لا بد لكل ادعاء أخلاقي من سببية (ذاتية) تفره. وينتج عن ذلك مبدأين. يقول الأول بضرورة كون كافة الادعاءات الأخلاقية (مغلوبة). ويقول الثاني: بوجود السبب وراء اعتقادنا بخطأ تلك الادعاءات الأخلاقية. (المترجم).

(2) [ليونارد بول إيولر - Leonhard Paul Euler (1707-1783)] - وهكذا يلفظ اسمه بالإنكليزية - (فيزيائي ورياضي سويسري لامع قضى معظم حياته في روسيا وألمانيا، قدم وساهم بتطوير العديد من العلوم والنظريات والحقول الرياضية من أمثال التفاضل اللانهائي (Infinitesimal Calculus)، ونظرية المنحنيات (Curve Theory)، والتحليل الرياضي وقدم مفهوم الدوال الرياضية (Mathematical Function) إضافة إلى الفلك والبصريات والميكانيك. (المترجم).

ولكن ما فائدة كل ذلك إن كان قد عاش حياة تعيسة ولم يذق طعم السعادة يوماً؟ فقد ظل طوال حياته منعزلاً - في عمله وفي أوقات راحته! - توفيت زوجته الأولى في وقت مبكر فازدادت عزلة عمن حوله، ثم تزوج زوجة ثانية نغصت عليه حياته، بمرضها المستمر، كما كانت علاقته العاطفية والاجتماعية بكافة أولاده متوترة لا تمت إلى العلاقة الأسرية برابط. لقد كان (كاوس) كثير التدقيق عليهم في أعمالهم دائم التأنيب لهم في دراستهم إلى الحد الذي بلغ معه منعهم من الذهاب إلى المدرسة وصدّهم عن تكملة تعليمهم وعدم موافقتهم في اتخاذ أي حقل من حقول العلوم كمهنة مستقبلية لهم، لأنه كان لا يرضى إلا على الكامل من العمل والمثالي من التصرف ولم يشأ أن يطلق اسمه أو اسم عائلته على أي عمل أو بحث يمكن أن يصنف دون المستوى المطلوب من الامتياز والكمال!!...

ولد (كاوس) في مدينة (برنزوك - Brunswick) الواقعة في منطقة (سكسونيا السفلى - Lower Saxony) في ألمانيا. شغل والده العديد من الحرف خلال حياته. بما في ذلك بستانياً وماسك حسابات إحدى الوكالات الخاصة بالتأمين. وصف (كاوس) والده بأنه كان نكرة مستبداً سيئ المنظر والمعشر. أما أمه فقد عمرت طويلاً رغم مرضها حتى وافاها أجلها عن عمر ناهز السابعة والتسعين عاماً قضتها متفانية لعائلتها مخلصاً لزوجها حريصة على بيتها وتربية أولادها حتى أنها قضت (22) سنة من عمرها مع ولدها (كاوس) تحاول الترفيه عنه وتؤنس وحشته وتشد من أزره.

لقد كان - وكالكثير من عباقرة هذا الكتاب - طفلاً موهوباً فذاً تعلم الحساب والعد قبل أن يتعلم النطق، ففي عامه الثالث يذكر التاريخ عنه تصحيحه لحسابات والده عندما كان يراجع مجاميع أجوره. وتذكر إحدى الأساطير التي حيكت حوله تمكنه من مفاجأة معلمته حينما توصل حالاً إلى الجواب الصحيح لأحد الفروض المدرسية عندما طلبت مدرسته من فصله إيجاد حاصل جمع كافة الأعداد من الواحد وحتى المئة. (ولا يستبعد تمكن كاوس من الوصول إلى الحل الصحيح لتلك المسألة حالاً باستنباطه لقانون جمع الأعداد الصحيحة التالي:

$$1 + 2 + 3 + \dots + n = n(n + 1) / 2$$

فيصبح الجواب الفوري للمسألة:



$$1 + 2 + 3 + \dots + 100 = 100 (100 + 1) / 2$$

$$= 10100 / 2$$

$$= 5050$$

إلا أن بعض المؤرخين اليوم لا يستبعد أيضاً كون كامل تلك القصة حول قابليته الحسابية مجرد أسطورة من وحي الخيال، إلا أن شكلاً مغايراً لأسطورة قابليته على الحساب السريع ذُكرت على لسان المؤلف والمؤرخ (ارك تمبل بل - Eric Temple Bell) في رائعته المنشورة عام (1937) تحت عنوان (رجال الرياضيات - Men of Mathematics) والتي فيها ما يُعزز الإعجاب بذاك العبقرى اللامع ويرفع من شأنه أكثر حين كتب يقول:

((بدأ الفصل الدراسي وكانت الحصّة الأولى في موضوع الرياضيات والحساب،

وقد كان (المعلم) على يقين شبه تام بأن لا أحد من طلابه كان قد سمع

(بالماتية الحسابية - Mathematicul Progression) أو تعرف عليها

من قبل، ولما أراد أن يُشغلهم من ناحية ويبين لهم (حنكته) بالتوصل إلى الإجابة على

مسألة طويلة من هذا النوع وبسرعة بتطبيق القانون الخاص بها من ناحية أخرى، فقد

طلب الأستاذ من تلامذته إيجاد حاصل جمع كافة الأرقام التالية ولحّة مرتبه ابتداءً من:

$$100899 + \dots + 81693 + 81495 + 81297$$

تمكّن كاوس من إيجاد الجواب الصحيح في ثوان معدودة الأمر الذي عزز عبقريته

الحسابية وكان بشير الخير لألمعية إنجازاته القادمة...

تعتبر المسألة السابقة متوالية عددية، عدد حدودها (100)، ومقدار الفرق بين كل

مرحلة والتي تليها ثابتاً - وهو (198) - وعليه يمكن حلها وفق القانون السابق

$$((q = n(n + 1) / 2))$$

لقد حذر [جرمي كراي - Jermy Gray] في المقدمة التي كتبها لكتاب (جي. والدو

دنكن - G. Waldo Dunnington) الموسوم - كارل فردريخ كاوس [من الانجراف

وراء تصديق الخرافات التي حيكت حول قصص طفولته، وطالب بالتزام جانب الحذر

والشكك بشأن الكثير مما وصلنا منهما حين قال:

((لقد صار لزماً علينا الشك وتمحيص كل ما وصل إلينا من قصص طفولة (كاوس)
المثيرة فلا أشك في أن معظمها كان قد كتب في مرحلة متقدمة من حياته، ولا صلة لها
بطفولته، ولعل أغلبها كان قد نبع من حب والدته له ومن نسج ذاكرتها بل وخيالها تجاهه،
لقد حوت تلك القصص الكثير من التهويل عن قابلية الطفل (كاوس) ولكنني على يقين
بأنها لم تمس، ولم تصل حتى إلى طرف واقع فطنة (كاوس) الرجل وعظمة موهبته)).

التحق بدراسته المتوسطة في مدرسة سميت بكلية مدينته برنزوك (Brunswick Collegium Carolinum) في عام (1792) والتي امتازت بمستواها الأكاديمي المرموق في الحقول العلمية. وفي خلال سني مراهقته كان (كاوس) قد تمكن من التوصل إلى العديد من الاكتشافات الحسابية وإثبات الكثير من النظريات الرياضية، وتأكيد العديد من المشاهدات الطبيعية، قبل أن يعرف أن معظمها كان قد أثبت أو اكتشف سابقاً.

لقد توصل - وعلى سبيل المثال - إلى إعادة اكتشاف [قانون بود لمسافات الكواكب - Bode's Law of Planetary Distances] (راجع تفصيل مدخله في هذا الكتاب) والذي نص على إمكانية التنبؤ بمقادير المسافات الفاصلة بين الكواكب والشمس، و(نظرية ذات الحدين - Binomial Theorem) المرفوعة إلى القوى الحقيقية كما أعاد اكتشاف المعدل الحسابي - الهندسي (Arithmetic - Geometric Mean).

يُحسب المعدل الحسابي - الهندسي لعددتين موجبتين حقيقيتين (x) و (y) بحساب معدلهما الاعتيادي أولاً وهو

$$a_1 = (x + y) / 2$$

ثم نقوم بحساب معدلهما الهندسي:

$$g_1 = \sqrt{x y}$$

ثم بعد ذلك نكرر المتوالية مرات ومرات، والتي أخيراً سوف تختزل إلى ذات العدد وهو

$$[M(x + y)]$$



وهو ما اصطلح على تسميته (بالمعدل الحسابي - الهندسي) لـ x و y .
ولتعميم ما سبق نقول:

$$a_{n+1} = \frac{a_n \cdot g_n}{2}$$

ثم بحساب معدلها الهندسي وهو

$$g_{n+1} = \sqrt{a_n g_n}$$

ولقد استنبط كاوس مصطلح (مقلوب - Reciprocal) المعدل الحسابي - الهندسي للعددين (1) و $(\sqrt{2})$ والذي يعرف الآن، وتقديرًا له بثابت كاوس (G) ويساوي:

$$\frac{1}{M(1, \sqrt{2})} = G = 0.83462684167$$

يستفيد الرياضيون من (المعدل الحسابي - الهندسي) آنف الذكر في حساباتهم لقيم المسافات الإهليجية الكاملة - (Complete Elliptic Integrals) وفي إيجاد مقلوب المماس - (Inverse Tagent)⁽¹⁾ وقد تمكن من ربط ذلك المعدل (بتوسيعه للمتوالية اللامنتهية - Infinite Series Expansion). كما كان (كاوس) قد قام بعمل استثنائي آخر بالنسبة لفتى بعمره حينما حسب مقدار قيمة الجذر التربيعي للعدد 2 ولخمسين مرتبه عشرية: 1.41421356237309504880168872420969807856967187537694

حدث ذلك عندما كان لا يزال فتى يدرس في المرحلة المتوسطة، كما تمكن أيضاً من اكتشاف (مبدأ المربع الأصغر - Principle of Least Square) خلال بحثه عن نماذج متواليات الأعداد الأولية. وقُبيل دخوله إلى مرحلة الدراسة الجامعية، كان (كاوس) قد تمكن من إعادة اكتشاف قانون (مقلوب المعادلات الآتية - Quadratic Reciprocity)، متزامناً مع، وعلى انفراد عن كل من الفيزيائي والعالم الرياضي السويسري [ليونهارد أويلر (Leonhard Euler (1707-1783) والرياضي

(1) Tangent هو (الظل) كقيمة مثلثية - Trigonometric Function) تساوي حاصل قسمة الضلع المقابل لإحدى زاويتي المثلث قائم الزاوية على ضلعها المجاور، وفي الهندسة هو المماس للمنحنى، أي المستقيم الذي يمس نقطة واحدة فقط (الترجم).

الفرنسي [ادريين ماري ليكندر (1752-1833) Adrien - Marie Legendre]، وقد كان السباق فيما بينهما للتوصل إلى الإثبات الأمثل والحل الأصوب لذلك القانون. لقد شغف (كاوس) بذلك القانون وأعجب به كل الإعجاب إلى الدرجة التي يذكر لنا التاريخ معها استمراره في البحث عن الحلول والإثباتات وطوال فترة حياته حتى تمكن من التوصل إلى سبعة إثباتات مختلفة له خلالها.

[وللقراء المتحمسين رياضياً، لنا أن نذكر اعتبار (قانون مقلوب المعادلات الآتية - Quadratic Reciprocity Law) قانوناً مهماً بحل معادلتين آتيتين مرتبطتين بالطريقة النمطية المقننة للحساب Modular Arithmetic - ⁽¹⁾].

لقد توصل (كاوس) أيضاً ولما يزل في مرحلة حديثه إلى إيجاد الطريقة التي مكنته من رسم المضلع المنتظم صاحب الـ (17 ضلعاً)، [ويسمى باللاتينية (هبتا ديكاكون - Heptadecagon) وتعني الكلمة هبتا - Hepta - الرقم سبعة وديكا - Deca - الرقم عشرة، أما الملحق كون - gon - فيعني مضلع أو مختصر لكلمة Polygon] باستعمال المسطرة والفرجال فقط. ولأبراز أهمية هذا الإنجاز الرياضي الباهر بل وهذا الحدث الهندسي الخطير، لابد لنا أن نذكر بأن (كاوس) هذا كان أول من نجح برسم هذا الشكل (بأضلاعه السبعة عشر) رغم فشل كافة محاولات رسمه بنفس الأدوات - أي المسطرة والفرجال - من قبل عظماء الرياضيين والفلاسفة والباحثين منذ ما ينيف عن (1000 عام)!! أي منذ عهد (أقليدس - Euclid)!! لقد كان باستطاعة الرياضيين إنشاء الأشكال المضلعة المنتظمة والمسماة (مضلعات - ن أو n-gons) حينما بلغت قيمة الرقم ن، 3 و 5 أو أحد أسس الرقم 2، أي 2 مرفوعة إلى القوة 2 أي $(2 \times 2) = 4$ ، و 2 مرفوعة إلى القوة 3 أي $(2 \times 2 \times 2) = 8$ و 2 مرفوعة إلى القوة 4 أي $(2 \times 2 \times 2 \times 2) = 16$ ضلعاً وهكذا... أما (كاوس) فقد ابتكر طريقته

(1) Modular Arithmetic - لغة هو الحساب المتعلق بطريقة... والتابع لنسب محدد مقنن، واصطلاحاً هو الحساب المتعلق بضابط أو معامل أو رابط يحدد له صفاته، وعملياً هو نوع الحساب الحاروي على أرقام صحيحة لها صفة (الانغلاق) والانغلاق على بعضها لتعود إلى الرقم الذي ابتدأت به أولاً بعد وصولها لقيمة معينة خاصة تسمى (بالمعامل - Modulus). وهو نوع الحساب الذي ابتكره (كاوس) ونشره في عام 1801، وقد يسمى (حساب الساعة - Clock Arithmetic)، لعودة أرقامها للبدء من جديد بعد كل دورة. (المترجم)



الرياضية الفريدة لتوسيع عائلة المضلعات بإضافة أفراد بعدد أضلاع أولية من النوع $[2 + 2^n]$ حينما يُمثل n عدداً صحيحاً. وعليه فإن مجموعة هذه العائلة ستضم مضلعات ذوات $(F_0 = 3)$ أضلاع $(F_1 = 5)$ أضلاع $(F_2 = 17)$ ضلعاً $(F_3 = 257)$ أضلاع $(F_4 = 65,537)$ ضلعاً... وهكذا. وقد يُطلق اسم (أعداد فرمت - Fermat Numbers) أيضاً على الأرقام السابقة، ولا يشترط كونها أعداداً أولية. ولقد تم رسم المضلع المنتظم الحاوي على (257) ضلعاً في عام (1832) .

لقد احتفظ (كاوس) بتقديره الذاتي واحترامه الشخصي لإنجازاته الفريد وهو (المضلع ذو السبعة عشر حداً السابق ذكره) حتى هرمه وشيخوخته. وقد بلغ به إعجابه بإنجازه ذاك أن أوصى أن يُنحت شكله على شاخسة قبره بعد وفاته، ولكن الطريف في الأمر جاء على لسان حافر القبور وناحت الشواخص عندما اعتذر عن القيام بذلك العمل متعللاً بأن مثل ذلك (المضلع) سيظهر بشكل (دائرة) لكل من يراه!! فاستطاع أن يدخر جهده ووقته وألا يبدهما في مهمة لا ناقة له فيها ولا جمل!!

لقد وُصف عام (1796) بأنه الأغزر إنتاجاً في حياته كلها، وكان ذلك حين بدأت تنهال على ذهنه الأفكار والإنجازات وكأنها زخات مطر من سماء مُلبدة لا يكاد يرى أحد نهاية لانقشاع سُحبها.... أول لكانها شلال متدفق من عين ثُرّة لا تنضب. لقد شهدت تلك السنة إضافة إلى إنجازاته حل مشكلة رسم المضلع ذي الحدود السبعة عشر - الهبتاديكاكون - في الثلاثين من شهر آذار (مارس)، اختراعه (للحساب النمطي - Modular Arithmetic) وتقديره (لقانون مقلوب المعادلات الآتية - Quadratic Reciprocity Law) في الثامن من شهر نيسان (أبريل)، ونظرية الأعداد الأولية في الحادي والثلاثين من شهر مايس (ماي). كما تمكن أيضاً وفي اليوم العاشر من شهر تموز (يوليو) من نفس العام من إثبات حقيقة إمكانية التعبير عن أي عدد صحيح موجب بواسطة حاصل جمع مالا يزيد عن ثلاثة أعداد مثلثية. وتمكن من اكتشاف الحل الصحيح (لمتعددة الحدود - Polynomials) بمعاملات ضمن الحدود النهائية (Coefficients in finite fields) في الأول من تشرين أول (أكتوبر) من عامه الحافل ذاك.

تنص نظرية الأعداد الأولية على إمكانية التعبير تقريبياً عن الأرقام الأولية التي تقل عن قيمة محددة (n) بـ $(n / \ln n)$. هذا ويعتبر (كاوس) أول من طرح فكرتها التي

أمكن إثباتها أخيراً في عام (1896) من قبل كل من الرياضي الفرنسي [جاك هادمر د Jacques Hadamard (1865–1963)] والرياضي البلجيكي [شارل دولا فالي بواس Charles de la Vallee Poussin (1866–1962)] كلا بصورة مستقلة وعلى انفراد. لقد استخدم الرياضيان البارغان تحليلات معقدة مضمينة في إثبات تلك النظرية في زمن أيقن الجميع فيه باستحالة الوصول إلى إثبات أبسط، بطرق أسهل أو بتفكير أيسر حتى جاء الحدث الرياضي العظيم في عام (1949) حين أمكن إثباتها ببساطة مطلقة باستخدام طريقة ابتدائية غابت عن الأذهان فلم تدركها العقول، إلا عقل الرياضي النرويجي اللامع [عطيل سلبرك الذي ولد عام (1917) Atle Slberg] وقريحة الرياضي المجري الفذ [بول إردو Paul Erdo's (1913–1996)] كلا على انفراد أيضاً. وقد ظهر عرضياً إمكانية استخدامها لاشتقاق نظرية أخرى ذات علاقة تنص على: ضرورة وجود عدد أولي واحد على الأقل بين أي رقم ومضاعفه لمجموعة الأعداد التي تفوق العدد $(1), (n>1)$.

وبإمكاننا أن نثبت كذلك - وبالاستناد على (نظرية الأعداد الأولية - Prime Number Theorem) بأن معدل (الفجوة) الحاصلة ما بين أي عددين أوليين أقل من (n) هي $[(\ln(n))]$ ، وعليه إذا أحببت أن تتفحص الأعداد الأولية الصحيحة الأولى من سلسلة الأرقام وهي: 2، 3، 5، 7، 11، 13، فإنك لاشك ستلاحظ أن الفروق المتتالية بينها ستكون 1، 2، 2، 4، 2، ... وهكذا).

أما بخصوص اكتشافه للحقيقة الرياضية القائلة بإمكانية التعبير عن أي عدد كحاصل جمع ما لا يزيد على ثلاثة أرقام مثلثية، فقد كانت من الصدف الجميلة المتعلقة بحرصه على تدوين ملاحظاته ومذكراته بصورة تكاد تكون قسرية (Compulsive) وبصورة يومية بلا انقطاع. ففي إحدى مُدخلاتها المؤرخة في اليوم العاشر من شهر تموز (يوليو) من عام (1796) وجدنا الملاحظة التالية مكتوبة بوضوح تام وبسطر واحد فقط هو:

$$((\Delta + \Delta + \Delta = \text{EYPHKA} \text{ num}))$$



والتي تجسّد نظريته التي عرفت لاحقاً باسم (الأرقام المثلثية - Triangular Numbers)⁽¹⁾ والتي يمكن التعبير عنها بمنظومة نقطية متنامية من النوع الذي تمثله الأعداد التالية وبداياتها هي [1، 3، 6، 10، 15، 21، ...].

لقد وُهب (كاوس) ذهنًا وقادراً وتفكيراً ديناميكياً لا تعرف الهواة له سبيلاً، فقد كانت أفكاره ونظرياته تتدفق عليه كالسيل العرمم الذي لا يصدّه مصد ولا يوقفه حاجز⁽²⁾، فقد عُرف عنه غزارة إنتاجه إلى الدرجة التي لم يسعه إلا تسجيل ما يطرأ على ذهنه بأكثر الطرق اختصاراً، (لاحظ ما سبق!!) دون توفر الوقت الكافي لديه للتعمق فيما جادت له به قريحته ولا للبحث فيما هدته إليه عبقريته. وإليك فيما يلي ومضات منتقاة وشدرات معدودات خالطات من فيض ما فاحت به له عبقريته وما تلالأت لنا به ملكته خلال حياته:

• قدم أربعة براهين جوهرية أصيلة للنظرية الجبرية القائلة؛ بوجود عدد من الحلول الممكنة لكل معادلة متعددة الحدود (Polynomial Equation) ذات معاملات معقدة تساوي قيمة أعلى أس رفع له أحد مجاهيلها.

• حلل بصورة كاملة وافية معادلة الدائرة العامة:

والمتمثلة بـ: (Cyclotomic Equation) - $(x - 1 = 0)$ مرفوعة إلى الأس n .

• اخترع منظار المساحين (Heliotrope) وهو عبارة عن أداة يمكنها جمع شعاع

الشمس وإرساله - مركزاً - على مدى مسافة شاسعة من الأرض لأغراض مسحها.

• تمكن من إعادة اكتشاف (الدائرة الكهربائية لكرشوف - Kirchhoff's Electrical

Circuit) و (قوانين الانبعاث الحراري - Thermal Radiation Laws) وذلك في عام

(1) ويعرف الرقم المثلثي - Triangular Number - بأنه يساوي عدد النقاط في مثلث متساوي الأضلاع وقد ملئ بها. وعليه فإن 3 نقاط يمكن أن تشكل مثلثاً متساوي الأضلاع. وكذلك، نقاط 10، 15، 21. وهكذا حتى المثلث رقم n حيث يحتوي على n من النقاط على أحد أضلاعه... ورياضياً نقول: إن العدد المثلثي، هو ما يساوي حاصل جمع كافة الأعداد الطبيعية (n) من (1) إلى (n)، وفقاً للقانون التالي:

$$T_n = 1 + 2 + 3 + \dots + (n-1) + n = \frac{n^2 + n}{2} = \frac{n(n+1)}{2} \quad (\text{المترجم}).$$

(2) و (...). كأنه جلود صخر حطه السيل من على). (المترجم).

- (1833). جمعية الفيزيائي الألماني الفذ [فلهلم ويبر (1804-1891) Wilhelm Weber]، اختصت تلك القوانين بتأكيد وتحديد مواصفات حفظ الشحنة والطاقة في الدوائر الكهربائية.
- ابتدع أول (تلغراف - Telegraph) في العالم مع العالم (ويبر). والتلغراف هو جهاز لبث الرسائل بواسطة الإشارات الكهربائية المتقطعة عن بعد.
 - مارس وابتكر وزاول أعمالاً وأبحاثاً كثيرة شملت حقول الفيزياء النظرية، والخاصية الشعرية، والميكانيك والبصريات ودراسة المواصفات البلورية وعلم انتقال الأصوات وكيفية تولد الصدى منها.
 - استطاع تعيين المقدار المغناطيسي الكامن - (Magnetic Potential) ⁽¹⁾. في أي نقطة على سطح الأرض، وذلك باستعمال متوالية لانهائية من الدوال الكروية.
 - أثبت صحة الاعتقاد القائل بإمكانية الاستعاضة عن أي تركيب معقد من العدسات اللازمة لإجراء أو اختبار أي تجربة في علم البصريات الضوئية بعدسة واحدة مناسبة.
 - ساهم بتطوير والإضافة إلى علوم الكهرومغناطيسية والأسطح المنحنية وطريقة المربع الأصغر ⁽²⁾ ودوال الهندسة الفائقة ⁽³⁾ والهندسة التفاضلية ⁽⁴⁾.
 - كتب عن أساليب الرسم والتصوير ونظرية المساقط لرسم الخرائط.

(*) للضرورة التوضيحية فيما يلي تعاريف مختصرة للمصطلحات الرياضية المذكورة في هذه الفقرة. (المترجم).

- (1) ويعني أولاً - المقدار المغناطيسي المتجه الكامن (Magnetic Vector Potential) ويعني ثانياً - المقدار المغناطيسي القياسي الكامن (Magnetic Scalar Potential) وماتل الثاني فرق الجهد الكهربائي (Electric Potential)، يستعمل غالباً مع الحقل المغناطيسي من نوع H. وماتل الأول (وهو عبارة عن حقل متجه ثلاثي الأبعاد يتولد الحقل المغناطيسي من دورانه وهو المصطلح الأكثر استعمالاً) الثاني في عمله، إلا أنه يستعمل غالباً مع الحقل المغناطيسي من نوع B. يستخدم هذان المصطلحان في مفاهيم النظريات الجزئية الحديثة كنظريتي النسبية (Relativity) وميكانيكا الكم (Quantum Mechanics) بدلاً من مصطلحي الحقل الكهربائي والمغناطيسي عن الوكيديا، وللإستزادة راجعها. (المترجم).
- (2) The Method of Least Squares - طريقة رياضية لإيجاد الحلول التقريبية (لنظم فوق المحددة - Overdetermined Systems) وهي النظم الحاوية على معادلات أكثر من المجاهيل، ونستعمل في الإحصاء، ولاسيما في (التحليل التقهقري - Regression Analysis).
- (3) Hypergeometric Functions - وهي الدوال التي تتعامل مع (الهندسة التفاضلية - Differential Geomtry) (والجبر التبادلي - Cummutative Algebra)، وتقع ضمن رزمة من النظريات الكلاسيكية والكمية التي تفسر بعض المجالات (والحقول) الغريبة مثل حقل Susy: Super Symetry - الذي ترتبط فيه جزيئات الفنتلة الكاملة (one Spin) مع جزيئات تختلف عنها بمقدار نصف الفنتلة (Half Spin) ونسميان بالمتآلفات الفائقة (Superpartners) - ومجال BRST المعني بطرق نظرية الكم المعقدة ومجال الجاذبية الفائقة (Super Gravity)؛ وهي إحدى نظريات توحيد الحقول فشلا تحاول توحيد مبادئ مجال المتآلفات الفائقة (Super Symetry) مع النظرية النسبية العامة (The General Theory of Relativity).
- (4) Differential Geometry - وهي الهندسة التي تستعمل حساب التفاضل والتكامل (Calculus) والحساب الجبري الخطي والمتعدد (Linear & Multilinear Algebra) لدراسة وفهم مسائل هندسية متعلقة بتصميم شكل الكون أو المجالات المتأثرة بفعل الجاذبية. (المترجم).



سبق للفلكي الإيطالي [كوسب بيازي (Giuseppe Piazzi) (1746-1826)] أن اكتشف في العام (1800) أحد المذانبات الذي أطلق عليه اسم (سيرس - Ceres)، واختفى (سيرس)⁽¹⁾ خلف قرص الشمس واستحال تعيين موقعه، ولكن - كاوس - بعقريته الرياضية وحنكته تمكن من التنبؤ بدقة بموقعه فأعيد اكتشافه. علق الفلكي النمساوي [فرانز زافر فون زاك (Franz Xaver Von Zach) (1832-1854)] على أهمية والمعية (كاوس) في مقتطف من كتاب (كرتس ولسن - Curtis Wilson) الموسوم (كارل فردريك كاوس). بما يلي: ((أكاد أجزم بأنه لولا عبقرية الدكتور (كاوس) ودقة حساباته لما تمكن أحد من إعادة اكتشاف موقع المذنب (سيرس - Ceres) مرة أخرى أبداً)).

ومن الملاحظ والمدهش في سلوك (كاوس) هذا أنه كثر ما التجأ إلى إخفاء معارفه ومعلوماته (بل ولقد دأب على ذلك) من أجل الاحتفاظ بسبق التفوق على زملائه ومعاصريه ولإعلاء شهرته ومجده!! لقد كان كثير الأفكار غزير الإنتاج، وكان من عاداته نشر نتائجه النهائية بأسلوب نهائي (مُشفّر) وبلا أي اشتقاق، ومن ثم يعود لنشر إثباته واشتقاقه لما سبق هو أن نشره، هذا وقد أكثر من استخدام هذه الطريقة إمعاناً في جلب الانتباه والأضواء إلى شخصه وإمكاناته.

في عام (1801)، نشر أول كتبه المنهجية حول (نظرية الأرقام الجبرية - Algebraic Number Theory)⁽²⁾ بعنوان (حلول حسابية - Disquisitiones Arithmetica). وفي عام (1803) قابل (يوانا أوستوف - Johanna Osthoff) وهي ابنة لأحد مالكي المدابغ المحليين. لقد ذهبل (كاوس) حينما رآها وتعلق قلبه بها من النظرة الأولى وقد شدد

(1) Ceres - وهو الكوكب القزم أو (Ceres I)، أصغر كواكب مجموعتنا الشمسية (قطره 950 كيلومتراً) على الإطلاق والوحيد الموجود في حزام الكويكبات الذي يقع ما بين كوكبي المريخ والمشتري. اكتشف في الفاتح من شهر كانون ثاني من عام (1801) من قبل [كوسبي بيازي (Giuseppe Piazzi) (1746-1826)] وهو كاهن ورياضي فلكي إيطالي. (سيرس) هو اسم إله النبات والخصب الرومانية. واتخذت اسم الآلهة وهي أخت وزوجة إله الآلهة (زيوس) هيرا (Hera) كذلك. وهي آلهة الزواج والنساء في الميثالوجيا الرومانية (المترجم).

(2) Algebraic Number Theory - وهي فرع كبير من (نظرية الأرقام - Number Theory) والتي تدرس الهياكل الجبرية المتعلقة بالأرقام الجبرية، وتتم العملية بتشكيل حلقة من الأرقام الجبرية يرمز لها (O) ضمن نطاق أو حقل محدد من الأرقام هو (K) ومن ثم دراسة خواصها الجبرية (كالمفكوك - Factorial) وتصرف الأفكار (Behaviour of Ideas) ومديات الحقل (Field Extension). وفائدتها بالاستدلال عن مجاميل ظاهرة بربطها بالمعلوم منها. (المترجم).

أوتار قلبه، فراح يُطارحها غراماً أدبياً على ورق وعبر رسائل مفعمة بالوجد والهيام والقلق متوسلاً إليها أن تفتح له قلبها وتستمع إلى صريخ أناته وذبح آهاته المكشوفة منها، وبها... ومما جاء في إحدى رسائله إليها والمؤرخة في 12 تموز (يوليو) من عام (1804) اقتطف لك ما يلي:

((يا غاليتي... وبافتتي، هلا تفضلت بقبول حقيقة حبي إليك واستعدادي لإراقة دم قلبي بين يديك... بيدي أخط عهدتي وبقلبي وعاطفتي أطرح أمري، دعيني أهدي قلبي لسمو سكونك وصمتك الملائكي.... أصدقة أم حبيبة؟.... لي، لا بل أنت روح سامية عزيزة على نفسي قريبة إلي بعيدة عني وبعيدة عن كل ما ينقصها، غالية رائعة، لا تُقدرين، حتى أنت بنفسك مقدار غلاك عندي وقيمتك لدي؟ لا تقدرين قيمتك ولكن قلبي يفعل، لا تعرفين شوقي ولكن سهادي يشهد. لقد صرت أمسي وأصبح أحمد الله (عز وجل) وأشكر السماء ليل نهار لنسجها إشراقة وجهك إياي لأكمل بها مرأي!!... وهل لي أن أقول بل منحتك قلبي وهو يغطر. إلى متى أكابد وأتحمل فلقد كاد حملي أن يقصم ظهري. حبي وقلبي لك فلا ترديهما خائبين. ألا تودين سد فراغ قلبي (الذي هو لك الآن) في صدري بقلبك. نعم لقد بلغ بي الشوق مبلغه واضطرم فؤادي فهو في أوجه ولن يسعدني في هذه الدنيا، بل في هذا الكون ولن يريحني شيء، ما لم أرك راضية مرتاحة في أحضان غافية قريبة العين بين أضلاعي ونفسك من صدرك هو نفسي وأن يكون شعورك هو نفس شعوري، لقد أرقّت دم قلبي أمامك وصليت في محرابك لك، وطلبت رضاك. عزيزتي... حبيتي... سيظل قلبي ذائباً وحبي خائباً وروحي مكشوفة وإرادتي أسيرة وعقلي سارحاً... وأنا بصبر أنتظر وصول ردك إلي....)).

خطب (كاوس) (يوانا) في ليلة الثاني والعشرين من شهر تشرين ثاني (نوفمبر) من عام (1804)... ملك الدنيا وصفقت أجنحة خافقة فرحة بها وطار قلبه ليلتقط يراعاً يخط به قسم الحب والهيام حين قال:

((إيه أيتها الحياة... ها قد انقلبت - وبفعل ضحكة واحدة من ثغر محبوبتي - إلى ينبوع ريعي زاه بألوانه بل إلى شلال دفق من السعادة عمري بأنغامه، هلمي إلي أيتها الحياة... ها قد خلقت من جديد)).



ولم تسع نفسه سعادتها فأرسل خطابه ذاك لكل أصدقائه.

كُلت خطبتهما بالزواج السعيد الذي زينه إنجابهما لولد و بنت. ولكن أيعقل أن يمر موكب سعادة بلا جروح وهل نسي القدر قدره ليسيل ينبوع الحب بلا قروح؟؟... لا!!، فسرعان ما امتدت يد المنون لتعكر صفوه وتلتطم روحه فاخطففت من بين أحضانه زوجته ومن لب سعادته ابنه ومن أمام ناظره والده، فأمسى فؤاد (كاوس) خاوياً. كانت ضربة الموت عليه شديدة ووقعها عليه مدمراً طار لها لُبُّه وتفرقت لأثرها فرائصه، ومن بين الأقربين كان فقدان (زوجته) عليه صعباً ورافقها له مرأ، طار لها عقله وفؤاده وفقد على إثرها صوابه ورشده فارتمى إلى أحضان الكتابة غير نادم وتملكه اليأس غير غانم.

لم يتمكن من العيش وحيداً فلملم جراحه وعقد عزمه وتزوج صديقه زوجته (منا ولدك - Minna Waldeck)، ليشم منها رائحة فقيده ولينجب منها ثلاثة أطفال.

لقد اختط (كاوس) منحى خاصاً لفلسفته في العلوم وتقدم المعارف والتي كان قد أفصح عنها بوضوح في رسالته التالية التي أرسلها في يوم من أيام عام (1808) إلى صديقه الرياضي المجري الشهير [فاركاس بولاي - Farkas Bolyai (1775-1856)] والتي جاء فيها:

((إن ما يوصلك إلى هناك، وما يمكنك من السعادة، لا مقدار المعرفة ولا غزارة العلوم... وإنما هو فعل الشغف ورغبتك في التعلم، وما يجعل منك عالماً حقاً هو ليس امتلاكك للمعرفة... وإنما بطريقك للوصول إليها، ففي ذلك المتعة وهناك يكمن بيت القصيدة!! لقد دأبت طوال عمري على البحث والتقصي والإنجاز الذي بلغ حد الإبداع... ولما وصلت إلى ما نشدته روحي وتاقت إليه نفسي أدت ظهري له وأشحت بصري عنه ورميت بنفسي إلى أحضان الظلام والمجهول مرة أخرى، لا شيء إلا لأستعيد متعة الوصول إلى قمة جديدة، ونشوة الانتصار بوطني لهدف حل مسألة عتيقة.

هل لي أن أقول إن إشباع الرجل النهم إلى العلم مهمة لا تُدرك؟ أم أقول إن توفه ذاك لغريب، فكلما أكمل تجربة وهضم معضلة وحالما حل مسألة أو فهم فكرة... تراه لا يفسح لنفسه المجال ولا يضيّع من يده الزمام بتفحصها وتمحيصها وغربلتها وتحقيقتها،

بل تراه ينتقل إلى مسألة أصعب أو معضلة أعقد ليبدأ مشوار صراعه معها - حتى تلين وتخضع هي الأخرى له. لا بد لقاهر العلوم وهاضم المعرفة أن يكون غازيا متعطشا لا يعرف الانتظار لنفسه طريقاً ولا الراحة لنفسه سبيلاً، فكلما سقطت قلاع مملكة تحت ضربات سيف فكره وسنابك أفراس عبقريته تراه سرعان ما يهيب ويغزو (ليدك أخرى)).

أكمل (كاوس) تأليف كتابه الثاني وتمكن من نشره بجزأين في (1809) تحت عنوان:

(Theoria Motus Corporum Coelestium in Sectionibus Conicis Solen Ambientium)

(نظرية في حركة الأجرام السماوية حول الشمس بمقاطعها المخروطية) وقد كانت أطروحة بارعة ناقشت حركة الكواكب والأجرام. تضمن جزؤه الأول مناقشة ووضع العديد من المعادلات التفاضلية ذوات العلاقة، وحفظ لنا جزؤه الثاني تفاصيل السبل اللازمة لتقدير وتعيين وحساب مسارات الكواكب في مداراتها.

لقد عانى كاوس - وطوال حياته - من الشعور القسري بالرهاب والكآبة الشديدة مترامنا مع الإحساس الداخلي بالظلم والاضطهاد، وحاول جاهداً مقاومتهما، وقد ظهر ذلك جلياً في رسالته البيّنة، التي أرسلها في عام (1834) إلى تلميذه السابق (كرستيان كرلنك - Christian Gerling) والتي ضمنها شجونه وآهاته وشعوره الدائم بالوحدة والوحشة في هذا العالم رغم إحاطة الجميع له وحفاوة الكثيرين به. وفي خلال مقاومته لسلبات شخصيته ومثالب خوفه (ومرض) نفسيته وظلام انزاله وابتعاده عن الناس والمجتمع... وبالرغم منها جميعاً فقد تمكنت عبقريته من التفقق والازدهار وزاول عمله مواصلاً الليل بالنهار حتى انتشر عمله وينعه، وبلغ نجاحه الأفق حتى طبقه فقد عُرف واشتهر كأفضل عالم للرياضيات في تلك الحقبة على الإطلاق⁽¹⁾.

ذكر كاتب السير الذاتية (كينيث او. ماي - Kenneth O. May) في مشاركته في معجم سير العلماء الذاتية - حول كاوس - بأنه كان مشغول الفكر كثير الإنتاج فغالباً ما تصارعت الآلاف من الأفكار في رأسه ودارت الملايين من الإبداعات بين تلافيف دماغه، إلا

(1) يصنف اختصاصي علم النفس (Psychology) وعلم النفس المرضي (Psychiatry) اليوم مجموع الأعراض والدلالات التي عانى منها (كاوس) ورافقت عبقريته تحت مسمى عام شامل يميز نوعاً خاصاً من الشخصيات الإنسانية المبدعة وينعش عليها حياتها في أن وقد ينفعها أحياناً إلى الانتحار وهي (الشخصية المضطهدة القسرية - Paranoid Personality) و (العصاب القسري الاضطهادي - Obsessive Compulsive Personality) ومن شخصياتها عبر الزمن نيوتن و(كاوس) وفرويد وبيكاسو وهتلر وغيرهم. (المترجم).



أنه لم يتوصل إلى مراحل رعاية وإنضاج الكثير من تلك الأفكار والإبداعات ولم يتمكن من دفع نظرياته وقوانينه رغم غزارتها إلى إحداث أي انقلاب يبين يذكر ولا أدنى ثورة في الفكر العلمي البشري العام آنذاك، وذلك للأسباب التي شرحها لنا قائلنا:

((علينا أن ندرك الفرق ما بين وجود أو الحصول على كمية من العلوم والمعارف من جهة، ومقدار ما يمكن أن يجسده ذلك من تأثير على العلوم أو المجتمع من جهة ثانية. لقد كان ذلك التفريق في الوقت الذي عاش فيه (كاوس) مبهماً، أما اليوم فقد أصبح الفرق بينهما بيناً. لقد شهد (كاوس) حدوث، وعاش بالفعل فترة أعظم ثورتين لأجل فكرتين رياضيتين خلال القرن التاسع عشر وهما: (الهندسة اللاإقليدية - Non - Euclidean Geometry)⁽¹⁾ و (الجبر اللاتبادلي - Non Commutative Algebra)⁽²⁾.

وفي حين تعود الهندسة الإقليدية إلى زمن (إقليدس الإسكندري الذي ولد حوالي 300 ق.م - Euclid of Alexandria) وهو الملقب بأبي الهندسة في القرن الأول قبل الميلاد، لم يتم تقبل فكرة الهندسة اللاإقليدية [والتي تناقش وتفسر من مجمل ما تناقشه وتفسره مفهوم (الزمكان - أي توالف عاملي الزمان والمكان - Space time) إلا في حدود القرن التاسع عشر الميلادي.

أما الأولى فقد كرهها ورفضها، وأما الثانية فقد أحبها وساندها لما وضعها على شكل (حسابات رباعية الحدود - Quaternion Calculations) في كتيب صغير نُشر في عام (1819) ولم يثر أي ردود فعل تُذكر.

أكد (ماركوس دو ساوتوري - Marcus du Sautory) في كتابه (ما عزف لحنه

(1) Non - Euclidean Geometry: هي نوع الهندسة المتضمنة لأشكال وأحجام لا يمكن إسقاطها مباشرة على أي فراغ إقليدي (تقليدي) ذي عدد محدد من الأبعاد مقداره (n). وتتضمن (الهندسة اللاإقليدية) أنواعاً أخرى منها تسمى (الهندسة القطع الزائد - Hyperbolic Geometry) و (هندسة القطع الناقص - Elliptic Geonetry) وأهم وأسط ما يفرق بين الثلاثة هي مواصفات الخطوط المتوازيين، ففي حين أنهما لا يتلاقيان مهما امتداهي الهندسة الإقليدية، تجدهما يفترقان في هندسة القطع الزائد ويتقاطعان في هندسة القطع الناقص.

(2) (Non - Commutative or Non - Commutative Algebra) - هو مفهوم الجبر اللاتبادلي والذي يمكن تفسيره بالبدئية التالية: $a \times b \neq b \times a$ في حين يعترف الجبر الاعتيادي (التبادلي) بها، أي $a \times b = b \times a$. (الترجم).

العظماء) نزع (كاوس) الذاتية والقسرية للانفراد بأفكاره وتردده (المرضي) في الإفصاح عن بنات أفكاره حين قال:

لقد كانت نزع (كاوس) للغموض قاتلة، وكادت أن تؤدي بعقريته الخارقة، فعلى رغم علو شأن نظريته البديعة حول (الأعداد الأولية - Prime Numbers) ووضعه لقانونها وإلى حد أي رقم حقيقي (N) بصيغة (الدالة اللوغارتمية)، فلم يجده قد كتبها إلا بأحرف صغيرة وأرقام غائرة على طارف الصفحة الأخيرة لغلاف كتابه في اللوغارتمات!! ولا نكاد نصدق أنه لم يُنَلَّغ أحداً بما اكتشفه أبداً رغم أهمية ذلك الاكتشاف!! ولكن معظم العالم كان قد سمع به... وقرأ جملته الغامضة المقتضبة والتي ذكرها بذلك الخصوص: (لا يمكن لكم أن تتخيلوا ابداً، فضلاً على أن تتذوقوا عذوبة الشعر وروعة الجرس المحتج ما بين زوايا مربعات جداول اللوغارتم!!).

لقد بين (ديفيد سامويل - David Samwels) في كتابه (النظرية الجامعة - Knit theory) وفسر ميل (كاوس) لعدم نشره لاكتشافاته بخصوص (هندسة القطع الزائد - Hypebolic Geometry) والخطأ الذي اقترفه من جراء ذلك، بما يلي:

((لقد فهم الرياضي العتيد (كارل كاوس) مبدأ وفكرة هندسة القطع الزائد فهما تماماً واستوعبها استيعاباً وافياً منذ عام (1816)... ولكنه لم يتوقع ولم يأمل أن تكون فكرة تفسيره لعالم مبتعد عن نفسه وفي كافة نقاطه... (عالم سيكون في تصويره أقرب ما يكون لكرة منعكسة مبتعدة عن نفسها ومضادة لذاتها) متقبلة ومهضومة من قبل معاصريه وعليه لم يقيم بنشرها أبداً... دارت الأيام ومرت الليالي حتى توصل إلى ذات الفكرة وأعاد اكتشافها وقام بنشرها بالفعل كل من الرياضي المجري [جونوس بولاي - (1802-1860) Janos Bolyai] والرياضي الروسي [نيكولاي لوباشفسكي - (1792-1856) Nikolai Lobachevsky] كل على انفراد في عام 1825. أي بعد ابتكارها من قبل كاوس بتسع سنين!!)).

لم يتوقف العلماء والباحثون عن اكتشاف وتقييم العديد الجمل من اكتشافاته العلمية الرائدة



وإيجاد وتعظيم الكثير الكثير من نظرياته الرياضية الخالدة حتى بعد وفاته وذلك. عرجة دفتر ملاحظاته الخاصة والذي كان هو قد فشل بنشرها وتعميمها خلال فترة حياته... ولقد بلغت إنجازاته الفكرية تلك من الكثرة بحيث أدامت زخمه الفكري وعمقت صيته العلمي بعد مغادرته عالمنا الفاني ولطوال ما تبقى من القرن التاسع عشر!!، لقد شُبه دماغ كاوس وعقله كالانفجار المتسلسل المستمر في أحد معامل (صناعة النظريات والأفكار الرياضية) والذي خُلف (جبلاً) من المعلومات (وأطنانا) من النظريات المبعثرة هنا وهناك، الأمر الذي استلزم من (البشر البسطاء) السياحة والتنقل عبر حطام ركامه وأكوام نفائسه لفهم طلاسمه ولانتقاء جواهره من بين أطلاله عشرات من السنين.

لقد أفصح عن ولعه وهيامه بموضوع الرياضيات في رسالة قصيرة بعث بها إلى صديقه وكاتب سيرته الذاتية [سارتوريس فون فالترشوزن Sartorius Von Waltershausen (1809-1876)] والذي حفظ أسراره وأفكاره في كتابه الرائع (كاوس الأسطورة - Gauss Zum Gedachtinn) والذي نشر في عام (1850) حين قال:

((لا أشك مطلقاً بأن الحساب هو سيد وملك علوم الرياضيات، وأن الرياضيات هي سيدة وملكة كافة العلوم وعلى الإطلاق، قد تُقدم على بعض التنازلات هنا لخدمة (علوم الفلك) وقد تفضل ببعض العون هناك (للمجولوجيا والهندسة وغيرهما من العلوم)، إلا أنها تظل وبكل المقاييس وعلى كافة الصُعد الآمرة الناهية الأولى والأهم وعلى كافة المستويات فهي مليكتهن جميعاً)).

ولقد نقل المؤلف، وفي نفس الكتاب السابق قول (كاوس) مازحاً، بأن هناك العديد من الشؤون الرياضية والمسائل الفكرية التي توجب علينا مناقشتها وحلها في (حياتنا الأخرى) إذ ليس هناك ما يكفي من الوقت (أو حتى من الإدراك) لبلوغ ذلك في حياتنا الدنيا هذه...!!

((دأب كاوس على ذكر... وأصر على اعتبار الأبعاد الثلاثة التي تميز عالمنا الواقعي... هي من مواصفات - أو حتى قصور - أرواحنا وكياننا كبشر، وكان كثيراً ما يضرب المثال الذي يفترض فيه أننا كائنات تعيش في... وتدرك فقط بعددين اثنين لا ثلاث... عندها -

يقول كاوس - لابد وأن ننظر إلينا الكائنات الأخرى - والتي تعيش بأبعاد ثلاث نظرة مختلفة مغايرة... وبضمن نفس المبدأ وعلى ذات النوال - لابد وأن ننظر لنا الكائنات التي تعيش وتترك أبعاداً أكثر بصورة عما ننظر نحن بها لأنفسنا... والخلاصة - يكمل كاوس مازحاً - إنى لعلى يقين بأن هناك العديد من الأفكار والكثير من الحالات التي أوجّلها الآن واركنها، بل وحتى أضعها على الرف أملاً بأن (أبعث) من جديد وبكيان أرقى وبإدراك - أكثر أبعاداً - لأعيد دراستها وتحليلها هندسياً بأسلوب أدق...)).

لطالما شغف كاوس أيضاً باللغات وكان لها عليه جاذبية خاصة وكان له بها ولعاً غامراً، فبرغم كونه ألماني المولد واللغة إلا أنه بدأ بدراسة اللغة (السنسكريتية - Sanskrit) ⁽¹⁾ في حوالي عام (1840) أي عندما بلغ الثالثة والستين من عمره، وكان قد بدأ بالفعل في السنة السابقة أي في عام (1839) وعندما كان عمره اثنين وستين عاماً بدأ بدراسة اللغة الروسية والتي أتقنها وصار يستخدمها في مراسلاته مع أصدقائه الروس بعد سنتين فقط، والحقيقة أنه من بين الأسباب التي دفعت له لدراسة الروسية كانت رغبته الملحة لقراءة وفهم أعمال الرياضي الروسي الفذ [نيكولاي لوباشفسكي (Nikolai Lobachevsky) (1792-1856)] وحقيقة تصوره وما كتبه بلغته الأصلية عن الهندسة اللاإقليدية. كما تعلم وأتقن اللغة الإنكليزية حتى أكمل قُبيل انتهاء رحلة حياته رائعة الكاتب الشهير (ادوارد كيبون - Edward Gibbon) تاريخ اضمحلال وسقوط الأمبراطورية الرومانية.

لقد كان (كاوس) من المؤمنين بخلود الروح ووجود الحساب والحياة بعد الممات والجنة والنار، كما آمن بوجود الله الواحد الصمد (سبحانه) والذي ليس كمثله شيء. عانى من أعراض هبوط عضلة القلب وعجزها قُبيل رحيله من هذه الدنيا وسرعان ما ودّعها عن عمر ناهز الثامنة والسبعين بقليل. طويت صفحته وفاضت روحه في اليوم الثالث والعشرين من شهر شباط (فبراير) من عام

(1) Sanskrit - تعتبر اللغة السنسكريتية - وهي من اللغات الهندو آرية، لغة القداسة والتدين لكل من البوذية والهندوسية، وهي واحدة من (22) لغة منطوقة في الهند ومن ضمن لغاته الرسمية الأربع التي تضم بالإضافة إليها لغات التاميلي (Tamil) والتلوكو (Telugu) والكانادا (Kanada). (المترجم)



(1855) وقد حَفَّ به أهله وأحاط به أحبابه، أما جنازته وتشيعه إلى مثواه الأخير فقد تأخر لأيام ثلاث أفسحت المجال أمام تلامذته ومريديه وخلائه ومحبيه من حضورها، كما حضرها العديد من أعيان بلده (ومسقط رأسه) وبسطائها، وقد أُنْبه عند مثواه الأخير صديقه العزيز وكاتب سيرته الذاتية (سارتوس فون فالترهاوزن - Sartus von Waltershausen).

أُطلق اسمه تخليداً للذكراه وتبجيلاً لمقامه على إحدى فوهات القمر بقطر 177 كيلومتراً وقد تمت المصادقة على تلك التسمية من قبل الجمعية العامة لاتحاد الفلكيين العالميين في عام (1935)، كما أُطلق اسمه على أحد المذنبات وهو [كاوسيا (1001) Gaussia]. وسميت باسمه كذلك واحدة من صغار القشريات، وهي حيوانات بحرية من فصيلة (مخذافية الأرجل - Copepoda)، (وهي عائلة من القشريات التي ينتمي إليها كل من السرطان وجراد البحر) والتي تمتاز بقابليتها على إصدار نوع من (البريق الحيوي الذاتي Bioluminescence). أما سبب تسمية ذلك الحيوان القشري باسم عالمنا الرياضي الجليل فيعود إلى حادثة البعثة الألمانية لاكتشاف القطب الجنوبي في الفترة (1901-1903) والتي أبحرت على متن باخرة قطبية اسمها (كاوس). لم تُنشر وقائع وحقائق المكتشفات المهمة لتلك البعثة إلا بعد ثلاثين عاماً أي في عام (1930)، فكانت بذلك خير شبيه بمذكرات كاوس نفسه والتي لم تُفصح عن مكونات وجواهر محتوياتها إلا بعد وفاته بفترة طويلة، وبالفعل فقد احتوت مذكرات (السفينة القطبية - كاوس) حقائق عن اكتشاف العديد من المخلوقات البحرية التي كانت قد اكتشفت وسجلت لأول مرة مثل (الحيوان القشري الكوبيبود) إضافة إلى الكثير من الفصائل الأخرى التي حملت ذات الاسم كذلك.

لقد حُفظ دماغ (كاوس) في الكحول وتم تشريحه بعد وفاته بفترة قصيرة كمحاولة للوقوف على سر عظمة ذاك الرجل، وبمجرد وزنه ظهر بلوغه (1492 غراماً) في حين يبلغ معدل وزن دماغ الرجل حوالي (1360 غراماً)، ومعدل وزن دماغ المرأة حوالي (1230 غراماً) أي أن وزن دماغه كان أثقل من المعتاد إضافة إلى وصف تلافيفه بأنها غاية في التطور والتعقيد!! إلا أن إعادة دراسة ذلك الدماغ بإسهاب ومن خلال البحث الذي نشره علماء

وباحثو معهد (ماكس بلانك) للكيمياء الحيوية الفيزيائية) في أمريكا بالتعاون مع علماء آخرين من جامعة (كوتنكن - Gottingen) في ألمانيا، أظهرت نتائج دراسات المقاطع المنظمة المجرة عليه بواسطة جهاز الرنين المقطعي المغناطيسي (Magnetic Resonance Tomography) عدم وجود أي تضاريس غير اعتيادية ولا وجود لأي أجزاء إضافية في دماغ (كاوس)، أي أن دماغه كان (طبيعياً) تماماً. أثبتت هذه الدراسة عكس الحقيقة التي أثبتتها دراسة دماغ (اينشتاين) على سبيل المثال، والتي أظهرت وجود شذوذ ملحوظ في الأخدود الدماغية المعروف (بأخدود سلفيا - Sylvian Fissure) لديه، بينما كان طبيعياً تماماً في حالة (كاوس). نُشرت تلك الدراسة في دورية [مقدمات عام 1999 لجمعية أحياء ذكره (كاوس)].

لقد خُلد اسمه بإطلاقه على إحدى فوهات القمر وعلى بعض القشريات البحرية، كما أُطلق على وحدة كثافة الفيض المغناطيسي (The Unit of Magnetic Flux Density). لقد كُرِّم (كاوس) كذلك بإطلاق اسمه على إحدى الدوال المستخدمة في مجالات الإحصاء والاحتمالات و(معادلات التفاضل الجزئية - Partial Differential Equations)⁽¹⁾ وهي (دالة كاوس للزيرغ - Gauss Error Function) وبالإمكان التعبير عنها رياضياً كما يلي:

$$\operatorname{erf}(x) = \frac{2}{\sqrt{\pi}} \int_0^x e^{-t^2} dt.$$

وسُميت باسمه كذلك (دالة كاوس للهندسة الفائقة - The Gauss Hypergeometric Function)⁽²⁾ وهي:

$${}_pF_q(\alpha_1, \dots, \alpha_p; b_1, \dots, b_q; x).$$

(1) Partial Differential Equations - هي مجموعة من المعادلات التفاضلية الحاسوبية التي تحتوي دالة أو دوال بعدة مجاهيل مع مشتقاتها الجزئية نسبة إلى تلك المجاهيل، وتستخدم لبناء ومن ثم لحل المسائل الحاوية على دوال. مجاهيل متعددة كالتي نصادفها في مواضيع انتشار الصوت والحرارة والكهربائية المستقرة والمتغيرة وحركة الموائع ومسائل المرونة والمطاوعة. وقد يظهر اكتساب بعض الظواهر الفيزيائية المختلفة (لتكوينات أو) تصرفات رياضية متطابقة، تمكنا من استنتاج ديناميكية واحدة لأساس تصرفها.

(2) Supergeometry - Hypergeometry - هي عبارة عن هندسة تفاضلية لمجالات رياضية غير تقليدية مثل ما فوق الجبر النمطي (Over Graded Commutative Algebra) ورياضيات ما فوق التماثل (Supermanifolds) والتماثل الرتي (Graded Manifolds) وتنتمي لرممة النظريات الكلاسيكية (Classical) والكيمية (quantum) للمجالات غير الاعتيادية. (المترجم).



وتعرّف هذه الدالة، بمفهوم متواليّة الهندسة الفائقة والتي تكتب كنسبة للحدود المتوالية

التالية:

$$\frac{c_{k+1}}{c_k} = \frac{P(k)}{Q(k)} = \frac{(k + \alpha_1)(k + \alpha_2) \dots (k + \alpha_p)}{(k + b_1)(k + b_2) \dots (k + b_q)(k + 1)} x.$$

تقابل الدالة $[_2F_1(a; b; c; x)]$ ما قيمته $p = 2$ و $q = 1$ وتعرف بـ (دالة كاوس) للهندسة الفائقة وكانت أول دالة درست من هذا النوع.

وهناك دالة أخرى سميت باسمه وهي (دالة كاوس - Gaussian Function) وتأخذ الشكل الرياضي التالي:

$$f(x) = a e^{-(x-b)^2/c^2}$$

وتطبق على ثوابت حقيقية من نوع $a > 0$ (أي أكبر من) صفر، b, c .

وهناك (توزيع كاوس - Gaussian Distribution) للمتغير الحاوي على (معدل - Mean) يساوي (M) و (منوال - Variance) هو σ^2 ويُعبّر عنه بدالة احتمالية (Probability Function) يمكن كتابتها رياضياً على الشكل التالي:

$$P(x) = \frac{1}{\sigma\sqrt{2\pi}} e^{-(x-\mu)^2/(2\sigma^2)}$$

(وتوزيع كاوس) هذا هو ما يطلق عليه، في علوم الإحصاء والدراسات الاجتماعية وبقية المواقع والعلوم أيضاً مسمى (التوزيع الطبيعي - Normal Distribution) أو (المنحنى الجرس - Bell Curve) أي على شكل الناقوس الكبير.

وهناك أيضاً (ثابت كاوس للجاذبية - Gaussian Gravitational Constant) ويساوي $(K = 0.01720209895 \text{ A}^{3/2} \text{ S}^{-1/2} \text{ D}^{-1})$

حيث يمثل A - معدل نصف قطر مدار الأرض حول الشمس و D - معدل فترة دوران الأرض حول محورها نسبة إلى الشمس و S - معدل كتلة الشمس. وإذا عجبنا وأصابنا الصداغ من كثرة وتعقيد ما ألحق باسم (كاوس) من حدود، فعجباً قول (كاوس) بوجود القيمة اللانهائية القابلة للقياس - (A Measurable Infinity) وقد عبر عليها بالرقم

التالي واتخذت من اسمه عنواناً لها:

$$\Gamma = 9^{9^{9^9}}$$

وهو الرقم الحاوي على عدد مراتب يساوي

$$10^{369,693,100}$$

وهذا رقم مهول يستحيل تخيل مقداره، فهو يفوق ما يحتوي كامل كوننا المرئي من ذرات.

وإذا ما طبعت مراتبه بصورة اعتيادية أفقية على شريط من الورق، لبلغ طول ذلك الشريط:

$$10^{369,693,094}$$

ميلاً. حسب ما أقره الرياضي والكاتب (جوزف مداشي - Joseph Madachy)، وإذا ما كان سُمك (الخبر) المستعمل في طباعة ذلك الرقم لا يتجاوز الذرة الواحدة، فإن المادة الموجودة في (مليون) نسخة من كوننا المرئي سوف تحمل عدد ذرات دون ما تتطلبه طباعته!... ومع ذلك فقد توصل العلماء والرياضيون - ولك أن تعجب أيما عجب - إلى تحديد المراتب العشرة الأخيرة من ذلك العملاق الرقمي الهائل باستعمال الحواسيب الضخمة فكان؛ 1,045,865,289.

وقبل أن نودع (كاوس) ونختتم مدخله هذا (والذي لا بد وأن أصاب بعضنا بالصداع والدوار!)، أجد من المناسب جداً أن أذكركم هنا بأن العديد من عظماء الرياضيين والعلماء - إضافة إلى (كاوس) ومن أمثال [سرينيفازا رامانوجان Srinivasa Ramanujan 1887-1920]⁽¹⁾

و[جيمس هوب وود جينز (James Hopwood Jeans 1877-1946)]⁽²⁾

(1) رياضي هندي عصامي، وعبقري اعتمد على نفسه في تعليم نفسه، ويمكن - من دون أدنى تدريب رياضي مسبق - من ابتكار الكثير من الأفكار الرياضية في حقول التحليل الرياضي (Mathematical Analysis) ونظرية الأرقام (Numbers Theory of) والكسور المستمرة (Continued Fractions) والمتواليات اللانهائية (Infinite Series). المترجم.

(2) فيزيائي وفلكي رياضي إنكليزي من عائلة عريقة، نال تعليمًا مرموقاً في المدارس والجامعات الإنكليزية مثل كمبريدج (Cambridge) وكلية ترينيتي (Trinity) ودرس فيها، وكان أستاذاً للرياضيات وقد نال لقب (فارس - Sir). (المترجم).



و[جورج كانتور (1845-1918) George Cantor]⁽¹⁾ و[بليز باسكال
John Littlewood-Blaise Pascal (1623-1662)]⁽²⁾ و[جون ليتل-وود
1885-1977]⁽³⁾ - الذين آمنوا جميعاً بأن عبقريتهم ونبوغهم إنما هو نعمة مقدسة
ونفحة إلهية مُعجزة، وكما سبق ذكره فإن (كاوس) نفسه كان قد أفصح غير ذات مرة بأنه
وحين يتوصل إلى إثبات نظرية حسابية و/أو تأكيد موضوعات رياضية؛ بأن ذلك لم يتم أبداً
جاء الجهد والتفكير والعناء، وإنما تم بسهولة تامة وانسيابية مطلقة لا يسعه إلا أن يحمد المولى
(عز وجل) على منحه هذه الموهبة فهي منه وهو (سبحانه) يُحمد عليها أولاً وأخيراً.
وختاماً فقد وصف (فيلكس كلن - Felix Klein) منزلة (كاوس) وما مثله بالنسبة للعالم
والأساطين العلوم عبر العصور في محاضراته حول تطور العلوم الرياضية والتي ألقاها خلال
الفترة (1914-1919) وجمعها (جورج ام. راسياس - Georye M. Rassias) في
كتابه الرائع الموسوم (الإرث الرياضي لسي. اف. كاوس). بما يلي:

((لقد أعجب كاوس كل الإعجاب باثنين (لا ثالث لهما) من أساطين الرياضيات
والعلوم واتخذهما مثلاً له في حياته. أما هو فقد شاركهما بتمتعه بحياته الطويلة - كما
تمتعا -... والتي مكنته من تطوير ذاته وقدراته وشخصيته وإثبات إمكانياته وتوكيدها
تماماً، لقد بلور (ارخميدس) شخصية الإنجازات العلمية التقليدية طوال الزمن القديم،
وابتدع (نيوتن) أسس الرياضيات الحديثة التي هي عماد نهضتنا اليوم، أما (كاوس)
فكان حامل شعلة محاض وولادة مبادئ الرياضيات المستقبلية ورافع راية سيادتها)).

(1) رياضي ألماني ولد في روسيا. أشهر ما عرف به هو ابتكاره (نظرية المجموعات - Set Theory) والتي
أصبحت من أساسيات علوم الرياضيات، بين أهمية العناصر ضمن المجموعات وعرف (المالانهاية - Infinity) والمجموع جيدة
التنظيم (Well - Ordered Sets) وأثبت أن (الأعداد الحقيقية - Real Numbers) تفوق (الأعداد الطبيعية - Natural
Numbers) - عدداً- (المترجم)..

(2) رياضي وفيزيائي وفيلسوف لاهوتي فرنسي، ولد طفلاً موهوباً وله العديد من المساهمات العلمية كبناء الحواشيب
الميكانيكية. درس الموائع، ووضع مفاهيم (الضغط - Pressure) و(الفراغ - Vacuum). وكتب ودافع عن الأسلوب
العلمي في البحث. (المترجم).

(3) رياضي بريطاني ولد في مدينة (كنت - Kent) ودرس في لندن وعُرف بمساهماته في (النظرية المثالية - Ideal Theory).
كان عضواً في الجمعية الملكية وأستاذاً للرياضيات في (كامبردج). (المترجم).

مصادر إضافية وقراءات أخرى:

Bell, E. T., *Men of Mathematics: The Lives and Achievements of the Great Mathematicians from Zeno to Poincaré* (New York: Touchstone, reissue edition, 1986).

Bühler, W. K., *Gauss, a Biographical Study* (New York: Springer, 2005).

Dunnington, G. Waldo, *Carl Frederick Gauss: Titan of Science* (New York: Hafner Publishing, 1955; reprint edition, Washington, D.C.: Mathematical Association of America, 2004).

Dunnington, G. Waldo, "The Sesquicentennial of the Birth of Gauss," *Scientific Monthly*, 24: 402-414, May 1927; see www.mathsong.com/cfgauss/Dunnington/1927/.

du Sautoy, Marcus, *The Music of the Primes: Searching to Solve the Greatest Mystery in Mathematics* (New York: Harper Perennial, 2004).

Hall, Iord, *Carl Friedrich Gauss* (Cambridge, Mass.: MIT Press, 1970).

Hayes, Brian, "Gauss's Day of Reckoning," *American Scientist*, 94(3), 200, May/June 2006; see www.americanscientist.org/template/AssetDetail/assetid/50686.

Madachy, Joseph S., *Madachy's Mathematical Recreations* (New York: Dover, 1979).

May, Kenneth O., "Carl Gauss," in *Dictionary of Scientific Biography*, Charles Gillispie, editor-in-chief (New York: Charles Scribner's Sons, 1970).

Newman, James R. (ed.) *The World of Mathematics* (New York: Simon and Schuster, 1956).

Rassias, George M., *The Mathematical Heritage of C. F. Gauss* (River Edge, N.J.: World Scientific, 1991).

Samuels, David, "Knot Theory," *Discover Magazine*, 27(3): 41-42, March 2006.

Tent, M. B. W., *Prince of Mathematics: Carl Friedrich Gauss* (Wellesley, Mass.: A. K. Peters, 1st ed., 2006).

von Waltershausen, Sartorius, *Gauss zum Gedächtnis* (Leipzig, 1856).

Wilson, Curtis, "Carl Friedrich Gauss," in *Landmark Writings in Western Mathematics 1640-1940*, Ivor Grattan-Guinness, editor (Amsterdam: Elsevier, 2005).

أفكار فلسفية وآراء للمناقشة:

- يسألني الناس وطلابي أينما حللت: أستبلغ غايتك النهائية من حب الفيزياء وعشقها باكتشافك لقوانينها النهائية؟ فأجيبهم فوراً (كلاً أبداً!!)، إن كل همي كإنسان أولاً وفيزيائي ثانياً أن أحاول معرفة المزيد عن هذا العالم الثر الجميل الذي أعيش فيه. ولكن إن كان هناك قوانين نهائية بإمكانها تفسير كافة ظواهره (وعجائبه) وبأسلوب مقنع، سأتمكن من اكتشافها في طريقي إلى هدفي ذاك، فليكن!... إن ذلك سيكون - وبلا شك - شيئاً جميلاً ومدعاة لسعادتي. ولكن... إن ظهر إلينا - وبعد أن أعيانا بحثنا وتحصيلنا وكافة جهودنا التي بذلناها لاكتشاف قوانين الكون، بأنها عبارة عن الملايين من (أوراق البصل)



المتطابقة على بعضها وكلما فتحنا لغز طبقه ظهرت لنا أخرى، وهكذا إلى مالا نهاية... حينها لن يكون لي حاجة (بالقانون النهائي)... وسيتصرف الكون على سجيته... وليكن له ما يريد...

فينمن

Richard Feynman: (The Pleasure of Finding Things Out, The Best Short Works of Richard P. Feynman).

مقتبسة من كتابه - (مُتعة اكتشاف الأشياء: خير وأقصر أعمال فينمن)

• لاشك أن فكرة إيجاد مجموعة القوانين النهائية السرمدية التي ستحكم كافة عظام أمور الكون ودقائقها ستكون لا فكرة جلييلة فحسب، وإنما إنجازاً مذهولاً مدهلاً خلافاً كذلك...

ولكن أستمكّن بذلك حقاً من التملص من سطوة الفلسفة وقبضة الأديان؟

لقد توصل الفلاسفة وبعد كثير تفكير وعميق تمحيص إلى الجدل المنطقي الذي مفاده أننا سوف نستطيع دائماً - وبتقدم العلوم والتكنولوجيا - التحقق من صدق تنبؤات وتوقعات القوانين الفيزيائية للطبيعة وستأكد من صدقها في ذلك أو تناقضها معها وفشلها، ولكننا بالمقابل - يقول المنطق - لن نتمكن أبداً من إثبات واقع جوهر أي قانون سابق أو لاحق بأنه سيكون صائباً وعلى حق دائماً وأبداً. وبناء على ذلك إذا رُسُخ في أذهاننا أنه في استطاعتنا أن نوصل إلى مثل تلك الرزمة من القوانين السرمدية المطلقة كاملة الصحة، فإننا والحالة هذه سنكون قد اختططنا لأنفسنا طريقاً مسدوداً سلكناه مناقضاً تمام التناقض مع حُجة المنطق وقوة الدليل... وسيستحيل علينا إثبات وجوده فضلاً على صحته.

سمولن

Lee Smolin, (Never Say Always), New Scientist September 23, 2006

مقتطف من مقالة له بعنوان: (لا تقل دائماً أبداً)، نشرت في مجلة (نيوسينتست).

• لكل شيء ظاهر وباطن⁽¹⁾ وظاهر الفيزياء وما نراه منها جميل خلاب آسر، فهو يُفسّر لنا كيف بُني طائرانا

(1) نقول أقدم أسطورة سومرية مكتوبة على الرقم الطينية بالكناية المسماة بأن الإله (سبحانه وتعالى) كان قد صنع البشر - أولاً من صلصال على شكل جرار مائة جميلة... ولما ترك الجرار لتجف جاءت الوحوش والأثوار فعميت لذلك الخلق وحسدته فعملت على تشويده خارج الأملس الناصع اللامع ببرائتها، ولكنها خافت أشد الخوف لما جاء الإله ليرى مديح صنعه فقلبتهم جميعاً باطنها ظاهراً لتخفي القبح والتشوه الذي أحدثته فيها، وهكذا كان الإنسان. (المترجم - كاستارة مجازية -).

وكيف نفرح حين تدور كرة القدم إهليجياً لتستقر في زاوية الهدف (القاتلة) في مباراة مهمة، كما وتُفسر لنا رشاقة الإلكترونات في دورانها ورقصها حول نواتها وتُبين لنا طبيعة قفزاتها المنتظمة من وإلى مداراتها المعلومة باعثة لنا بألوان طيف الضياء.... ولكن لا أظني قابلت أقبح ولا أكر ولا أصعب من تفاصيل ودقائق بواطنها، فلم علينا فيها أن نتخلى عن مفهومنا (الإقليدي) التقليدي ونحاول فهم (حقيقة) أن (4 # 3 + 1)، أو لم لا بد علينا أن نحسب وزن (الكوارك الأعلى - Top Quark) ⁽¹⁾ بما يقارب الـ (40) ضعفاً لوزن أخيه التوأم (الكوارك الأسفل - The Bottom Quark)....؟

جونسن

George Johnson, (Why Fundamental Physics So Messy?) WIRED magazine, February, 2007

من مقالاته الجميلة - لم على الفيزياء الأساسية أن تكون بهذه الفوضى - عن مجلة ويرد.

(1) Quark - هو جسيم ابتدائي يعتقد بتكوينه للمادة ككل. تتحد الكواركات لتكوين جسيمات ما دون ذرية أعقد قليلاً تسمى (بالحادرونات Hadrons) وأكثر أنواعها استقراراً هي البروتونات والنيوترونات اللتان تكونان نواة الذرات، واستناداً إلى ظاهرة تعرف باسم (الالتزام بالألوان - Color Confinement) لا يمكن للكواركات أن تتواجد منفصلة وإنما على شكل هادرونات. ويوجد منها ستة أنواع أو (نكهات - Flavors): أعلى (Up) وأسفل (down) والساحر (Charm) والغريب (Strange) والفوق (Top) وتحت (Bottom). أبسطها وأخفها هما (الأعلى والأسفل) وتحلل الأنواع الأربعة البقية الأثقل ليصبحوا إليها بطريقة تسمى (بتحلل الجسيمات - Particle Decay). أول من ابتكر نموذج الكواركات في الفيزياء بصورة مستقلة كانا (موري جل - مان - Mann - Murray Gell) و (جورج زويك - George Zweig) وذلك في عام (1964). (المترجم).



قانون بويسيل لجريان السوائل

POISEUILLE'S LAW OF FLUID FLOW

فرنسا، 1840

يعتمد معدل سرعة جريان أي سائل خلال أي أنبوب على لزوجته وعلى نصف قطر الأنبوب الناقل له وعلى أي تغيير في ضغطه أثناء مساره داخله. من الناحية العملية يتناسب معدل سرعة جريان أي سائل (1) طردياً مع فرق الضغط الحادث بين نهايتي أنبوبه الناقل، و (2) طردياً مع الأس الرابع لنصف قطره الداخلي، و (3) عكسياً مع طول الأنبوب ولزوجة السائل.

معاور ذوات علاقة:

كوثلف هاكن (GOTTHILF HAGEN)، وفلبر فورس (WILBER FORCE)، وقانون هاكن - بويسيل (HAGEN-POISEUILLE LAW).

من أحداث عام 1840

- أكمل الرحالة الشهير ومتسلق الجبال الأمريكي المعروف (شارل ولكيرز - Charles Wilkes) ملاحظته حول القارة المتجمدة الجنوبية، ضاماً إليها إلى ممتلكات الولايات المتحدة الأمريكية بإكمالها لتسلك ما يعرف اليوم بالأراضي التي تحمل اسمه.
- اعتبرت رحلة (ولكيرز) تلك آخر المهام العسكرية البحرية التي نجحت في مخر عباب البحار حول العالم.

- ولد في هذا العام المؤلف الموسيقي العظيم والمايسترو الشهير (بيتر تشايكوفسكي - Peter Tchaikovsky).

- بدأ تدشين طلائع عربات مطاعم السكك الحديدية الموثثة حديثاً في الولايات المتحدة الأمريكية.

نص القانون وشرحه:

يوفر (قانون بويسيل) معادلة رياضية رشيقة ودقيقة لربط علاقة معدل سرعة جريان أي سائل خلال أنبوب بقطره وبمقدار لزوجة السائل وبتغيره خلاله، وكما يلي:

$$Q = \frac{\pi r^4 \Delta P}{8\mu L}$$

حيث تمثل Q - معدل سرعة جريان السائل خلال الأنبوب و r - نصف قطر الأنبوب الداخلي و P - Δ - مقدار فرق ضغط السائل بين نهايتي الأنبوب و L - طول الأنبوب و μ - مقدار لزوجة السائل يُطلق على هذا القانون اسم (قانون بويسيل) نسبة لعالم وظائف الأعضاء - Physiologist - الفرنسي [جين لوي ماري بويسيل (1799-1869) Jean Louis Marie Poiseuille]. كما يسمى أيضاً (بقانون هاكن - بويسيل) تقديراً للعالم الفيزيائي والمهندس الألماني [كوثلغ هنريخ لودفك هاكن (1797-1884) Gotthilf Heinrich Ludwig Hagen] لوصوله إلى ذات الحقائق بخصوص العلاقة السابقة في عام (1839).

قبل انضواء أي سائل أو أنبوب تحت لواء القانون آنف الذكر والذي اشتقه (بويسيل) في عام (1838) ونشره بعد سنتين (1840)، علينا الأخذ بعين الاعتبار العديد من الفرضيات والشروط التي لا بد وأن تتوفر في كل من السائل والأنبوب الناقل له، وهي: على السائل أن يكون (طبقياً - Laminar) في انسيابيته (معنى أن يكون هادئاً وبدون أي دوامات) وألا يكون قابلاً للانضغاط (معنى ألا تتأثر كثافته - زيادة أو نقصاناً - بتغير الضغط المسلط عليه داخل أنوبه)، كما ولا بد أن يكون مستقراً نسبياً (معنى أن سرعة جريانه - في أية نقطة على مساره - تكون مساوية لسرعة جريانه في أية نقطة أخرى)، كما ويفترض بالأنبوب الناقل أن يكون متجانساً تماماً في داخله ومتساوياً في مساحة مقطعة على طوله.

إن لهذا القانون تطبيقات طبية حيوية كثيرة وبالأخص تأثيره على خاصية وكمية جريان سائل الدم في الأوعية الدموية في أنحاء الجسم المختلفة. لاحظ إن للحد المعبر عنه برمز (r) مرفوعاً إلى القوة الرابعة - وهو مقدار نصف قطر الأنبوب مرفوعاً للقوة الرابعة - أهمية قصوى على مدى جريان السائل وكميته Q...



وعليه فإن في مضاعفة قطر أنبوب ما فإن كمية السائل المار خلاله (r^4) ستتضاعف ست عشرة مرة!!.

$$2 \times 2 \times 2 \times 2 = 16 \text{ (مرفوعة إلى الأس الرابع)}$$

بمعنى عملي آخر فإننا وبمجرد مضاعفة قطر خرطوم مياه اعتيادي فإننا سنجنب أنفسنا عناء شراء (16) أنبوباً آخر مثله إذا ما أردنا تجهيز نفس الزيادة في مقدار كمية الماء المنقولة خلاله ضمن ذات وحدة الزمن، أما من وجهة النظر الطبية التشخيصية والعلاجية وحتى الاحترازية فإن لقانون (بويسيل) هذا أهمية استثنائية حيث بالإمكان استخدامه لبيان مدى الخطورة القاتلة التي يمكن أن تسببها حالة (تصلب الشرايين - Atherosclerosis)، وهي حالة طبية تعرف ببساطة بأنها ظاهرة وجود بعض الترسبات في بطانة الشرايين نتيجة تقادم العمر والشيخوخة أو الإصابة ببعض الأمراض كارتفاع مناسيب الدهون والكوليسترول في الدم⁽¹⁾ - فلو تصورنا وعاءً دموياً تاجياً (الأوعية الدموية التاجية - Coronaries - مسؤولة عن تجهيز الدم للعضلة القلبية حصراً) مصاباً بهذا المرض وقد نقص قطره الداخلي إلى نصف ما كان عليه قبل الإصابة وحسب، فإن قابليته على تجهيز وتوريد الدم لذاك الجزء من العضلة القلبية المسؤول هو عن ترويته سيقُل بمقدار (16) مرة!! وبنفس الطريقة يُفسر قانون (بويسيل) سبب سهولة ارتشاف أي عصير أو مشروب بواسطة (قشة) أوسع قليلاً مقارنة (بالقشة) الاعتيادية النحيفة، فعند محاولة الارتشاف من كأس عصير مثلاً وبنفس مقدار الجهد وخلال ذات الوقت، فسيصل إلى فمك (16) ضعفاً من كمية السائل إذا استعملت قشة قطرها أكبر بمرّة إضافية واحدة فقط عن القشة السابقة!!

وبالاستناد إلى قانون (بويسيل) كذلك يمكننا تفسير وفهم كفاءة الجسم البشري الهائلة في تنظيم نسبة وكميات جريان الدم بين عضو وآخر. خذ على سبيل المثال تعرضك إلى إحدى حالات (الكر أو الفر) والتي يُطلق عليها طبياً وفزيولوجياً باللغة الإنكليزية مصطلح

(1) أو نتيجة بعض العادات السيئة كتناول الكحول والأطعمة الدسمة والزيوت المشبعة والتدخين. (المترجم).

(Fight or Flight) مثل رؤية حيوان مفترس، عليك الهرب من أمامه، أو تعرضك إلى حالة اعتداء جسدي تُجبرك على التصدي والمقاومة، أو انتظارك خارج صالة الامتحانات الشفوية النهائية، ففي جميع تلك الحالات يُجبر الجسم البشري (وحتى أجسام جميع اللبائن وكثير من الأحياء الأخرى) على إعادة توزيع الرصيد الدموي المحدود في الجسم وتوجيه جُلّه إلى الأماكن التي لها التأثير المباشر على ديمومة البقاء - لحاجتها المباشرة إلى زيادة تجهيزها بالأوكسجين والغذاء. وبإعادة النظر إلى قانون (بويسيل) والتمعن جيداً بالحد (4 - نصف قطر الوعاء الدموي مرفوعاً للقوة الرابعة) وتناسبه طردياً مع كمية الدم التي يجلبها لأي عضو محتاج لها، تبرز لنا أهمية ذلك القانون وأثره البين في عملية تقلص وانسساط (بمعنى ضيق وتوسع) الأوعية الدموية وأثرها على كمية الدم المُجهّز. ولهذه العملية أهمية بالغة أيضاً في تنظيم درجة حرلرة لُبّ الجسم (بمعنى دواخله وأحشائه المهمة كالقلب والدماغ)، رغم تفاوت و/أو تقلب درجات حرارة المحيط، ففي أيام الشتاء الباردة يعمل جهازنا العصبي على إعطاء الإيعازات اللازمة - وفرض المواد الكيميائية الضرورية والهرمونات - لتقليص أقطار الأوعية الدموية التي تُجهّز المناطق الطرفية من الجسم (كالأطراف والجلد) وبذلك يُقلل من كميات الدم (الباردة) الراجعة منها إلى (لُبّ) الجسم وبذلك يحفظ حرارته. يمنع تعرض الأعضاء الأكثر أهمية كالقلب والدماغ مثلاً إلى هبوط خطير في درجات حرارتها، يؤثر على فعاليتها وبذلك يتعرض كامل كيان الإنسان للخطر. إن للمفعول المضيق لأقطار الأوعية الدموية التأثير المباشر للشعور بالحرارة العالية لدى استخدام عقار (MDMA)⁽¹⁾ والمسوق تجارياً تحت اسم (إكستاسي - Ecstasy). ينطبق على قانون (بويسيل) ما ينطبق على كثير من قوانين هذا الكتاب من شروط محددة وظروف معلومة واجبة التوفر قبل تطبيقه ضمناً

(1) 3،4-ADMA - 3،4-مثيلين داي أوكسي ميث أمفيتامين (C11H15NO2) وقد يسمى بـ(ن،ن- ثاني مثيل أرجنين) وهو أحد العقارات المؤثرة على الشخصية والنفسيّة من عائلة المواد المنشطة (الأمفيتامينات - Amphetamines) والمسببة لأعراض انفعالية شعورية واجتماعية وبعض أعراض الهلوسة مع أعراض تغيير الإدراك الذهني للمؤثرات. كما أن له بعض التأثيرات الإيجابية مثل إزالة الرهبة والتردد والحجل والقلق والرهاب، الأمر الذي استدعى التفكير باستعماله كمادة دوائية مفردة أو مع عقارات نفسية أخرى لعلاج حالات الكتابة المفرطة والقلق الناشئة عن الضغط النفسي الشديد. وهي مادة محظورة. (المترجم).



لصحة تنبؤاته ولصواب نتائج افتراضاته، وعليه فإن دقة هذا القانون عند تطبيقه على التصرف الحيوي الفيزيولوجي لأوعية جسم الإنسان الدموية لابد وألا تكون بالدقة التي نفترضها فيه وخصوصاً عندما لا تنطبق الشروط اللازم توفرها - كما أسلفنا - لضمان دقته. ففي جسم الإنسان لا يمكن أن يكون مجرى الدم في أوعيته انسيابياً منتظماً أو كما يطلق عليه بالجريان (الطبقي - Laminar) - ويعرف جريان السائل (الطبقي) بأنه خال من الدوامات و/أو الفقاعات أو امتزاج سوائل أخرى معه بكثافات مختلفة - ويعود سبب عدم اعتبار سريان الدم في أوعيته انسيابياً طبقياً منتظماً إلى فعل القلب وتقلصاته المتقطعة والتي تجعل الدم يتدفق بصورة (نبضية) فيها من شدة الضغط وانخفاضه وزيادة كمية التدفق وانخفاضها الشيء الكثير الأمر الذي يساعد على تكوين (الدوامات) وعلى الأخص في شرايين الجسم العظيمة (كالبهر - Aorta) حيث تبلغ سرعة الدم فيها مناسيب عالية جداً. وينطبق ذات القول على دراسة المجاري الهوائية الموصلة إلى الرئتين، فعلى الباحثين والدارسين هنا تذكر حقيقة أن أصل اشتقاق قانون (بويسيل) وعمله تعتمد أصلاً على وجود أوعية وأنابيب (صلبة) غير قابلة للانضغاط من جهة، وضرورة كون بطاناتها ملساء منتظمة من جهة ثانية، مع وجوب انعدام تكون الدوامات داخلها وعدم تفرعها... وتفتقر الرئة وكافة قصيباتها الهوائية وأوعيتها الدموية لكافة تلك الشروط كما هو معلوم. ولكن رغم ذلك فإن لذلك القانون أهمية بالغة في التطبيقات السابقة للكثير من التصاميم التجريبية الحيوية (الحقيقية) والتي يتوقع العلماء والباحثين مواجعتها بالفعل في سيرهم لغور علوم الفيزيولوجيا ووظائف الأعضاء لفهم أفضل لفعالياتها ومن ثم إمكانيتهم لفهم أفضل لتصرفها خلال الحالات المرضية. وعلى كل حال فإن هناك الكثير من التعديلات والمعاملات التي يمكن إضافتها إلى صلب المعادلة للحصول على نتائج أقرب للواقع ولجعل القانون أكثر مطاوعة لتقلبات الحالات (الامثالية). يمكن استخدام قانون (بويسيل) عملياً في تحديد مقدار (لزوجة Viscosity) سائل مجهول عند تطبيقه حرفياً، وذلك بإيجاد مقدار وكمية السائل التي يمكن لأنبوب زجاجي ضيق نقلها، ويعبر عنها بالقيمة Q - وتقاس بوحدة الستيمتر المكعب/دقيقة - وذلك لعدة قيم

مختلفة لفرق الضغط المسلط على نهايتيه ΔP - ويمكن تطبيق ذلك عمليا - ومن ثم بإمكانهم رسم منحني قيمتي $\Delta P/L$ مع قيمة Q - وللتذكير فإن (L) هو طول ذلك الأنبوب - كنقاط على مستوى بياني اعتيادي بقيم سينية (س) وصادية (ص) للمحورين الأفقي والعمودي على التوالي، ومن ثم إصال تلك النقاط ببعضها للحصول على مستقيم يمكن حساب ميله (Slop) والذي سيُعين مقدار لزوجة السائل المجهول (ورمزها μ) حسب القانون المذكور.

ومن الجدير بالذكر هنا تمكن الأستاذ [ليونيل روبرت وليرفورس Lionel Robert Wilber Force (1861 - 1944)] وهو مدرس علوم الفيزياء في جامعة (لنبرول - Liverpool) الإنكليزية في عام (1891) من إدخال التعديلات اللازمة على قانون (بويسيل بحيث صار بالإمكان استعماله لدراسة السوائل الحاقوية على (دوامات) في مساراتها.

وللقانون تطبيقات متفاوتة متشعبة، ساكتفي بذكر أحدها وهو الأثير على قلبي - وهو بتقييم جودة ونوعية إفرارات مادة (الرسين - Resin)⁽¹⁾ من الجروح المحدثه في أشجار الأرز العملاقة وذلك عن طريق دراسة كثافتها كما في البحث الموسوم (استعمال قانون - بويسيل - لتقييم نوعية وإنتاج (رسين) أشجار أرز منطقة سلاش - Slash Pine Trees)⁽²⁾.

قام العلماء في ذلك البحث بتقدير لزوجة إفرارات (12) نوع من تلك الأشجار، ومقارنتها بحساب أقطار شعيرات أغصانها الناقلة وتمكنوا من تعيين الأشجار التي تنتج أفضل الأنواع وأغزرها أملاً في إمكانية تكثيرها واستعمال بذورها وفسائلها لزراعة غابات جديدة ذوات مردود اقتصادي وتجاري أوفر.

وللقانون كذلك أهمية بالغة عند تصميم شبكات ري المزروعات والأراضي الشاسعة،

(1) Resin أو Oleoresin - مادة هيدروكربونية لزجة صافية تفرزها العديد من النباتات وخاصة الأشجار العملاقة وأشجار الأرز والصنوبر ولها قيمة صناعية وتجارية بالنظر لخصائصها ومكوناتها الكيميائية فهي تستعمل كمادة أولية لصناعة المواد الملصقة للأخشاب (الوارنيش Varnish -) والغراء ولصناعة العطور، يتحول الرسين إلى مادة العنبر الصلب عند تحجره ويستعمل في صناعة طلاء، الأظافر. (المترجم).

(2) Slash Pine Trees - وهي غاسات نوع الأشجار الموجود في جنوب شرق الولايات المتحدة الأمريكية - على الأخص غاباتها في جنوب ولاية (كارولاينا الجنوبية South Carolina) وتمتاز بطولها (30 - 18 متراً) وبأوراقها الإبرية. المترجم.



وذلك لأن باستطالة الأنابيب زيادةً في مقاومتها تنعكس سلبيًا على كمية الماء المجهزة للمناطق البعيدة الأمر الذي يستوجب استخدام مضخات أضخم، كما ويُستعمل في تصميم وإنشاء شبكات الماء الصالح للشرب في المدن الكبيرة لسد احتياجاتها (عن طريق استعمال الأنابيب ذوات الأقطار المناسبة).

وأخيراً - ولكي لا تُتهم من قبل الأطباء بالانحياز التام للفيزياء الصرفة - علينا أن نلوم (قانون بريسيل) للألم والمشاكل التي يسببها احتباس البول أو ضعف مجراه في الإحليل (الواصل ما بين المثانة والفتحة البولية الخارجية) لدى الذكور، بسبب أي تضخم بسيط في غدة (البروستات) التي تحيط به عند منشأة قرب المثانة والتي تضغط عليه ليقل قطره ولو بنسبة ضئيلة فقط.

للفضوليين فقط:

• هناك تطبيق طبي جراحي، ومنقذ أكيد لحياة الكثيرين من المصابين بتصلب الشرايين التاجية يعتمد على مبدأ تناسب زيادة جريان كميات الدم الواردة إلى جانب العضلة القلبية المقفّرة (Eschismic) قبل احتشائها (Infarcted) بست عشرة مرة إذا ما أمكن توسيع ذلك الشريان لضعف قطره فقط. هذا التطبيق اللامع والملفت لقانون (بويسيل) أمكن استعمال البالونات الملحقة بالمسابر القلبية لتوسيع شرايينها التاجية المتضيقّة، وإنقاذ حياة المصابين بها عند الضرورة، (أو من الأفضل قطعاً قبل حدوث مثل تلك الضرورة).

أقوال مأثورة:

- خير ما يُربط به اسم (بويسيل) هو مسيرته جنباً إلى جنب مع كافة علوم وظائف الأعضاء المختصة بدراسة دوران الدم في شرايينها.

بيدرسن

Kurt Pedersen. (Jean Poiseuille), in Dictionary of Scientific Biography.

من مدخل (بويسلي) في (معجم سيرة العلماء الذاتية).

ملخص لسيرة حياة المكتشف:

ولد الفيزيائي وعالم وظائف الأعضاء الفرنسي [جين بويسيل Jean Poiseuille 1797-1869] والذي اشتهر بتجاربه وأعماله حول جريان السوائل، في مدينة باريس الفرنسية. اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ ميلاده... فهو في عام (1797) حسب بعض المصادر الفرنسية و(معجم سير العلماء الذاتية)، وهو عام (1799) حسب الموسوعة البريطانية. كان والده نجاراً، وأحب هو الدراسة والتفكير والتحصيل العلميين، فقدم طلبه إلى مدرسة (البولي تكنيك العليا) في باريس والتحق بها في عام (1815) واختص في دراسته فيها بموضوعي الفيزياء والرياضيات حتى تخرج منها حائزاً على شهادة الدكتوراه في العلوم بعد ثمان سنوات، أي في عام (1828).

قدّم أطروحته المعنونة (Recherches sur la Force du Coeur Aortique) - (أبحاث حول قوة دفع الدم من قبل الشريان الأبهر المرتبط بالقلب)، وقد بين في عمله ذلك علاقة شهيقي الرئة بانخفاض ضغط الدم وزفيرها بارتفاعه. علق (توماس سودر فيز - Thomas Soderqvist) على تلك الأطروحة في مقالة نشرتها له دورية (الجديد في العلوم والتكنولوجيا)، قائلاً: ((لقد صمم (بويسيل) ونفذ آلة فريدة لقياس ضغط الدم الشرياني البشري، وقام بواسطتها بالعديد من التجارب، والتي وصفها الكثير من المراقبين المحايدين والمعاصرين له بأنها تمتاز بدقة عالية ومصداقية كبيرة، وبإمكان أرقامها ونتائجها الإفصاح عن نفسها حتى لمن ليس له إلمام ضليع بالرياضيات). بقي أن نذكر أن ما توصل هو إليه واستنتجه من تجاربه الكثيرة العديدة كان بعيداً كل البعد عن تصوراته الذاتية وتوقعاته المسبقة، حين وجد أن معدل الضغط الدموي في كل الشرايين الجسم ومهما بعدت عن القلب يكون متشابهاً ومتساوياً تقريباً. وتعكس هذه الحقيقة تساوي القوة التي يضخ القلب الدم خلالها إلى كافة أنحاء الجسم)).

لقد قام (بويسيل) كذلك بكتابة ونشر العديد من الأوراق العلمية والبحوث القيمة مثل:

- بحث حول منشأ وطبيعة حركة الدم في الأوردة، في عام (1832).



- بحث حول منشأ وطبيعة حركة الدم في الأوعية الشعرية الدموية، في عام (1839).
- بحث حول حركة السوائل في الأنابيب صغيرة الأقطار، في عام (1840).
- ولعل أشهر أعماله - وبشهادة الجميع - كانت مُنصبةً على دراسة طبيعة جريان الدم خلال الأوعية والأنابيب الدقيقة، هذا وقد انتخب في عام (1860) عضواً في (أكاديمية العلوم الطبية) في باريس، وفي عام (1860) مفتشاً عاماً للمدارس الابتدائية فيها.
- وملخص ما سبق فإن (بويسيل) كان قد تمكن في عام (1838) من اشتقاق القانون المعروف اليوم باسمه عن طريق إجراء العديد من التجارب التي تمكن من نشرها ببحوث مرموقة في عام (1840). ويوفر لنا ذلك القانون العلاقة الرياضية التي تربط معدل مقدار جريان أي سائل (Q) في أنبوب مع درجة لزوجة و القطر الداخلي للأنبوب ومقدار تغير الضغط داخله. وللقانون كذلك العديد من التطبيقات في مجالات العلوم الطبية وعلوم الري.
- عمل عالمنا الجليل كذلك على تطوير الأساليب التي كانت متوفرة في زمانه لقياس ضغط الدم عن طريق استعماله (لمضغاط الدم)، - ولكن بغير الصورة التي نعرفها اليوم - كما تمكن من التوصل إلى استعمال مادة (كربونات البوتاسيوم K_2CO_3) كمادة مثبطة للتجلط (أو تخثر الدم) والذي كان كثيراً ما يحدث عند مناطق غرز بعض الأنابيب الزجاجية في الشرايين الطرفية، (وتلك كانت أول طرقة للتعرف على ضغط الدم).
- لقد فُتن صاحبنا كل الافتتان بالقوة التي يسلطها القلب على الدم دافعاً إياه خلال الأوعية الدموية وعاملاً على دورانه وتوصيله إلى كل أجزاء الجسم وثناياه، ولما كانت هناك صعوبات جمة تحيط بكل التجارب التي يمكن إجراؤها على الدم كسائل خارج الجسم البشري (بالنظر لميله الشديد للتجلط والتخثر)، فلقد قرر (بويسيل) الاستعاضة عن الأوعية الدموية الحقيقية بإجراء تجاربه بواسطة الأنابيب الزجاجية، والاستعاضة عن الدم بالماء فيها. ولغرض تسليط (الضغط) الضروري الدافع لجريان الماء خلال تلك الأنابيب عمد إلى استخدام الهواء المضغوط للحصول على كميات الماء المطلوبة... فاكشف (بعد إجراء العديد من التجارب، قام خلالها بتغيير أقطار الأنابيب المستخدمة وتعديل الضغوط المسلطة عليها) حقائق جوهرية تخص

مواصفات جريان السوائل وكمياتها خلال تلك الأنابيب،... منها تناسب كمية السائل المار خلال أي أنبوب طرديا مع الضغط المسلط عليه داخله ومع القوة الرابعة لتغير نصف قطره. ولكن القانون الذي نشره (بويسيل) في عام (1840) لم يحدد قيمة ولا طبيعة الثابت الموجود في معادلته وهو $[\pi/8\mu]$ وإنما اكتفى باعتباره ثابتاً لتلك المعادلة ليس إلا.

ومن جهة ثانية كان (بويسيل) قد قام بسلسلة مختلفة أخرى من التجارب توصل من خلالها إلى إثبات اعتماد الكمية المتدفقة من السائل $[Q]$ على درجة حرارته وتناسبها طرديا معها إذا اعتبرنا ثبوت بقية العوامل المؤثرة عليها كضغط السائل ولزوجته وطول أنبوبه.

أبرز (لويس اي. بلو مفيلد - Louis A. Bloomfield) مؤلف كتاب (كيف تعمل الأشياء - فيزياء حياتنا اليومية) أهمية ما توصل إليه (بويسيل) وغرابة الحقيقة الرياضية الواقعة التي اكتشفها حينما قال:

((لا يُعقل أن يكون أحد منا في غفلة عن العوامل المختلفة التي تؤثر على سرعة جريان السوائل في الخرطوم ولا على تأثير لزوجتها عليها، فمن منا لم يلاحظ تأثير فرق الضغط وطول الخرطوم وكثافة السائل عليها؟ فما أنت تنتظر طويلاً لتملأ دلوك عبر خرطوم طويل أو مجرى ماء ضعيف، ومن منا لم يلاحظ بطء تفريغ (العسل مثلاً) من فتحة قنينة ضيقة. ولكن العجيب غير المتوقع كان في اعتماد معدل الجريان على القوة الرابعة لنصف قطر ذلك الخرطوم، وهذا ما يستوجب احترام طريقة تفكير (بويسيل) وتقدير دقته في إجراء تجاربه)).

أوضح (بلو مفيلد - Bloomfield) بأن أكثر المقاييس شيوعاً في سوق خرطوم مياه الحدائق في الولايات المتحدة الأمريكية هما قياسا (ال 5/8 إنج) و (ال 3/4 إنج) ورغم حقيقة كون الفرق بينهما لا يتعدى $1/8 = 5/8 - 6/8$ من الانج إلا أن لأعرضهما قابلية توصيل ضعف الكمية من الماء تقريباً في خلال نفس الفترة الزمنية.

لقد تمكن عالم ومهندس ضغوط السوائل الألماني (كوتلف هنريخ لودوك هاكن - Gotthilf Heinivich Ludwig Hagan (1747-1884) من التوصل إلى نفس القانون السابق الذي توصل إلى اكتشافه (بويسيل) ولكن عمله لم يكن منظماً ولم ينل التقدير الذي يستحقه



في حينه، هذا ولم يكن لأي من الرجلين علماً بعمل ودراسات الرجل الآخر أبداً. لم يُطلق (بويسيل) اسمه على قانونه بنفسه وإنما من قام بذلك كان أستاذ الرياضيات والفيزياء السويسري من جامعة (بال - Basel) - (جاكوب هاكنباخ - Jacob Hagenbach)⁽¹⁾ في عام (1860). وقد تمكن هو وعالم الفيزياء الألماني [فرانز نيومن - Franz Neumann (1798-1895)] من تعيين القيمة الفعلية لثابت معادلة (بويسيل) $(\pi/8\mu)$ كل على حدة والتي هي قيد الاستعمال في تجارب وأعمال السوائل اليوم. اعترافاً من علماء كيمياء الوقت الحاضر وفيزيائيهم بفضل (بويسيل) والمعيته، فقد تم الاتفاق على إطلاق اسم هذا العالم الجليل على وحدة قياس مقدار لزوجة السوائل فصارت تقاس بوحدة (البويس - Poise) وتُعرف بأنها مقدار المقاومة الذاتية لأي سائل لانسيابيته تحت أي ظرف.

مصادر إضافية وقراءات أخرى:

Bloomfield, Louis A., *How Things Work: The Physics of Everyday Life* (Hoboken, N.J.: John Wiley & Sons, 2006).

Pedersen, Kurt, "Jean Poiseuille," in *Dictionary of Scientific Biography*, Charles Gillispie, editor-in-chief (New York: Charles Scribner's Sons, 1970).

Schopmeyer, C. S., François Mergen, and Thomas C. Evans, "Applicability of Poiseuille's Law to Exudation of Oleoresin from Wounds on Slash Pine," *Plant Physiology*, 29(1): 82, 1954.

Soderqvist, Thomas, *The Historiography of Contemporary Science and Technology* (Amsterdam, The Netherlands: Harwood Academic Publishers, 1997).

"Viscosity," Transtronics, Inc.; see xtronics.com/reference/viscosity.htm.

أفكار فلسفية وآراء للمناقشة:

• لا يسعنا عند تطلعنا لروعة السماء واكتظاظها بالنجوم والمجرات، ولا يخطر على بالنا عند إدراكنا لتنوع المخلوقات وكثرة أنواع الأشجار وجمال ضروب الأزهار (علماً بأن ما اكتشفناه منها

(1) تذكر الموسوعة الحرة - Wikipedia - اسم مشاهير عالم الحشرات السويسري والذي ولد في مدينة نال السويسرية وهو [جاكوب يوهان هاكنباخ - (1702 ?). المترجم.

جميعاً لم يبلغ حد الكمال بعد هناك أمامنا وأمام أجيالنا الكثير والكثير مما لم نكتشفه) إلا أن تصور ميل الطبيعة إلى التنوع والوفرة ونزوعها إلى الكرم والكثرة. وهذا يكفي (برأيي) كدليل صارخ على عظمة الخالق (جل وعلا). بمعنى أن الكون بمجممله قد جُبل على (مبدأ التنوع الفائق - The Principle of Maximum Diversity) والذي يوصل إلينا الحقيقة القائلة بأن في القوانين الكونية التي نكتشفها ونترصل إليها (وهي قليلة جداً نسبة للتنوع الفائق الذي ينص عليه المبدأ السابق) الرسالة العظيمة المعجزة الواضحة المختصرة بأن كوكبنا هذا الذي نعيش به معجزة بحد ذاته وتجربة تستحق الاكتشاف والتمتع.

ولكن رغم الحقيقة القائلة بأن الحياة موجودة فعلاً (والإنسان مثال عليها)، إلا أن في قانون التنوع الفائق من الضغط والخطورة والتحدي ما يجعلها صعبة جداً لسبب بسيط بين هو أن بالغ التنوع والوفرة لا بد وأن يقود إلى ذروة التنافس والشدة ولذلك علينا أن نصمد ونحيا ولكن ليس دون عناء وتضحيات. دايسن

Freeman Dyson, «New Mercies, The Price and Promise of Human progress», Science & Spirit, July / August, 11 (3), 17, 2000.

من اقتباس منشور في مجلة (العلميات والروحانيات) عن كتابه الموسوم (الرحمة الجديدة - ثمن التقدم البشري وثمرته).

• لا يعني اعتقادك بكفاءة قانون ما ودقته، كونيته وشموليته ولا يعني ذلك أبداً انتماءه للحقائق الكونية السرمدية غير الخاضعة للتغير ولا للتبديل.

ولكن نسبة للعلم الذي توصلنا إليه واعتماداً على الفلسفة التي ننتهجها لا بد للتصور الدقيق أن يعتبر الحقيقة السالفة متواليّة لا نهائية لا تختلف عناصرها المتعاقبة بعضها عن بعض إلا بمقدار ضئيل جداً يكاد لا يدرك بسهولة، أو اعتبارها قوانين متغيرة ولكننا لم نتمكن لحد الآن من إدراك ذلك التغير، وعليه أمكننا - ولتقريب مفهومها إلى إدراكنا - التعامل معها كما لو أنها كانت أبدية، سرمدية فعلاً....

سمولين

Lee Smolin, «Never Say Always», New Scientist, September 23, 2006.

من مقالاته (لا تقل دائماً أبداً) المنشورة في مجلة (نيوسينست).



• لقد ظهر لنا الآن ان (نظرية الأوتار الفائقة – The Superstring Theory) أعقد بكثير من ذات الكون المفروض هي أن تفسره. فهي تنبأ بوجود عدد لا يمكن – حقيقة – تخيله من الأكوان يبلغ (10 مرفوعة إلى القوة 500)!! كما وتقترح وجود مجاميع مستقلة من القوانين والمبادئ والأسس الفيزيائية تحكم كل كون منها!!

ولعل في مشابعتها (لطلسم نيروبي – Municipal Code of Nairobi) هو السبب الوحيد الذي يمكن سوقه تفسيراً لإخفاق علماء أعلام من وزن (نيوتن) و(اينشتين) على إدراكها فضلاً عن اكتشافها....

لا يسعنا إلا أن نشبه وضع الفيزيائيين لاكتشافاتهم وقوانينهم كالجغرافي الذي حدث وأن وجد نفسه في هذه القطعة من الأرض أو تلك، فوصفها ولم يكن لا حول له ولا قوة في تحديد أصل تواجده فيها أو في أي من البقاع الأخرى التي سبق وأن رسم لها خرائطها....

جونسن

George Johnson, (Why Is Fundamental Physics So Messy ?)

WIRED magazine, February, 2007.

من مقالاته الموسومة (لم على الفيزياء الأساسية أن تمتاز بهذه الفوضى؟).

قانون جول للتسخين والتدفئة الكهربائية

JOULE'S LAW OF ELECTRIC HEATING

🔌 ⚡ إنجلترا، 1840:

تناسب كمية الحرارة المتولدة من قبل تيار كهربائي منتظم مار عبر موصل مع مقاومته ومربع مقداره وزمن مروره.

مجاور ذوات علاقة:

جون دالتن (JOHN DALTON)، وقانون كلوزيس للديناميكا الحرارية (GLAUSIUS'S LAW OF THERMODYNAMICS)، وقانون افرا داي للحث الكهرومغناطيسي والتحليل الكهربائي (FARADAY'S LAWS OF INDCTION AND ELECTROLYSIS)، وقانون فورييه للتوصيل الحراري (FOURIER'S LAW OF HEAT CONDUCTION)، وتأثير جول - ثومسن (THE JOULE - THOMSON EFFECT)، والقانون الأول للديناميكا الحرارية (THE FIRST LAW OF THERMODYNAMICS).

من أحداث عام 1840:

- أصدرت (بريطانيا العظمى) أول طابع بريدي (لاصق) في العالم.
- ولد الفيزيائي الألماني اللاحق (فريدريخ كولروش - Frierich Kohlrouch).
- [انظر مدخل (قوانين كولروش للتوصيل الكهربائي في المحاليل المتأينة - Kohl's Law of Conductivity) لاحقا (ص 799)].
- منح (صاموئيل مورس - Samuel Morse) براءة الاختراع الأمريكية (للتلغرافه - Telegraph) - وهي آلة إبراق الرسائل النصية عن بعد.

نص القانون وشرحه:

ينص قانون جول للتسخين والتدفئة الكهربائية على أن كمية الحرارة (H) التي يولدها تيار



كهربائي منتظم (I) يمر بموصل يمكن صياغتها وفق المعادلة الرياضية التالية:

$$H = K \cdot R \cdot I^2 \cdot t,$$

حيث يمثل R - مقدار قيمة مقاومة الموصل و I - مقدار التيار المنتظم المار عبره و t - زمن مرور ذلك التيار وإذا حسبت وحدات المقاومة (بالاوم - Ohm) ومقدار التيار (بالأمبير - Ampere) والزمن (بالثانية - Second) والحرارة (بالسعة الحرارية - Calory) فستبلغ قيمة الثابت (K) 0.2390 سعره حرارية/ جول. وإذا قيس الحرارة بوحدات (الجول - Joule) فستبلغ قيمة (K) الواحد (1).

عندما يحدث وأن يمر سيل من الإلكترونات خلال أي مادة موصلة تحتوي على مقاومة معينة (R) فإن الطاقة الكهربائية الكامنة التي يفقدها ذلك السيل تنتقل إلى مادة الموصل على شكل حرارة. ويمكن تفسير هذه الظاهرة اعتماداً على التركيب والكيان البلوري الذي تشكل ذرات ذلك الموصل، فعندما تزداد وتيرة التصادمات الحادثة ما بين إلكترونات سيل التيار الكهربائي، وإلكترونات الكيان البلوري لمادة الموصل، فإن المدى الحراري لتذبذب تلك الإلكترونات (وضمن ذلك الكيان البلوري) سيزداد، الأمر الذي سيرفع من درجة حرارة ذلك الموصل.

وتسمى هذه الظاهرة بـ (ظاهرة جول للتسخين الكهربائي). ومن الملاحظ هنا إمكانية تطبيق هذا القانون على الموصلات اللافلزية، فيمكن - وبكل بساطة - مشاهدة صلاحيته عند التعامل مع أشباه الموصلات، كما وتجدر الإشارة إلى إمكانية تحقيق (ظاهرة تسخين جول) باستخدام التيار المتناوب وذلك بحساب معدل الزمن اللازم لعناصر هذا القانون.

يلعب (قانون جول) و (ظاهرة جول للتسخين الحراري) دوراً رائعاً فيما يُعرف اليوم بتطبيقات (الجراحة الكهربائية - Electrosurgical) والتي تستخدم قطباً معدنياً لتوليد وتركيز الحرارة فيه وذلك باستعمال التيار الكهربائي مستفيدة من هذا القانون. يمر التيار الكهربائي في هذه الأجهزة عن طريق (قطب حي فعال) خلال الأنسجة الحيوية إلى قطب ثان (متعادل)، وما يقرر المقاومة (الاولميه) لهذه الدائرة الكهربائية (المتولدة من مصدر التيار إلى القطب الحي عبر أنسجة الجسم

إلى القطب المتعادل ثم إلى مصدر التيار مرة أخرى) هي طبيعة ومساحة النسيج الحي الذي يكون أساس كامل مع قطب تلك الدائرة (وليكن الدم المراد تجلطه و/أو النسيج الشحمي المراد إزالته و/أو النسيج العضلي المراد إيقاف نزفه). تعتمد وتحدد مجمل مقاومة دائرة القطب الحي الكهربائية بمجمل مقاومة كامل مسار التيار الكهربائي فيها. أما فترة مرور التيار [(المعامل t)] في قانون (جول) فيتم التحكم به ذاتياً بواسطة أصبع الجراح أو قدمه على هيئة قاطع دائرة كهربائية بسيط. كما يتم التحكم بشكل وهيئة (رأس) القطب الكهربائي الفعال في يده وفقاً للغرض والهدف المراد تحقيقه من استعماله، فتستعمل الأقطاب ذوات الرؤوس المدببة (التي تعمل على تركيز التيار في نقطة محددة دقيقة) لتركيز الحرارة في نقطة صغيرة بذاتها لأغراض وعمليات الشق والقطع وتستعمل الأقطاب ذوات الأسطح المتسعة نسبياً (والتي تعمل على نشر الحرارة على مساحة أعرض) لغرض إيقاف النزف.

للفضوليين فقط:

• عند زيارتك لشاهدة قبر (جول) الجائمة في مقبرة مدينة (سيل - Sale) في مقاطعة (أعالي منشستر - Greater Manchester) في بريطانيا ستقرأ العدد (772.55) منقوشاً عليها. يمثل هذا الرقم قيمة الموازي الميكانيكي للحرارة الذي اكتشفه جول بنفسه والذي يقاس بوحدة (الفوت - رطل).

• مارس (جول) في حياته بعض التجارب الغربية وحتى (الاخلاقية) أحياناً كمثال تلك التجربة التي ربط خلالها خادمتها إلى قطبي بطارية كبيرة وطلب منها شرح وتفسير شعورها وما تحس به خلال قيامه بزيادة كمية (القوة الدافعة الكهربائية - الفولتية) المارة عبر جسمها. استمر جول بعمله منتشياً بعلمه وظلت المسكينة صابرة تتحمل ألمها حتى سقطت مغشية عليها.

• لقد سبق العالم والفيزيائي الألماني [جوليس روبرت فون ماير Julius Robert Von Mayer 1814-1878] جول في توصله إلى اكتشاف القيمة المهمة المعروفة باسم (الموازي الميكانيكي للحرارة - 1) (The Mechanical Equivalent of Heat) وإجراء تجاربه بخصوصها إلا أنه



كان غير منظمًا في أعماله وصاغ ملاحظاته حول تجاربه بلغة ركيكة تفتقر إلى التناسق والدقة وكانت تمتاز بالارتباك فمرت دون ملاحظة تُذكر من قبل المجتمع العلمي. ولما أعلن (جول) عما في جعبته بخصوص هذا (الموازي) وذاع صيته واكتسب من عظيم الشهرة ومُنزر الفخر الشيء الكثير واقرن اسم (الموازي الميكانيكي للحرارة) باسمه، أسقط في يد (ماير) ولم يتحمل رؤية (وليد أفكاره) يُغتصب منه جهراً عياناً فانهار انهياراً عصياً تاماً وحاول الانتحار (ولحقته قلة دقته إلى هناك....) ففشل حتى في محاولة انتحاره!، الأمر الذي أفضى به في نهاية المطاف مجنوناً في إحدى المصححات العقلية!

أقوال ماثورة:

— لقد أثر فقر وخواء ذهن (جول) من القابلية الرياضية الفذة القادرة على ردم الهوة الحاصلة بينه وبين التقدم السريع لعلوم (الديناميكا الحرارية - Thermodynamics) والتي كان هو بنفسه قد أرسى أوليات دعائمها، تأثيراً بيناً عليه.... (وكما قيل لا ينتظر الزمان ولا الريح أحداً....) فقد أسدل بحلول أول أواسط القرن التاسع عشر الستار عن تسمية العُظماء والرواد ودارت الأضواء لتسلط على ريعيل جديد وجيل بارع من الفيزيائيين الجدد الذين زينهم وكلل جباههم تملكهم لنواصي الموهبة التدريب الرياضي الكلاسيكي والحديث والذي كان ماساً للقفز بأفكارهم الجديدة وبالأفكار الفذة لمن سبقهم إلى ريعان العهد الجديد وسؤدده.

روزنفلد

L. Rosenfeld, (James Joule) in Dictionary of Scientific Biography.

مقتطف من مدخله المعنون (جيمس جول) في (معجم سير العلماء الذاتية) .

— إذا ما آمنّا بأن كامل العزة والجلالة وما ينبع منهما من قوة هي بيد الخالق (وحده تبارك وتعالى).... فلي أن أحكم على كل نظرية وأي تجربة يتطلب التفكير أو القيام بها إلغاء (القوة) و/أو مبادئها بالفشل المؤزر....

جول

James Joule, (On the Rerefraction and Condensation of Air), Philosophical Magazine, 1845

مقتطف من مقالاته (تخلخل وتضاغط الهواء) المنشورة في المجلة الفلسفية .

- احتج 717 عالماً (بما فيهم جيمس جول) بعريضة موقعة من قبلهم على الآراء (الداروينية - Darwinism) للنشوء والارتقاء والتي كانت قد تضخمت إلى سيل عرمم جرفت البلاد والعباد آنذاك حتى صدر الاحتجاج في لندن تحت عنوان (إعلان طلبة العلوم الفيزيائية والطبيعات) وأكد على إيمان موقعيه واعتقادهم الراسخ بالمنحى العلمي المؤكد - للكتابات المقدسة - وقد ضمت لائحة الموقعين على (86) من زملاء الجمعية الملكية.

كروثر

James C. Crowther, (British Scientists of the Nineteenth Century).

من كتابه : (العلماء البريطانيون في القرن التاسع عشر).

- يصعب علينا اليوم (وبحق) تصور قصة التطور الصاروخي المارق لنجاح وسطوع نجم (جول) وتسئمه بسرعة، وحرقة للمراحل ما بين بداياته كهوا بسيط للعلوم وحتى بلوغه لأسمى المراتب العلمية في المجتمع البريطاني، فما كان لعبقرية هذا النابغة ولا للملكاته أن تنمو وتردهر في ضوء المختبرات العلمية ومراكز البحث الغارقة في لجج الأسلوب العلمي (الحديث) والمكبلة بشبائه. لقد آمن (جول) وبكل بساطة بفكرة وجود المتساويات الكمية لمفاهيم وتجارب وحقائق الحرارة والكيمياء والكهربائية والتأثيرات الميكانيكية فعمل على إثبات وجودها، (ونجح في ذلك).

كروبر

William H. Cropper, (Great Physicists)

مقتطف من كتابه : (فيزيائيون عظام)

ملخص لسيرة حياة المكتشف:

ولد [الفيزيائي البريطاني: جيمس جول (1818-1889) James Joule] الذي اشتهر بأبحاثه حول حفظ الطاقة وقانونه حول إنتاج الحرارة في الموصلات الكهربائية، في مدينة (سالفورد - Salford) من مقاطعة (منشستر - Manchester) البريطانية. كان والده رجلاً ثرياً يملك مصنعاً لتخمير وصناعة الجعة، وقد حرص على تعليم أبنائه - وجيمس



منهم - تعليماً خاصاً في المنزل فجلب لهم المدرسين الخصوصيين لتدريسهم حتى إن العالم البريطاني الشهير [جون دالتن - John Dalton] - انظر مدخل قانون دالتن لضغوط الغازات الجزئية سابقاً] وخلال تلك الفترة من عام (1834) وحتى عام (1837)، كان من ضمنهم. لقد عكف (دالتن) على تدريس وتعليم أولاد (صانع الجعة) ما توفر في ذلك الزمان من مبادئ الرياضيات، وطريقة الأسلوب العلمي في البحث والشيء الكثير من الكيمياء. ولقد كتب (جول) نفسه لاحقاً حول تلك الفترة الشيقة والمثيرة من حياته قائلاً: إني مدین بالكثير الكثير من تبلور شخصيتي وتولد ونمو رغبتی الجاححة في الاستزادة من المعرفة بواسطة البحث المنهجي المتجدد لأستاذي الفاضل (دالتن). ومن الجدير بالذكر أن جذور اهتمام (جول) وهيامه بالكهربائية كانت أصيلة وقد بدأت تترعرع معه منذ نعومة أظفاره، فكثير ما كان (جول) الفتى يلهو ويلعب ويلتذ ويقفز مرات ومرات فرحاً لملاحظته نظرات الغرابة والصدمة على وجوه أصدقائه وحتى أخيه بعد (صعقهم) بفولتات قليلة من الكهرباء من بطارية كان يحملها معه دائماً، كما كان شديد البهجة عظيم السعادة والحبور لدى تعريض خادمت عائلته لتلك الصدمات الموجهة (وفي أماكن مختارة!)، أيضاً.

لقد عاش (جول) طوال عمره مسيحياً متديناً مؤمناً، وقد تزوج في عام (1847) من الآنسة (أليس أميليا - Alice Amelia) والتي لم تستطع بكل أساليب حبها وفتنة جمالها من الاحتفاظ (بجول) إلى جوارها طوال فترة رحلتها لقضاء (شهر العسل) في مناطق جبال الألب الخلابة، ففي تلك الفترة اختمرت في رأسه فكرة سارع إلى اختبارها مع زميل له فوراً بعد أن ترك (العروس الشابة) وحدها أمام مرآتها تعالّب وحدها ودمعتها... فيغالبانها. خرج جول مع زميله ذاك متسلحان (بمحرار) ضخّم لمحاولة قياس الفرق في درجة حرارة منبع أحد الشلالات الضخمة مقارنة بمصبه، ولم ينجحاً في تحقيق مأربهما لأسباب عملية شتى، فغالباً ما تعثرت قراءتهما وفشلت قياساتهما بسبب الكميات الهائلة من الرذاذ الذي كان يغطي ويحيط فراغات واسعة حول ذلك الشلال ويملاً الأجواء المحيطة به.

بنى (جول) فكرته تلك على حقيقة وجوب كون درجة حرارة مصب الشلال تفوق

درجة حرارة منبعه بسبب تحويل كمية ضخمة من طاقة المياه الساقطة الحركية إلى حرارة لدى اصطدامها بصخوره، وكان قد توقع قياس فرق درجة حرارة فهرنهايتيه واحدة أعلى، عند كل (800) قدم من مسافة السقوط.

لم تدم علاقته الزوجية أكثر من سبع سنوات، غادرت بعدها زوجته (ألس) حياتها الفانية إلى حياتها الأبدية وذلك في عام (1854) بعد أن تركت له في عهديته صبيين. لم يدم حال العائلة الثرية كما هو الحال فسرعان ما باع والده مصنعته بعد وفاة (ألس) بفترة وجيزة وانفرط عُقد العائلة، فاختار (جول) الركون إلى حياة أكثر استقراراً وأقل إثارة وحركة، قضاهَا مندجماً في تجاربه.

كتب (جول) في رسالة له إلى دورية (الإنجازات الفلسفية Philosophical Transactions) يقول فيها:

((يستطيع أي من قرائكم الأعزاء - وفقط إن حباه الله متعة التواجد والتمتع بكل تلك الجنان اليانية والمناطق الخلابة التي تحيط بكامل مقاطعتي: (ويلز - Wales) و (سكوتلاند - Scotland) أن يتأكد بنفسه ومن دون أدنى شك من حقيقة ما ذهبت إليه في تجاربي، وذلك بأن يحاول وقيس الفرق ما بين درجة حرارة منبع شلال ومصبه. ولو صدق حدسي واكتملت تجاربي وحساباتي فإني لأتوقع أن تولد مسافة سقوط الجسم المائي لأي شلال كبير مقدارها (817) قدماً (أي ما يساوي 249 متراً)، كمية من الحرارة بإمكانها رفع درجة حرارة الشلال بمقدار درجة فهرنهايتيه واحدة، وعليه فإني لأتوقع أن تفوق درجة حرارة مصب نهر (نيكارا - Niagara) منبعه بما لا يقل عن (خمس الدرجة الفهرنهايتية الواحدة) بسبب سقوطه لمسافة (160 قدماً) أي لما يعادل (48 متراً)).

لقد أصابت توقعات جول، وكان على حق...، فلقد أثبتت التجارب المقننة، وأضافت إلى معلوماتنا فعلاً حقيقة إمكانية توليد الجسم المائي الساقط (الشلال) لكمية من الحرارة تكون قادرة على رفع درجة حرارته بما يساوي الدرجة الفهرنهايتية الواحدة (أي 0.55 من درجات كالفن المطلقة) لكل (768) قدماً - أي ما يساوي 234 متراً - من مسافة سقوطه.



لقد كان اهتمام (جول) بالعلوم وإخلاصه وتفانيه في إجراءاته لتجاربه وتوخيه غاية الدقة فيها جميعاً، نابعاً - وبصورة جذرية - من حسن وعمق وصدق إيمانه، وإليك على سبيل المثال مقتطف من الكلمة التي كان قد حضرها في عام (1873) ليلقيها أمام الجمعية البريطانية لتقدم والنهوض بالعلوم بصفتها رئيساً لها ولكنه لم يتمكن من ذلك بسبب توعلك حالته الصحية آنذاك، وقد جاء فيها:

((سادتي الأفاضل: إني لعلى يقين بأننا كلنا للزمون ومسؤولون بعد الاعتراف والإيمان بوجود الله (العلي القدير سبحانه) والتعرف عليه والخضوع الكامل لإرادته (تبارك وتعالى) أن نحاول - وبكل الإخلاص والاجتهاد - معرفة أشياء كثيرة عما أودعه - عز وجل - من المعجزات والأسرار في مفاهيم وحقائق الحكمة والقوة والخير كإشارات وعلامات جليلة واضحة لما صنعه إرادته. إني لأكرر يقيني وإيماني بأنه لا شك لديّ مطلقاً من توازي وتساوي حب المعرفة والاستزادة من القوانين والموجودات الطبيعية وبين التعمق ودراسة الذات الإلهية وإرادتها في غرس تلك المعرفة في كل زاوية وذرة من زوايا وذرات الكون الذي ابتدعه (سبحانه)...)).

لقد ظهرت إمارات نبوغ (جول) مبكرة وكان قد ابتدأ القيام بأبحاثه الخاصة ولما يتم السنة التاسعة عشرة من عمره بعد، واستمر على هذا النهج وداوم على هذا المنوال طوال حياته مزاوياً تجاربه الأساسية المهمة في منزله الشخصي وبواسطة أدوات مختبره وتجهيزاته التي بناها بنفسه وعلى نفقته الخاصة دائماً. لقد اشتهر (جول) بدقته في حساباته واهتمامه بتجاربه وأعماله تلك الصفات التي لا بد من توفرها في أي باحث مخلص ومبتكر أصيل، ولكن ما فتّ عضده وعطل مسيرته كان افتقاره الشديد للملكة الرياضية وأدواتها المتقدمة المعقدة الأمر الذي أرجعه القهقري دائماً ومنعه من متابعة ومواكبة كل ما هو جديد وفعال في علوم ونظريات (الديناميكا الحرارية Thermodynamics) والتي كانت تخطو الخطوات الواسعة الجبارة نحو الحداثة.

لقد أبدى جول اهتماماته (ومارسها فعلاً) بشؤون الطاقة، وقد يبدو هذا الأمر مفهوماً ومقبولاً جداً، خصوصاً خلال ثلاثينيات (1830s) القرن التاسع عشر التي شهدت بوادر انطلاق الثورة

التقنية. لقد بدأت الثورة الصناعية كما هو معلوم معتمدة اعتماداً كاملاً على قوة البخار المتولد من غليان المياه باستعمال و حرق الأخشاب و الفحم الحجري. وقد كان لذاك البخار مقام القلب النابض لإدارة كافة المكينات البخارية واسطواناتها، ومن هنا نشأت وتجددت أهمية فكرة دراسة و حساب مقدار كفاءة المكينات البخارية ومدى قابليتها الحرة لتحويل طاقة البخار إلى شغل نافع بواسطتها وكان هذا هو المحرك الشاغل لعلوم الديناميكا الحرارية - Thermodynamics - (راجع لاحقاً مدخل قانون كلوزيس للديناميكا الحرارية - Clausius's Law of Thermodynamics). وقد برز في نفس تلك الفترة أيضاً العالم الكيميائي والفيزيائي الإنكليزي الشهير (ميشيل فراداي Michael Faraday)، [انظر سابقاً] قانونا فراداي للحث والتحليل الكهربائيين - Faraday's Law of Induction and Electrolysis]، وقد اكتشف ظاهرة الحث الكهرومغناطيسي وابتكر أول ما سيعرف لاحقاً بالمحرك الكهربائي، وأصبح المجتمع العلمي والصناعي وحتى الاعتيادي يتساءل عن العلاقة الدقيقة التي يمكن أن تجمع ما بين ظاهرتين مهمتين منفصلتين ولكن يمكن أن تكونا مترابطتين، وهما مقدار الشغل المنجز (Work) من قبل أي ماكينة أو آلة متحركة، وبين كمية الحرارة (Heat) التي لا بد وأن تصاحب تحرك أجزائها.

لقد شغلت (جول) فكرة حفظ الطاقة على وجه العموم، كما شغلته فكرة قوانين حفظ الطاقة الحرارية على وجه الخصوص فنذر لها الكثير من وقته ومارس لسبر أغوارها العديد من التجارب الطموحة. ومن الاكتشافات المهمة التي كان قد توصل إليها في أربعينيات القرن التاسع عشر (1840s) هي قابلية ما مقداره (838) قدم - ليرة من الشغل (Work)⁽¹⁾ ⁽²⁾ على تسخين ما وزنه (ليرة واحدة) من الماء ورفع درجة حرارتها (درجة فهر نهائية واحدة). وبعبارة

(1) Work - الشغل في الفيزياء، هو مقدار الطاقة المنقولة بواسطة قوة (Force) تعمل لمسافة (Distance) وهو قيمة غير اتجاهية (Scalar) أول من سلك اصطلاحها هو الرياضي الفرنسي (كاسير - كوستان كوريوليس - Gaspard - Gustave Coriolis). ويعرف رياضياً وفقاً (لنظرية الشغل والطاقة) بأنه مقدار التعبير في الطاقة الحركية لأي جسم صلب، هكذا $[W = Ek_1 \rightarrow Ek_2]$ إذا كان $[Ek_1 = \frac{1}{2} m (V_1^2 - V_2^2)]$ والشغل في الميكانيكا الحرارية هو مقدار الطاقة المنتقلة من نظام إلى آخر تبعاً لتغير معطياته. (المترجم).

(2) وحدات القدم (foot) والبردة (Pound) والفهر نهائية (Fahrenheit) هي وحدات قياس المسافة والوزن ودرجة الحرارة على التوالي في النظام الإنكليزي والتي استبدلت بالتر والكيلوغرام والتر ودرجات الحرارة السلسية (النوري) في النظام المترى العالمي. (المترجم).



أوضح فقد تمكن من وضع القيمة المناسبة من (كمية الشغل) اللازم لإنجازه لإنتاج وحدة واحدة من وحدات الحرارة. وتبرز أهمية هذه الخطوة كونها تعتبر المرة الأولى التي فكر وحاول، ونجح فيها عالم بقياس كمية الحرارة المقابلة والمساوية تماماً لمقدار معين من (الشغل) الميكانيكي. وقد ذاع صيت (جول) العلمي وبلغت شهرته (المهنية) الآفاق، الأمر الذي حدا بالجمعية البريطانية لتطوير وتقديم العلوم تكليفه مهمة إيجاد المقابل الميكانيكي الحرارة المتولدة بتأثير إمرار التيار الكهربائي ضمن الموصلات والمقاومات وكان ذلك ضمن سعيها لوضع الثوابت والأسس لتقنين قياس مقادير المقاومة الكهربائية.

لقد توصل (جول) وبعد تجارب كثيرة هذه المرة إلى القيمة (783) وأعتقد بأن الرقم الذي توصل إليه هذه المرة هو أدق مما كان قد توصل إلى حسابه سابقاً باستخدام طريقة (الدعك والاحتكاك - Friction Method). وأخيراً استقر رأيه - بعد تجارب مضنية أخرى أدق - إلى وضع الرقم النهائي، وتعريفه لمقدار الحرارة: وهو (772.55 قدم - باوند) من الشغل الواجب إنفاذه عند مستوى سطح البحر لغرض رفع درجة حرارة (لبرة واحدة من الماء المقطر) من درجة (60) إلى درجة (61) فهرنهايتيه.

وفي عام (1840) توصل (جول) إلى إثبات حقيقة تناسب مقدار الحرارة المتولدة من إمرار التيار الكهربائي خلال مادة موصلة مع مربع قيمة ذلك التيار ومع مقدار قيمة المقاومة المستخدمة ذاتها. وقد تمكن من التوصل إلى ذلك بواسطة إجراءاته لسلسلة من التجارب قام خلالها بتغيير مقدار شدة التيار الكهربائي المار خلال دائرة كهربائية وتغير مقاومتها ومن ثم قياس التغيرات الحرارية الضئيلة الطارئة على حوض من الماء غمس بداخله ملف تبديد حراري معدني ملحق بالدائرة الكهربائية السابقة. أما النجاح الباهر الذي كان (جول) قد حققه من إجراءاته لتلك التجارب فيعود إلى دقة المحارير التي استخدمها لقياس التغيرات الضئيلة في فروقات درجات حرارة الحوض.

وعند بلوغه عامه الرابع والعشرين (وكان ذلك في عام 1843) كان (جول) قد توصل إلى قناعته القائلة بتساوي كميات الطاقة الحرارية على رغم اختلاف أشكال توليدها، وكتب في حينها مقالاً بعنوان (حول التأثيرات الحرارية للظاهرة المغناطيسية في الكهرباء على مقدار

القيمة الميكانيكية للحرارة) وقد ورد فيه ما يلي:

((لن أضيع منذ الآن المزيد من الوقت لإعادة ما سبق أن أثبتته تجاربي واقتنعت به نفسي من أن كافة عوامل ومؤثرات الطبيعة وحسب ما أوجدها الخالق (سبحانه وتعالى) غير قابلة للفناء، وعليه فإن في أي مقدار من القوة الميكانيكية التي تصرف (وتبرز هنا على شكل شغل متبدد) لا بد وأن يقابلها دائماً و (تحرر إلى المحيط) كمية مساوية لها من الحرارة)).

لقد أفضت تجارب (جول) بالإضافة إلى أعمال العديد من معاصريه من العلماء إلى التوصل لما يشبه القناعة بوجود مبدأ مشترك بين كافة أنواع الطاقة يمكن اعتباره - وقد أسموه بالفعل - (بمبدأ حفظ الطاقة - Principle of Conservation of Energy). ورغم إدكاء آرائه وأفكاره تلك لشذرات من أفكار متقدمة تتعلق بحركة الجزيئات وحتى تصادمها لتوليد و/أو نقل الحرارة، إلا أن تطور وثبات مبادئه - لحفظ الطاقة - لم يكن بحاجة فعلاً إلى نظرية واضحة تفسر البناء الذري للمادة - لاستمراره والقبول به على وجه الاجماع.

عمل (جول) وباجتهاد جمعية صديقه الرياضي والفيزيائي البريطاني [وليم ثومسن (1824-1907) William Thomson] وقد حققا (بالفعل) معاً تجارب دقيقة أفضت إلى نتائج مهمة حول أسلوب تصرف الغازات وإلى أي مدى أو حد يمكن لطاقة الغازات الكامنة المخزونة مع، وداخل ذراتها من الانطلاق خلال تمددها. لقد حاول (جول) وعلى ما يظهر دحض (نظرية السائل الحراري - Caloric Theory) القديمة والمستهلكة والتي كانت تصف (خطأ) التغيرات في درجات الحرارة كنتيجة لانتقال - مائع لا يرى وليس له أي وزن وبشكل ماء، من المادة الساخنة إلى المادة الأقل سخونة لينقل إليها الحرارة (راجع مدخل - قانون فورييه للتوصيل الحراري - Fourier's Law of Heat Conduction - المذكور آنفاً). أما خير ما قيل بذلك الشأن فكانت محاضرته الشهيرة التي ألقاها في مدينة (مانشستر - Manchester) في عام (1847) والتي جاء فيها:

((ولقد كان الرأي السائد بين الأوساط العلمية ولحد هذه اللحظة هو وجود ما يسمى

(بالمادة الحرارية - Heat Substance) تماثل بقية المواد في شيوعها وانتشارها



وتختلف عنها بكونها مادة (غير مرئية) ولا وزن لها. ولكننا وبطريقة لا تقبل الشك قد توصلنا إلى إثبات حقيقة وإمكانية تحويل الحرارة إلى طاقة حية فعالة على شكل (طاقة حركية - Kinetic Energy) وإلى قوة جذب خلال الفضاء على شكل (طاقة كامنة - Potential Energy). الآن وقد تبين لنا وبما لا يقبل مجالا للشك ولا للدحض - وإلى أن تتمكن من تحويل المادة⁽¹⁾ ذاتها إلى قوة جذب خلال الفضاء، والتي لا يمكننا اعتبارها سوى فكرة سخيفة لا تستحق عناء المناقشة على الأقل في الوقت الحالي - فإني أعلن هنا ومن هذا المنبر ضرورة نبذ فرضية كون الحرارة كشكل من أشكال المادة وأطالب بإسقاطها إلى الأرض وقبرها فيها إلى الأبد)).

ثم أكمل إعلانه حتى اختتمه بقطعة شعرية لطيفة كان قد شُغف بها منذ زمن وهي تصف حال النبي (حزقيال - Ezekial) وعلاقته وأفكاره حول الكون، حين قال:

((عندما نتمتع بأجسامنا (التي خلقت على هيئة عجيبة تستوجب الدهشة والرهبة في آن) لن نجد أي صعوبة في تقدير وإدراك تحول الحرارة إلى قوة حية، وذلك عند ملاحظتنا لأذرعنا وهي تتحرك في الهواء، وأرجلنا وهي تنقلنا من مكان إلى آخر، وقد يمكن إرجاع تلك القوة الحيوية إلى حرارة مرة أخرى عن طريق فرك إحدى يدينا بالأخرى وعند الجري لمسافات طويلة، أو قد يمكن استثمارها لعمل تحويل معين في الفضاء المحيط بنا، كأن نتمتع تمثالاً أو نتسلق جبلاً. وترشدنا كل من الحقيقة والتفكير المنطقي إلى الاستنتاج بأن كافة الظواهر والأحداث الطبيعية سواء كانت ميكانيكية - كسقوط مياه الشلالات من علو - أو كيميائية - كما في التفاعلات الحرارية - أو حتى الحيوية - كما في فرك يدينا بالأخرى - لا بد وأن تشكل مجموعها حواراً مستمراً ومتناسقاً ينطوي على تحويل نوع من الطاقة إلى أخرى كأن تتحول القوة الحيوية إلى حرارة أو إلى أي شكل آخر من أشكال الطاقة وبالعكس. وعليه فالتفكير العلمي يقودنا إلى الإقرار بأن ذلك النظام المحفوظ في الكون يستوجب استحالة فناء أو تدمير أو فقدان أي

(1) لاحظ أن هذا الفكر كان سائداً قبل مجيء أينشتاين بمعادلته الشهيرة $E = mc^2$ والتي تبيح لنا تحويل المادة إلى أي شكل من أشكال الطاقة وبالعكس، ففي عصر جول وما والاها كان ذلك التغير والتحول مستحيلاً. (المترجم)

نوع من أنواع الطاقة أو الحركة، وعليه يستمر تناسق الكون والطبيعة في حركتهما الميكانيكية وعملهما رغم ما يظهر إلى أعيننا من ضروب التعقيد والتداخل في ذلك)). وبناء على ذلك لا يسعني هنا إلا أن أستشهد بقول (حزقيال Ezekial)⁽¹⁾ النبي عندما أقر وأعلن: ((قد تتداخل العجالات ببعضها ويبدو كل شيء معقداً يساهم بزيادة الفوضى والاضطراب، وبطريقة لا تبدو لها نهاية ولا لآخرتها وجود. سبب متداخل بسبب ونتيجة لا علاقة لها بأخرى وقد تاهت الأعين وزاغت الأبصار، ومع كل ذلك يبقى النظام والكمال السيد المسيطر على كامل الموقف)).

يعتبر المبدأ المهم الذي اكتشفه (جول) والمتعلق بتسرب الغاز المضغوط والمحجوز في فراغ معين من خلال ثقب صغير والذي سيخضع إلى التغيرات الحرارية المنصوص عليها في (تأثير جول - تومسن - Joule - Thomson Effect) ووفق المعادلة الرياضية التالية:

$$\left(\frac{\partial T}{\partial P} \right)_H = \frac{T \left(\frac{\partial V}{\partial T} \right)_P - V}{C_P}$$

من مبادئ الانتالبية (Entropy)⁽²⁾ المهمة.

حيث تمثل - الجهة اليسرى من المعادلة مقدار التغير في الحرارة والضغط مع الإبقاء على الانتالبية (وهي هنا تمثل المضمون الحراري لهذه الجهة من النظام) ثابتة. وقد تسمى أيضاً (معامل جول - تومسن - Joule - Thomson - Coefficient)

(1) Hzekiel - ويعني هذا الاسم بالعبرية (الذي سيؤيده ويقويه - الله سبحانه وتعالى-) وهو (ذي الكفل) الذي ذكره القرآن الكريم وله كتاب خاص به يُعتقد أنه كتب حوالي سنة 500 ق.م خلال فترة السبي البابلي لمملكة يهوذا الإسرائيلية الجنوبية. ويتضمن رؤياه وتنبؤاته لما ينفذ عن الـ (22) عاماً وهي فترة وجوده (منفيًا) في بابل. ويؤمن به المسيحيون كنبي مُرسل، في حين يعتبر اليهود كتابه من ضمن كتبهم المقدسة ويعتبرونه شخصياً كثالث أعظم كتبهم المقدسة. أما تحديد فترة كتابته بالقرن السادس ق.م. فيعود إلى ذكره لتواريخ الأحداث بأسلوب امتازت تلك الحقبة به. وبما تجدر الإشارة إليه وجود قرية صغيرة تقع إلى الجنوب من مدينة بغداد بعدة كيلومترات وعلى الطريق لمدينة (الحلة - في محافظة بابل) تحمل اسم (الكفل) ويعتقد بوجود رفات هذا النبي فيها. (المترجم).

(2) Entropy - (أو الانتالبية) ويرمز لها (H) والانتالبية الخاصة - Specific Enthalpy) ويرمز لها (h) في علوم (الديناميكا الحرارية - Thermodyuamics) و(الكيمياء الجزيئية - Molecular Chemistry) وهي إحدى صفات الديناميكا الحرارية لنظام ديناميكي حراري. وتستعمل لحساب مقدار انتقال الحرارة في نظام مغلق تحت ظروف ضغط وحرارة ثابتين. وتعتبر قيمة التغير في الانتالبية (ΔH) أهم فعليا من (الانتالبية) ذاتها وتساوي مقدار التغير الحادث في الطاقة الداخلية لنظام مغلق تحت ظروف حرارة وضغط ثابتين، مضافا إليه مقدار (الشغل - Work) الذي استطاع ذلك النظام عمله على محيطه مما يعني أيضا أن مقدار التغير الحادث في (الانتالبية) في تلك الظروف هو ما يساوي مقدار الحرارة الممتصة من قبل تفاعل كيميائي عند حدوثه. (المترجم).



والذي يمكن أن يكتسب قيمة سالبة أو موجبة أو حتى القيمة الصفرية اعتماداً على درجة حرارة وضغط الغاز تحت الاختبار.

ويمثل - الحد $\partial T / \partial P$ مقدار تغير حجم الغاز وعلاقته بدرجة حرارته تحت ظروف ضغط ثابت. و C_p - مقدار الحرارة النوعية العيانية (Molar Specific Heat) تحت ضغط ثابت. وتصدر الإشارة هنا إلى ثبوت (انثالية) هذا النظام بالنظر لعدم السماح لأي مقدار من الحرارة بالتسرب من أو إضافتها إلى هذا النظام محكم الغلق.

إن لمعامل (جول - تومسون - Joule - Thomson Coefficient) بعض الموصفات والخصائص الفيزيائية التي لها أهمية بالغة في دراسة موصفات وتصرف الغازات المختلفة تحت الظروف المختلفة، فلهذا المعامل علاقة وطيدة مثلاً، بمصطلح ثان هو (درجة حرارة تحول جول - تومسون - Joule - Thomson Inversion Temperature) والتي تعرف بأنها درجة الحرارة التي يساوي عندها المعامل قيمته الصفرية. وتختلف درجة حرارة التحول تلك، اعتماداً على نوع الغاز تحت الدراسة، فعند درجات الحرارة التي تفوق (درجة تحول) غاز ما، ستسخن تلك الغازات المحجوزة تحت ضغط عند إطلاقها من خلال فتحة صغيرة في خزاناتها. وعند درجات الحرارة التي تقل عن (درجة تحولها) فإن تلك الغازات ستبرد تحت عين الظروف السابقة. فعند فتحنا لفتحة صغيرة مناسبة في طرف خزان غاز ثاني أو أكسيد الكربون المسال مثلاً في المختبر وفي ظروف درجة الحرارة الاعتيادية (25 درجة مئوية) فإنك ستري الغاز وهو ينطلق من تلك الفتحة على شكل رشاش من بلورات الثلج الجاف الصغيرة بدرجة حرارة (-78 درجة مئوية). ومن ناحية ثانية فإن غازي الهيدروجين والهيليوم سيسخنان عند انطلاقهما خلال الفتحات الصغيرة المحدثه في أطراف خزاناتهما عند نفس ظروف درجة حرارة الغرفة الاعتيادية. سُمي ذلك التأثير المهم على اسمي العالمين المؤمنين⁽¹⁾ (جيمس جول - James Joule) و (وليم تومسون - William Thomson) اللذين كانا قد اختبرا وتحققا في عام (1852) من حقيقة وجود ذلك التأثير استرشاداً بأبحاث وأعمال سبقت كان قد قام بها (جول)

(1) Comitted Christians - في أصل النص. (المترجم).

بمفرده حول خصائص تمدد الغازات. تبرز أهمية (تأثير جول - تومسون - The Joule Thomson Effect) عملياً اليوم عند ممارسة عمليات إسالة الغازات صناعياً، (أما نقاش وشرح ذلك فيقع خارج نطاق هذا الكتاب).

انتقل جول في عام (1861) إلى منزله الجديد مع أولاده إلا أنه قوبل بامتناع شديد ورفض جيرانه له وبالأخص عند اصطحابه لماكنته البخارية معه والتي تطيروا منها أشد التطير، وفي هذا الخصوص أرسل (جول) رسالة قصيرة طريفة يوضح فيها لصديقه العزيز (تومسون) سوء الفهم الحادث نتيجة نقل الماكينة ويعتذر منه على التأخير الحادث لتجاربهما من جراء ذلك قائلاً:

((.... وأما ما يخص تجاربنا حول الغازات فإني سأكملها وبلا شك ولكن فقط بعد أن أستعيد

عافيتي من الهجوم الشنيع والمريع الذي شنّه عليّ كافة جيرانني بعد انتقالي مع ماكنتي البخارية

إلى بيتي الجديد... بعد جهد عظيم بذلته لإقناعهم وتطبيب خواطرهم بأن الإشاعات التي

سبقتني إليهم بأن تجاربي وألتي البخارية ستحرق لهم حدائقهم وأزهارهم العزيزة عليهم ما

هي إلا ضرب من التشنيع والكيد الكاذب الذي لا يستند إلى قاعدة من الحقيقة)).

وبعد القيل والقال وكثرة الشكوى والسؤال أقرّت بلدية المدينة بعدم السماح لـ

(جول) بالانتقال مع آلته إلى داره الجديد وكان عليه الاختيار بين أحد الحلين.

وفي عام (1870) قلّد (جول) (ميدالية كوبلي - The Copley Medal) من قبل

الجمعية الملكية في لندن تقديراً لأعماله، كما تسنم منصب رئيس الجمعية البريطانية لتقدم

وتطوير العلوم لعامي (1872) و (1887).

ويعود الفضل اليوم إليه لكونه الشخص الذي استطاع أن يُقنع العالم ومجتمعه العلمي

بإمكانية تحويل وحدات الطاقة المختلفة من ميكانيكية وكهربائية وحرارية، واحدة منها إلى

الأخرى، وإمكانية قياسها جميعاً بوحدة (قدرة - Power)⁽¹⁾ واحدة، وبأن أشكال الطاقة

(1) Power - (القدرة) في الفيزياء، هي مقدار التغير في مقدار الشغل (Work) المنجز أو في مقدار الطاقة (Energy) المتحوّلة.

ويعبر عن ذلك رياضياً بـ $\frac{dW}{dt}$ ، حيث avg - هو المعدل، و Δ - هو الفرق، و t - الزمن. (المترجم)



المختلفة هذه إنما ترتبط معاً بصفات مشتركة. وقد كان بذلك من أوائل الذين بينوا بالحجة الثابتة وبالتجربة القاطعة حقيقة وجود (قانون حفظ الطاقة - Law of Conservation of Energy) والذي يعرف أيضاً باسم (القانون الأول للديناميكا الحرارية - The First Law of Thermodynamics).

لقد تضمن اهتمام (جول) بظواهر الحرارة وتطبيقاتها استعماله لها ضمن تجارب مبتكرة شملت تغيرات (لزوجة - Viscosity) السوائل في الأسطوانات وتحريك الإطارات بواسطة الدواسات واستخدامات أخرى مبتكرة للمجاهر. وفي إحدى تجاربه لإثبات صحة (قانون حفظ الطاقة) قام بإمرار الماء خلال ثقب صغير جداً محدثاً في إسطوانة ثم باشر بقياس التغيرات الضئيلة في مقدار لزوجته بتأثير ارتفاع درجة حرارته. وقد استطاع من خلال تلك التجارب استنتاج قيمة (المكافئ الميكانيكي - Mechanical Equivalent) للحرارة وحدده بقيمة [770 قدم - لبرة لكل وحدة (Btu) واحدة]⁽¹⁾ وقد قاربت هذه القيمة تلك التي كان قد تمكن من التوصل إليها في تجاربه الكهربائية الأمر الذي دفعه إلى الاستنتاج بأن مقداري (الشغل - Work) و (الحرارة - Heat) هما قيمتان تبادليتان (أي يمكن تحويل أحدهما إلى الأخرى). ومن تجاربه الأخرى لتحديد قيمة (المكافئ الميكانيكي - Mechanical Equivalent) للحرارة كانت من خلال قياساته الدقيقة للتغيرات الضئيلة في درجات الحرارة لحوض ماء عُمرت بداخله عجلة تدور بواسطة كتلة هابطة من علو مربوط بها.

وعلى رغم حقيقة استبعاد كون (جول) السباق الأول في التفكير في وجود (المكافئ الميكانيكي للطاقة الحرارية) وهو العامل الذي يربط - حسابياً - تحويل الطاقة الميكانيكية إلى حرارة وبالعكس، إلا أنه ولا شك يعتبر السباق الأكيد والمبتكر الأول للكثير من التشكيلات والتجارب العلمية والدقيقة التي ساهمت بل وأثرت بالفعل في... وقادت بدقة للتوصل إلى تأكيد حساب

(1) Btu - ونعني (الوحدة الحرارية البريطانية - British Thermal Unit - Btu). ونعرّف بأنها كمية الحرارة اللازمة لرفع درجة حرارة (باوند) واحد من الماء (454 غراماً منه) درجة فهرنهايتية واحدة ابتداءً من درجة حرارة محددة هي (39) درجة فهرنهايت. (الترجم).

مثل تلك العلاقة. وقد كشفت دراساته وقياساته الدقيقة عن قابليته الفذة في تدريج وحسن قراءة التغيرات الضئيلة في قياسات المحارير الزئبقية والكحولية ومن خلال استعماله للمجهر أحياناً. يعتقد ويعزي البعض سبب مهارته في استخدام المحارير لقياس تغيرات درجات الحرارة للخبرة التي كان قد اكتسبها من مراقبة عمّال وأدوات معصرة والده ومعمله لصناعة الجعة.

لقد خُلِدَ اسم (جول) إلى اليوم - وإلى ما شاء الله - بإطلاق اسمه - تيمناً وتقديراً - على وحدة المكافئ الميكانيكي للحرارة (الجول - Joule) وتكتب على شكل الحرف اللاتيني الكبير (J) والجول هي وحدة من وحدات (الطاقة - Energy) أو (الشغل - Work) وتقاس وتعرف بوحدات [الكيلوغرام (ضرب) المتر المربع (مقسوماً على) الثانية تربيع هكذا (Kg. m² / S²)]. وقد أُطلق اسمه تخليداً له أيضاً على إحدى فوهات القمر بقطر (96 كيلو متراً)، تلك التسمية التي أُقرت دولياً في عام (1970) من قبل الجمعية العامة لاتحاد الفلكيين العالميين. ولم تفارق نعمة الايمان القوي الراسخ قلب (جول) وآخر يوم في حياته وآخر نفس لفظه من صدره، فقد كان شديد الاعتقاد بوجوده وبوحداية الخالق العظيم (سبحانه) وقد كان قد كتب سابقاً - وكما أشار إلى ذلك المؤلف (جيمس جي. كروثر - James G. Crowther) في كتابه الرائع (العلماء البريطانيون في القرن التاسع عشر)، - واعترف بوحدانية الله وبديع خلقه (جل وعلا) بقوله:

((... وبعد الاعتراف والمعرفة والخضوع والانصياع لعظمة الباري (عز وجل)

ولإرادته السامية، لا بد لنا نحن بنو البشر أن نتعرف إلى عظيم بدائع صنعه وروائع تجليات عظمته وقوته ونبراس الخير الذي أودعه فينا وفي كل ما حولنا، وذلك بالتدبر والدراسة والتفكير بخلقه (سبحانه) وما أبدعته يداً)).

صرح (تومسن) بأن (جول) كان:

((قد تمكن من نواصي العقبرية في التخطيط، والشجاعة في الإقدام والإعجاز بالتدقيق في التنفيذ، مع قوة الصبر والمطاولة بالسير قدماً بسلاسل أفكاره وترتيب أعماله المتناسقة والاستمرار بإجراء تجاربه واختباره حتى تمكن من اكتشاف وإثبات العلاقة المهمة ما



بين مفاهيم (حفظ) الأنواع المختلفة من الطاقة، سواء كانت كهربائية أو كهرومغناطيسية أو كهروكيميائية (أو أي من تأثيراتها) وحتى في مجالات (الاحتكاك - Friction) وتصادم المواد الصلبة. كما كان قد تمكن من إجراء القياسات والحسابات الدقيقة كمحالات الاحتكاك حتى ما بين السوائل... كل ذلك لإثبات وجود (مفهوم المكافئ الميكانيكي للحرارة - The Mechanical of Equivalent of Heat) والذي يعتبر مفهوماً متطوراً وفكرة رائدة لا يمكننا إدراك مدى أهميتها ومبلغ خطورتها في الوقت الحاضر على الأقل، ولكن بإمكاننا الآن أن نشجدهم المجتمع العلمي ليمعن بهذا الموضوع ويدرسه بعمق وروية وتؤدة كي يتوصل إلى الكيفية المثلى للاستفادة منه (مستقبلاً).

مصادر إضافية وقراءات أخرى:

Cardwell, Donald, *James Joule. A Biography* (Manchester, U.K.: Manchester University Press, 1991).

Crowther, James G., *British Scientists of the Nineteenth Century* (London: Paul, Trench, Trubner & Co., Ltd., 1935).

Damour, Thibaut, "Black-Hole Eddy Currents," *Physical Review D*, 18(10-15): 3598-3604, November 1978.

Heilbronner, Edgar, and Foil A. Miller, *A Philatelic Ramble Through Chemistry* (Zurich, Switzerland: Helvetica Chimica Acta, 2004).

James, Ioan, *Remarkable Physicists: From Galileo to Yukawa* (New York: Cambridge University Press, 2004).

Joule, James, "On the Caloric Effects of Magneto-Electricity, and on the Mechanical Value of Heat," *Philosophical Magazine*, 23: 263-276, September, 1843.

"James Prescott Joule," in *Notable Names Database*, Solyent Communications; see www.nndb.com/people/275/000049128.

KLS Martin Group, "Electrosurgery Manual," Gebrüder Martin GmbH & Co.; see www.klsmartin.com/fileadmin/download/Sonderdrucke_PDF/90-604-02-04_09_06_Handbuch_HF.pdf.

Lamont, Ann, "James Joule: The Great Experimenter Who Was Guided by God," in *Answers in Genesis*; see www.answersingenesis.org/creation/v15/i2/joule.asp.

Rosenfeld, L., "James Joule," in *Dictionary of Scientific Biography*, Charles Gillispie, editor-in-chief (New York: Charles Scribner's Sons, 1970).

أفكار فلسفية وآراء للمناقشة:

• لقد وضعنا خطانا وتمر كزنا الآن على حافة حضارة (البحث) التي أذكتها وقادتها بنجاح - وإلى حد الآن - مكائن بحث جبارة مثل (كوكل - google) وغيرها واللائي يتنافسن فيما بينهن ولن يقبلن بأقل من (الكمال) كجائزة لمثابرتهن (وحتى قتالهن فيما بينهن!). لقد أنارت تلك المكائن لنا طريق المستقبل وقادتنا بنجاح إليه. لقد أوصلتنا إلى مستقبل مليء بالأجوبة الصحيحة العميقة قد يصاحبنا عند التعرف على بعضها شعوراً غامضاً سخيلاً بالذنب. ستمكن في المستقبل ليس فقط من الإجابة على كافة الأسئلة - إنما ستكون لنا الشجاعة وستمتع بالألمعية لطرحتها أيضاً... أم هل ستكون؟

بروكمين

(John Brockman (What we Believe But Cannot Prove)

Robert Eisberg and Lawrence Lerner, (Physics: foundations and Application).

من كتابهما - مبادئ الفيزياء وتطبيقاتها. مقتطف من كتابه - (ما نؤمن به ولا يمكننا إثباته).

• على رغم صحة الرأي القائل بأن المولى (عز وجل) كان قد خلق الكون وقوانينه ونواميسه بدقة وانضباط تأمين حتى ولكأنها جميعاً تعمل معاً كآلة معجزة كبيرة لا متناهية في دقتها...، ألا تتفق معي بأن هذه الآلة الهائلة السرمدية لا تعدو كونها (آلة يمكننا فهمها؟).

كارول

Robert Todal Carroll, (Intelligent Design), The Skeptic Dictionary.

مقتطف من مدخل (التصميم الذكي) من معجم المتشككين.

• ينبع ذكاؤنا وتنتج كافة أفعاله الذهنية من الوجود المادي الفيزيائي لأدمغتنا - بلا شك - والخاضعة تمام الخضوع في عملها لقوانين الفيزياء المرتبطة كامل الارتباط بالأسس الرياضية والتي نحتاج عقولنا ذاتها من أجل تجسيدها ووجودها.

بنروز

Roger Penrose, (What is Reality) New Scientist. -

من مقالة له بعنوان (ما هي الحقيقة) نشرت في مجلة نيوزساينتست.



• لقد لاحظ متجرو الألبان - ومنذ القدم - دفء وارتفاع درجة حرارة الزبدة المستخرجة، مقارنة (بالشرش) الذي استُخرجت منه . (لقد استفاد جول من هذه الملاحظة واستخدمها لدعم قانونه وآرائه). أكد [الكونت رمفورد - Count Rumford] واسمه (بنيامن تومسن - Benjamin Thompson) أن حركة (الخص) المستمرة والطاقة الميكانيكية فيها والتي تقاوم قوة الاحتكاك التي يعاني منها اللبن داخلها هي التي ستحول إلى وحدات مجهرية متحركة.... هي الحرارة (وهي السبب في رفع درجة حرارة الزبدة المستخرجة). تعود فكرة الاعتقاد بأن الحرارة ما هي إلا شكل من أشكال الحركة إلى عهد الرومان على الأقل.

ايزبرك وليرنر

Robert Eisberg and Lawrence Lerner. (Physics, Foundations and Applications)

مقتطف من كتابهما (أسس الفيزياء وتطبيقاتها) .

قانونا كرشهوف للدوائر الكهربائية والإشعاع الحراري

KIRCHHOFF'S ELECTRICAL CIRCUIT AND THERMA LRADIATION LAWS

✱ ألمانيا، 1845 و 1859

قانون الدوائر الكهربائية: يتساوى حاصل جمع كافة التيارات الداخلة إلى أي نقطة تجمع في دائرة كهربائية مع كافة التيارات الخارجة منها. يبلغ المجموع الجبري لكافة تغيرات (القوة الدافعة الكهربائية، أو الفولتية) حول أي دائرة كهربائية كاملة صفراً.

قانون الإشعاع الحراري: إن نسبة قدرة امتصاص جسم مشع لإشعاع ما إلى قدرة انبعائه منه هي دالة للطول الموجي لذلك الجسم ولدرجة حرارته.

مجاور ذوات علاقة:

قانون بلانك للإشعاع (PLANK'S LAW OF RADIATION)، وجوزف فون فروهنهوفر – (JOSEPH VON FRAUNHOFER)، وجورج أوم (GEORG OHM)، وجوشيا كبس (Josiah Gibbs).

من أحداث عام 1845:

– ضُمت كل من ولايتي فلوريدا (Florida) وتكساس (Texas) رسمياً إلى الاتحاد الفيدرالي للولايات المتحدة الأمريكية.

– نشر الكاتب المعروف (ادكار آلان بو – Edgar Allan Poe) رائعته الخالدة (الطير الأسود – The Raven)⁽¹⁾.

(1) Raven – طائر أسود من الطيور الآكلة للليف، كبير الحجم، ينتمي إلى أكبر (رتبة – order) من رنّب الطيور وهي العصفوريات أو الطيور المصونة (Passeriformes). وهي عبارة عن فصيدة من (6 × 18 = 108) أبيات تحكي قصة شخص مشغول بالفكر بحيد الضائع. يزوره طائر أسود ليلا ويدق على شباك حجرته بمنقاره ويبدأ حواراً ومساءلة فلسفية عن العديد من الأسئلة من قبل الشخص ولا يجيب الطائر الأسود عليها إلا بكلمة (توقف عن الاستفسار عن المزيد – كفى – Nevermore) حتى يكاد الشخص أن يساق إلى الجنون. (الترجم).



- تم اختراع الشريط الحلقي المطاطي ونال براءة اختراعه من بريطانيا.
- شرع الكاتب الأمريكي (هنري ديفد ثورو - Henry David Thoreau بتجربته الحياة البدائية المبسطة على الضفاف الفاتنة لبحيرة (والدن - Walden) في منطقة (ماسشوستس - Massachusetts).
- شرع بطبع وابتداء تداول المجلة العلمية العالمية المرموقة ذائعة الصيت (سينتفك أمريكيان - Scientific American) والتي استمرت بالصدور إلى حد هذا الشهر (شباط - فبراير 2011) وستظل بمشيئة الله تعالى⁽¹⁾.

قانونا الدوائر الكهربائية (1845):

يعني قانون كرشهوف للدوائر الكهربائية ويركز على العلاقة ما بين التيارات المارة عبر (أجزائها المشتركة) مماساتها والقوى الدافعة الكهربائية المؤثرة عليها والدائرة حولها.

قانون كرشهوف للتيار:

يعتبر (قانون كرشهوف) للتيار إعادة صياغة لمبدأ حفظ الشحنة الكهربائية في نظام ما. ويعتبر هذا القانون عملياً عن حقيقة مفادها أن حاصل المجموع الجبري لكافة التيارات الكهربائية السائرة باتجاه (والداخلية إلى) أي نقطة محددة ما في دائرة كهربائية، لا بد أن يساوي حاصل المجموع الجبري لكافة التيارات الكهربائية الخارجة منها. وغالباً ما يطبق هذا القانون على نقطة تماس ما حين تلتقي عندها عدة أسلاك مكونة لنقطة مشتركة بينها جميعاً. وقد تكون تلك النقطة المشتركة على شكل تصالب (X) أو على شكل ممر ذي نهاية مغلقة (T) - وتسمى بالإنجليزية على التوالي بنقاط التماس على شكل حرفي (اكس - X أو تي T-). ويمتاز التيار المار في مثل نقاط الالتقاء تلك بمروره إلى النقطة بواسطة سلك أو أسلاك

(1) المترجم مشترك فيها منذ عام (1974).

ومغادرته إياها عن طريق سلك أو أسلاك مغايرة عن تلك التي دخلتها سائفاً. وبالإمكان التعبير عن هذا القانون أيضاً بدلالة حاصل جمع كافة التيارات الكهربائية الآتية التي تدخل إلى نقطة الالتقاء تلك والتي يمكن تسميتها بالعقدة:

$$i_{in}^1 + i_{in}^2 + i_{in}^3 + \dots + i_{out}^1 + i_{out}^2 + i_{out}^3 + \dots = 0$$

تمثل القيمة i_{in} هنا كافة قيمة التيارات الواردة إلى عقدة اللقاء، على حين تمثل القيمة i_{out} كافة قيم التيارات الشاردة عن تلك العقدة، وأما الأرقام الصغيرة التي توضع أعلى كل حد منها فتمثل الأسلاك المختلفة الحاملة للتيار دخولا وخروجاً إلى نقطة التماس المعنية في التجربة.

قانون كرشوف للقوة الدافعة الكهربائية (الفولتية):

ويعتبر هذا القانون إعادة لصياغة قانون حفظ الطاقة في نظام معين وينص على وجوب بلوغ حاصل جمع كافة قيم وكميات القوى الدافعة الكهربائية (كافة الفولتيات) حول نقطة ما في دائرة كهربائية قيمتها الصفرية. وكنوضح لما سبق دعنا نتصور دائرة كهربائية تامة مغلقة لها من العناصر ونقاط الالتقاء والتفرع عدداً معيناً، ففي مثل هذه الدائرة، إذا شرعنا بقياس فرق الجهد بين أي نقطتين ابتداءً من نقطة الشروع فإن مجموع كافة الفروق في قياسات القوة الدافعة الكهربائية (وتسمى بالفولتية أيضاً) وعلى كامل مسارات تلك الدائرة ستبلغ صفرًا. أما عناصر ومكونات أي دائرة كهربائية فتتكون من عدد يزيد أو يقل من عناصرها الأولية وهي الموصلات (كالأسلاك) وأشباه الموصلات (كالترانزستورات) والمقاومات المختلفة والمكثفات والمراكم الملحقة بها (أو البطاريات) وبالإمكان التعبير رياضياً عن هذه العلاقة بالشكل التالي:

$$v_1 + v_2 + v_3 + v_4 + \dots = 0.$$

ولنا هنا - ومن الناحية العملية - ملاحظة أن (قانوني كرشوف) السابقين للدوائر الكهربائية يستوجبان عدداً من الفرضيات، فعلى سبيل المثال - وفي سياق قوانين التيار الكهربائي - يفترضان وجود تيار ثابت بكثافة شحنة مستقرة مستمرة الانسياب لا تتغير



مع الوقت كما قد يحدث عندما يزداد تراكم الشحنات الكهربائية الصافية سالبة كانت أم موجبة (كأن تكون البطارية المستخدمة مربوطة بشاحنة غير مستقرة أو عند انتهاء عمرها حيث تتذبذب في قابليتها في تجهيز السيل الثابت من الإلكترونات)، وفي مثل هذه الحالات سيطبق (قانون كرشهوف) مع الأخذ بنظر الاعتبار كون تطبيقنا له تقريبياً فقط - على شرط أن تكون قيم المقاومات (Resistances) والمستحثات (Inductances) والمكثفات (Capacitances) لمجموع أسلاك الدائرة ككل صغيرة جداً مقارنة بمقاومة وحث وسعة وحداتها أنفسهم كل على انفراد.

كما ويمكن تعميم تطبيق (قانون كرشهوف) على الدوائر الكهربائية المزودة بتيار متناوب (Alternating Current)، إذا ما افترضنا كون كافة نقاط قواها الدافعة الكهربائية (الفولتية) وكافة تيارات نقاطها ملتزمة بالشكل (الجيبى - Sinusoidal Form) المحافظ على تردده (Frequency) دائماً. وفي مثل هذه الحالات فإن حاصل المجموع الجبري (Algebraic Sum - سيستبدل بحاصل جمع المتجهات - Vector Sum) وحين ذلك سينص (قانون التيار) - وببساطة - على: وجوب بلوغ حاصل جمع المتجهات لكافة التيارات الواردة إلى نقطة اتصال كهربائية متشعبة أو عقدة ومغادرتها إياها وفي خلال أي فسحة زمنية محددة، صفراً. وبالمثل سينص قانون (القوة الدافعة الكهربائية) (الفولتية) على: وجوب بلوغ حاصل جمع المتجهات لكافة الفولتيات المارة إلى... والخارجة من نقطة اتصال كهربائية متشعبة (أو عقدة) وفي أي فترة زمنية محددة صفراً، كذلك.

وأخيراً - ولأجل توضيح أعم وأكثر علمية - نقول، إننا كنا قد افترضنا، ولحد الآن كون المركم الكهربائي (البطارية) مصدراً ثابتاً لتجهيز (القوة الدافعة الكهربائية - ق.د.ك. - Electromotive Force emf) ولكننا بالحقيقة نجد أن فرق الجهد الكهربائي عبر قطبي البطارية، والذي يطلق عليه اسم (فرق الجهد الطرفي - Terminal Voltage) لا يمثل قوته الدافعة الكهربائية الصافية، وإنما نجدها تقل قليلاً بازدياد شدة التيار المتولد عنها، وعليه ولأغراض العلمية الدقيقة، فإن المركم الكهربائي (البطارية) غالباً ما يُعبر عنه بمصدر

للقوة الدافعة الكهربائية - ق.د.ك. مضافاً إليه قيمة المقاومة الداخلية له (Its Internal Resistance)، ولكن قيمة هذه (المقاومة الداخلية) غالباً ما تكون من الصغر بحيث يمكن إهمالها لدى القيام بالعديد من التجارب والاختبارات العملية.

قانون كرشهوف للإشعاع الحراري (1859):

يُشع كل جسم ساخن طيفاً محدداً خاصاً به من الأمواج الكهرومغناطيسية يعتمد حصراً على درجة حرارته وعلى انبعاثيته (Emissivity) - التي سنشرح معناها لاحقاً - ويطلق على هذا النوع من الإشعاع مصطلح (الإشعاع الحراري Thermal Radiation) لأنه يعتمد مبدئياً على درجة حرارة الجسم المعني ذاته.

ولغرض إدراك (قانون كرشهوف للإشعاع الحراري) وبلوغ ما قصده واضعه من ورائه، يعتمد الفيزيائيون إلى اعتبار واختبار ووصف أحد الأجسام الخاصة التي يطلقون عليها اسم (الجسم الأسود - Blackbody). يفترض العلماء امتلاك هذا الجسم لخاصية امتصاص كافة أنواع وأطياف وترددات الطاقة الكهرومغناطيسية التي يصادف سقوطها عليه أو توجهها إليه وعليه فهو لا يعكس ولا يشع ولا يمتص أي طاقة من ذاته أبداً. لقد كان (لكرشهوف) شرف وضع هذا المصطلح وتقديمه إلى المجتمع العلمي، كما كان قد لاحظ وأكد على قابلية مثل هذه الأجسام على إشعاع المقدار أو الكمية العظمى الممكنة من الطاقة المشعة وفي أي درجة من درجات حرارته. ولكن واقع الحال لا يتطابق دائماً مع الافتراضات الرياضية المثالية، وعليه لم يمكن ولحد الآن اكتشاف (جسم أسود) مثالي أو أي مادة حقيقية تتمكن فعلاً من امتصاص كافة أنواع الإشعاع والطاقة المسلطة عليها بحيث لا تعكس منها شيئاً. أي أن كافة المواد الموجودة في عالمنا الذي نعيش فيه تقوم فعلاً بعكس جزء من الإشعاع المسلط عليها وتشع كمية من الطاقة أقل مما يمكن لجسم أسود إشعاعه وفي ضمن نطاق ذات الدرجة الحرارية. ومع كل ما سبق فهناك بعض المواد التي تقارب في تصرفاتها مزايا الجسم الأسود وتحاكيها، مما يجعل من قانون (كرشهوف للإشعاع الحراري) قانوناً نافعاً مفيداً في الكثير من التطبيقات العملية.



ينص قانون كرشهوف للإشعاع الحراري، (وفي حالة اعتبارنا لجسم أسود مثالي في حالة توازن واستقرار) على بقاء نسبة مقدار [الطاقة المشعة (R) Radiated Energy] منه إلى مقدار [الطاقة الممتصة (A) Absorbed Energy] من قبله، قيمة ثابتة دائماً وتعتمد على طول تلك الطاقة الموجي وعلى درجة حرارة الجسم الأسود المعني. أي بعبارة رياضية يمكننا صياغة ما سبق كالآتي:

$$\frac{R}{A} = C$$

والآن إذا ما تفحصنا هذا القانون عن كثب وابتدأنا بتعريف (الانبعاثية - Emissivity) بأنها نسبة الطاقة المشعة من قبل جسم معين إلى الطاقة المشعة من قبل (جسم أسود - Blackbody) درجة حرارته مساوية لدرجة حرارة الجسم الأول، فإننا لابد وأن نستنتج وبسهولة أن أي جسم أسود حقيقي (مثالي) لابد له أن يكتسب صفة (انبعاثية) مقدارها وحدة كاملة (1) في حين يترتب على أي (جسم أسود) أو غير (أسود) حقيقي أن يكتسب (انبعاثية) تقل عن (1)، وتعرف (امتصاصية - Absorptivity) جسم ما - بالمناسبة - بأنها قابلية أي جسم على (امتصاص) ذلك الجزء المعين من مقدار الطاقة المسلطة عليه. ولصطلحي (الامتصاصية) و (الانبعاثية) وللقانون السابق تطبيقات عملية كثيرة نافلة نذكر لك منها مثلاً واحداً وهو أن [المحارم والأغطية الحرارية (الكهربائية) - Thermal Blankets] غالباً ما تصنع بحيث تغطيها من الخارج طبقة أو بضعة طبقات عاكسة للتقليل من فقدان حرارتها عن طريق التوصيل وما يبقى عليها إلا أن تفقد كميات ضئيلة فقط من طاقتها عن طريق الإشعاع وبذلك تكون مثالية التصرف للغرض الذي صنعت من أجله.، هذا ويثبت لنا هذا القانون كذلك الحقيقة القائلة بأن العواكس الجيدة لابد وأن تكون ضعيفة الإشعاع عموماً.

لقد استطاع (كرشهوف) الإفصاح عن آرائه ونشر استنتاجاته في بحثه المنشور في عام

1859، والذي كان بعنوان

Über den Zusammenhang von Emission und Absorption von Licht und Wärme - (On the Relation Between Emission and Absorption of Light and Heat)

(حول العلاقة ما بين إشعاع وامتصاص الحرارة والضوء)، وقد جاء فيه ما يلي:

(تساوى قيم نسبة قوة الانبعاث إلى قابلية الامتصاص لكافة الأجسام عند ثبات الطول الموجي للإشعاعات المعنية واحفاظ الأجسام بنفس درجة حرارتها)، ولقد قام إضافة إلى تعريفه هذا بوضع صيغة أخرى لهذا القانون نشرها أيضاً ضمن نفس هذا البحث استخدم فيها النسبة بين القوة المنبعثة إلى القوة الممتصة والتي تعتبر (دالة - Function) للطول الموجي ودرجة الحرارة.

تكتب هذه الدالة بالأسلوب الرياضي الحديث كما يلي:

$$\frac{e}{a} = f(T, \lambda).$$

حيث يمثل T هنا - درجة الحرارة - مقاسة بعدد درجات كالفن المطلقة.

و λ - الطول الموجي و e - مقدار الانبعاثية - Emissivity. و a - مقدار الامتصاص

Absorptivity -

كما تمثل الدالة f كامل طيف الانبعاث الموحد الذي يصلح لكافة الأجسام التي يمكن اعتبارها أجساماً سوداء، بمعنى أن لها قابلية امتصاص (كافة) الأشعة الساقطة عليها أي تكون قيمة (امتصاصيتها - Absorptivity) مساوية للعدد واحد (1).

ولفهم ما مر وما سيأتي علينا مراجعة بعض المصطلحات والانتباه إلى الجديد منها، فعلى سبيل المثال تشع كافة المواد والعناصر كمية من طاقتها بصورة (إشعاع حراري - Thermal Radiation)، لسبب بسيط تختمه درجة حرارتها والحركة المستمرة لذراتها أو جزيئاتها. أضف إلى ذلك أن المواد جميعاً تمتص أيضاً كميات معلومة من الطاقة - وبأي صورة أخرى أو بصورة الحرارة ذاتها - لتعود لتحويلها إلى حرارة مرة أخرى تبعثها إلى الأجواء المحيطة بها بعد أن استلمتها منها.

لقد استطاع (كرشهوف) إثبات حقيقة أن كافة الأجسام التي تكون في حالة توازن حراري واستقرار مع محيطها لا بد لها أن تتصف بصفة تساوي طاقتها (أو قوتها) المبعوثة (Emitted) والممتصة (Absorbed)، الأمر الذي يمكن التعبير عنه رياضياً بالمعادلة



البسيطة التالية: ($e=a$) حيث تمثل كل من (e) و (a) الانبعاثية وقابلية الامتصاص على التوالي. والآن إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار إحدى حالات هذه الظاهرة الخاصة المتمثلة بمادة عاكسة نموذجية (Perfect Reflector) حيث يكون ($a = 0$) وعليه وبالتعويض ستكون ($e = 0$) مما يعني أنه يستحيل على العاكس المثالي أن يشع أبداً.

صرح ونبه الناطق باسم (إيفيثرم - Evitherm) - وهو المعهد الافتراضي الأوروبي للتعدين الحراري - (The European Virtual Institute for Thermal Metrology)، إلى خطورة خاصية الانبعاثية - (Emissivity) واكتسابها الكثير من الأهمية ضمن نطاق العديد من المواصفات العملية والحقول النظرية وذلك حين قال:

((تكتسب طريقة انتقال ومن ثم (اكتساب و/أو فقدان الحرارة عن طريق الإشعاع (Radiation) أهمية بالغة وبالأخص عند درجات الحرارة العالية أو في المساحات المفرغة أو في الفراغ وذلك لأنها ستكون الطريقة الوحيدة للانتقال. وعليه ستكتسب خاصية (الانبعاثية) أهمية قصوى كونها المتحكم في كمية الحرارة المكتسبة أو المفقودة من قبل جسم ما، وعليه ستكون هي الدلتا الوحيدة لمعرفة طريقة ودرجات تبريده أو تسخينه. ولا يخفى ما لصناعة وهندسة وحتى ارتياد الفضاء في المستقبل من أهمية تعتمد مباشرة على إمكانياتنا على التنبؤ بخواص اكتساب و/أو فقدان الطاقة (الحرارية) مثلاً وحتى الراديوية والإشعاعية) من منشآت كالمباني العامة والبيوت الزجاجية الخضراء وقباب حماية الرادارات وهوائياتها (Radomes) إضافة إلى أسلوب صناعة السفن الفضائية وأغلقتها وطبقات ملابس رجال الفضاء الخارجية والكثير من المنشآت والمباني الصناعية والتي لها أهمية مباشرة على عمليات وحتى على دراسات طرق حفظ الطاقة والسيطرة عليها)).

تكتسب مفاهيم وقوانين الانبعاث (Emissivity) أهمية استثنائية في مجالات قياس الحرارة المنبعثة من المواد والعناصر المشعة (Radiation Thermometry) وذلك لتحديد درجة حرارة جسم (أو منشأة - أو قلب مفاعل) معين وذلك بالاستناد إلى قراءات تخصص

إشعاعاتها الحرارية ومن ثم استعمالها كتطبيقات في (قانون بلانك للإشعاع - Plank's Law of Radiation) - [راجع الجزء الرابع IV من هذا الكتاب للتفاصيل].

تمكن علمنا من وضع ثلاثة تأكيدات - أو خصائص - تصف وتحدد خواص أطيف بعض المواد المشعة، والمقصود (بالطيف Spectrum) هو الطريقة (الجدول أو المصور) التي توضح التغيرات في شدة انبعاث الإشعاعات من جسم معين عند أطوال موجية محددة). ويطلق العلماء اليوم على هذه التأكيدات بمجموعها اسم (قوانين كرشهوف لتوليد الأطيف - Kirchhoff's Laws of Spectral Formation) والتي تصف السيناريوهات المختلفة المصاحبة لتصرف الأطيف المتغيرة وكما يلي:

- 1 - يصدر الجسم الساخن المعتم (كأي مادة صلبة، أو غاز كثيف) شعاع طيف مستمر كامل. والمقصود بـ (شعاع الطيف المستمر الكامل)، هو ذلك الذي يحتوي على موجات كهرومغناطيسية مشعة من قبل الجسم المعني بحيث تكون مستمرة ويحتوي على الأطوال الموجية بكافة قياساتها وخير مثال على ذلك هو الضوء الأبيض المرئي الاعتيادي.
- 2 - يصدر الغاز الشفاف (قليل الكثافة) الساخن طيفاً خطياً يسمى بالانبعاث الخطي (أو الخط الناصع - Bright Line)، ومعنى آخر فإن الغاز الساخن يبعث إشعاعات بأطوال موجية خاصة محددة تتحدد صفاتها بأسلوب التوزيع الذري للإلكترونات في مداراتها حول نواته.
- 3 - ينتج خليط غاز بارد شفاف (قليل الكثافة) يُرصد على خلفية مصدر يُطلق طيفاً مستمراً كاملاً ما يسمى (بخط الامتصاص - Absorption Line) وهو عبارة عن خط أسود داكن يحتل نفس موقع (الخط الناصع) للانبعاث الخطي الخاص بذلك الغاز. بعبارة أخرى ينتج شعاع الطيف المستمر الكامل المار عبر غاز قليل الكثافة، طيفاً مستمراً كاملاً حاوياً على خطوط أو مواقع سوداء قائمة تحتل ذات مواقع الأطوال الموجية التي تشعها وتحتلها خطوط الغاز قليل الكثافة الوارد ذكره في النقطة (2) أعلاه.

تبرز أهمية هذه الأطيف الكاملة مضافاً أو مطروحاً منها بعض خطوط الطيف الخطي هنا وهناك إضافة إلى القوانين الثلاثة التقريبية المذكورة وتطبيقاتها، وتستعري انتباهاً خاصاً من



قبل الفلكيين لفهم أطياف النجوم، وذلك لأن الأجرام السماوية على وجه العموم والنجوم البراقة الباعثة للإشعاعات والطاقة على وجه الخصوص دائماً ما تفعل ذلك اعتماداً على درجات حرارتها ومختلف مكوناتها ولذلك فإنها تبعث بأشكال أطياف متنوعة وتشكيلات متغيرة تمكن رواد الفضاء والفلكيين على الأرض من استنتاج معلومات غاية في الأهمية من جراء دراستها ومقارنتها، مما اكتنز لديهم من ملاحظات وأطياف ومقارنة معلومات عبر حقبة طويلة من الزمن.

الأطياف الذرية - ملاحظات مهمة:

تنتج الخطوط البراقة في طيف ذرة عنصر ما عندما تمتص إلكترونات تلك الذرات طاقة معينة تُختم عليها (القفز) إلى مستوى طاقة أعلى من مستواها الحالي (أو الطبيعي)، تعود فتفقدتها عند رجوعها إلى مستوى طاقتها الأول. تعتمد مواصفات تلك الخطوط وألوانها على فارق الطاقة المفقودة إلى الفضاء والناجمة من رجوع تلك الإلكترونات من مستوى الطاقة الأعلى إلى المستوى الأدنى. وتنتج خطوط الطيف الخيطية (السوداء الداكنة) نتيجة امتصاص إلكترونات ذرة ما للطاقة المتولدة في تلك الأماكن من الطيف (بالذات) لتستخدمها في صعودها إلى مستوى طاقة أعلى. هذا وتكتسب قيم مستويات طاقة ذرة معينة لأي عنصر ذات المقادير والمواصفات المفروض تواجدها وتمتع بها كافة ذرات ذلك العنصر.

لخطوط طيف الامتصاص مواصفات محددة لكل عنصر موجود على سطح الأرض و/أو في الفضاء بحيث يمكننا اعتبارها واستخدامها (كطبع بصمة أصبع - Finger Print) لذلك العنصر تُعرفنا عليه وبطريقة علمية لا تقبل الشك ولا الخطأ مطلقاً. هذا وقد لاحظ الكثير من العلماء والفلكيون المعنيون بدراسة الشمس وتقلباتها ومنذ أوائل العقد الأول من القرن التاسع عشر (1800s) وجود المئات من الخطوط السوداء القائمة تتخلل مختلف مساحات طيف الإشعاعات الكهرومغناطيسية المتولدة من قبل الشمس والواردة إلى الأرض عند تسجيلها. أضف إلى ذلك أن صور أطياف تلك المراقبات لم تكن أطيافاً مستمرة كاملة تحتوي على لون واحد أو مجموعة ألوان بعينها وإنما كانت مزيجاً غير متجانس من كامل مدى

الطيف الكهرومغناطيسي من أمواج تحت حمراء وضوء مرئي وأمواج فوق بنفسجية وسينية فائقة وكاما إلى آخره. أما ظاهرة وجود المئات من الخطوط السوداء الداكنة المتداخلة مع بقية خطوط الطيف فقد أفلقت العلماء وأعيث تفسيرهم إذ إنها كانت تعني - وببساطة - أن قسماً من الإشعاعات الضوئية - المرئية على الأقل - والمنبعثة من كتلة الشمس كان يتم امتصاصها وبضمن أطوال موجية محددة بذاتها قبل وصول كامل الطيف الكهرومغناطيسي إلى الأرض لتسجيله. لقد كان الفيزيائي الألماني [جوزف فون فرونهورف (Joseph von Fraunhofer 1787-1826)] من أوائل العلماء الذين لاحظوا تلك الظاهرة وتمكنوا من تسجيلها فعُرفت تلك الخطوط، ومنذ ذلك الحين (بخطوط فرونهورف) تيمناً به واعترافاً بفضلها ووصفها.

ولعل من المناسب بل ومن السهل على الكثير من القراء تصور حقيقة قابلية الشمس على توليد الطيف الكامل المتصل من الموجات الكهرومغناطيسية وبمختلف أطوالها وتباين تردداتها، ولكن قد يصعب عليهم تصور وجود أو إنتاج الخطوط السوداء الداكنة الظاهرة في مراقبات أطياف الشمس المسجلة... إذ كيف يمكن للشمس أن تمتص الضوء (أو جزء منه على الأقل) الذي تنتجه هي ذاتها وتطلقه باتجاهنا؟

ولتفسير ما سبق يمكننا تصور الشمس ككرة ملتهبة من الغاز الحاوي على العديد من أنواع الذرات التابعة لعناصر مختلفة تقوم بتهييج الكتروناتها بتأثير حرارة الفرن الذري التي تعيش بداخله وما أن تعود تلك الإلكترونات إلى مسارات دورانها الاعتيادية حتى تفقد طاقتها الزائدة (وبأقدار معلومة) لتصدر أطياف ألوانها الخاصة بها، وعليه يمتاز الضوء الصادر من طبقات الشمس السطحية [والمسمات (بالفوتوسفير - Photosphere) - وتعني كرة الشمس الباعثة والمولدة للألوان] بحيازته على طيف كامل مستمر يحوي كافة الألوان. والآن وبمرور طيف الألوان الكامل خلال طبقات الشمس (أو النجم) العليا فإن بعضاً من ألوان طيفه (أي بعض الأطوال الموجية المحددة من طيفه ذوات الترددات المعنية) سوف تُمتص من قبل المواد والعناصر الموجودة في تلك الطبقات الخارجية آتفة الذكر، وينتج



عن عملية الامتصاص المحدد المتخصص ما يعرفه العلماء والعامّة كالخطوط السوداء الداكنة في طيف شمسنا أو في أطراف بقية النجوم. وقد يخطر لبال أحدكم - كما خطر على بالي - مشابهة ما سبق لحالة (تقليل) شدة الألوان على شاشة التلفزيون حتى تظهر الصورة وكأنها تبث بلونين فقط (الأسود والأبيض)، ففي حالة الشمس يمكننا تصور العديد من مفاتيح التحكم (كل واحد منها يمثل لونا معيّن - خاصاً بعنصر معين) تقوم بمجموعها بتعديل شدة إضاءة الألوان المعينة التي تمثلها وتقللها إلى الحد التي تظهرها بلونها الأسود، وعلى شاشة تلفزيون بهذه العظمة سوف يظل بإمكانك رؤية (الصورة) الملونة مع وجود بعض (أو كثير) من الخطوط السوداء هنا أو هناك والتي تؤثر أماكن فقدانها لألوانها وتحول مواضعها إلى اللون الأسود. فلو تخيلت شاشة تلفزيونية تُريك حديقة شاعرية غناء تضم حبيبين متضامنين بين آلاف الزهور الحمراء، وقد تم امتصاص معامل اللون الأحمر منها، فما ستراه هو شخصين غارقين في السواد⁽¹⁾، أما بالنسبة للنجوم وخطوط امتصاص أطيفافها فإنها تُعلمنا بالضبط عن المكونات والعناصر الكيميائية التي تشكل وتكون الطبقات الخارجية التي تحيط بها.

وبواسطة هذه الطريقة التي يَسرنا شرحها آنفاً وبدراسة وتصنيف العديد والعديد من خطوط (الأطوال الموجية) المفقودة من طيف الشمس ومقارنتها بخطوط التوهج واللمعان التي تصدرها الحالة الغازية للعديد من العناصر النقية والموجودة لدينا هنا على الأرض بعد تبخيرها، تمكّن العلماء والفلكيون من تحديد ما لا يقل عن سبعين عنصراً محدداً معروفاً على الأرض أثبتت خطوط الامتصاص الطيفي المستلمة من الشمس وجودها هناك.

للفضوليين فقط:

• اكتشف (كرشوف) وثبت حقيقة مقدار إزاحة الإشارة الكهربائية المنطلقة خلال

(1) ذكرت ملابس السباحة الحمراء في أصل النص ضمن مسلسل الأكشن الأمريكي (Baywatch) الأكثر مشاهدة (1.1 بليون مشاهد إسبوعياً) والذي استمر للأعوام (1990 - 1999) و(1999 - 2001). (المترجم)

سلك عار بمقاربتها لسرعة إزاحة الضوء في الفراغ.

- تسلم (جون ماثر - John Mather) أحد علماء مركز طيران (كودارد - Goddard) الفضائي التابع لوكالة الطيران والفضاء الوطنية الأمريكية (NASA) وموقعها في مدينة (الحزام الأخضر - Greenbelt) في ولاية (مرييلاند - Maryland) الأمريكية جائزة نوبل للفيزياء في عام (2006)، وذلك لأبحاثه التي تضمنت عمله على إثبات صحة تطابق القيم ما بين المنحنيات النظرية المتوقعة لطريقة إشعاع الأجسام السوداء في درجة حرارة (2.7) كالفن المطلقة وما بين خلفية الإشعاعات الكونية الآتية إلى الأرض من أعماق الكون السحيقة، وتمكن بعمله هذا من إثبات حقيقة كون (الكون) الذي نعيش فيه الآن (كان) وفي مرحلة معينة بُعيد (الانفجار العظيم - The Big Bang) عبارة عن جسم أسود شبه مثالي.

أقوال مأثورة:

- توفر لنا طريقة التحليل الطيفي - وكما شرحناها سابقاً - طريقة مذهشة وسهلة نسبياً لاكتشاف وجود وتحديد هوية بعض العناصر الموجودة في مادة نظامنا الشمسي، وبهذه الطريقة نكون قد أمطنا اللثام عن طريقة فعالة لتوسيع مدارك وميادين أبحاث الكيمياء وعلوم المواد إلى ما وراء حدود الأرض التي نعيش عليها، وربما حتى إلى ما بعد حدود المجموعة الشمسية التي تُضيفُنا. لا تتطلب هذه الطريقة العلمية سوى تحليل ومشاهدة ومقارنة عينة مناسبة من الغاز المتوهج موضوع البحث والاستقصاء حتى نتعرف على نوعه وطبيعته وفيما إذا كان متوفراً في الغلاف الخارجي المحيط بشمسنا العزيزة أو ضمن أغلفة غيرها من النجوم البعيدة.

بنسن وكيرشهوف

Gustav Kirchhoff and Robert Bunson (Chemical Analysis by Observation of Spectra), Annalen der Physik und der Chemie, 1860.
من مقتطف لبحثهما الموسوم (التحليل الكيميائي بواسطة المشاهدات الطيفية) المنشور في مجلة حوليات الفيزياء والكيمياء لعام 1860.



ملخص لسيرة حياة المكتشف:

ولد العالم والرياضي الألماني [كوستاف كرشهوف (Gustav Kirchhoff) (1824-1887)] والذي اشتهر بقوانينه المختصة بالدوائر الكهربائية والإشعاعات الكهرومغناطيسية في مدينة (كونكسبرك - Königsberg) في بروسيا. كان والده محامياً ناجحاً وكان هو طفلاً حراً نزعاً كثير الشغب والكلام رغم حجمه الصغير نسبة لعمره آنذاك. قُبِلَ في جامعة (البرتس - Albertus) في مدينة (كونكسبرك - Königsberg) لما بلغ عامه الثامن عشر، وفي الجامعة تتلمذ على يد الفيزيائي الألماني الشهير [فرانز نيومن (Franz Neumann) (1798-1895)] وتمكن خلال تلك الفترة - التي شهدت بواكير عبقريته - من التخطيط والشروع في تجاربه حول خواص وتصرفات التيارات الكهربائية.

تمكن من فهم وتوسيع أعمال الفيزيائي الألماني [جورج اوم (Georg Ohm) (1789-1854)]، حتى تمكن من إعلان قوانينه للدوائر الكهربائية في عام (1845) والتي كان وقعها بالغاً وتأثيرها جماً حفزت وساندت العلماء كثيراً في تحسين فهمهم وحساباتهم للتيارات الكهربائية والفولتيات (القوى الدافعة الكهربائية) والمقاومات في مختلف الدوائر الكهربائية التي تحتوي على دوائر داخلية وتشعبات تصميمية، كما ساعدت كثيراً في تفسير تصرف انسياب التيار وتغير الفولتيات في الدوائر الحاوية على العديد من التشعبات أو العقد. ومما يجدر الإشارة إليه هنا هو أن عمر (كرشهوف) آنذاك لم يكن ليتجاوز الواحد والعشرين عاماً وكان لا يزال طالباً مواظباً في الجامعة.

تخرج في عام (1847) من جامعة مدينته (كونكسبرك) وتزوج من الأنسة (كلارا ريشلوت Clara Richelot) وهي ابنة أستاذه في الرياضيات. سافر الزوجان للاستقرار والعمل في ذات العام إلى (برلين) حيث حصل هو على منصب تدريسي في (جامعة برلين) ظل فيه لمدة سنتين من عام (1848) وحتى عام (1850). عُيِّنَ في هذا العام بمنصب الأستاذ المتميز في جامعة (برسلو - Breslau)، وفي عام (1854) ترقى إلى منصب الأستاذية في الفيزياء في جامعة (هايدلبرك - Heidelberg) حيث قَبِضَ له القدر فرصة سانحة للقاء والعمل مع الكيميائي الألماني [روبرت بنسن (Robert Bunsen) (1811-1899)].

وفي عام (1859) اختمرت في ذهنه فكرة، وتمكن من اقتراح موضوعه بخصوص امتلاك كل عنصر من العناصر لمجال طيفه الخاص به ولا يشابهه فيه غيره - وقد كانت تلك أول خطوة نحو تحديد هوية العناصر المختلفة واكتشاف وتعيين المجهول منها بالضبط -، كما تقدم بقانونه الخاص حول الإشعاع الحراري (Law of Thermal Radiation)، الذي حوى فكرة ضرورة كون تشابه بل تطابق صفات وخصائص ذبذبة الإشعاعات التي يمكن لأي ذرة عنصر أو جزيئة منه من إشعاعها مع صفات وخصائص الذبذبات التي تستطيع امتصاصها، بمعنى أن المواد التي لها قابلية إشعاع غط معين من أنماط الطيف الكهرومغناطيسي ستقوم بنفسها بامتصاص عين ذلك النمط من أنماط الذبذبات. تضافرت جهود (كرشهوف) و (بنسن) وتمكنا معا من دراسة طيف الشمس في عام (1861)، ثم تمكنا من تعيين وتحديد العناصر الكيميائية في الجو المحيط بها. وفي دراستهما المهمة تلك تمكنا من تحديد وجود عنصرين جديدين فيه هما عنصري السيزيوم [رمزه الكيميائي (Cs) وعدده الذري (55) ووزنه الذري (132.9)] وعنصر الروبيديوم [رمزه الكيميائي (Rb) وعدده الذري (37) ووزنه الذري (85.5)].

شرح (جون امسلي - John Emsley) مؤلف كتاب (وحدات بناء الكون) قصة اكتشافهما لعنصر السيزيوم بقوله:

((قام (كرشهوف) و (بنسن) بجمع (30,000) لتر من المياه المعدنية وقاما بغليها لفترات طويلة، ثم تمكنا - وبطرق كيميائية تحليلية معلومة - من إزالة كافة ما تحويه من أملاح عناصر الليثيوم والصوديوم والبوتاسيوم والمغنيسيوم والكالسيوم والسترونشيوم. أما بقية السائل المتخلف عن تلك التعاملات فقد تم تحويله إلى رذاذ نُثر على لهبه مصباح غازي، وتم تحليل طيف الضوء الناتج من تهيج ذرات ذلك الرذاذ بواسطة (مطياف ضوئي - Spectroscope). تمكّن العالمان من تحديد خطين أزرقين نحيفين متقاربين من بعضهما البعض، لم يكن قد تم التعرف عليهما من قبل. وبناء على ذلك أدرك الباحثان بأنهما قد وضعا يدهما على عنصرين جديدين مجهولين لم يكونا قد عُرفا من قبل)).

عُرف (كرشهوف) واشتهر بكونه أول من عزا سبب ظهور الخطوط السوداء الداكنة في طيف



الشمس إلى ظاهرة (امتصاص) الضوء - وفي أجزاء محددة فقط من طيفه الممتد والمقابلة لأطوال موجية محددة بذاتها - خلال مروره عبر الغازات التي تكون الأجزاء العلوية البعيدة (كجو) الشمس. كما تمكن جمعية صديقه العالم (بنسن - Bunsen) من وضع (نظرية التحليل الطيفي - The Theory of Spectral Analysis) والتي مكنت العلماء من إجراء التحاليل الكيميائية للعناصر. بمجرد دراسة الضوء المنبعث من المواد الحاوية عليها. كما تمكننا من إثبات حقيقة قابلية كل عنصر على إشعاع طيف لوني خاص به متميز (تميز بصمة الأصابع الشخصية) يمكن بواسطته التعرف على ذلك العنصر عند تسخينه ودراسة طيف الضوء المنبعث منه وبطريقة لا تقبل الشك مطلقاً. شرح العالمان العبقران أبحاثهما ونتائجهما في الورقة التي نشرها في عام (1860) تحت عنوان (التحليل الكيميائي للعناصر بواسطة دراسة أطيافها) والتي جاء فيها:

((إن أسلوب (التحليل الطيفي - Spectrum Analysis) قابلية متميزة لا بد وأنها ستجعله واحداً من أهم أساليب الكشف عن العناصر المجهولة في نموذج أو حتى في التعرف على عناصر جديدة لم تكتشف بعد. وإذا ما تصورنا إمكانية وجود بعض المواد و/أو العناصر في الطبيعة والتي تحرمنا كميات تواجدها الضئيلة من اكتشافها إياها والتعرف إليها بواسطة طرق التحليل الاعتيادية والتقليدية المتوفرة لدينا الآن، فكلنا ثقة أن الطريقة الجديدة المكتشفة وهي (طريقة التحليل باستخدام ودراسة الأطياف الضوئية) ستمهد لنا الدرب لاكتشاف ما لم يكن بإمكاننا اكتشافه من قبل وذلك بمجرد مراقبة ودراسة أطيافها الضوئية الناتجة من تعريض رذاذ موادها إلى شعلة المطياف. لقد قمنا بالفعل باكتشاف بعض من هذه العناصر الجديدة وكلنا ثقة أن هناك في الطبيعة ما يزال منها الكثير الذي ينتظرنا لاكتشافه)).

كما تمكن (كرشهوف) من إثبات حقيقة أن أي مادة ومتى ما وصلت إلى درجة الحرارة التي تؤهلها لبلوغ حالة (التوازن الإشعاعي - Radiative Equilibrium)، فإن اعتماد نسبة قوة امتصاصيتها (Absorptivity) إلى إشعاعها (Emissivity) ستقتصر على الطول الموجي لتلك المادة وعلى درجة حرارتها فقط.

وكان أول من سك مصطلح (إشعاع الأجسام السوداء - Blackbody Radiation) في عام (1862).

توفيت زوجته (كلارا) في عام (1869) تاركة له أربعة أطفال صغار ... زغب الحواصل لا ماء ولا شجر⁽¹⁾ لإعالتهم وتربيتهم. ولا يخفى ما لتلك التركة الثقيلة من أثر ومشقة على كاهل أي رجل ناهيك عن (كرشهووف) وحالته ومرضه وعوقه. لقد كان الرجل شبه مقعد يمشي على عكازين ويتنقل بواسطة الكرسي المتحرك فكان واجب رعاية أولاده من أصعب المحن وأجل الخطوب التي كان عليه مجاراتها وتقبل تحديها. تزوج مرة ثانية في عام (1872) من (لويز برومل - Luise Brommel) والتي كانت تشغل وظيفة المشرفة على إحدى عيادات فحص البصر المحلية.

لعل خير ما ترك لنا (كرشهووف) من أعماله الخالدة كانت الأجزاء الأربعة لعمله الرائع الذي أنجزه ما بين عامي (1876) و (1894) والذي كان بعنوان (Vorlesungen uber Mathematische Physik) - (محاضرات في الرياضيات الفيزيائية). آتت به (روزنفيلد - Rosenfeld) في مدخله من رائعة (معجم سير العلماء الذاتية) وقد أحسن في بيان فضله في خلقه وعلمه وأعماله حين قال:

((لقد ضحى (كرشهووف) بالغالي والنفيس وعانى كثيراً في سبيل تحقيق الأصالة والوضوح وتوثيق النسخ الكمي في كافة تجاربه ونتائج أبحاثه وذلك باتباعه للأسلوب المباشر الموصل إلى قلب الغاية، ودفاعه واسترشاده دائماً بسهولة العرض ووضوح الفكرة. لقد امتازت طريقته العلمية في التفكير بالوضوح التام في قيمتها العملية المباشرة (كما في حالة وضعه لقوانين الدوائر الكهربائية وشبكاتهما) وفي تطبيقاتها البعيدة المترامية (كما في حالة وضعه لأسس وأساليب التحليل الطيفي) سواء بسواء... أما كفاءته وامتياز كمحاضر فذ وأستاذ جليل له خير إمكانية وقابلية على إيصال المعلومة

(1) تلمازج في ذهني حال صاحبنا المسكين المبطل بمرضه ورعاية أيتامه وحال الشاعر العربي (الحطينة) وأولاده، ذلك الفحل الذي لم يسلم من هجائه أحد حتى حيسد الفارق عمر (رضي الله عنه) عندما هجا (الزبرقان بن بدر) واستعده عليه. فتلمس (الحطينة) عفو أمير المؤمنين (عمر) بقصيدة من بحر الزمل مطلعها: (ماذا تقول لأفراخ يذي مرخ... زغب الحواصل لا ماء ولا شجر) فعفا عنه (رضي الله عنه) وقد جاء ذلك في كتاب (جمع الجواهر في الملح والنوادر) للحصري الفيرواني. (المترجم).



لتلامذته ومستمعيه فقد ظهرت جلية في كتابه المنهجي ومحاضراته (في أجزاءه الأربعة) والذي ظل يُعتبر ناموساً محترماً للتدريس الكلاسيكي والأكاديمي لمواضيع وحقول الفيزياء النظرية في كافة الجامعات الألمانية ولستين عديدة....).

بعد وفاته تشرف الفيزيائي الألماني الشهير [ماكس بلانك (1858-1947) Max Plank] بتسليم منصبه في كرسي الأستاذية للفيزياء النظرية في (جامعة برلين) العريقة تقديراً لجهوده وتثميناً لأفكاره ومنزلته العلمية وإنجازاته. أطلق اسمه على أحد فوهات القمر بقطر (24 كيلو متراً)، ووافقت وأثبتت الجمعية العامة لاتحاد الفلكيين العالميين على تلك التسمية في اجتماعها المنعقد في عام (1935).

مصادر إضافية وقراءات أخرى:

Cardwell, Donald, *James Joule: A Biography* (Manchester, U.K.: Manchester University Press, 1991).

Crowther, James G., *British Scientists of the Nineteenth Century* (London: Paul, Trench, Trubner & Co., Ltd., 1935).

Damour, Thibaut, "Black-Hole Eddy Currents," *Physical Review D*, 18(10-15): 3598-3604, November 1978.

Heilbronner, Edgar, and Foil A. Miller, *A Philatelic Ramble Through Chemistry* (Zurich, Switzerland: Helvetica Chimica Acta, 2004).

James, Joan, *Remarkable Physicists: From Galileo to Yukawa* (New York: Cambridge University Press, 2004).

Joule, James, "On the Caloric Effects of Magneto-Electricity, and on the Mechanical Value of Heat," *Philosophical Magazine*, 23: 263-276, September, 1843.

"James Prescott Joule," in *Notable Names Database*, Soyent Communications, see www.nndb.com/people/275/000049128/.

KLS Martin Group, "Electrosurgery Manual," Gebrüder Martin GmbH & Co.; see www.klsmartin.com/fileadmin/download/Sonderdrucke_PDF/90-604-02-04_09_06_Handbuch_HF.pdf.

Lamont, Ann, "James Joule: The Great Experimenter Who Was Guided by God," in *Answers in Genesis*; see www.answersingenesis.org/creation/v15/i2/joule.asp.

Rosenfeld, L., "James Joule," in *Dictionary of Scientific Biography*, Charles Gillispie, editor-in-chief (New York: Charles Scribner's Sons, 1970).

أفكار فلسفية وآراء للمناقشة:

• سيجد خلال بحثك عن النظام وقوانين الطبيعة، أن هناك الكثير منها التي ترتبط وبمستوى أعمق

بغيرها من القوانين، وهذه القوانين الأكثر عمقاً والأعم شمولية سترتبط بدورها بقوانين أخرى أشد عمقاً وأكثر شمولية.... وهكذا، حتى تصل إلى مركز الشبكة وإلى لب المراد، عندها لن تجد سوى عدد محوري قليل محدود من القوانين الأساسية المبدئية والتي تعمل لجمع وتوحيد (لصق) بقية القوانين ببعضها البعض لتكوين شبكة كامل القوانين الطبيعية برمتها.

ويُطلق على هذه القوانين الأساسية مسمى (قوانين الطبيعة – Laws of Nature) ... وإذا جاز لنا استعارة الجملة الشهيرة من قصة (حقل الحيوان – Animal Farm)⁽¹⁾ فسنقول: ((إن كافة القوانين مهمة ومتساوية... ولكن بعضها أكثر أهمية وأشد مساهمة من غيرها!!!))... لم ولن يمكن جمع العلماء على كلمة فصل سواء بينهم حول ماهية (أهميات القوانين)، ولا على (المبادئ التي تقع على عاقلها مهمة جسر البقية)، ولكنك ستجابه – وبلا شك – صعوبات جمة إن استطعت أن تجد عالماً أو تُفنع آخر بعدم وجودها.

تريفل

James S. Trefl. (The Nature of Science. An A-Z Guide to the Laws and Principles Governing Our Universe), 2003.

مقتطفة من كتابه الجميل: (طبيعة العلوم، المرشد الأبجدي للقوانين والمبادئ التي تحكم الكون).

• إن أي قانون من قوانين الطبيعة هو أولاً وقبل كل شيء (قانون) بكل ما تكتنزه الكلمة وبكامل ما يحتويه المصطلح من أبعاد فكرية ولغوية، وهو تبعاً لذلك شخصية معنوية كاملة الملامح واضحة الحدود لها كيانها الخاص بها. وإضافة القانون للطبيعة بقولنا (قوانين الطبيعة) تتضمن علاقتها (بالطبيعة ذاتها) بطبيعة الحال أي علاقتها بالعالم الحقيقي الطبيعي. قد يصعب تصور العلاقة البينة بين المفهومين وإدراك الرابط بينها أول الأمر.... ولكن لا أحد يناقض فكرة كون انضباط العالم (أو الكون) وفهمنا لهيكلته

(1) واحدة من رائعتي الكاتب والصحفي الإنكليزي [إريك آرثر بلير – Eric Arthur Blair (1903–1950)] والذي اشتهر باسم شهرة كتاباته (كجورج أورول – George Orwell)، وهي قصة كارتونية على لسان الحيوان تناهض الأنكار الشمولية المناوئة لتساوي الحقوق والواجبات. أما رائعته الثانية فهي (في 1984–1984 On) والتي كتبها في عام (1948) وهي رواية سياسية اجتماعية نقدية هادفة لا يزال أثرها حاضراً حتى اليوم في علوم السياسة والاجتماع ومناهج الإعلام الجماهيري. نشرت له العشرات من الكتب والمقالات ودخل اسمه كمصطلح فكري (Orwellian). (الترجم).



قد نبعتُ من إدراكنا لقوانينه. لقد أطلق (بوبر - Popper)⁽¹⁾ على هذا الافتراض مصطلح (قانون الشرعية - Law of Lawfulness).

متلستد ووينكارنر

Peter Mittlestaedt and Paul A. Weingartner, (Law of Nature) 2005.

مقتطف من كتابهما (قوانين الطبيعة).

• ما هي يا ترى احتمالات حصول رجل على ترتيب مناسب لعشرات ومئات الحروف تظهر أمامه على شكل قصيدة موزونة مقفاة أو على شكل قطعة نثرية فلسفية عالية الجودة ثرية البناء والمضمون، هذا إذا افترضنا خلطه بعشوائية لمئات وآلاف الحروف في جعبة ثم إطلاقها لتفترش بعفوية تامة أرض غرفة أو سطح طاولة؟ والآن إذا افترضت استحالة حصولك على ضربة الحظ تلك وباعدت بينك وبين احتمال إنتاج العشوائية ولو لكتاب بسيط مُيسر، فما بالك بصناعة وتنظيم ودقة وتصميم كتاب الكون العظيم؟ وكس من المرات عليك أن تجرب نثر (وبعفوية تامة) لكثير من الألوان ورميها هنا وهناك على قطعة جنفاص بيضاء قبل توصلك (افتراضياً) إلى رسم صورة رجل جالس عند عقب شجرة ويده زهرة؟ والآن ما هو جوابك يا ترى إذا سألتك أيهما أصعب صناعةً وفناً تكوين صورة أم خلق بشر؟ وكس من الوقت وما عدد المحاولات التي على عشرين ألفاً من مكفوفي البصر أن يقوموا بها إذا ما أوصيهم بالانطلاق من أنحاء مختلفة من (بريطانيا) ليجوبوا أقطارها وأريافها ويصعدوا جبالها ويهبطوا أوديتها قبل أن ينتظموا كما تنتظم كتبية مشاة حربية مدربة بذات النسق وبأتم الاستعداد تحت مشارف برج لندن الشهير؟ ... هذا إذا افترضنا أنك لم تخبرهم بهدفهم هذا قبل انطلاقهم من أماكنهم أصلاً!!

ومع صعوبة تصور واستحالة حدوث كافة أمثالتنا الخيالية السابقة، فإنك ستجدها أهون حملاً وأيسر تحقيقاً من تصور ذلك الموعد العظيم المهيّب الذي كانت قد ضربته (لنفسها) المالا نهاية من بلايين بلايين

(1) (1889-1808) Albert Popper - صيدلاني وطبيب يهودي ألماني عاش في فترة حُدد نسل اليهود فيها قانوناً في مقاطعة (وينتربرك - Winterberg) ومُنِعوا من ممتلك الأراضي. حصل هو على استثناء مكنه من دخول (جامعة فيينا) والحصول على شهادة الدكتوراه منها في علوم الصيدلة. مارس الطب والصيدلة وكان طبيب أمير مقاطعة وشوارزنبرك (schwarzenberg) الخاص. (المترجم).

ذرات الكون وجميع جزيئاته لتلتقي كلها جميعاً وبقيم طاقة معروفة وبأشكال مواد موصوفة وبنجوم وكواكب وأحجام وأبعاد مضبوطة ومدروسة لتشكيل كوننا الذي منحنا نعمة العيش فيه دون أن ندري به وبلا حول لنا تجاهه ولا قوة!! (أليس ذلك هو صنع الله الذي أبدع كل شيء!!؟).

تيلوستون

John Tillostone. (Maxims and Discourses, Moral and Divine), 1719.

مقتطف من كتابه (المبادئ والأنظمة والأعراف والمقدسات).



قانون كلوزيس للديناميكا الحرارية

GLAUSIUS'S LAW OF THERMODYNAMICS

1850 ألمانيا π

لا بد لمقدار التغير في قيمة انتالبية أي عملية في الكون أن تكون مساوية أو أكثر من الصفر. تناسب الحرارة ذاتياً من الأجسام الساخنة إلى الباردة وليس العكس.
محاور ذوات علاقة:

القانون الأول للديناميكا الحرارية (THE FIRST LAW OF THERMODYNAMICS)،
والقانون الثاني للديناميكا الحرارية (THE SECOND LAW OF THERMODYNAMICS)،
والقانون الثالث للديناميكا الحرارية (THE THIRD LAW OF THERMODYNAMICS)،
وقانون هس لمجموع الحرارة الثابتة (HESS'S LAW OF CONSTANT HEAT SUMMATION)،
وطاقة كبس الحرة (GIBBS FREE ENERGY)، وسادي كارنو (SADI CARNOT)، ولودويك
بولتزمان (LUDWIG BOLTZMANN)، ووالتر نرنست (WALTER NERNST)، وجيمس
جول (JAMES JOULE)، وجيمس كلارك ماكسويل (JAMES CLERK MAXWELL).

من أحداث عام 1850:

- تم قبول انضمام كاليفورنيا كالولاية الحادية والثلاثين إلى الاتحاد الفدرالي للولايات المتحدة الأمريكية.

- تم إنشاء شركة الخدمات المصرفية المضمونة والسريعة⁽¹⁾ من قبل كل من (هنري ويلز - Henry Wells) و (وليم فاركو - William Fargo) باسم (الأمريكي السريع) تلك

(1) American Express - (Am Ex) - وهي شركة مالية تجارية أمريكية متعددة الاهتمامات، أسست في عام (1850) ومقرها مدينة نيويورك، وهي واحدة من (30) شركة مرموقة مدرجة في معدلات (داو جونز - Dow Jones) الصناعية. وخير ما نعرف به هذه الشركة هو إصدارها لبطاقتها الائتمانية - (Credit Card) و (بطاقات الدفع - Charge Cards) و (تذاكر المسافرين - Traveler's Cheque). تبلغ قيمة أصولها (1.94) بليون دولار ويبلغ مقدار السيولة ضمن بطاقتها الائتمانية 24% من بمجمول السيولة الأمريكية المتداولة بالدولار. (الترجم).

الشركة التي حققت نجاحات عظيمة.

- ابتداء الأمريكي من أصل إفريقي والمناهض الشهير للعبودية ونظامها (هاريت تبمان - Harriet Tubman) بمساعدة العبيد فعليا للهروب إلى الولايات الأمريكية الشمالية الحرة وكندا وذلك باستخدام طريقة حفر الأنفاق وعن طريق خطوط سكك حديد المناجم المهجورة تحت الأرض.

نص القانون وشرحه:

يعتبر (قانون كلوزيس) هذا من بواكير إنتاجاته العلمية وهو بالحقيقة يمثل (القانون الثاني للديناميكا الحرارية - The Second Law of Thermodynamics) وينص على ميل أي نظام مغلق معزول تماماً دائماً إلى زيادة مكنونه من كامل مقدار (انتالبيته - Entropy). والمقصود بها هنا مقدار زيادة ما يحويه هذا النظام من عدم ترتيب. مرور الوقت حتى يصل بها إلى قيمتها العليا داخله ولو بعد حين. ويمكننا التفكير عملياً بما نقصده من تعبير (الانتالبية - Entropy) في حالة أي نظام حركي حراري مغلق (كماينة السيارة مثلاً) بأنها طريقة لقياس مقدار الطاقة المتبددة كحرارة منها، والتي لم يمكن تحويلها إلى (شغل - Work)⁽¹⁾ نافع في تلك الماكينة.

لقد تمكن الفيزيائي والرياضي الألماني [رودولف كلوزيس - Rudolf Clausius 1822-1888] في عام (1865) من وضع قانونيه الأول والثاني في الديناميكا الحرارية واللذين نصا على مضمونهما باللغة الألمانية على الشكل التالي:

(Die Energie der Welt ist Konstant, die Entropie der Welt strebt einen Maximum zu).

والذي يعني:

1 - أن كامل مقدار الطاقة في الكون ثابتة.

(1) راجع معنى الكلمة في صفحة (653). (المترجم). أي

$$\left[w \int p dV \right]_i \left[w = F \cdot d \right]_i \quad w = \Delta E_{kin} - E_{kin} - \frac{1}{2} m V_i^2 - V_f^2$$



2 - تميل اثالبية الكون دائماً إلى الازدياد.

يهتم موضوع (الديناميكا الحرارية - Thermodynamics) في الفيزياء بدراسة ظاهرة الحرارة ويمكن تعميمه ليشمل دراسة كل ما له علاقة بعمليات انتقال كافة أشكال الطاقة من وإلى أي صورة أو شكل، وقد تعجب (حقيقة) من العدد الهائل والصور المتباينة التي يمكننا بواسطتها التعبير عن واقع (القانون الثاني للديناميكا الحرارية) هذا، فعلى سبيل المثال فإن كل ما في الكون من طاقة ومادة يميلان طبيعياً إلى بلوغ أقصى حالة ممكنة من التجانس، هذا من جهة، ومن جهة ثانية يمكننا وبصورة غير مباشرة اعتباره أيضاً مسؤولاً عن تردي حالة دور نامع مرور الوقت إذا ما تركناها بدون تنظيف وعناية، وإلى مرض أجسامنا إذا ما أهملنا نظافتها وإطعامها بالصورة اللائقة وترييضها، وإلى تدهور مظهر وكفاءة سيارتنا إذا ما أهملنا تزيينها وصيانتها الدورية. لقد عبرت، حتى الأعمال الأدبية عن مضمون القانون الثاني للديناميكا الحرارية مباشرة أو ضمناً وذلك في عدة مناسبات؛ منها ما جاء على لسان الطبيب والأديب الإنكليزي الرائع (وليم سومرست موم - William Somerset Maugham) في رواية (طغيان البشر - The Human Boudage) والتي جاء فيها (لا فائدة ترجى أبداً من البكاء على كوب الحليب المسكوب، فلو اجتمعت كل قوى الكون لما جُمع ما انسكب). أما المخرج الأمريكي (وودي الن - Woody Allen) فقد وضع (التفسير الحديث) لمعنى هذا القانون على لسان أحد أبطال فلمه (زوجات وأزواج) والذي أخرجته في عام (1992) عندما قال: «تباً لهذا القانون الثاني في الميكانيكا الحرارية، فإنها كلها بسببه؛ عاجلاً أم آجلاً فكل شيء في الحياة سيتحول إلى (حشالة - Shit)⁽¹⁾، وهذا هو تعبري الخاص ولا للموسوعة البريطانية ولا لكل علومها شأناً به!!».

هذا وبالإمكان التعبير عن هذا القانون بالعديد من الصور والأشكال، ولعل أبسط صورة رياضية له هي:

$$\frac{dS}{dt} \geq 0,$$

(1) أثرت اختيار هذه الكلمة بدل الترجمة (الحرفية) للكلمة احتراماً لذوق القارئ الجليل. (المترجم).

حيث تمثل S - كامل مقدار انثالبية أي نظام محصور.

و ds/dt - هو مقدار دالته مع الزمن، والتي قد تبلغ مقدار الصفر الحسابي فقط في حالة بلوغها مقدار المساواة النهائي.

علينا كلما تمعنا (بقانون كلوزيس) أن نُفَرِّق ما بين الظواهر الذاتية (كمثل ميل قدح ماء ساخن إلى البرودة التدريجية في درجة حرارة الغرفة الاعتيادية دونما أي حاجة أو ضرورة لأي قوة خارجية لتدفعه لذلك) وبين الظواهر غير الذاتية (والتي لا يمكن أن تحدث أبداً بدون تدخل خارجي). لقد صاغ (كلوزيس)، وفي بداية حياته العملية (قانونه الثاني) بالشكل التالي: (لا يمكن للحرارة أن تنتقل من جسم بارد إلى آخر ساخن ذاتي). واليوم، وبالتعبير العلمي الحديث نقول بأن [انثالبية] أي نظام مغلق تميل عموماً إلى الازدياد لحدوث أي ظاهرة ذاتية]. وعلى رغم اتفاقنا الجامع المسبق بأن (كامل مقدار كمية الطاقة في الكون لا بد وأن تُحفظ). بمعنى أنها لا تفنى ولا تستحدث حتى ولو انتقلت من شكل إلى آخر، إلا أن ذلك الانتقال لا يمكن إرجاعه القهقري إذا ما تم ذاتياً. تبرّد الأجسام الساخنة دائماً، ولكن يستحيل على الأجسام الباردة أن تسخن ذاتياً بدون تسليط طاقة خارجية عليها لتسخينها. وعليه بالإمكان إعادة صياغة القانون الثاني ليكون:

$$dS = \frac{dq_{\text{reversible}}}{T}$$

حيث تمثل dS - مقدار معدل تغير (انثالبية) أي نظام و dq - مقدار الطاقة المنقولة إلى ذات النظام على شكل حرارة و T - درجة الحرارة بالمقياس المطلق (كالفن).

والمصطلح الإنكليزي (reversible - انتقالي) يعني أن قابلية انتقال الحرارة في هذا النظام لا بد وأن تتم بصورة يمكن عكسها، أي بمعنى بدون تكوين أي (انثالبية) إضافية غير تلك التي يحتويها النظام بذاته. ومن الجدير بالذكر أن مقدار الحرارة المنقولة لأي نظام لا بد وأن تنتج مقداراً أكبر من التغير في (انثالبية) حينما تكون درجة حرارته واطئة مقارنة فيما لو إذا كانت درجة حرارته أعلى قليلاً أي قريبة من درجة الحرارة المنقولة إليه، وتتجلى أهمية تلك



المعادلات بعدم اقتصار تطبيقاتها على المكنان والمحركات والتشكيلات الميكانيكية خلال اشتغالها ودورانها فحسب، وإنما تتعدى ذلك إلى الاستفادة منها في تفسير ما لا حصر له من المشاهدات الطبيعية والتطبيقات العملية في حياتنا اليومية، فهي قد تمكنت بالفعل من إثبات وجودها في مجال واسع من المواضيع والمناقشات، تراوحت ما بين طلاس الفلسفة وأعاجيب علوم الفلك.

تمكن الفيزيائي النمساوي [لودفك بولتزمن (1844 - 1906) Ludwig Boltzman] من توسيع المفهوم المقصود بالتعريف المقتضبة (للاتالية) و (قانون كلوزيس) عندما اعتبرها أسلوباً وطريقة لقياس مقدار (الفوضى) التي يحتويها أي نظام والتي تُعزى لحركة جزيئاته بتأثير إضافة أي كمية من الطاقة الحرارية إليه. وعليه وكمثال توضيحي للمقصود تعتبر إضافة أي كمية من الحرارة إلى أي نظام بدرجة حرارة واطئة محددة سبباً مباشراً لإحداث تغيرات مهمة جداً في مقدار الفوضى الناتجة عن زيادة نشاط وحركة كافة جزيئاته.

يفرض (القانون الثاني للديناميكية الحرارية) شروطاً صارمة وتقييدات بينة على طرق وأساليب اتجاه انتقال الحرارة وحدود الكفاءة الفعلية العملية التي يمكن للمكانن الحرارية أن تبلغها ولا يمكنها أن تتعداها، حين ينص على استحالة إتمام أي عملية فيزيائية محددة (تجري داخل نظام مغلق، أي لا يستمد أي طاقة إضافية من خارجه) باستخدام الكمية المحددة (بالضبط) من مقدار الطاقة اللازمة لإنجازها وذلك يعود - وببساطة - إلى حتمية خسارة بعض تلك الطاقة وبطريقة ما (غالباً ما تكون على شكل حرارية ضائعة) إلى خارجها. يفسر فحوى هذا المثال وحقيقة ما ينطوي عليه (القانون الثاني الديناميكا الحرارية) حقيقة استحالة تحقيق الكثير الجرم من مكانن الحركة الذاتية الدائمة وفشلها الذريع.

يؤكد (القانون الثاني للديناميكا الحرارية) من زاوية أخرى على ميل أي نظامين مختلفين في درجتي حرارتهما و/أو ضغطيهما و/أو كثافتيهما إلى الجنوح إلى التساوي والتماثل في كافة خصائصهما السابقة إذا ما اتصلا ببعضهما. وإليك هذا المثال لتوضيح ما سبق؛ عندما توضع قطعة معدنية ساخنة في حوض ماء بارد فإنها ستفقد حرارتها وتبرد على حين يبدأ الماء في

الحوض باكتسابها حتى يتم التساوي والتماثل بين درجتي حرارة القطعة المعدنية وحوض الماء التي غُمرت فيه. وفي خطوة تالية تدلنا كافة تجاربنا - وما ينص عليه ذات القانون فعلا - هو استحالة القيام ب... أو إنجاز أي شغل نافع من قبل أي نظام مغلق معزول عما سواه إذا ما بلغت درجة استقراره. ولا بد من وجود طاقة خارجية - وبشكل ما - يتحتم عليها أن تجد طريقها إليه إذا ما رُمنا عكس ذلك، وعليه يُحرّم علينا (القانون الثاني للديناميكا الحرارية) إمكانية تصنيعنا لأي شكل من أشكال المكائن أزلية الحركة.

يدعم القانون الثاني للديناميكا الحرارية - وبقوة - المؤمنين بنظرية الخليقة ويساندهم، بما أنه ينص على استحالة بناء النظام من الفوضى وعدم تمكن أي طاقة دنيا من رفع مقدار أي طاقة تفوقها إلى مستوى أعلى فلا بد إذا لكل هذا النظام الخلاق في الكون ولكل تلك الطاقة التي يكتنزها الكون من مبدع وموجد (سبحانه). وفي إدراكنا لهذا التعميم الشامل والتمثيل البديع علينا أن ندرك أن معظم مقدار النظام والترتيب والطاقة وتحولاتها في الكون ومن ضمنها كرتنا الأرضية وطبيعتنا التي نعيش فيها محفوظاً (ومحفوظة) بصورة ذاتية وهو الذي يدفع بالفعل (بلورة) الماء المتجلد إلى تكوين أشكالها البلورية السداسية الخلابة... مع العلم بأن هذا (القانون) لا يمنع ولا يمانع من تكوّن وتكوين جيوب طاقة هنا وهناك في أرجائه تتمثل بأنظمة أو كيانات فائقة النظام والترتيب هنا أو هناك. يتضح هذا التفكير ويكتسب واقعيته من حقيقة قيام الشمس (بضخ) الطاقة اللازمة لرفع نسبة النظام على هذا الكوكب وتقليل (انتالبيتها) العامة وذلك بصورة شبه أزلية. فطاقة الشمس هي المسؤولة فعلا عن إدامة (عملية التركيب الضوئي - Photosynthesis) على هذا الكوكب والتي تعتمد عليها كافة أنواع الحياة النباتية، المسؤولة بدورها عن إدامة الحياة الإنسانية والحيوانية الأخرى. ونلاحظ هنا أن القانون المشار إليه موضوع البحث يدعو إلى.... ويدافع عن حقيقة ميل الأنظمة المغلقة دائماً إلى فقدان نظامها (بمعنى زيادة مقدار انتالبيتها) ويجعل من احتمالية نقصانها أمراً مستبعداً، ولكنه لا يستبعد أبداً نقصانها العام - على ظهر كوكبنا الأرض مثلاً - بفعل منسوب الطاقة الدائم الوارد إليها من الشمس. كما أنه لا يمانع أبداً من اكتساب الأنظمة



الفرعية ذاتية التصرف التي تكون نظاماً واحداً أساسياً من اكساب الترتيب الإضافي وإنقاص ما فيها من انثالبية - ولكن فقط على شرط فقدانه لنظم فرعية أخرى داخله لشيء من نظامها وعلى أن يكون الاثنان خاضعين لنظام كبير واحد مغلق يفقد هو بدوره - وباستمرار - من (مقدار ترتبيه) أي تزداد (انثالبية) وهذا هو عين المقصود بهذا القانون.

وكما ذكر بشأن كافة القوانين التي جاء هذا الكتاب على ذكرها فإن وضع وابتكار (قانوننا الثاني في الديناميكا الحرارية) هذا، لم يكن ليأتي من مخاض فكر واحد ولا لينتج من قبل، أو يُعزى إلى شخص واحد، فلقد شارك في التفكير به وإنضاجه الكثيرون. منهم العالم الفيزيائي الفرنسي [Nicolás Leonard Sadi Carnot (1796-1832)] والذي كان قد أدرك أن الحقيقة المهمة والاستفادة الهائلة من إمكانية وكفاءة تحويل الطاقة الحرارية إلى شغل ميكانيكي لا بد وأن تعتمد مباشرة على الفرق بين درجتي حرارة الجسمين الساخن والبارد. هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية، فلقد تمكن العالم (بولتزمان - Boltzmann) من اشتقاق القانون من نقاش الاحتمالات التي يمكن أن تتضمنها وتعتمد عليها حركة جزيئات المواد إذا ما اختلفت في مقادير طاقاتها (حركية كانت أم كامنة). ومن جهة ثالثة لا بد لنا من أن نأتي على ذكر علماء آخرين كالرياضي الأمريكي [كلود إي. شانن (1916-2001) Claud E. Shannon] والعالم الألماني المولد الأمريكي الجنسية - [رولف لاندور (1927-1999) Rolf Landauer] واللذين كانا قد تمكنا من إثبات إمكانية تطبيق (القانون الثاني للديناميكا الحرارية) و(مفهوم الانثالبية) حتى على طرق وأساليب الاتصالات وعلى نظرية المعلومات ذاتها.

هناك العديد من الأمثلة والاحتمالات الذهنية ومن بينها بديهية انتشار وتوزع كافة جزيئات الهواء التي تملأ غرفتك أو مكتبك بصورة منتظمة متناسقة لا تدع أدنى مجالاً للتفكير بحدود قيمة كثافة أي نموذج للهواء المأخوذ منها عن قيمة أي نموذج آخر حتى ولو أعدت تلك التجربة وذلك الاختبار لملايين المرات، وذلك يعود بالطبع إلى خاصية الحركة العشوائية ومُحصلتها النهائية التي تُوزع بانتظام تام مقدار طاقة كافة جزيئات الهواء الحركية

فيما بينها. ولكن لايزال هناك احتمال ضئيل وضئيل جداً - ولكنه ممكن إحصائياً - لأن تنتقل كافة جزيئات هواء غرفتك إلى إحدى زواياها تاركة إياك تحت رحمة الاختناق المحتتم نتيجة لانعدام الهواء لديك. ولا يعتبر المثال السابق (خُرافة) بكل معنى الكلمة ولكن قد يُفسّر اضمحلال إمكانية حدوثه إلى الصفر وجود نظرية علمية تنص على أن احتمالية حدوث الزيف عن ضرورة فعل (القانون الثاني للميكانيكا الحرارية) تتناسب عكسياً مع حجم النظام تحت المراقبة (بمعنى زيادة تلك الاحتمالية كلما صغر ذلك النظام)، وتسمى هذه النظرية (بنظرية التقلب وعدم الاستقرار - The Fluctuation Theorem). ومن نتائج هذه النظرية أيضاً أنه يمكننا توقع وحساب مقدار التجانس لكثير من النظم في حين نعجز عجزاً ذريعاً عن تحديد مسار واتجاهات ومقدار طاقة جزيئاتها المفردة بدقة!! وبالمثل فإن القلاع الرملية على الشواطئ الذهبية يمكن بناؤها ولكنها لا يمكن أبداً أن ترتفع بمفردها، ولكن الدقة الرياضية والاحتمالية الاحصائية تؤكد لنا استحالة نفي مثل هذا الاحتمال، ولكنه في المقابل سيكون احتمالاً بعيداً جداً جداً عن الواقع ونادر الحدوث دون إمكانية أحد على نفيه تماماً!!.

ويذهب هذا القانون إلى آفاق بعيدة جداً واحتمالات كثيرة ليبدلي بدلوه فيها... فحتى مخلوق (الاميبا - Amoeba) المجهرى بحركته العشوائية الهلالية يعتبر أكثر انتظاماً وأقل (انتالبية) من محيطه الذي يعيش فيه، وعليه فهو يضيف لمحيطه مقدراً جديداً من (الانتالبية) بمعنى يُساهم بزيادة الفوضى إليه. وإذا ما تكونت بلورة صغيرة من مادة ما أو تولد نجم جديد من تفجّر (نوفا فائقة - Super Nova) في إحدى زوايا الكون، فلا يمكننا - علمياً - أن نقول إلا أن تلك البلورة أو ذاك النجم كانا قد تخلقا لأنهما يمثلان الآن حالة أدنى تحتوي على مقدار أقل من الطاقة الكامنة والتي يمكن أن يتخذها أي احتمال مغاير لذلك الحدث بمقدار طاقة أكبر أي باحتمالية وجود أقل منه، وتمثل كل من البلورة والنجم مثالا واضحا لما سبق أن أكدناه بأن زيادة (الانتالبية) ينطبق عموماً على يحمل النظام المعني بأكمله، دون المساس وبدون أي تناقض مع إمكانية قلته في عنصر أو أكثر من عناصره الأخرى.

والحقيقة فإن الإنسان - وحاله كحال كامل موجودات الكون - يُجاهد طوال حياته.



ويحاول عكس هذا القدر المحتوم ومقاومة تحول جسمه إلى تراب، تماماً كما تصمد القلعة الرملية أمام الموجة الأولى والثانية حتى تنهار أخيراً بفعل ضربة الموجة الثالثة أو التالية... إن كل عمل أو إنجاز وكل حركة أو فكرة ما هي إلا نتاج ثانوي لعملية استهلاك طاقة أكثر وبشكل ما، فالمهندسون يبذلون جهدهم ويديرون آلاتهم وروافعهم ويشغلون عمالهم لبناء ناطحات السحاب. وتحرق أجسامنا الطاقة الكيميائية الحيوية الكامنة الموجودة في الطعام وتحررها لغرض البناء والنمو وتكوين البروتينات المختلفة الضرورية لإدامة الحياة بربط مختلف أنواع الأحماض الأمينية مع بعضها بأسلوب خاص وبنظام مقرر مسبقاً (عن طريق الجينات والأمشاج الوراثية). ويمكننا الغور أعمق في هذا المنظور وتبنى رأي عالم الكيمياء الفيزيائية (بيتر دبليو اتكنز - Peter W. Atkins)، الذي صرح يوماً بأن مختلف التغيرات العشوائية في مناسيب الكهربائية الميكروية المتولدة فيما بين عصبونات أدمغتنا - و صرفها للطاقة - هي ما تولد الأفكار المتناسقة التي نسميها النظريات والقوانين، وهي التي تُنشئ الإيعازات العضلية البناءة التي تتمتعنا بإبداعات الفنون وروائع سمفونيات الموسيقى، وعجائب الإعجاز الهندسي، وهي كلها عبارة عن نتائج استهلاك طاقة وفيها من الطاقة ما يمكن نقلها إلى أنظمة أخرى. ومن وجهة النظر البيولوجية فإن في توليد نظام أكثر احتواءً على الفوضى وذلك بتماس جزيئة من مادة ثلاثية الفوسفات الأدينوسية (ATP) الأكثر طاقة وتحولها إلى شكل شقيقاتها ثنائيات الفوسفات الأدينوسية (ADP) الأقل طاقة، وبالنظام المغلق الذي يجلبها بتماس مع عدة آلاف من الأحماض الأمينية... ستكون تشكيلة رائعة منها في الفضاء العشوائي المجاور، كما يحدث عند تكوين الإنزيم المسؤول عن نقل جزيئة الأوكسجين من هيمو غلوبين كرية الدم الحمراء إلى حيث مكان استخدامها لاكسدة الغذاء داخل خلايا الجسم لتحرير طاقته. أما القاسم المشترك ما بين كل الأمثلة السالفة سواء كانت بناء زلال الخلايا الجديدة أو إطلاق كهربائية الخلايا العصبية أو حتى إطلاق الطاقة المخزونة في الـ (ATP) وتحولها إلى (ADP)، فهو صراعنا وجهادنا من أجل البقاء وهو إصرارنا على الاستمرار في حربنا الخاسرة ضد الفناء. فنهائيتنا جميعاً هي الموت والتحلل والاضمحلال والعودة إلى

الاتحاد والتناسق والتوازن مع محيطنا الذي ولدنا فيه، أي (منها خلقتهم وإليها تعودون).

حاول (كوري اس باول - Corey S. Powell) تفسير معنى (الانتالبية Entropy)

يوماً وذلك بتمثيلها بعملية خلط أوراق اللعب، وقد جاء ذلك في مقالة منشورة شهيرة له بعنوان (أهلاً بالآلات) جاء فيها:

((إن الانتالبية كلمة قلما تجد أحداً لم يسمع بها ونادراً ما تجد من يعرف حقيقة معناها.... هي (تعني) بالواقع مقدار ما يتواجد في كيان ما من نظام (أو معلومات) وما يوجد فيه من لا نظام (أو فوضى). والآن إذا ما تفحصت دسماً جديداً من أوراق اللعب، فإني أقول إنه يحتوي على القليل من الانتالبية والقليل من المعلومات، فلا يمكنك بالحقيقة إلا إيجاد قطعتين من المعلومات الحقيقية (الأولى أن الأرقام والأشكال - وحسب خروج الدست من المصنع - مرتبة تصاعدياً من الرقم واحد إلى تسعة، والثانية هي تسلسل مراتب الصور الموجودة في الدست حسب أهميتها) بمعنى أنه سيمكنك والحالة هذه من النجاح في النقاط أي ورقة تشاء ومن أي رقم أو لون أو شكل وبدون أدنى خطأ حتى وأنت مغمض العينين اعتماداً على التوزيع المنطقي للكروت حسب منوال صفها من قبل المصنع. والآن وبعد خلط الأوراق سيرتفع مقدار مضمونها من كل من (الانتالبية) و (المعلومات)).

يمكن فهم الحالة الأولى بإدراكنا للعشوائية الكبيرة التي تم بها الخلط، ونفهم الحالة الثانية إذا ما أدركنا أنه لا بد علينا من البحث خلال كافة الكروت منهجياً فيما لو إذا ودنا استخراج كارت واحد بعينه من الدست. والآن من المثير بل من المدهش لك أن تعلم أن احتمالية إعادة ترتيب الأوراق - وبطريقة مشابهة لما وصفناه سالفاً من أسلوب ترتيبها من قبل المصنع - بإجراء عملية خلط عشوائية لها هو احتمال وارد، ولكنه يبلغ من الندرة والندرة البعيدة جداً التي تجعل من عملية الخلط عملياً حالة يمكننا بواسطتها الحصول على الترتيب المصنعي للدست حالة مستحيلة فعلاً. فاحتمال حدوثها لا يتجاوز الاحتمال الواحد من مجموع احتمالات تبلغ (العشرة مرفوعة إلى القوة الثامنة والستين)!!.



لقد تمكن أحد العلماء الأستراليين في عام (2002) من القيام بسلسلة من التجارب استحققت الاهتمام ونالت الدهشة، فلقد استطاع عملياً إثبات إمكانية تعطيل المؤقت (للقانون الثاني للديناميكا الحرارية) على مستوى الأنظمة والتشكيلات الميكروسكوبية. ومنذ ذلك الحين وبعد إجراء العديد من الاختبارات والحسابات والتجارب تأكد لدى علماء اليوم بأن هذا القانون (لا ينطبق) تماماً على الأحداث ضمن المستويات الذرية وما دونها وذلك لفسح زمنية قصيرة نسبياً، وعليه وبضمن تلك المستويات يمكننا الجزم اليوم بوجود (زيغ) ظاهر فيه.

أما أهمية بحوث عام (2002) العلمية بهذا الخصوص فقد اكتسبتها من حقيقة إثباتها لإمكانية (إلغاء) فعل القانون الثاني للديناميكا الحرارية بصورة روتينية على المستويات الميكروية ولفترة بلغت حوالي الثانيةيتين.

لقد صرح العالم الفيزيائي (ماثيو شالمرز - Matthew Chalmers)؛ (بأن القانون الثاني للديناميكا الحرارية لم يعد قائماً!!)، وفسر تجربة الفريق الأسترالي بقوله ؛ لقد تمكن فريق الجامعة القومية في (كانبرا - Canberra) بقيادة (دنس ايفانز - Denis Evans) من قياس مقدار التغير في انثالية حبيبات بلاستيكية بلغت أقطارها بضعة ميكرومترات وهي معلقة في الماء. فلقد تمكن أولئك الباحثون من تقصّي وتسجيل مقادير تغيّر (سالبة) في انثالية تلك الحبيبات على طول مجالات زمنية قصيرة بلغت ما يقارب الأعشار القليلة من الثانية. إن هذه المشاهد التي لا يمكن تفسيرها بالاستناد إلى (القانون الثاني في الديناميكا الحرارية)، تبدو وكأن الطبيعة فيها (وعلى النطاق الضئيل لمواصفات.... والقصر الشديد لأزمنة إجراء تلك التجربة) قد سارت القهقري وبدأت تُرجع الزمن إلى الوراء!! لقد تمكنت تلك الحبيبات البلاستيكية الميكروية - حقاً - من اكتساب شيء إضافي من الطاقة استمدته من الحركة العشوائية لجزيئات الماء، الأمر الذي يمكن تصوره مقاربا ولو بالمفهوم الخيالي وارتباطه بما يمكن اعتباره (حقيقة اكتساب لفنجان شاي مصغر للحرارة ذاتياً وشروعه بتسخين نفسه). ولكن مع ذلك فقد لوحظ تراجع النظام بكامله إلى حالة الانثالية الطبيعية الموجبة بعد ثانيتين من الزمن كما دلت عليه قياسات معدلات التغير فيها. وهكذا أمكن التوصل - ولأول مرة - إلى

إثبات إمكانية (كسر) القانون الثاني للديناميكا الحرارية ولفترة زمنية محترمة وعلى نطاق قياسي معتبر. يعكف الفريق الأسترالي في هذه الأيام على إعادة التدقيق في تجاربهم وتصميماتها ومراجعة حساباتهم ودقتها لغرض اختبار صحة ما توصلوا إليه على (النطاق النانوي) هذه المرة لغرض التعرف على بعض المعلومات الجديدة بخصوص التعامل الجزيئي داخل الأجسام الحية وكيفية تأثير مجاميعها المختلفة بعضها على بعض ضمن هذا المستوى. لقد اكتسبت أعمال (إيفانز - Evans) شهرتها وأهميتها لأنها كانت السبّاقة في الإجابة بالإيجاب على تساؤل بقية العلماء والفيزيائيين وتوقعاتهم باحتمال زيف (القانون الثاني للديناميكا الحرارية) وفشله على المستويات والقياسات الضئيلة جداً كالمجالات الميكروية والنانوية.

ولكن قبيل الاسترسال والإفاضة في شرح ملخص السيرة الذاتية لـ (كلوزيس) الإنسان والمفكر والعالم دعني أذكرك بوجود (قانون ثالث للديناميكا الحرارية). ينص (القانون الثالث للديناميكا الحرارية) من وجهة نظر الفيزياء الكلاسيكية على ميل كافة الأنظمة والعمليات إلى التخلي عن كافة فعاليتها وحركتها ونشاطها وسعيها الحثيث إلى اتخاذها لأدنى قيم الانثالبية الممكنة وذلك كلما اقتربت درجة حرارة تلك الأنظمة أو هذه العمليات من درجة حرارة الصفر المطلق والتي تساوي بالضبط $[15, -273]$ درجة حرارة مئوية وتساوي (-459.67) درجة فهرنهايتية. هذا ويعزى ابتكار مفهوم (القانون الثالث للديناميكا الحرارية) إلى الكيميائي الألماني [ولتھر نرنست (1864-1041) Walther Nernst] في حوالي عام (1905). أما الصياغة الحديثة لهذا القانون فتتص على: تقترب الانثالبية (S) من قيمتها الثابتة (So) لأي نظام كلما اقتربت درجة حرارته من درجة حرارة الصفر المطلق (0).

ووفقاً لما وردنا من أفكار (الطليعة المبتكرة - Creative folks) والتي يمكن، الاتصال بها على موقعها الإلكتروني (www.everything2.com) ففي التأمل والتفكير بالحالات والنتائج المتوقعة من حالة حدوث أو الوصول إلى تلك الدرجة الحرارية (درجة الصفر المطلق $-K=0$ أو الصفر على مقياس كلفن) الكثير مما يستحق الدهشة والتبصّر: فلقد تساءلت تلك الجماعة عما يمكن أن يتفرع أو ينتج عملياً من تلك الحالة وأجابت بما يلي:



((لا شك أن الحرارة - ومن المفهوم الفيزيائي البحث - هي عبارة عن أداة ووسيلة لقياس معدل الطاقة الحركية التي تختزنها الجزيئات المختلفة، أو ما يمكن التعبير عنه بصورة أيسر وأبسط بأنها مقدار معدل حركتها عموماً. والآن وبما أن المفق عليه علمياً ومنطقياً بأن المقصود بدرجة حرارة الصفر المطلق هو غياب الحركة تماماً وسكون الذرات والجزيئات، إذاً فبلوغ الجزيئات للسكون معناه بلوغها درجة حرارة الصفر المطلق والذي لا يمكن أبداً الوصول إليه ولا توجد فعلاً درجة حرارة أقل منه، فهذا قد وصلنا عنده لانعدام الحرارة مما يعني انعدام الحركة. والآن إذا ما فكرنا ببلوغ الكون لدرجة حرارة الصفر المطلق فهذه الحالة... (وعلى الأقل فيما يخصنا نحن البشر الذين نفكر في حالنا وأوضاعنا وفيما يخصنا ولا يخصنا...) ستعني انعدام الحركة تماماً، توقف وتعطل كافة التفاعلات مطلقاً وانعدام إمكانية وجود أي مراقب... ولكن أليس من حقنا أصلاً الشك بوجود كون حقيقي لا يحتوي على أي حركة بتاتاً وساكن تماماً ولا يمكن لا مشاهدته ولا مراقبته؟؟)).

ولكن رغم دفاعنا القوي وتبنينا للمفهوم الكلاسيكي الأنف ذكره بخصوص توقف كافة أنواع الحركة والنشاط، وحتى على المستوى الذي عند درجة حرارة (الصفر المطلق)، إلا أنه لا يجب أن يغرب عن بالنا وتفكيرنا وحساباتنا صعوبة وتعقيد النتائج المتولدة من تبني مفهوم درجة حرارة (الصفر المطلق) من المنظور (الميكانيكي الكمي - Quantum Mechanics) والذي يسمى علمياً (بحالة أو نقطة الحركة الصفرية - Zero - Point Motion) والتي تسمح رغم كل شيء (وبعكس الاعتبارات الكلاسيكية) لحالة دنيا من الطاقة (حركية كانت أم كامنة) بالوجود، ويطلق على تلك الحالة اسم (الحالة الدنيا - Ground State)، والتي لها الصفة - الحقيقية - باحتمالية التواجد على مدى ممتد من مديات الفضاء. وبناء على هذا المفهوم الكمي (الغريب!!) فسيكون لذرتين مرتبطتين بلغتنا درجة طاقيتهما الدنيا بوصولهما إلى حالة الحركة الصفرية - وهذا هو المفهوم (الكمي) لما تعنيه درجة حرارة الصفر المطلق بالتعبير الكلاسيكي - قابلية التذبذب الشديد لإحدهما نسبة إلى الأخرى (وهما في درجة الصفر المطلق) بحيث لا تعود تفصلهما الواحدة عن

الأخرى أي مسافة واحدة محددة، ولا يمكن لأي مراقب من تحديد هوية أي من الذرتين بالضبط، ومكان تواجدها في ذات الوقت⁽¹⁾

يستعمل مصطلح (نقطة الحركة الصفرية - Zero - Point Motion) من قبل العلماء للاستدلال على الحقيقة القائلة بأن ذرات المواد الصلبة - حتى ولو بُردت تلك المواد إلى درجات برودتها الفائقة - Super-Cold - State - فإنها لن تبقى ثابتة ولن تحتفظ بذات مواقعها الهندسية في كياناتها البلورية، وإنما ستكتسب في هذه الحالة (احتمالية توزيع وانتشار - A - Probability Distribution) تكون دالة... وتعتمد مباشرة على عاملي (الموقع - Position) و (الزخم - Momentum) لكل ذرة منها. ولقد تمكن العلماء فعلاً في الوقت الحاضر من الوصول بالمواد إلى درجات تبريد فائقة وفائقة جداً حتى بلغت ما لا يزيد على عشرة أجزاء من الألف جزء من الدرجة المئوية الواحدة فوق درجة حرارة الصفر المطلق فقط!! هذا ويستحيل عملياً، وباستخدام الأجهزة والمبردات الاعتيادية بلوغ درجة حرارة الصفر المطلق، وإذا ما افترضنا إمكانهم ذلك - وفي وقت ما من المستقبل البعيد - فإن كافة الأجسام وحتى عند بلوغها تلك الدرجة الخيالية من البرودة، سوف تستمر باحتفاظها بدرجة معينة محددة من مقدار الطاقة، وهي ما نطلق عليه مصطلح (نقطة الحركة الصفرية).

وفي ختام حديثي عن (القانون الثاني للديناميكا الحرارية) سأتي على ذكر بعض الملاحظات بخصوصه منها ما جاء في كتاب (الفضاء الفائق - Hyperspace) لمؤلفه (ميشو كاكو - Michio Kaku) والذي يُذكرنا فيه بالطريقة الذكية الطريفة التي درج

(1) هناك مرحلة علمية (خيالية جداً!!) وطريقة تُقَرَّب هذا المفهوم (الغريب جداً!!) إلى الأذهان؛ وذلك بتصور وجود (توأمن كميئين - Quantum Twins) هما التوأم الأول [ولنطلق عليه اسم (أ)] وهو المجد المجتهد المواظب على الدوام والدراسة، في حين أخيه التوأم الثاني [ولنطلق عليه اسم (ب)] هو الترق المشاكس الذي لا يحب العلم ولا يود الذهاب إلى المدرسة. يمكن بنا، على تصورنا الكميئي السالف ذكره، أن يُفتح المشاكس (ب) أخيه المجتهد (أ) أن يحضر في محله كيؤدي امتحانه النهائي بدلاً عنه، في حين يقضي (ب) وقت الامتحان في إحدى صالات دور العرض الترفيهي (السينما)!! حسب المفهوم الكميئي؛ لن نلاحظ المدرسة غياب (ب) عن أداء امتحانه (وستكون سعيدة ومندهشة للدرجات العالية التي حققها رغم كسله!!) من جهة، وسيكون (أ) على علم بمحتوى الفيلم الذي شاهده (ب) في دار العرض وتمتع به، كما أن (ب) سيكون على علم بمضمون ورقة الأسئلة الامتحانية ويمتعض منها، من جهة ثانية!! (الترجم).



على استخدامها العالم والكاتب البريطاني (سي. بي. سنو - C. P. Snow) لتعلم وتعليم قوانين الديناميكا الحرارية الثلاثة بأشكالها المختصرة العنصرية على النسيان حين قسمها إلى ثلاثة مبادئ وكأنك في لعبة وهي:

1 - **يستحيل عليك الربح.** (بمعنى عدم إمكانيتك الحصول على أي شيء لقاء اللاشيء، وذلك لسبب بسيط يعود إلى قانون حفظ المادة والطاقة).

2 - **يستحيل عليك التراجع.** (بمعنى عند قيامك، أو حدوث أي عمل أو نشاط، لن يمكنك أبدا الرجوع إلى ذات مستوى طاقة الشروع وذلك لوجود خسارة دائمة - ولو ضئيلة - في مقدار الطاقة في كل شيء أي أن هناك زيادة في كمية الفوضى في أي نظام، أي أن هناك زيادة في - إنتالبيتته - دائما).

3 - **يستحيل عليك الهرب من المحتوم.** (بمعنى أن بلوغ درجة حرارة الصفر المطلق ستظل غاية لا تدرك).

أما عالم الفيزياء الفلكية (السر ارثر ستانلي ادنكن - Arthur Stanley Eddington) فقد علق على أهمية القانون الثاني للديناميكا الحرارية في كتابه القيم (طبيعة عالمنا الفيزيائي) بقوله:

((لقد احتل القانون القائل بزيادة الانتالبيتية - وأعني بذلك القانون الثاني للديناميكا الحرارية - المكان الأسمى بين القوانين الطبيعية وقد تربع على عرشها بلا منازع، ولا سبيل لنا في مناقشة ذلك ولا مناقضته فهذا الموضوع لا يعترف أبدا بوجود ما يسمى بالخيار ولا بالتصويت ولا بالديقراطية!! فإذا فرضنا أنك بلغت من العلم عتياً وتمكنت من وضع نظرية فنية جديدة للكون، فرحت بها وعزمت باعتمادها دخول التاريخ، ثم جاء أحدهم وأبلغك بأنها تناقض تناقضاً فكرياً ونظرياً واضحاً مع (معادلات ماكسويل)!!⁽¹⁾ - دعك منه وأنصحك بعدم الاكتراث بما قال وأفصح!... فقد تكون

(1) وضعت (معادلات ماكسويل) كمثال هنا لأنها من أرفع وأرسخ قوانين الفيزياء الحديثة قبولاً وأكثرها دقة من الناحيتين النظرية والتجريبية راجع فحواها ونصوصها على صفحة (586) من هذا الكتاب... (المترجم).

أنت على حق وأن (ماكسويل) المسكين ومعادلاته في موقف حرج بسبب نظريتك الكونية الجديدة هذه، فلك أن تستبشر ولديك فسحة أمل لتحقيق حلمك.... ولكن إن دلت كافة المشاهدات على خطأ توقعاتك وعدم صواب ما تتوقعه نظريتك، فلك الحق أن تقلل من نسبة توقعاتك (لدخولك التاريخ) فقد تكون نظريتك محطنة، ولكن مهلاً... لا يزال لديك فسحة من أمل، فمن أدراك؟ قد يكون السبب خطأ في قياس العلماء التجريبيين لتوقعات نظريتك، فهم ليسوا معصومين، وقد تختلط عليهم الأمور أحياناً. ولكن إن كانت نظريتك الفتية الجديدة لتفسير الكون وظواهره والتي تبغي من ورائها دخول التاريخ و/أو الحصول على جائزة (نوبل) وقد وجدت مناقضة (للقانون الثاني للديناميكا الحرارية)، فعليك والحالة قد بلغت معك مداها، أن تقف وتعتذر للجميع وتنسحب أنت ونظريتك فوراً من مسرح الأحداث فلن تنال من مطاولتك والاستمرار في أملك إلا السقوط والفشل والإهانة والحقول، فها قد بلغت حدودك ولا يمكنك تجاوزها!!!).

للفضوليين فقط:

- لقد كانت أعمال وأفكار (كلوزيس) نظرية بحثة، فهو لم يُقدم أبداً على نشر أي بحث عملي تجريبي طوال حياته!!.

أقوال ماثورة:

- إن في قصة وتاريخ الديناميكا الحرارية للمحمة جليلة ضمت العديد من المبادئ وأشركت الكثير من الناس ولقد كان توزيع الأدوار فيها اوركستاليا - إن صح التعبير -!!! فلقد شارك ما لا يقل عن عشرة علماء بصورة جوهرية أساسية في ابتكارها... وامتدت أعمالهم وأفكارهم في تطورها ونضجها لتغطي مساحة زمنية قياسية بلغت ما ينيف عن القرن، هذا من ناحية، ولكن من ناحية ثانية فإن بمحمل عدد المبادئ التي تم التوصل إليها كان قليلاً جداً،



فلا يوجد هناك إلا ثلاثة مفاهيم رائدة فيها هي الطاقة والانتالبية ودرجة الحرارة المطلقة.

كروبر

William H. Cropper. (Great Physics)

مقتطفة من كتابه (الفيزياء العظيمة).

- لم يساهم أي قانون، لا في تاريخ الإنسان ولا في تاريخ الفيزياء في التأثير على (روح) البشر وتحريرها بقدر ما ساهم به (القانون الثاني للديناميكا الحرارية). ولكن رغم أهميته وشيوع تطبيقاته، إلا أن التاريخ لم يشهد إلا قلة قليلة جداً من المفاهيم والقوانين العلمية التي شابهته إبهاماً أو قاربت منه تعقيداً. إن مجرد ذكرك (للقانون الثاني للديناميكا الحرارية) لكفيل في اذكاء كل ما خبا أو ابتعد (من قرقرة تروس الآلات البخارية)، وكل ما عصي وغم (من تعقيدات الرياضيات المبهمة)، إضافة إلى إبرازه للسطح كل الحيرة والعجب من عدم فهمنا الدقيق لواقع (الانتالبية)... لن يتمكن الكثيرون من اجتياز اختبار (سي. بي. سنو - C. P. Snow) الشهير لتحديد قابلية القراءة الابتدائية ومستوى الثقافة العامة إذا لم يعرفوا بأن (القانون الثاني للديناميكا الحرارية) يعني زيادة الفوضى مثلما يعني اسم (سكسبير) أحد أعلام الأدب الإنكليزي.

اتكنز

Peter W. Atkins. The Second Law

مقتبسة من كتابه (القانون الثاني).

- ستفنى أجساد البشر جميعها ويعود الإنسان إلى تراب الأرض الذي خلق منها. (1) -

Job 34:15 الجزء 15 من الإصحاح (34) من الكتاب المقدس.

- إنه لمن دواعي الدهشة والإعجاب أن تكون عملية زيادة الانتالبية عالمية الوقع كونية

(1) (1) وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿كُلٌّ مِنْ عَلَيْهَا فَأَن * وَيَقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾. سورة الرحمن، الآيتان: 26 - 27 (المترجم).

الحدوث، فكل ما حولك وما في داخلك وما تلاحظه خارج جسمك وفي نطاق أحاسيسك وإدراكك ليلهج بها ويسعى حثيثاً إليها، فالانتالبية الموجبة هي القاسم المشترك الأزلي ما بين عملية احتراق الشمعة وعظمة شروق الشمس وما بين هضم معدتك لطعام غذائها وما بين تقدمك في العمر. لقد قُدر أن يسير الكون في كل ثانية - بل وحتى في كل جزء منها - نحو طريقه المحدد، ليلاقى قدره المحتوم وذلك بتراكم وزيادة مقدار الفوضى فيه، وبتصاعد كميات ومناسيب المعلومات فيما بين طبياته.

بوول

Corey S. Powell. (Welcome to the Machine), New York Times Book Review.

مقتطف من كتابه : (أهلاً بالماكنة).

ملخص لسيرة حياة المكتشف:

ولد الفيزيائي والرياضي الألماني [رودولف كلوزيس (Rudolf Clausius 1822-1888)] والذي اشتهر باكتشافه وصياغته للقانون الثاني للديناميكا الحرارية، والذي كان له أجل الأثر في تقدم وتطور كافة حقول العلوم، في مدينة (كوسلن - Koslin) في بروسيا وهو الاسم القديم لألمانيا اليوم. لقد ولد (كلوزيس) بالمرتبة الرابعة عشرة في تسلسل أولاد عائلته في عام (1822). ولقد اكتسب هذا التاريخ أهمية استثنائية خاصة في تاريخ الديناميكا الحرارية، كونه العام الذي تمكن فيه المهندس الفرنسي (سادي كارنو - Sadi Carnot) من وضع لمساته الأخيرة على عمله الرائع وبحثه المستنير والذي كان بعنوان (انعكاسات وحيثيات استخراج القوة المحركة من النار المحركة) هذا البحث المهم والذي سيكون في المستقبل المنار الهادي العلمي والملمهم الروحي لأبحاث ودراسات (كلوزيس) في تفصيه لصفات الحرارة وانسياب الطاقة وانتقالها وتحولاتها والتأثيرات اللاحقة لكل ذلك على مستقبل تطور المكانس وكفاءتها في أداء أعمالها وعلاقتها في تطور إنجازات البشر وإلى حد يومنا هذا وإلى ما وراء أفق مستقبل الإنسان المنظور.

عمل والده أستاذاً في سلك التعليم وتدرج فيه إلى أن تمكن من افتتاح مدرسة أهلية خاصة به. انتظم (كلوزيس) كتلميذ مواظب في المدرسة التي كان يديرها والده عندما شب صبيّاً. عُرف



عنه ولعله بجمع الأصداف والقواقع البحرية، ذلك الولع الذي تطور إلى هواية حقيقية له، وتمكن في عام (1840) من الانخراط في جامعة برلين، ولقد كان تاريخ تلك الحقبة حافلاً، حيث تمكنت أول سفينة بخارية من عبور المحيط الأطلسي للمرة الأولى قبل ذلك بعامين. أسلمت والدته الروح في عام (1843) عندما كانت تضع طفلها الثامن عشر، الأمر الذي اضطر معه (كلوزيس) إلى المشاركة الفعالة والمضنية في تربية إخوانه الصغار.

برغم مشاغله وأشغاله، لم يدع (كلوزيس) للظلام والجهل دربا إلى عقله ونفسيته، فلقد تمكن في عام (1850) من نشر بحوثه المتضمنة لنظريته في الحرارة. لاقت تلك البحوث وهذه النظرية أذناً صاغية وتقديراً مرموقاً صعد به إلى مطاف المثقفين في تلك الحقبة، فُرض عليه منصباً تدريسياً في المدرسة الملكية للهندسة والمدفعية في برلين قبله واستمر في عمله وتطوير ذاته حتى تمكن من الحصول على منصب الأستاذية في الرياضيات في (مدرسة البولي تكنيك) وهو الاسم الذي أطلق على إحدى الجامعات المرموقة في مدينة (زيورخ - Zurich). شاءت الأقدار أن يصادف في هذه المدينة وخلال ممارسته لعمله في جامعته فتاة أحلامه، وهي الأنسة الفتية الجذابة (ادلheid ريمبو - Adelheid Rimpau) وسرعان ما خطبها وتم زواجهما في عام (1859). لقد كان (كلوزيس) وطنياً شجاعاً لى نداء الوطن والواجب في عام (1870) وشارك في الحرب الفرنسية - البروسية والتي جُرح خلالها فحمل جسمه وسام البطولة أثناء إصابته وهو يقود عربة إسعاف خصصت لنقل القتلى والجرحى آنئذ وإخلاصهم من ميادين القتال. لقد أسدل الستار على حياة زوجته ورفيقة دربه حينما وافاها أجل فلَبَّت نداء القدر وهي تضع مولودها السادس.

لقد استطاع (ميشيل كيولن - Michael Guillen) في كتابه الرائع (المعادلات الخمسة التي غيرت العالم) من التعبير بمنتهى الفصاحة وبأدق العبارات عن شعور (كلوزيس) بالحزن العميق ولكن بذهن العالم اليقظ المفكر لفقدانه لرفيقة حياته حين قال:

((ما أقوى، بل وما أفسى النزال الأبدي غير المتكافئ ما بين الحياة والموت. لقد لَفَّتْ

هذه الحقيقة المؤلمة المدمرة (كلوزيس) في لحظة حمله وتفضحه ليد فقيدته العزيزة

الباردة بكل المرارة والألم، بل وبكل حسرات القلب وأنين الجوارح والذي لا يمكن حتى للرجال الصُّم الراسيات في تلك اللحظة إلا أن تذوب وتذوي لوقعه ولأثره. نعم لقد كان عالماً حصيفاً نذر كل عمره وحياته لدراسة الحرارة وفهمها، ولكنه الآن خاوي القلب خالي الوفاض لا يرى إلا ذبول الكون بأسره ومفارقة النور إياه لرحيل محبوبته وأم أطفاله عنه. أيقن (كلوزيس) وهو في خضم حزنه وشديد وجده أن النزال الأزلي غير المتكافئ والعدالة المفقودة ما بين الموت والحياة والأخذ والعطاء لا تزال وستظل مفقودة أبداً. نعم لقد أنعم عليه ورزق بطفلة ولكنه وفي قرارة نفسه التي أضناها الحزن وخنقتها العبرات ظل يتساءل وهو المفجوع بفقدان زوجته؛ لم ياترى علينا دائماً أن نعاني من جور قانون الحياة الأزلي، الذي يأخذ منا دائماً أكثر مما يُعطينا إياه؟!!).

استمر (كلوزيس) سائراً في ركاب قافلة حزنه وموكب حسرته على فقدان زوجته وألمه من جراء إصابته حتى تكالبت عليه المصاعب والمصائب وصارت تؤثر فعلاً على مسيرته العلمية فأحبطتها، وعلى تقدمه في مجال وظيفته فعطلتها. ومع ذلك وبرغم الصعاب والحزن والمشاكل تمكن (كلوزيس) من المحافظة على حبه لأولاده وتفانيه في الإخلاص لرعايتهم وحسن تربيتهم وإجابة مطالبهم. لقد أثن (روبرت - Robert) أخاه (كلوزيس - Clausius) قائلاً:

((لقد كان أحسن والد عرفته، فلم يعرف الحب لأولاده وفلسذات أكباده حدوداً. كان سعيداً بمشاركتهم لألعابهم ولهوهم وكان الأب والأم لهم، يكفكف دموعهم ويقلل عثراتهم. لقد كان بالفعل نعم الأب الذي لم يدخر جهداً حتى بمتابعة واجباتهم المدرسية ومساعدتهم على تفهم ما غم منها عليهم)).

لم يُطق العيش وحيداً بعد فقدانه لشريكة حياته ولم تسعه الدنيا - بما رحبت - في مكان عمله وفي داره الذي يذكره بفقيدته فقرر شد رحال العودة إلى ألمانيا، وفعلاً تم له ذلك في عام (1877) حينما قبل منصب الأستاذية في جامعة (فورزبرك - Wurzburg) في ألمانيا، فذهب إليها. مُنح صاحبنا (ميدالية كوبلي - The Copley Medal)⁽¹⁾ من قبل الجمعية

(1) Copley Medal - انظر صفحة (394). (المترجم).



الملكية تخليداً وتثميناً لأعماله وأبحاثه، وذلك في عام (1879).

لغرض إدراك أهمية أعمال (كلوزيس) وتقديرها حق قدرها، لا بد لنا من جولة سريعة بين أيام ذاك الزمان والتفاته حصة لأفكار ذلك الأوان - لغرض الإلمام بالأمور والتبصر بأعمال أعلام الحضور، وفي بداية جولتنا نقول؛ لقد تركز جل البحث والتفكير في تلك الفترة حول تقييم كفاءة المكينات المستخدمة لإنجاز مختلف الأعمال من تقطيع الأخشاب واستخراج الفحم الحجري من المناجم ورفع الأثقال ومواد البناء وتحريك قاطرات خطوط السكك الحديدية، وعلاقة ذلك بقابليتها على استخراج (الشغل - Work) النافع بعد حرق الوقود - كالفحم الحجري - داخلها. برز اسم العالم (كارنو - Carnot) في تلك الحقبة بالذات كأبرز من ساهم في أعمال البحث والقياس والتقييم لتلك الآلات، وإلى الدرجة والكفاءة الشخصية التي أهلته حيازة لقب (أبو الديناميكا الحرارية - The Father of Thermodynamics) بلا منازع. ولعل خير ما تفتقت عنه قريحته في هذا المضمار وأنتجه ذهنه وسطه يراعه في هذا المجال، كان بحثه المنشور في عام (1824) والذي كان بعنوان: (Reflexions Sur la Puissance Motrice du feu) أي (انعكاسات وحيثيات استخراج القوة المحركة من النار المحرقة). ولكن (الرياح لم تجرب بما اشتهدت السفن)، فأصيب (كارنو) هذا بمرض الكوليرا في عام (1832). وبناء على الأوامر الصحية الصارمة ولغرض تقليل خطورة نقله للعدوى فلقد تم إحراق كافة كتبه وأوراقه ومسوداته، بالإضافة إلى كافة أوراقه الشخصية الأخرى، فأصبحت كل ابتكاراته وأعماله وكافة بنات أفكاره وأبحاثه، وبين عشية وضحاها طعاما التهمته ألسنة النيران ورماداً تذروه الرياح.

أسقط بيد (كلوزيس)، وصار من أصعب الأمور عليه إيجاد أي أثر أو دليل لما أنجزه (كارنو) فضلاً عن الاستفادة منه في دفع أفكاره هو وتجاريه وآرائه إلى الأمام...

لقد أشغل (كارنو) ذهنه كثيراً وأعمل تفكيره بلا هوادة وواصل الليل بالنهار لغرض فهم أسرار الحرارة وطرق انسيابها وعملها في المكينات وبالأخص استخدامها في إدارة (المكينات البخارية)، وكان ما أقلقه فعلاً في تلك الحقبة وأقضى مضجعه (وبئس) النوم من أجفانه هو

تفوق المكنائين البخارية الإنكليزية في كفاءتها وعملها عن نظيراتها الفرنسية. لقد كان فجر الآلة البخارية - آنذاك - قد بزغ وشأنها قد ارتفع، فكانت سيدة الأعمال والإنجازات بلا منازع. فيها كان الخشب يحرق والفحم يُفلق فتنبليج مما بين حناياه الحرارة الحمراء وتنطلق الطاقة الشعواء التي تحول الماء إلى بخار، يحجز هذا البخار ما بين حنايا أسطوانات الآلة البخارية وهو بضغطة العالي يُشغلها. وحينما تنتهي دورة مكبس الآلة داخل أسطوانته يطرد البخار المتبقي إلى الخارج، فيعود المكبس إلى حال عهده السابق ويستعد لاستلام دفقة جديدة من البخار الساخن المضغوط لرفعه إلى أعلى مرة أخرى، في حين يجد البخار المتخلف طريقه إلى (مبردات) مناسبة لإعادة تكثيفه وإرجاعه إلى المراحل التي تنبؤ وتزأر بتأثير حرارة الفحم المحترق تحتها لتحوله إلى بخار مرة أخرى لإكمال دورة الآلة البخارية في القاطرات والمصانع والمناجم. وهكذا سار الدم في عروق.... ونُفخت الحياة في عالم (الثورة الصناعية الأولى).

حلم (كارنو) وتصور إمكانية وجود الآلة البخارية النموذجية والتي أطلق عليها اسمه، فصارت (ماكينة كارنو) اعترافاً له بفضلها، وأهمية أعماله وأفكاره. أما سر تلك الآلة ومبدأ عملها فكان يفترض بها أن تزود العاملين عليها بمقدار (شغل - Work) مساوياً تماماً لمقدار ما يُضخَّ إلى داخلها من حرارة بلا أدنى خسران، ولا لأي كمية ضئيلة من الطاقة خلال ذلك التحول. اعتمد (كارنو) في أفكاره وابتكاره على الإيمان بآلته تلك ذات الكفاءة المثالية على حقيقة عدم مقاطعتها.... وانتفاء زيغها عن صُلب (القانون الأول للديناميكا الحرارية) والذي ينص على ضرورة خفض الطاقة بمعنى أن أي زيادة في مضمون احتواء أي نظام من الطاقة الداخلية له، لا بد وأن تساوي مقدار الطاقة الخارجية المحقونة إليه ومطروحاً منها مقدار الطاقة المفقودة منها والمستثمرة حقاً على شكل الشغل المنجز من قبلها على محيطها وكل ما هو في نطاق تأثيرها.

هذا ومن الجدير بالذكر هنا عزو وإرجاع فضل وضع (القانون الأول للديناميكا الحرارية) إلى الأعمال والتجارب والأبحاث التي سبق وأن أنجزها وقام بها الفيزيائي الإنكليزي



الشهير [جيمس جول - James Joule] وما تفرع عنها.

أيقن (كارنو) بعد الجهد الجهد الذي بذله والاختبار العنيد الذي أصر على إنجازه، أن فكرته في إنجاز الماكينة المثالية والتي يمكنها الاشتغال وإنجاز الأعمال بالطريقة التي سبق له أن آمن بإمكانية وجودها ما هي إلا ضرب من ضروب المستحيل، فلا وجود لما يمكن تسميته (بالآلة المثالية)!! ويسهل تعليل ذلك إذا أدركنا أن كمية معينة من الطاقة لا بد وأن تُخسر متبددةً إلى المحيط بلا فائدة. بدأ، ومنذ تلك الحقبة تأصل الإدراك القائل باستحالة تحويل (كامل) الطاقة الحرارية المستخدمة (وفي أي ماكينة أو آلة - مهما كانت) إلى طاقة ميكانيكية فعالة منتجة. هذا وقد ذكر (كارنو) مضمون هذه الخلاصة في ورقته الشهيرة التي نشرها فيما بعد بعنوان (انعكاسات وحيثيات استخراج القوة المحركة من النار المحرقة) التي جاء فيها ما نصه:

((يستحيل علينا اعتبار مجرد عملية إنتاج الطاقة الحرارية وتوليدها هي العنصر الوحيد

الفعال لتوليد القدرة (Power) النافعة الممكن استثمارها. هناك عامل ثان لا يقل عن

الحرارة أهمية، بل هو الشرط الأهم الذي بدونه لا فائدة ستجني أبداً من الحرارة...

ذلك هو عامل البرودة!!)).

وعند اختبار واحدة من مكائن (كارنو) الحرارية العاملة، لوحظ قابليتها على امتصاص الحرارة من مصدر لها وتحويل قسم منها إلى عمل فعال وشغل منتج، ولكن ما لا مناص منه كان لابد من لفظ المتبقي من حرارة المصدر من الآلة إلى مركب حراري مجاور الأمر الذي يعني إهدارها إلى المحيط بدون أي فائدة. وخلاصة القول وزبدة الحديث في فهم مبدأ عمل الماكينة البخارية (أي ماكينة بخارية)، هو بإدراك ضرورة وجود عنصرين فعالين في تصميمها وهندستها؛ أحدهما هو المرجل المسؤول عن توليد الحرارة وهو منبعها، والثاني هو المكثف - منخفض الحرارة - الذي يعمل على تفريغ المتبقي منها. وكلما زاد الفرق الحراري ما بين مستودع المنبع والإنتاج وبين مستودع الاستلام والتبريد، كلما زاد مقدار جزء الطاقة الحرارية المتحولة إلى شغل حقيقي فعال، وهذا ما يعني عملياً زيادة كفاءتها.

يمكن كتابة قانون (كارنو) لكفاءة أي ماكينة حرارية تعمل على (مبدأ الديناميكا الحرارية)

بوجود فرق في درجتي حرارة المنبع والمستودع رياضياً بالصورة التالية:

$$e = 1 - T_L / T_H$$

حيث تمثل e - مقدار كفاءة الماكينة و T_L - درجة حرارة الاشتغال الدنيا للماكينة بدرجات حرارة (كلفن) و T_H - درجة حرارة الاشتغال العليا للماكينة بدرجات حرارة (كلفن)... ولا مرء بأن كافة المكينات الحرارية لابد وأن تُزود بالوقود لغرض إحراقه (كشرط أول) لتجهيز الحرارة اللازمة لتمدد الغازات التي ستوجه لتحريك مكابسها لتعمل. ولكن لا ننسى تجهيز الحرارة بمستوى (أعلى) من درجة حرارة المحيط وهو الشرط الآخر الواجب لعملها جميعاً. وبعبارة رياضية أوضح بإمكاننا القول بوجود كون $T_H > T_L$. وعليه فإن الحالة النظرية الوحيدة التي يمكننا من الحصول على الماكينة المثالية الكاملة ذات الكفاءة البالغة 100% ستحقق فقط عندما تكون (T_L) مساوية لدرجة حرارة الصفر المطلق. وفي المقابل لن يكون صعباً علينا الاستنتاج بأنه في حالة تساوي درجة حرارة المنبع مع درجة حرارة المحيط لأي ماكينة أي ($T_L = T_H$) فستكون كفاءتها (صفرًا)، أي أنها عملياً لا تعمل!! ولهذا فإن شرط اشتغال أي ماكينة حرارية تختم عليها الحصول على فرصة (طرد) جزء من طاقتها الحرارية إلى محيطها (الأبرد) نسبياً.

ومن المناسب في هذه المرحلة إجراء نوع من المقارنة ما بين (كفاءة) (Efficiency) الأنواع المختلفة من المكينات عبر العصور، آخذين بنظر الاعتبار أنها الصفة الوحيدة التي يمكن أن تُعبر عن مقدار ما نستخلصه من (رياح) مما ندفعه من مال لقاء الحصول على الوقود لتشغيل مكائننا على اختلاف أنواعها. فإذا ابتدأنا (بالماكينة البخارية) والتي نادراً ما تصمم للعمل بدرجات حرارة تفوق درجة حرارة (100 مئوية)، فإن (T_H) فيها سوف تبلغ (373 درجة حرارة مطلقة)، وفي مثل هذه المكينات البدائية لا يمكن للحرارة (المعدومة) أن تكون أقل من درجة حرارة المحيط التي تعمل فيه... وعليه فبإمكاننا اعتبار (T_L) مساوية لحوالي (300 درجة حرارة مطلقة). والآن ولغرض حساب درجة كفاءة الماكينة البخارية (من زمن كارنو) - والتي كان لها فضل النهوض بكامل (الثورة الصناعية) في الغرب فإن:



$$e = 1 - 300 / 373 = 20\%$$

هذا إذا أمكننا مقارنتها بمنشآت توليد الطاقة الكهربائية الحرارية الحديثة التي تعمل بحرق الغاز الطبيعي واستعمال بخار الماء المضغوط بدرجات حرارة عالية جداً تبلغ [ألف (1000) درجة حرارة فهرنهايت - أي ما يعادل (800) درجة حرارة مطلقة] مع مسربات حرارية ومبردات لا تزيد درجات حرارتها عن الـ (212 درجة فهرنهايت - أي ما يعادل 373 درجة مطلقة)، فإن مثل تلك المولدات سوف تشتغل بكفاءة نظرية قد تصل إلى (54%) أو أكثر قليلاً. قارن نسبة الكفاءة هذه بنسبة كفاءة محركات السيارات ذات التصميم الممتازة - كمحركات سيارات السباق مثلاً - والتي لن تزيد في أحسن الأحوال عن نسبة كفاءة قد تبلغ (56 - 60%) لا غير، ولكن إذا أخذنا بنظر الاعتبار تصاميم الغالبية العظمى من السيارات الشخصية وسيارات النقل والحمل والتي صممت أصلاً لتكون خفيفة الوزن مع قابليات لا بأس بها للمناورة والرفاهة أو القوة في أداء الأعمال فإن كفاءة مكائن مثل تلك السيارات لن تزيد في أحسن الأحوال عن نسبة الـ (25%).

ومن الجدير بالذكر هنا أن (كارنو) نفسه كان قد استبعد ومنذ وقت مبكر إمكانية تصميم أو بناء أي ماكينة مثالية ذاتية أو أزلية الحركة، ولكنه مع ذلك واطب على تحسين أفكاره وتصميمه واستمر على توفير الاستشارات والنصائح وذلك من أجل الارتفاع بمستوى أداء المحركات والمكائن الحرارية إلى أقصى كفاءة ممكنة.

يُطلق على المكائن الحرارية التي تتضمنها السرد السابق اسم (الآلات أو المكائن الدورية - Cyclical Devices or Machines). بمعنى أنها تقوم بامتصاص ولفظ الحرارة وتقوم بإنجاز (شغل - Work) ما تبعاً لذلك. ويستحيل على مثل تلك الآلات بلوغ درجة الكفاءة المثالية البالغة (100%)، كما وتعتبر في ذاتها - لذلك - مثلاً ممتازاً للتطبيقات وحدود (القانون الثاني للديناميكا الحرارية).

تمكنا اليوم إعادة صياغة هذا القانون المهم والحيوي في حياة البشر والكون والمكائن بثلاث طرق هي:

1 - لا يسمح (القانون الثاني) مطلقاً بتحويل كامل الطاقة الحرارية إلى شغل نافع ولا بد من وجود فقدان ما في الطاقة. (حسب منظور اللورد كلفن).

2 - لا يسمح (القانون الثاني) مطلقاً بانسياب الحرارة الذاتي من الأماكن (أو الأجسام) الباردة إلى الحارة. (حسب منظور كلوزيس).

3 - يستحيل إتمام أي عملية أو فعالية أو نشاط في الكون إلا وبمعيته زيادة ملموسة في مقدار الانتالبية. (يقبض مفهوم الانتالبية هذا الكثير مما جاء به كل من كالفن و كلوزيس آنفاً).

يعود تاريخ سك مصطلح (الديناميكا الحرارية Thermodynamics -) إلى العام (1849) حينما ابتكره عالم الرياضيات والفيزيائي البريطاني الشهير [وليم تومسن William Thomson 1824-1907] والذي اشتهر عالمياً بلقب (اللورد كلفن - Lord Kelvin)، وقد جاء ذلك في ورقة بحثه الخالدة التي احتوت تفاصيل عن تصاميم وكفاءة مختلف المكينات البخارية. أما تاريخ صياغة مصطلح (الانتالبية - Entropy) فيعود إلى عام (1850) حينما خطأ (كلوزيس) خطوة أوسع وأبعد في تصوره لتصرف الحرارة وانتقالها وتقدير كفاءة تحويلها أيضاً، وقد حدد تعريفها بأنها مقدار الطاقة الحرارية (المفقودة) والتي لا يمكن الاستفادة منها بتحويلها إلى (شغل - Work) نافع. وكلمة (الانتالبية Entropy) هي كلمة إغريقية الأصل مشتقة من كلمة أخرى هي (Entrepein)، وتعني (التحول). جاء تفسير (كلوزيس) لاختياره لهذه الكلمة بالذات للدلالة عما أراد التعبير عنه في مقالته الشهيرة الموسومة: (Über verschiedene für die Anwendung bequeme Formen der Hauptgleichungen der Mechanischen Wärmetheorie) وترجمتها: (في سبيل وضع عدة أشكال عملية للمعادلات الأساسية المعبرة عن النظرية الميكانيكية للحرارة)، حين قال:

((لقد وقع اختياري على كلمة (الانتالبية - Entropy) الإغريقية لأنها كانت بنظري

أقرب كلمة استطعت التوصل إليها، مبنى ومعنى، من كلمة (الطاقة - Energy)

وذلك لتقارب المفهومين من الناحية التجريبية العملية وتقارب معناهما من الناحية

الفيزيائية البحتة، الأمر الذي حتم الوصول إلى صياغة لغوية تعكس هذا التماثل



وتعبّر عن ذلك التشابه)).

حلل واضع مؤلف (القانون الثاني)، الكاتب (بيتر دبليو أتكينز - Peter W. Atkins) نقاط التشابه وأوجه الاختلاف ما بين كل من (كلوزيس) و (كالفن) بقوله: ((لقد نجح (كلوزيس) أكثر من (كالفن) في (جسر الحقيقة) بيواكير أعماله وتمكن من (بلوغ مربط الفرس)⁽¹⁾، فلقد بين في ورقته المنشورة في عام (1850) بعنوان: (حول القدرة (Power) الحركية للحرارة) (Uber die bewegende Kraft der Wärme) فضل (كلوزيس) على (كالفن) حين قال:

((... وبعده أن استلهم (كلوزيس) مضمون الفكرة التي ابتكرها (كارنو - Carnot) والتي طورها وأضاف عليها كل من (جول - Joule) و (كالفن - Kelvin) على التوالي [ومضمونها - بأن الإلمام الكامل بالمسائل والإشكاليات التي كانت تحيط بمفهوم (الديناميكا الحرارية) هو أمر ممكن]، انصاع هذا الموضوع بفضله إلى التحليل والتهديب والإضافة والتعديل. لقد كان تفكير (كلوزيس) ومنحاه بمثابة المجهر السذي تعمق بدقائق ومجاهل أمور (الديناميكا الحرارية) في حين اهتم (اللورد كالفن) بشمولية الموضوع وتشعباته فكان تفكيره أشبه بالمرقاب الفلكي المكبر البعيد المدى)).

لقد وصف (اتكينز - Atkins) ورقة (كلوزيس) التي سبق له نشرها بعنوان: [Uber die bewegende Kraft der Wärme] - حول القدرة (Power) الحركية (للحرارة) بأنها من أعظم إنجازاته في خلال حياته العملية، إن لم تكن أعظمها على الإطلاق. ولقد أكد (يونك سيك كم - Yung Sik kim) مؤلف كتاب (جهود وفضل كلوزيس في تعميم وتطوير القانون الثاني للديناميكا الحرارية) قائلاً:

((لقد بين (كلوزيس) وبالعبارة ذهن ورجاحة فكر، بأن مقدار كمية الشغل (Work) المنجز من جراء استخدام أي ماكسة أو آلة تعتمد على مبدأ (دورة كارنو)، التي تعتمد أصلاً في

(1) ورد التعبير في أصل النص كالآتي: (Cut closer to the bone than had Kelvin). (المترجم).

ذلك على تحرك وانسيابية الحرارة ما بين مستودعين مختلفين في درجتي حرارتهما من جراء استثمار كمية معينة منها، يعتمد أصلاً وحسراً على الفارق الحراري بينهما ولا يُبالي ولا يعتمد أبداً لا على نوع الوقود المحروق ولا على طبيعة الشغل المنجز)).

وبذلك يكون أول من وضع الفكرة الأساسية الواضحة لمضمون وفحوى (القانون الثاني للديناميكا الحرارية) ووثقها في بحثه الشهير حول الحرارة والمنشور في عام (1850). لقد شكلت تلك الورقة الرائعة باكورة أعمال (كلوزيس) العظيمة وخطوته الأولى على طريق تحليله وتعمقه في دراسة (القانون الثاني)، وتمكن خلال السنين العشرة الموالية من نشر ثمانية بحوث أصيلة معقمة جلية، حاول من خلالها تبسيط هيئة القانون وجعله أكثر سلاسة وأيسر هضماً.

أما ورقته بحثه الرائعة الثانية والتي كان قد نشرها بعد حين بعنوان: (Ubereine Veranderte Form des zweiten Hauptsatzes der Mechanischen Warmetheorie).

– (حول تحوير وتعديل شكل النظرية الثانية في الميكانيكا الحرارية)، فلقد تضمنت آراءه البارعة حول المضي قدماً بتطوير مفهوم (الانثالبية). وتعتبر هذه الفترة أو هذا الحد الزمني هو الفاصل الحقيقي الذي توقف عنده عن استعمال مصطلح (الانثالبية)، وصار أكثر ميولاً للتفكير بـ واستخدام مصطلحه الجديد وهو (التماثل في الانتقالية – Equivalence of Transformations) وكانت تلك هي نقطة شروعه لابتكار ووضع مفهومه الجديد القائل – بعدم قدرة الحرارة ذاتها على الانتقال من الأجسام الباردة إلى الحارة أبداً – وقد توجت كل تلك الأفكار واختصرت كافة الأعمال، بجملته الشمولية الجديدة، والتي كان قد توصل إليها في عام (1865)، وهي: [Die Entropie der Welt Streben in Maximum]، وتعني: (تميل بمحمل كمية الانثالبية في الكون دائماً إلى التعاضم).

لقد ابتكر (كيولن – Guillen) وبراءة متناهية تطوراً متقدماً لموضوع (كلوزيس)، والتي فسر بها رياضياً ضرورة تقادم كل شيء، بما في ذلك الكون في (العمر)، وإن كل شيء لا يد سائر إلى الفناء. ويكتب ابتكار (كلوزيس) ذاك رياضياً على الشكل التالي:

$$\Delta S_{\text{universe}} \geq 0$$



وأحد التعابير الكاركتيرية اللطيفة لمضمون تلك (الجملة) الرياضية تأتي على شكل (شرح) تصرف منظومة أحد المصارف مع عملائه: والتي تجسد بالفعل ما المقصود (بقانون استحالة حفظ الانثالبية) الذي وضعه (كلوزيس) كالآتي:

((إن سر عمل هذا المصرف (وأي مصرف) يعتمد أصلاً على ضرورة وجود (نقود موجبة) في خزائنه تتأني دائماً من ودائع المستثمرين فيه، صحيح أن بعض المصارف الربوية تقوم بمنح هوامش ربح محددة لعملائها وقد تقوم بتقديم بعض التسهيلات في الإقراض والمعاملات كما أنها قد توزع الجوائز والمنح والرواتب وتقوم بدفع مصاريف الإعلانات المختلفة، وهذا ما يعتبر أصلاً (نقوداً سالبة) يخسرها المصرف، وتخرج حقيقةً من خزائنه، ولكن مهما بلغت أقيام (نقود المصرف السالبة) فإنه لا بد أن يتمكن من تغطيتها من أجور المعاملات وفوائد الإقراض وحصيلة المضاربات التي يقوم بها - بأموال ونقود المشاركين والمساهمين فيه - وعليه لا بد أن يبلغ إجمالي نقوده الموجبة - أي ما يربحه من عملائه وأموالهم أكثر من إجمالي نقوده السالبة - أي ما يدفعه ويصرفه لهم، وبخلاف هذه القاعدة وهذا القانون لا بد أن يفلس هذا المصرف إن عاجلاً أم آجلاً وسيغلق أبوابه ويُسرح موظفيه لا محالة)).

لقد امتد اهتمام (كلوزيس) إلى مجال الغازات وتصرفاتها، إلى الدرجة التي حاول معها وضع تصوره الخاص حول حركة الجزيئات الغازية واستعمال نماذجها في تفسير تصرفاتها. وفي ضمن هذا السياق نراه يقترح ضرورة اكتساب جزيئات أي غاز لخاصية الحركة الدورانية - وذلك لتفسير مقدار الحرارة التي يكتنزها - إضافة إلى حركتها الانتقالية بخطوطها المستقيمة المعتادة. وكان قد تمكن بالفعل من التوصل إلى وضع أولى علاقاته المهمة الخاصة بالغازات والتي تربط مقادير طاقاتها الحركية المعرفة بـ «Kinetic Theory of Gases» بقوانين الديناميكا الحرارية. وبعد ذلك كله شرع وابتداءً من عام (1875) بتطوير اهتماماته وأفكاره وتسجيل ملاحظاته وتحسين نظرياته في حقل الديناميكية الكهربائية (Electrodynamics).

لقد كان تاريخ تطور وحركة هذا العلم الوليد ومحاوله ادماجه مع الكثير من فروع

العلوم الفيزيائية المستحدثة والتليدة على وشك البزوغ. هذا وقد نما وتجانس هذا المشروع العلمي الذي جمع كل من الرياضي والفيزيائي الأسكتلندي العريق [جيمس كلارك ماكسويل (1831-1879) James Clark Maxwell] مع (كلوزيس) في عام (1871) حتى تجسّد، وصار يعرف بعلم (الديناميكا الحرارية الإحصائية - Statistical Thermodynamic)، والذي اختص بدراسة وتحليل الموصفات الرياضية لأعداد كبيرة جداً من الجسيمات التي يجمعها نظام واحد، أو تخضع لشروط ومجموعة عوامل متجانسة. كما تمكّن الفيزيائي النمساوي [لودفك بولتز من (1844-1906) Ludwig Boltzmann] في عام (1875) من وضع العلاقة الرياضية المدهشة التي ربطت ما بين (الانتالبية-S) والحركة والتي يعبر عنها بالمعادلة التالية:

$$S = k \ln W$$

وهنا تمثل S - مقدار معدل الانتالبية
و W - العدد الاحتمالي للحالات الممكنة تقمصها من قبل النظام و k - هو ثابت بولتزمن، والذي يمنح (S) وحداتها.
ومن طريف القول إن هذه المعادلة كانت قد نقشّت على شاهدة قبر (بولتزمن)، فأصبحت السمة المميزة له!!.

ولم يتخلف العالم الفيزيائي الأمريكي الحضيف [ريجار د فلبس فينمن - Richard Phillips Feynmann (1918-1988)] عن الإدلاء بدلوّه والمساعدة في تفسير وفهم نموذج (بولتزمن) للانتالبية. وخير ما طرقه من المواضيع ذوات العلاقة كان تفسيره لمبادئ ومفاهيم النظام والعشوائية من وجهة النظر الرياضية البحتة، وقد ذكر ذلك في فصل (الانتالبية والنظام) من كتابه البديع (محاضرات في الفيزياء) والذي جاء فيه:

((دعني أفترض إمكانية تقسيم فضاء معين [سأرمز له بالحرف (أ) ألف، مثلاً] إلى عناصر صغيرة متعددة، يحمل كل منها رقماً خاصاً به (مثل 1، 2، 3، 4... وهكذا). فإذا كان لدينا نوعين مختلفين من الجزيئات (ولنعبرهما باللونين الأبيض والأسود مثلاً)،



فما هو عدد الاحتمالات التي يمكننا افتراض حدوثها إذا رغبنا باصطفاف الجزينات السوداء في جهة من هذا الفضاء واصطفاف الجزينات البيضاء في الجهة الأخرى منه؟ ومن ناحية أخرى؛ ما هو عدد الاحتمالات التي يمكننا الحصول عليها عندما تذهب أي جزيئة إلى أي مكان تريد - وبدون لا ضابط ولا شرط؟ من البديهي أن يكون عدد الاحتمالات في فرضيتنا الثانية أكثر بكثير من عددها في فرضيتنا الأولى. ومما سبق يمكننا أن نستنتج تعريفاً لمعنى (الفوضى - Disorder) وطريقة لقياسه؛ باعتباره عدد الاحتمالات الممكن أن تصطف بموجبه العناصر المكونة لأي نظام؛ بحيث يبدو كل احتمال منها (لأي مشاهد أو مراقب من خارج هذا النظام) وكأنه يشابه كافة الاحتمالات السابقة (أي بحيث لا يمكن للمراقب من ملاحظة أي تغير في النظام). والآن بإمكاننا تعريف (الانثالية) رياضياً بأنها لو غارثم عدد الاحتمالات التي يمكن أن تصف بها عناصر أي منظومة نفسها بدون أن تبدي أي تغير لمراقب خارجي. والآن - كلما كبر حجم عناصر مجموعة ما (محصورة في فضاء محدود) وكلما حددنا حرية تحررها أو قننا أشكال المجموعات المصغرة التي بإمكان تلك العناصر اتخاذها، كلما قلت انثالية ذلك النظام أي زاد نظامه وقلت العشوائية فيه)).

لقد ذكر لنا (جون هتجنسن - John Hutchinson) مثلاً فكرياً لطيفاً، فسر به، وساعدنا على تصور كيفية انسياق أي نظام إلى العشوائية. جاء ذلك في كتابه المعنون (التوازن والنظام والقانون الثاني للديناميكية الحرارية) حين كتب يقول:

((دعنا نتصور وضعنا لنقطة (حبر) في إناء ماء صاف. عند ملامسة نقطة الحبر لسطح الماء ستكون جزيئات الحبر مركزة جداً، الأمر الذي يدفعنا إلى اعتبارها (قريبة) جداً بعضها من بعض. ولكن وبمرور الوقت سلاحظ انتشار (مادة) الحبر خلال كامل إناء الماء. لقد تمكن العلماء من إثبات إمكانية حصول عملية (الانتشار) فعلياً في الإناء بدون أدنى حاجة لأي فارق حراري، وعليه سنستنتج طبعياً عدم حاجة هذا النظام (نقطة الحبر وانتشارها ضمن جزيئات الماء في الإناء) لأي امتصاص أو إنتاج للطاقة خلال عملية الانتشار والتداخل.

وهنا علينا ألا نغفل الفرضية القائلة بأن جزيئات مادة الحبر ستتشتت (وتتحرك) بدون أي ربح في الطاقة أو أي خسارة بها، بمعنى أن العملية سوف تتم تلقائياً).

ملخص ما رمى إليه (هتجنسن) في مثاله وأرادنا أن نفهمه يتجسد واضحاً عياناً إذا ما حاولنا تمثيل التجربة السابقة التي جاء بها واستحضار نموذج يحاكيها؛ والآن لك أن تتصور وجود سطر من المربعات - يمثل كل واحد منها مكاناً محتملاً لتواجد جزيئة حبر داخل إناء الماء، أو تواجد جزيئة ماء صافية دون تداخلها مع جزيئة الحبر. نطلب منك في الخطوة الثانية (تعليم) - أي وضع علامة - للتمييز والتفريق بين جزيئات الحبر وجزيئات الماء... ولتكن أي علامة تحب [كعلامة الوجه المبتسم مثلاً: (Smiley)] ولغرض الشروع في التوضيح دعنا نتفق أيضاً على تمثيل قطرة الحبر الواحدة - بكل جزيئاتها - على شكل ثلاثة أوجه مبتسمة متصافة كما يلي:

				☺	☺	☺			
--	--	--	--	---	---	---	--	--	--

يبقى كافة جزيئات قطرة الحبر متراسة مع بعضها - (وهذا ما اتفقنا على تمثيله بالشكل الأنف - على كون الوجوه الثلاثة متراسة مع بعضها)، لا يمكننا إلا وضع ثمان تشكيلات مختلفة في المواقع العشرة السابق افتراضها، على اعتبار كون جزيئات الحبر الثلاثة أعلاه متشابهة تماماً ولا فرق بينها أبداً، وأنها مجموعها (3) تمثل كامل قطرة الحبر المستعملة.

ولكننا وبطبيعة الحال سوف نحصل على عدد أكبر من الاحتمالات إذا حاولنا التلاعب وتغيير أماكن (جزيئات القطرة - ونعني بذلك الأوجه المفردة كل على حدة). وعليه يمكننا وضع الاستنتاج الأول التالي وهو: أن احتمالات توزيع (القطرات الكاملة) فيما بين جزيئات سائل أو انتشارها، لا بد وأن يكون أقل من عدد احتمالات توزيع (جزيئات القطرة الكاملة) فيما بين جزيئات نفس السائل. وباستعمال نموذجنا السابق يمكننا أن نرسم الشكل التالي:

	☺			☺		☺			
--	---	--	--	---	--	---	--	--	--

سنحصل - رياضياً - وباستخدام هذا التمثيل على مجموع احتمالات مقداره (112) في حالة إعادة توزيع الجزيئات مع افتراضنا احتفاظها (بعد اختلاطها) بعضها ببعض من ناحية، وضرورة افتراضنا أن كافة الجزيئات الممثلة في هذا النموذج متماثلة تماماً وتشبه الواحدة منها



الأخرى من ناحية ثانية. أما عدد الاحتمالات الممكن إعادة تشكيل الجزيئات بها - وبدون أي تكرار - فسيبلغ (120) احتمالاً. وعليه يمكننا الاستنتاج بسهولة بأن احتمالية احتفاظ كافة جزيئات قطرة الحبر بنظام تراصها مع بعضها (الممثل بوجود الوجوه الثلاثة متقاربة مع بعضها في نموذجنا السابق) سيبلغ معدل احتمالية مقداره 8 مرات فقط من مجموع الـ (120) احتمال. تنص (النظرية الحركية) على وجوب كون كافة جزيئات أي مادة أو عنصر في حالة حركة عشوائية مستمرة، تعيد خلالها ترتيب جزيئاتها بصورة فوضوية غير التي كانت عليها قبل هنيئة من الزمن. وبما أن الغالبية العظمى من هذه التشكيلات التي تتخذها الجزيئات لا يؤهلها (للاصطفاف المنتظم) لتكون (حالة القطرة) شديدة الانتظام قليلة الفوضى ولذلك فإننا لا نرى (القطرة) بعد إسقاطها في إناء الماء. وإنما علينا أن نستنتج - طبيعياً - بأن الغالبية العظمى من جزيئات تلك المادة وللغالب الأعم من وقت تواجدها ستكون بالحالة العشوائية (البعيدة فعلياً عن تشكيل القطرة). يحدث التداخل والتمازج ما بين جزيئات الماء وجزيئات الحبر لوجود الكثير من تشكيلات واحتمالات الاصطفاف الجزيئي العشوائي والتي (لم تحدث بعد) من التي قد حدثت فعلاً، وعليه تستمر الجزيئات بالاختلاط والتمازج (وتتصرف ضمن حركتها العشوائية) المعتادة مرة بعد أخرى لأنها بذلك تقترب شيئاً فشيئاً وبمرور الوقت من الحالة المستقرة النهائية المحتملة. لتوضيح أمثلتنا السالفة أكثر، وباستعمال لعبة (الديناميكا الحرارية) ذاتها يمكننا أن نقول بأن افتراض وجود احتمالات الأماكن الـ (112)، وهي ما يطلق عليه رياضياً W - أي الحالات الاحتمالية الصغرى - (Microstates)، هو ما يُنشئ الحالة (أو الحالات) الواقعية الكبرى (أي الحالة الفعلية). وحالتنا الفعلية (الكبرى) في مثال نقطة الحبر في إناء الماء هي بامتزاجها معه. وللسبب السابق عينه - وباستعمال القانون الرياضي التالي:

$$S(W) = K \ln W$$

سنتمكن من حساب مقدار (الانتالبية)، وبذلك سنقتنع (أو على الأقل سنشعر) بحقيقة... لم ستزداد انتالبية أي نظام إذا ما زادت حالاته الاحتمالية الصغرى. وسيمكننا هذا المثال من إعادة صياغة (القانون الثاني للديناميكا الحرارية)، فنقول بأنه كلما عظم حجم (أو مساحة)

أي نظام فإن مجمل مقادير الاحتمالات الموجودة فيه سترداد (و نعني بذلك زيادة قابليته على الامتزاج بأي مادة أخرى تضاف إليه، أو تختلط به)، وعليه سيكون حاوياً على مقدار أكبر من الانثالبية وعليه فإن كثرة التحركات العشوائية (الذاتية) لمكوناته (..... حالاته الاحتمالية الصغرى) ستمكّنه من بلوغ حالات تحتوي على كمية انثالبية أكبر.

ولنا اليوم أن نتذكر إنجازات (بولتزمان - Boltzmann) العظيمة ونكبر من شأنه لتوصله إليها، كما لنا أن نتذكر مآسيه ومصاعبه وانتحاره لنحزن عليه. لقد توصل الرجل بأفكاره وأعماله التي أحاطت بمفهوم (الديناميكا الحرارية)، كما أحاطت بظواهر (الحرارة) ومنظور (العشوائية) إلى ضرورة وجود مفهوم (أجزاء صغيرة جداً - أسميناها لاحقاً) الذرات، يعتمد عليها ويفترض تحركها المتكرر والعشوائي لغرض تفسير ظاهرة الحرارة كصفة احتمالية إحصائية للمواد. ولكن القدر لم يكن في صالح عقله المستدير، ولا مع حظّه في الريح الوفير فقدّر له وجود الثلة من معاصريه، ونذكر منهم الفيزيائي النمساوي المرموق [Ernst Mach (1838-1916)] والكيميائي الألماني العتيد [Wilhelm Ostwald (1853-1932)] اللذان لم ينفكا أبداً عن جداله واستسخاف آرائه، فهما لم يكونا ليكتفيا بجداله علمياً وتفنيد ما ذهب إليه منطقياً، وإنما طفقاً يشيعان عنه الإشاعات وينتقصان من شخصه ومن أفكاره.

بلغ (سيل - بولتزمان من جراء انتقاداتهما اللاذعة - الرُبى)⁽¹⁾ وساءت حالتهما الكتابية والانكفاء اللتان لازمتاه، فعمد إلى الانتحار في عام (1906). ظهر من التحليل النفسي (الرجعي) المتقدم - بعد وفاته - إصابته ومعاناته من (الأعراض الانفصامية الحادة - Bipolar Disorder) وضعف معدلات صبره وتحمله للضغوط العصبية والنفسية، واللائي كنّ يتعاضدن ويستفحلن في خلال فترات نقاشه المحتدم مع زملائه وعند شعوره بالمهانة والانتقاص والتقليل من شأنه من قبل معاصريه. كل ما قد وصل إلينا - على وجه اليقين - حول حالته في أيامه الأخيرة، وعن حادثة انتحاره أنه كان قد قرر قضاء فترة عطلة

(1) والرُبى - هي أعالي الجبال وسامق الارتفاعات التي تتخذها كريات الطيور الجارحة أعشاشاً لها. (المترجم).



للاستحمام والراحة، وكان قد اصطحب معه كل من زوجته وابنته، ولم يلتفت الجميع إلا وقد علّق رقبته بحبل أنشطه بفراع جبار لشجرة عالية بجانب حوض السباحة وشنق نفسه!!
ومقاييسنا اليوم وبضمن مفهومنا الحديث للعلوم لا نرى أي شائبة من محاولات (المسكين)
اشتقاق مفاهيم الديناميكا الحرارية من افتراض وجود جسيمات صغيرة جداً تكون صُلب
المادة الغازية - أسميناها بالذرات ولكن علينا ألا ننسى أيضاً أن علماء الحقبة التي عاش فيها
(بولتزن) ومفكرها لم يكونوا يؤمنوا بوجود شيء اسمه (الذرات) في ذلك الزمان.
وصف واضع كتاب (تاريخ الضوضاء) المؤلف (ليون كوهن - Leon Cohn) (بولتزن)
بكل العلمية والموضوعية والتعاطف بأنه كان:

((رجلاً ولا كل الرجال)... لقد امتاز بولتزن في بكل شيء ونجح في كافة مساعيه،
فلقد كان فارح الطول، عظيم الجثة قوي الشخصية ذو شهية طاغية عارمة للطعام
وللتنوع فيه. أحب السفر بشغف وأولع بالإثارة بولّه، كما كان وسيماً، وكان مرحاً
يحب النكتة والحياة (في حالات صحوته)... ناهيك عن ذكر إنجازاته العلمية الفريدة
وأعماله الخالدة. إلا أنه عانى وفي ذات الوقت من نوبات قاتلة من الكآبة والانطواء،
وكان غضبه (في سوراته) جباراً قد يبلغ به أحياناً مبالغ الجحيم. ومن نافلة القول
وسخرية القدر أن نذكر أنه كان عالماً فذاً ورجلاً مقداماً لم يفشل في حياته قط فقد كان
النجاح حليفه دائماً... حتى في إقدامه على الانتحار!! ولكنه كان في مجمل مسيرته
لطيف المعشر حلو الحديث وكان يُغَمّ عليه معرفة أسباب معاداة أصدقائه العلماء له
وانتقاصهم من شأن أفكاره، رغم إيمانه الراسخ بأن ما كان يرمي إليه لم يكن سوى رغبته
الصادقة بتقدم العلم وحبه الشديد لاكتشاف ما يمكن أن يستجد فيه. ورغم المآسي التي
صاحبت حياته، إلا أن هناك بعض ما يثلج الصدر ويعزي النفس في سيرته الصاخبة
المحرّنة...، مثلما جاء على لسان العالمة والفيزيائية المكتشفة لظاهرة الانشطار النووي
(ليزا ميتنر - Lisa Meitner)، والتي ذكرت (بولتزن) بأنصع صورة ووضعت
تصرفاته بأحلى إطار حين قالت: كيف لي أن أنسى أستاذي ومعلمي (بولتزن) والذي

كان القدرة لنا جميعاً في اندفاعه وطموحه وإخلاصه في إيصال كل ما كان يروم تعليمنا
إياه بحيث علق في ذاكرتي أننا كنا في صدد إبحار جديد واكتشاف عظيم في مستهل
كل محاضرة حضرناها له، ناهيك عن خلقه اللطيف وتعامله النازك معنا الأمر الذي لم أر
بجماله ولا حلاوته مثيلاً ولما تبقى من عمري ومن عاشرت من زملائي)).

وبعد هذا السفر الممتع للبعض (أو المضني للبعض الآخر) دعني أختتم موضوعي الذي تناولت
فيه بالشرح والإسهاب توضيح المقصود العلمي من (قانون كلوزيس للديناميكا الحرارية) بطرح اللغز
التالي والذي عادة ما أختتم به مواضيعي ومحاضراتي لطلائي والذي غالباً ما نال استحسانهم...
دعني فقط أذكرك - وبسرعة - بالاحتمال الضئيل - والضئيل جداً - الذي سبق طرحه،
وهو احتمال اختناق أحدنا في غرفة إذا ما صادف ارتحال وهجرة كافة جزيئات الهواء
المتواجد فيها إلى إحدى زواياها... ولا حاجة للتذكير بقرابة (صفرية) هذا الاحتمال بالنظر
للحركة العشوائية لجزيئات الهواء فيها. ولكن لغرض إدراك هذه الاحتمالية (الشبه صفرية)
دعني أبتكر مسألة بسيطة، أفترض فيها وأتساءل عن مدى احتمالية (قفز وهجرة) عشر
جزيئات فقط من هواء الغرفة (وتجمهرها) في إحدى زواياها والتي لن تشكل أكثر من
10% من مجمل الحجم الكلي لها؟

وإليك الحل: لنفرض ابتداءً - ولغرض تبسيط المسألة - وجود جزيئة هواء واحدة فقط
شاءت أن (تتمرد وتقفز) بنفسها إلى زاوية الغرفة مبتعدة عن موقعها الطبيعي الذي يمليه عليها
أسلوب حركتها العشوائية الذي يمليه عليها اصطداماتها ببقية الجزيئات المحيطة بها. بحساب
الصدفة فقط فإن لها احتمالاً يبلغ 10% أو (العُشر) أن تصل إلى موقع جديد محدد مسبقاً في
الزاوية التي يبلغ مجمل حجمها 10% من حجم الغرفة ككل. ولكن إذا افترضنا وجود
جزيئتين بالسيناريو السابق (أي افترض تحركهما لبلوغ الزاوية) فإن الاحتمال الإحصائي
لتحقيق ذلك الافتراض سيتقلص ويقل كثيراً عما هو الحال عند وجود جزيئة واحدة، فهو
سيصبح $[1/10 \times 1/10 = 1/100]$ فقط، ولكن إذا فكرنا بالجزيئات العشرة التي ابتدأنا بها فرضيتنا
فسيقلص الاحتمال أكثر إلى احتمال واحد من (10،000،000،000) احتمال!! وإذا



أكملنا حساباتنا على هذا المنوال فإن حظ (100) جزئية في بلوغ زاوية الغرفة التي لا تشكل أكثر من 10% من كامل حجمها سيتضاءل ليصبح احتمالاً واحداً من (كوكول - Googol) احتمالاً لبلوغ هذا الهدف. والكوكول - هذا وللعلم فقط - يبلغ رقماً مهولاً هو العدد عشرة وأمامه (100) صفر!! أي العدد عشرة مرفوعاً إلى الأس (100). وبحساب معقد نوعاً ما نستنتج بأن الزمن اللازم لكل (المئة) جزئية لبلوغ زاوية الغرفة سيستغرق دهرًا يضاهي عدد مضاعفات عمر كوننا الحالي. بمقدار هو العدد عشرة مرفوعة إلى الأس $80 (10^{80})$. لقد أعجب الرياضي والكاتب الألماني (روبرت ارلخ - Robert Ehrlich) بالطرفة السابقة كل الإعجاب وقام بإجراء بعض الحسابات الذي جاء ذكرها في كتابه الجميل (ما الذي سيحدث إذا تمكنا من إعادة البيضة المخفوقة سالمة صحيحة إلى داخل قشرتها؟) حين أوضح أن معدل عدد الجزئيات الموجودة في غرفة اعتيادية يبلغ على وجه التقريب... الرقم عشرة مرفوعة إلى القوة 27 - أي (10^{27}) وعليه سيبلغ احتمال تجمعها جميعاً واحتشادها في زاوية الغرفة مبلغاً لا يكاد يذكر لضآلته - وبسبب حركتها العشوائية - وهو:

$$10^{10^{27}}$$

إن ضآلة هذا الكسر قد تتوضح لنا أكثر بحساب الاحتمالات إذا قارناه وساويناها باحتمال إمكانية قفز تمثال الحرية (الأمريكي) إلى السماء وتصفيقه بيديه تاركا مشعله ليسقط في البحر!! ولا تعجب عزيزي القارئ من هذه الأرقام والاحتمالات الافتراضية، ووفر عجبك إلى الحالات العملية الفعلية والتي تنطبق على جزئيات الغازات الحقيقية والتي لها خاصية الانتشار في الفضاء إضافة إلى خاصيتها في الحركة العشوائية وهذا ما يعني تولد احتمالات مواقع جديدة كثيرة أخرى اعتماداً على المواقع المتغيرة السابقة واللتان تتضاعفان مرات ومرات بمرور الزمن. دعني أختتم هذا (الصداع) بملاحظة واحدة أخيرة وهي تتعلق بربط مفهوم (الطاقة -

Energy) بـ (الانثالبية - Entropy)...

يعرف مصطلح (طاقة كبس الحرّة - Gibbs Free Energy) بأنه مقدار ذلك الجزء من طاقة أي نظام ديناميكي حراري والذي له القدرة على إنجاز (شغل - Work) نافع. ويمكننا

اشتقاق التعريف السابق والذي يرمز له بالحرف (G) من (قانون كلوزيس) وعليه سيكون:

$$G \equiv U + PV - TS$$

حيث يمثل G - مقدار طاقة (كبس) الحرة و U - مقدار الطاقة الداخلية للنظام و P - ضغطه و V - مقدار حجمه و S - مقدار الفرق في انتالبيته
تشكل المتطابقة السابقة مع المعادلة التالية

$$\Delta G = \Delta H - T \Delta S$$

حيث تمثل ΔH - مقدار التغير في انتالبية النظام (أي مكنونه الحراري).
تبرز الأهمية البالغة لمثل المعادلات والمتطابقات السابقة جلية إذا أدركنا أهميتها وتطبيقاتها في مجالات الكيمياء الفيزيائية وحين ينصب اهتمامنا على ضرورة معرفتنا المسبقة فيما إذا كان أي تفاعل في الطبيعة سيتمكن من المضي قُدماً إلى نهايته تحت ظروف ثابتة من درجة الحرارة ومنسوب الضغط أم لا! لا بد لأي عملية أو تفاعل أو حادثة في الطبيعة - والتي تتم بصورة ذاتية بدون أي تدخل لطاقة أخرى في أحداثها أو استمراريتها - أن تكون متصاحبة، وبعية مقدار تغير سالب في مقدار (طاقة كبس الحرة G) في حيز النظام الذي تتم فيه: أي $[\Delta G < 0]$ (ولي الحق أن أذكر هنا أنه لولا هذا القانون لما استطعت أنا شخصياً من إكمال ترجمة هذا الكتاب).
أما مصطلح (طاقة كبس الحرة - Gibbs Free Energy) فقد اشتق من اسم الفيزيائي والعالم الكيميائي [جوشيا ولرد كبس - Josiah Willard Gibbs (1839-1903)] والذي عُدّ واحداً من أعلام العلماء الأمريكيين الذين عاشوا خلال فترة القرن التاسع عشر. وقد جاء في وصفه والتعريف به في الموسوعة البريطانية على لسان الكاتب (ج. ج. كوثر - Cowther) ما يلي:

((لقد نذر (كبس) نفسه للعلم فلم يتزوج مطلقاً، وظلّ عازباً يعيش في دار أخته، وفي خلال سني عطائه، كان رجلاً سامق القامة، وسيم الملامح، طيب الخلق، لطيف المعشر، جزل الحديث، وإن كانت محاضراته صعبة المنال وعزيرة الفهم إلا من قبل أخصار الطلبة النجباء وطلبة أذكيائهم..))



لقد كان وقوراً في تصرفاته وأفكاره، ونال إعجاب أصدقائه وجيرانه، إلا أن سوء طالعته أوجده في زمن طغت الحياة المادية والأسئلة العملية والإنجازات الملموسة على عقلية الأمريكيين وشكلت حياتهم واستحوذت على جُلِّ اهتماماتهم، وعليه لم تلق إبداعاته الفكرية ولا إنجازاته النظرية القدر الكافي من الرعاية ولا ما تستحقه من احترام وتقييم وتبجيل خلال فترة حياته. وبناء على ذلك نراه قد اعتزل الحياة العامة في مدينته (ييل - Yale) وعافتها نفسه وانزوى بنفسه وأفكاره إلا عن المقربين له من أصدقائه وطلابه. وبناء على ما سبق لم يتمكن (كبس) من إيجاد التأثير المناسب مع مكانته العلمية وملكته الفكرية على المجتمع العلمي الأمريكي آنئذ، والذي لم يعره بدوره أي اهتمام لا لشخصيته ولا لعبقريته)).

قارن كبس (وبأسلوب فطن، ذكي) ما بين منحى وطريقة تفكير معظم الرياضيين وما بين منحى وتفكير أغلب الفيزيائيين. وقد نقلت دورية العلوم الشهرية في عددها الصادر في شهر كانون أول (ديسمبر) من عام (1944) قوله ما يلي:

((بإمكان الرياضي - أي رياضي - أن يقول ما يشاء، ولكن على الفيزيائي الحضيف ألا يصدق كل ما يقال له...)).

أشار مؤلف كتاب (فيزيائيون عظام)، الكاتب (وليم اتش. كروبر - William H. Cropper) إلى منزلة (كبس) وما قدمه إلى حقل علوم الديناميكا الحرارية بقوله:

((لقد كانت منزلة (كبس) نسبة للعلوم الديناميكا الحرارية، كمنزلة (نيوتن) لفيزياء القوى والجاذبية. فلقد انبرى بشجاعة واقتحم بإقدام كل المواقع التي تردد (كلوزيس) نفسه بافتحامها .

لقد أدرك (كبس) وبوقت مبكر العلاقة التي تربط ما بين الطاقة والانثالية واستفاد منها كل الاستفادة خصوصاً في دراسته للتغيرات والتفاعلات الكيميائية، وتمكن من إضافة المصطلح العلمي والعملية المهم المعروف (بفرق الجهد الكيميائي الكامن - Chemical Potential Difference) ... واتخذ أساساً لنظرياته وأفكاره في

هذا الموضوع والذي فتح - حينما جاء ذكره في أطروحاته وأبحاثه - الباب واسعاً على مصراعيه وأخذ المشهد الحراري إلى أفق أرحب، وأبعد بكثير مما اختطته له النظرية الحرارية بفهوم (كلوزيس) نفسه...)).

هناك قانون آخر ذو علاقة اسمه (قانون هس لمجمل الحرارة الثابتة - Hess's Law of Constant Heat Summation) وقد اكتشفه العالم الكيميائي السويسري المولد، الروسي الجنسية [جرمين هنري هس Germain Henri Hess 1802-1850]، والذي ينص على أن مقدار كمية الحرارة الممتصة أو المنبعثة من أي تفاعل كيميائي حراري - سلمي الحرارة كان أم إيجابياً - تعتمد على حالي تفاعل الشروع والنهاية فقط، ولا تعتمد لا على مقدار الحرارة الممتصة ولا الناتجة خلال حدوث الخطوات الوسطية الموصلة إلى ناتج التفاعل النهائي. ولقد فسحت لنفسها المجال لمناقشة هذا القانون بإسهاب أكثر في باب (المتنافسون العظام) في آخر هذا الكتاب.

امتدت يد المنون لتختطف روح (كلوزيس) في مدينة (بون - Bonn) الألمانية في ليلة من ليالي عام (1888). وكتب نعيه، الذي نشرته دورية (إنجازات الأكاديمية الأمريكية للعلوم والفنون) ومقرها مدينة بوسطن (Boston)، (كبس) بنفسه، ولم يجحف فيه أحقية (كلوزيس) بلقب (الأب الشرعي للديناميكا الحرارية) بلا منازع، فلقد أعاد للأذهان في ذلك النعي وثبت حقيقة بداية حقل الديناميكا الحرارية فعلياً في عام (1850) عندما نشر (كلوزيس) ورقة بحثه الأولى والشهيرة حول (القانون الثاني)، كما أشاد (كبس) أيضاً بأهمية الصياغة العلمية التي تقدم بها اللورد (كلفن) لذلك القانون والتي ظهرت في العام الموالي أي في عام (1851) وأكد اعتمادها واستفادتها البالغة من بحوث وأعمال (كلوزيس) السالفة. كما أشاد العالمان والمؤلفان (ديباشش شودوري - Debashish Chowdhury) و (دايترخ ستاوفر - Dietrich Stauffer) بمنزلة (كلوزيس) وبأهمية ورقته المنشورة في عام (1850) في كتابهما الموسوم: (مبادئ التوازن في الميكانيك الإحصائي) والذي جاء فيه:

((لقد جاءت مساهمات وأفكار (كلوزيس) داعمة ودافعة لعلوم الديناميكا الحرارية



إلى الأمام بنفس الطريقة والأهمية والمقدار الذي ساهمت فيه أفكار وإنجازات (نيوتن) لدفع علوم الميكانيك إلى الأمام، وبفسس المقدار والأهمية التي ساهمت به معادلات (ماكسويل) على دفع علوم الكهر ومغناطيسية إلى التقدم. لم يغب عن ذهن (ج. دبليو كبس - J.W. Gibbs)، وهو يقرأ نعي (كلوزيس) الإشارة إلى أهمية أول مذكورة بحث نشرها والتي كانت بحق، (قمة من قمم الإنجاز العلمي في حقل الفيزياء، قل نظيرها في تاريخه...)، لم يقدم لنا التاريخ الكثير عن تفاصيل حياته ولا عن أحداث صباه وحياته، إلا أن أهم ما سيقى في ذهن الدارسين والباحثين عنه هو ما ثبته (كبس) عنه، مشيراً إلى مدى الإجحاف ودنو المنزلة التي قوبلت به أبحاثه المنشورة - على قلتها وأهميتها - من قبل السواد الأعظم من علماء عصره... بقوله: (لا يعتمد مدى أهمية الفرد ومقدار سمو زخمه الذهني على مقدار ما يرضه من بحوث وكتب على رفوف المكتبات، وإنما تعتمد على مدى الاحترام الذي استطاع أن يزرعه ويرعاه في أذهان القلة من طلابه ومعجبيه، وعلى عمق الأثر وشمولية التأثير الذي تركه إنجازاه على باقي العلوم)).

تم تقدير الجهود العظيمة التي بذلها (كلوزيس) للعلم ومريديه وذلك بتسمية إحدى فوهات القمر بقطر (24 كيلو متراً) باسمه، وقد تمت المصادقة على هذه التسمية من قبل الجمعية العامة لاتحاد الفلكيين العالمية وذلك في عام (1935). ذكرت (اليزابيث كاربر - Elizabeth Garber) في كتابها القيم (لغة الفيزياء) بعض الصفات الفريدة والخصال العتيقة التي تحلى بها (كلوزيس) والتي لم تكن من المعتاد من الصفات ولا من المتداول من الخصال حين قالت:

((لم تكتس أبحاث (كلوزيس) بصبغة أبحاث القرن التاسع عشر، ولم ترد ثوبها أبداً. فلقد كانت ذات نكهة خاصة يمزجها التجريبي والرياضي. لقد عرف بكونه فيزيائياً نظرياً نطاسياً، إلا أنه لم يكن عميل إلى نشر تجاربه ولا أبحاثه ولا الرياضيات التي استند إليها فيهما أبداً، رغم إدراكه العميق وبقينه النام بصحتها.... أضاف إلى كل ما سبق حيازته كأس السبق من بين كافة الفيزيائيين الألمان في إلمامه الرصين وإدراكه العميق بحيثيات وتفاصيل الرياضيات المعاصرة وقابليته الفذة على مناغاتها ومجالاتها وتطويعها لنتقاد إلى تحقيق كافة أغراضه ومراميه....))

مصادر إضافية وقراءات أخرى:

Atkins, Peter. W., *The Second Law* (New York: Scientific American Books, 1984).

Cardwell, Donald, *From Watt to Clausius: The Rise of Thermodynamics in the Early Industrial Age* (Ames: Iowa State Press; reprint edition, 1989).

Carnot, Sadi, *Réflexions sur la puissance motrice du feu* (Paris: Bachelier, 1824).

Chalmers, Matthew, "Second Law of Thermodynamics 'Broken,'" *NewScientist.com*, July 19, 2002; see www.newscientist.com/article.ns?id=dn2572.

Chowdhury, Debashish, and Dietrich Stautfler, *Principles of Equilibrium Statistical Mechanics* (Hoboken, N.J.: Wiley, 2000).

Clausius, Robert, "Obituary notice," in *Proceedings of the Royal Society* (London: Harrison and Sons, 1891).

Clausius, Rudolf, *Über verschiedene für die Anwendung bequeme Formen der Hauptgleichungen der mechanischen Wärmetheorie*, *Annalen der Physik und Chemie*, 125: 353-400 (1865).

Cohen, Leon, "The History of Noise," *IEEE Signal Processing Magazine*, 22(6): 20-45, November 2005.

Cowther, J. G., "J. Willard Gibbs," *Britannica Concise Encyclopedia*; see concise.britannica.com/che/article-9365569.

Cropper, William H., *Great Physicists: The Life and Times of Leading Physicists from Galileo to Hawking* (New York: Oxford University Press, 2001).

Daub, Edward, "Rudolf Clausius," in *Dictionary of Scientific Biography*, Charles Gillispie, editor-in-chief (New York: Charles Scribner's Sons, 1970).

Eddington, Arthur Stanley, *The Nature of the Physical World* (New York: Macmillan, 1928).

Ehrlich, Robert, *What If You Could Unscramble an Egg?* (New Brunswick, N.J.: Rutgers University Press, 1996).

Feynman, Richard, "Order and Entropy," in *Lectures on Physics* (Boston: Addison Wesley Longman, 1963).

Garber, Elizabeth, *The Language of Physics: The Calculus and the Development of Theoretical Physics in Europe, 1756-1914* (Boston: Birkhäuser, 1998).

Guillen, Michael, *Five Equations That Changed the World* (New York: Hyperion, 1995).

Hutchinson, John, "Equilibrium and the Second Law of Thermodynamics," Connexions Web site, March 30, 2005; see cnx.rice.edu/content/m12593/1.2/.

Kaku, Michio, *Hyperspace: A Scientific Odyssey Through Parallel Universes, Time Warps, and the 10th Dimension* (New York: Anchor, 1995).

Kim, Yung Sik, "Clausius's Endeavor to Generalize the Second Law of Thermodynamics, 1850-1865," *Archives Internationales d'Histoire des Science*, 33(111): 256-273, 1983.

Klyce, Brig, "The Second Law of Thermodynamics: Quick Guide to Cosmic Ancestry," in *Cosmic Ancestry*; see www.panspermia.org/sec2onlaw.htm.

Laidler, Keith, *Energy and the Unexpected* (New York: Oxford University Press, 2003).



Powell, Corey S., "Welcome to the Machine," *New York Times Book Review*, Section 7, p. 19, April 2, 2006.

Rajasekar, S., and N. Athavan, "Ludwig Edward Boltzmann," arXiv.org: see arxiv.org/PS_cache/physics/pdf/0609/0609047v1.pdf.

"Third Law of Thermodynamics," Everything2: see www.everything2.com/index.pl?node=third%20law%20of%20thermodynamics.

Wang, G. M., E. M. Sevcik, Emil Mittag, Debra J. Searles, and Denis J. Evans, "Experimental Demonstration of Violations of the Second Law of Thermodynamics for Small Systems and Short Time Scales," *Physical Review Letters*, 89(5), 050601/1-4, July 2002; see link.aps.org/doi/10.1103/PhysRevLett.89.050601.

أفكار فلسفية وآراء للمناقشة:

• لا يعاب على (كلوزيس) ولا ينكر عليه ابتكاره لفهوم (الانتالية) وتوحيده باسمه الذي صار يُعرف به، ولكنه لم يكن واضحاً ولا صريحاً، تمام الوضوح والصراحة لا في التعبير عنه ولا في الدفاع عن أهميته ولا في تبوؤ إدراك مدى تأثيره على سير التفكير العلمي العالمي.

نعم، يعود الفضل إليه في صياغة المنظور التفاضلي البسيط والبنّ للمعادلة التي تحكم علاقة ربط (الانتالية) بكمية الحرارةية وبدرجتها، وقد نجح فعلاً في صياغة نص ما سيعرف لاحقاً (بالقانون الثاني للديناميكا الحرارية)، والذي يتضمن حقيقة ضرورة (زيادة) كمية (انتالية) أي نظام مغلق وإلى أكبر كمية ممكنة وحتى تبلغ مداها، إلا أنه تردد كثيراً وتوقف ملياً عند هذه النقطة ولم يجزؤ على التقديم بأفكاره أكثر...

كروبر

William H. Cropper, (Great Physicists)

مقتطف من كتابه : (فيزيائيون عظام).

• عليك أن تذكر أن مفهوم (الحرارة) كان من بين أواخر المفاهيم التي تمكنت الفيزياء الكلاسيكية - وبمساعدة الفيزياء الكمية - أخيراً من توضيحها، شأنها بذلك شأن الذرة ومكوناتها. وفي خلال ذلك الكفاح وفي سبيل تلك المعاناة تجسد مخاض وولادة علوم الديناميكا الحرارية. وهناك اعتقاد سائد بين العلماء مفاده إمكانية إثبات صحة ونجاعة أي فكرة أو نظرية، هذا إذا استطاعت النجاح في اختبار مدرسة (الديناميكا الحرارية)!!

روثمن

Tony Rothman, (Instant Physics, From Aristotle to Einstein, and Beyond).

مقتطف من كتابه : (من ارسطو طاليس وحتى اينشتاين وما بعد...).

• هل لديك أدنى شك في اعتبار تطابق مفهومي ومصدري؛ (الطبيعة والكون) و(قوانين الطبيعة وقوانين الكون).... فمن الناحية العملية بإمكاننا اعتبارهما وجهان لعملة واحدة. وإذا كان هذا الاستنتاج (سريعاً) بنظرك وغير (دقيق) ولا (علمي)، فقد أوافقتك الرأي وأدعوك في نفس الوقت إلى التفكير الجدي بحقيقة استحالة وجود أكثر من شخص واحد من بين كل ألف شخص، له من الاهتمام العميق بهذه المسألة، كما له من الوقت وأساليب الدعم الكافية للشروع باختبار والتحقق من تطابق تلك المفهومين أو اختلافهما. وما على الـ (999) الباقي من الألف الذين اخترناهم إلا الرضوخ للاحتمال الأول والتسليم به، لسبب بسيط هو استحالة وجود من يدعي من بينهم (معرفة) مصدر أي من الاحتمالين السابقين (الكون و/أو قوانينه)!! أما العقلاء والحكماء من بقية سكان الأرض فما عليهم إلا إعداد عدتهم لا اختيار أقرب النظريات احتمالية وأوثقها تعلقاً بالمنطق العلمي والاحتماء بظّلها، ليس إلا....!!

بيكت

Edmund Beckett Grimthorpe. (on the Origin of the Laws of Nature).

مقتطف من كتابه: (في سبيل البحث عن أصل قوانين الطبيعة).

• يتضمن العلم في جوهره مفهوم البحث عن، ومحاولة فهم الكيفية التي يحكم بموجبها الكون وتصرف وفقها شؤون الطبيعة. وهناك بالحقيقة وتحت مظلة هذا المنظور علمان. يضطلع الأول باكتشاف الكيفية التي يمكن أن تطبق بموجبها قوانين الكون وقواعده (فهي من ضمن عدته وأدواته التي يعرفها خير المعرفة). ويهتم العلم الثاني بمهمة محاولة اكتشاف تلك القوانين ذاتها. وهنا في ميدان هذا الشطر الثاني شهد العالم عموماً والفيزياء خصوصاً أعظم لحظات انتصاراتهما باكتشافهما العديد من القوانين والمبادئ التي ثبتت أرجل البشرية على الأرض وأطلقت عنان أفكارها وتقنياتها نحو المستقبل وذلك بفضل قوانين الديناميكا الحرارية، وميكانيكا الكم والنسبية وإماطة اللثام عن الشفرة الوراثية البشرية، فغرت وجه العالم بحق.... ولا أخالي سأجد من يخالفني الرأي بأن المشكلة الحقيقية والعقبة الكأداء تقبع وراء كيفية اكتشاف المزيد من قوانين الكون التي ستمكننا من التقرب إليه.....

كونن

Steven Koonin. (What Are The Grand Questions in Science?), in Kuhn's (Closer to Truth).

مقتطف من مدخله المعنون (ما هي الأسئلة الكبرى في العلم؟) في كتاب كوهن، (أقرب إلى الحقيقة).



قانون اللزوجة لستوك

STOKES'S LAW OF VISCOSITY

أيرلندا، 1851

تناسب القوة المنبطة لحركة كرة في مائع⁽¹⁾ مع كثافته ومع طول نصف قطر تلك الكرة ومع سرعتها.

محاور ذوات علاقة:

علاقة ستوكس واينشتين (STOKES-EINSTEIN RELATION)، ومعادلات نافيه وستوكس (NAVIER-STOKES EQUATIONS)، وكلود نافيه (CLAUDE NAVIER)، وقانون ستوك للتألق (STOKES'S LAW OF FLUORESCENCE)، وسيمون بويسو (SIMEON POISSON)، وأدما باري دو سانت - فينان (ADHEMAR BARRE DE SAINT-VENANT).

من أحداث عام 1851:

- نشر الكاتب الروائي والمؤلف القصصي الشهير (هرمن مرفيل - Herman Melville) رائعته الخالدة (موبي دك - Moby Dick).
- أنشئت وبدأت العمل في هذا العام عملاقا الإعلام الأمريكي مجلة (النيويورك تايمز - The New York Times) ومؤسسة (رويترز Reuters) للأخبار.
- اكتشف الفلكي الإنكليزي (وليم لاسل - William Lassell) قمرى كوكب مجموعتنا الشمسية السابع (يورانوس - Uranus) واللذين عرفا باسمي (أرييل - Ariel)⁽²⁾.

(1) المائع (Fluid) - هو الاسم العلمي العام الذي يعني كلا حالتي المادة عدا الحالة الصلبة، فهو يجمع معنى حالتي السيولة (Liquid State) والغازية (Gaseous State). المترجم.

(2) Ariel - ويعني المسمى العربي المقابل لمعنى (أسد الإله) وهو من بين الأسماء الأكثر شيوعاً واستعمالاً في الولايات المتحدة وحصل على التسلسل رقم 531 كاسم للذكور وعلى التسلسل رقم 205 كاسم للإناث في إحصاء عام (2000). ومختصره في اللغة الإنكليزية الدارجة هو (أري - Ari) و (أرك - Arik). (المترجم).

و(امبريل - Ambriel)⁽¹⁾.

- افتتح أول فرع لمؤسسة (MACY) في الولايات المتحدة الأمريكية.
- أنشأ المليونير الأمريكي (رولند هسي ميسي - Roland Hussey Macy) مؤسسة (ميسي - Macy) لأسواق البيع بالمفرد.

نص القانون وشرحه:

لنبدأ شرحنا بتصور كرة صلبة ما بنصف قطر مقداره (r) تتحرك بإزاحة معلومة مقدارها (v) في خلال سائل ما تبلغ مقدار لزوجته (μ). ينص (قانون ستوكس - STOKES) على أن مقدار قوة الاحتكاك (F) والتي ستقاوم حركة تلك الكرة المتحركة في هذا السائل ستبلغ رياضياً:

$$F = 6\pi r \mu v$$

ولا حاجة لنا للتأكيد هنا - بالطبع - على تناسب قوة الاحتكاك (F) طردياً مع مقدار طول نصف قطر الكرة المعنية (r).

ولإدراك مدى أهمية التأكيد السابق، علينا أن نتذكر بأنه لم يكن بديهياً ظاهراً للباحثات وعلماء ذلك الزمان والذين كانوا يعتقدون بضرورة تناسب قوة الاحتكاك المعارضة والمثبطة لحركة كرة في أي سائل طردياً مع مساحة مقطعها وليس مع نصف قطرها الأمر الذي كان يستوجب صياغة التناسب (F) مع مربع نصف القطر (r^2) وليس مع نصف القطر فقط (r)، وفي ذلك اختلاف بين كما تعلم.

ومن المفيد هنا أن نذكر أن هناك مصطلحاً لطيفاً هو (نصف قطر ستوكس -

(1) Ambriel - ويطلق اسماً على الملاك الموكول إليه الشفاء وإعادة الحياة للموتى في القبور هو المسى العام الذي يعني الملاك، وأصوله الدينية الإسلامية والمسيحية معروفة أما أصوله الوثنية فتعني اسم الملائكة الموكولون بالأبراج الفلكية الاثني عشر. (المترجم).



The Stokes Radius) ويطلق على أنصاف أقطار (الكرات) التي تتصرف وتنتشر وتنتقل بنفس طريقة وسرعة (الجزيئات) وتبرز أهمية هذه الفرضية إذا أخذنا بنظر الاعتبار (الانضغاطات) النسبية والبسيطة التي تتعرض لها (الجزيئات) في حركتها في مختلف السوائل (كحركة كريات الدم الحمراء مثلاً في سائل الدم اللزج) والتي قد تؤدي إلى تشوه شكلها قليلاً ليزيغ عن شكل (الكرة) المثالية ذات نصف القطر الثابت وبهذا الاستدراك نكون قد احتطنا لتغيرات الشكل التي قد تطرأ على شكل الكرة خلال عمليات انتفاخها قليلاً أو انضغاطها في خلال مسارها، وعلى كل حال فإن (قانون ستوكس) هذا يكون أكثر دقة وأشد انضباطاً كلما صغرت أحجام الأجسام المتحركة في السوائل اللزجة وقلت سرعاتها.

وللجدول رقم (8) أدناه أهمية خاصة تساعدنا على إدراك قيم اللزوجة لبعض المواع (Fluids) المؤلفات والتي غالباً ما ينطبق عليها هذا القانون. ولتوضيح المصطلحات ومعاني الوحدات (Units) التي تستخدم لقياسات اللزوجة، دعني أقول بأن وحدة (الباسكال الواحدة - 1 pascal) تساوي [(كيلوغراماً واحداً مقسوماً على المتر مضروباً بمربع الثانية - $1 \text{ Kg}/(\text{m} \cdot \text{s}^2)$]، هذا وأن مقدار لزوجة الماء ولأغراض الحسابات العملية تعتبر $[1 \text{ mpa} \cdot \text{s} \text{ or } 1 \text{ g}/(\text{m} \cdot \text{s})]$ علماً بأن درجة لزوجة الماء تعتمد حقيقةً وواقعاً على درجة حرارته، ففي درجة حرارة (293 درجة حرارة مطلقة) أي ما يعادل (20 درجة حرارة مئوية) تبلغ قيمة لزوجة الماء السائل (1.002 cP)، ووحدة (cP) تعني (الستتي بويس - Centi poise) وتساوي واحداً من ألف من الباسكال - ثانية $[1 \text{ millipascal Second (m Pa} \cdot \text{s)]$.

ولهذا القانون أهمية تطبيقية وصناعية بالغة، وبالأخص حين دراسة سرعات ترسب بعض المواد المعلقة المراد فصلها عن السائل الذي يحويها، فغالبا ما يهتم العلماء والصناعيون بمعرفة مقدار المقاومة التي سوف يسلطها السائل الحاوي على المواد المعلقة فيه ليمنعها من الحركة نزولاً وفق الجاذبية ويؤخر فترة ترسبها إلى القعر.

جدول رقم (8):

مقدار لزوجة بعض الموائع المألوفة	
المائع ودرجة حرارته	لزجته بوحدة (Pa.s)
الهواء (20°C)	10×1.8 (مرفوعة إلى القوة -5)
الماء (20°C)	10×1.0 (مرفوعة إلى القوة -3)
الدم (37°C)	10×4.0 (مرفوعة إلى القوة -3)
زيت الكتان (20°C)	10×1.0 (مرفوعة إلى القوة -2)
زيت المحركات (20°C)	1.0
مستحلب الذرة (20°C)	8.0
منصهر الحمم البركانية (Lava)	1000.0

دعنا نتصور معاً مشهداً علمياً بين لنا مجموع القوى المؤثرة على جسيم ألقى في مائع بما فيها قوة الجاذبية، [ولعل قرائي الأكبر سنّاً يتذكرون الإعلان التلفزيوني الشائع في سبعينيات (1970s) القرن الماضي حول (غسول الشعر علامة اللؤلؤة - Pearl Shampoo) والذي يظهر الممثل فيه وهو يلقي (لؤلؤة) داخل الإناء المليء به - واعتقد أن الفكرة كانت ترمي من وراء ذلك الإعلان التجاري ببيان شدة كثافته وجودته، رغم شكّي بوجود أي علاقة علمية حقيقية بين جودة أي نوع من أنواع الشامبو وتناسبها مع شدة لزجته أو مع ملائمته لطبيعة شعرك!]. وعلى أي حال فإن الجسم الملقى في مثل ذلك السائل (اللؤلؤة)، سوف يبدأ بالهبوط داخله (أي بترسب) مبتدئاً بسرعة مقدارها (صفر) اعتباراً من نقطة الشروع وذلك بتأثير جاذبية الأرض عليها. ولكن سرعان ما ستولد سرعة الجسم المتحرك هبوطاً في السائل مقاومة من نوع ما تضادد قوة التعجيل الأرضي عليها، وعليه فسرعان ما سيبلغ الجسم حالة التعجيل المساوية للصفر عندما تعادلها قوة الاحتكاك المعاكسة لها بالاتجاه والمساوية لها بالمقدار. وفي هذه الحالة سوف يستمر الجسم بالهبوط خلال السائل أي (بترسب) بمقدار إزاحة ثابتة تسمى (بالإزاحة النهائية - Terminal Velocity).

وهنا نؤكد على كون مقدار الإزاحة التي يولدها الاحتكاك - ويغيب أي دوامات أو حركة في السائل المعني - تكون دائماً بعكس الإزاحة الاعتيادية المتسببة عن قوة الجاذبية. ويفترض



(قانون ستوكس - Stokes's law) هنا كون سطح الجسم أَمْلساً، وشكله كروياً منتظماً، ولا من أية تأثير عليه ولا بأي شكل من الأشكال من قبل الجسيمات التي تجاوره ولا من قبل جدران الإناء التي تحويه، وذلك لتحقيق الحالة المثالية التي ينطبق عليها هذا القانون تماماً.

ولقابلية ترسب المواد المختلفة (Sedimentation) وعلاقتها (بقانون ستوكس) هذا أهمية صناعية وتجارية وبيئية وحتى طبية بالغة آخذين بنظر الاعتبار رغباتنا في فصل العديد من المواد الصلبة من تيارات المواد المائعة (سواء كانت سوائل أم غازات). فتستعمل خصائص الترسيب والترسيب مثلاً في عمليات فصل الأدران والأوساخ عن المواد والخضار النافعة في الصناعات الغذائية، كما تستعمل لفصل بلورات المواد من السوائل التي تحتويها، وفصل وترسيب دقائق الغبار من تيارات الهواء المراد تنقيتها (لأغراض التكييف النقي في قاعات الجلوس أو لصالات العمليات بعد تعقيمها)، وتستعمل أيضاً في عمليات ترسيب الأدران عن مياه الأمطار الهاطلة على شوارع وبنيات المدن المزدهمة وفصل وترسيب مختلف مكونات مياه الصرف الصحي لغرض إعادة تدويرها لاستخدامات الري والزراعة. كما يعتبر هذا القانون ذا أهمية خاصة في تحديد طبيعة وسمات سحب الدخان المنطلقة من البراكين الثائرة وتحديد مكوناتها وذلك بدراسة سرعة ترسيبها. هذا ويستعمل القانون أيضاً لدراسة سرعة ترسيب المواد المختلفة والمتخلقة في مجاري الأنهار كما يعتمد عليه البحث الطبي في الشركات المصنعة والمنتجة للأدوية لدراسة الخواص الحركية الغازية Aerodynamics لجزيئات (المواد المتسامية - Aerosol) وذلك لاختيار أحجامها المجهرية المناسبة التي تساعد على سرعة تغلغلها ما بين قصيبات الرئة الدقيقة وحوصلاتها.

ينطبق (قانون ستوكس) كذلك على قطرات المطر صغيرة الحجم التي تهطل على سطح الأرض بغياب دوامات الهواء التي تسببها الرياح. ففي حالتها (قطيرة المطر) و (اللؤلؤة الهابطة خلال قنينة الشامبو) سيتساوى مفهومنا لمقدار إزاحتهما النهائية (Terminal Velocity). ولا ينطبق هذا القانون بالدقة المطلوبة عند تطبيقه على تفسير أسلوب هبوط المظليين ومغامري الجو عند رمي أنفسهم من الطائرات وذلك بسبب التيارات الهوائية التي

تصادفهم أثناء هبوطهم ولدى نزولهم بسلام على الأرض. (والحقيقة هم يستفيدون منها في إبطاء تعجيل أجسامهم نحو الأرض لقضاء أطول فترة ممكنة سابحين في الأجواء متعين أنفسهم ومشاهديهم بأعمالهم البهلوانية تلك).

ولإدراك المغزى العملي من وراء (قانون ستوك) هذا، دعنا نجد الجواب لمسألة بهذا الخصوص: لنفترض سقوط قطرة من ماء المطر نصف قطرها (0.2 ملليمتر) تهبط خلال الهواء الذي تبلغ مقدار لزوجته (μ) وتساوي ($1.8 \times 10^{-5} \text{ N.s/m}^2$).
جد مقدار الإزاحة النهائية التي ستهبط بها تلك القطيرة إلى الأرض.

الحل: ينص (قانون ستوك) وكما سبق على ما يلي

$$F_f = 6\pi r \mu v$$

وهذا يعني تساوي قوة جاذبية الأرض (نحو الأسفل) عليها مع قوى (قانون ستوك) والتي تعمل على رفعها نحو الأعلى.

وبما إن قوة الجاذبية وحسب قانون نيوتن الثاني هي ($F_g = m g$)، حيث (F_f) هي قوة الجاذبية، و (m) هي كتلة قطيرة المطر، و (g) هو مقدار التعجيل الأرضي والذي يساوي:
[$g=9.8/\text{s}^2$]

وبما أن (F_f) هو مقدار مقاومة الهواء للقطيرة الهابطة (وهي ذات قوة احتكاكها به واتجاهها إلى الأعلى، عند بلوغ القطيرة سرعتها النهائية (وهي ما أسميناها بالإزاحة النهائية) مقداراً ثابتاً،

ففي هذه الحالة ستتساوى قوتي الاحتكاك حسب (قانون ستوكس) صعوداً مع مقدار جاذبية الأرض حسب قانون نيوتن هبوطاً.

$$F_f = F_g$$

وعند تعويض كل من (F_g)، (F_f) بما تساويه، نحصل على:

$$6\pi r \mu v = mg$$

وبحل المعادلة لصالح سرعة إزاحة القطيرة (v)، سنحصل على:



$$v = \frac{mg}{6\pi r \mu}$$

وباعتبار اكتساب القطيرة لحجم كروي مقداره $(4\pi r^3/3)$ وكون كثافتها (ρ) (بحساب كثافة الماء الاعتيادية) وهي (1000 kg/m^3) أي ألف كيلو غرام للمتر المكعب الواحد فسيمكن تقدير كتلتها البالغة (m) كالتالي وبالتعويض....

$$v = \frac{(4\rho\pi r^3/3)g}{6\pi r \mu} = \frac{2\rho g r^2}{9\mu}$$

وبترتيب وحل كافة المعطيات السابقة سنحصل على:

$$v = \frac{2 \cdot (1000 \text{ kg/m}^3)(9.8 \text{ m/s}^2)(0.00002 \text{ m})^2}{9 \times 1.8 \times 10^{-5} \text{ N}\cdot\text{s/m}^2} = 4.8 \text{ m/s.}$$

أي أن سرعة هبوط قطيرة ماء المطر النهائية نحو الأرض ستبلغ 4.8 مترًا في الثانية الواحدة. ومن الملاحظ من مسألتنا السابقة، أن هذه السرعة النهائية لقطيرة المطر الساقطة ستقل بزيادة لزوجة الهواء (أي مقاومته لها)، على حين أنها ستزداد بازدياد نصف قطرها (أي بكون حجمها وكتلتها). والآن دعنا نحاول حل مسألة عملية أخرى تتضمن هبوط كرة بلاستيكية صغيرة خلال أسطوانة من (الشامبو)، فإذا افترضنا أن كثافة كرتنا هي (ρ_p) وبنصف قطر مقداره (r) ، ومقدار إزاحتها إلى الأسفل (v) ، وكانت كثافة (الشامبو) هي (ρ_s) فما هو مقدار لزوجته؟ والآن ولغرض حل هذه المسألة علينا أن نتذكر أن قوى الإزاحة (Velocity) الثابتة لتلك الكرة لا بد وأن تتعادل بحيث تتساوى قوة الطفو (B) وقوة (قانون ستوكس) المؤثرتان إلى أعلى مع وزنها (W) الذي يجرها إلى الأسفل هكذا:

$$B + 6\pi r \mu v - W = 0$$

والآن يمكننا حساب قوة الطفو (B) إلى الأعلى. معرفتنا أن $[B = (4\pi r^3/3) \rho_p g]$ ، وبما إن اللزوجة (μ) حسب القانون السابق ستساوي

$$\mu = \frac{W - B}{6\pi r v}$$

سيمكننا حساب قيمة لزوجة الشامبو (μ) المطلوبة.

وعليك أن تنتبه إلى أننا عند تحليلنا للقوى المتعلقة بقطرة المطر الساقطة ووضعنا لمعادلة إيجاد مقدار إزاحتها النهائية، كنا قد أخذنا مقدار كثافة الماء فقط بنظر الاعتبار وأهملنا مقدار كثافة الهواء - وهي التي تشكل قوة أخرى - وذلك بالنظر لصغر كميتها وإمكانية إهمالها، ولكن تعود أهمية حساب كثافة الوسط الذي يحتوي الجسم الساقط خلاله إلى الاعتبار في حالة اختيار مثال (الشامبو) والكرة البلاستيكية بالنظر لكون كثافته عالية، وعليه فإن معادلة إيجاد مقدار الإزاحة الثابتة لجسيم يمكن كتابتها بشكل أكثر شمولية كالآتي:

$$v = \frac{2(\rho_p - \rho_s)gr^2}{9\mu}$$

ولتحديد مدى دقة هذا القانون لابد وأن نتطرق إلى مصطلح جديد هو (عدد رينولدز - Reynolds Number)⁽¹⁾ والذي يكون قانوننا أدق ما يمكن عندما تبلغ قيمته أقل من (0.3). وتبلغ قيمة هذا الرقم رياضياً:

$$(dvp/\mu)$$

عندما يمثل (d) - مقدار قطر الجسيم المعني و (v) - مقدار إزاحته و (ρ) - كثافة المائع الذي يحيط به و (μ) - مقدار لزوجته

لا ينطبق (قانون ستوكس) على قطيرات المطر بالدقة المطلوبة قدر انطباقه على الجسيمات المائية الساقطة والأقل قطراً عنها بكثير والتي تسمى (بقطيرات الغيوم - Cloud Droplets) والتي تتراوح أقطارها ما بين (0.01-0.02 ملليمتر) وهي كحبات المطر تماماً تتكون من تكاثف بخار الماء الذي يكون الغيوم ويعتبر شكلاً من أشكال الغيوم المرئية فعلاً والممكن الإحساس بها حين تكون الضباب. وعليه يمكننا اعتبار (قانون ستوكس)

(1) Reynolds Number - هو عدد لا وحدة له ولا اتجاه، يستعمل في علم ميكانيكا الموائع للإشارة إلى ومعرفة قيمة حاصل قسمة (قوى الاستمرارية - Inertial Forces) ويرمز لها (dvp) على (قوى اللزوجة - Viscous Forces) ويرمز لها (μ) أول من تقدم بهذا المصطلح هو (جورج كابريل ستوكس - George Gabriel Stokes) في عام (1851) ولكنه اكتسب اسمه من اسم [اوزبورن رينولدز 1842-1912 Osborn Reynolds]، لأن الفضل في انتشاره وتعميمه يعود له. (المترجم).



أكثر شغفاً بالضباب منه بالمطر لانطباقه بصورة أدق على الأول دون الثاني.

وبالإضافة إلى أهمية القانون في أمور (الترسب والترسيب) فإن له تطبيقات أخرى في حالات التسامي وصناعة (المبخرات - Aerosols) وهي عبارة عن المعلقات الغازية لجسيمات بعض المواد الصلبة أو السائلة.

وفي أواخر تسعينيات (1990s) القرن الماضي كان القانون قد استخدم لتوفير الدليل العلمي الدقيق والمقنع بأن جزيئات اليورانيوم المنضب (المايكرومترية القياس) كان لها قابلية البقاء معلقة في الهواء لساعات طوال ومقدرتها على قطع مسافات بعيدة وعليه فإنها كانت قد أصابت ولوثت الجنود الأمريكيين في أثناء عملياتهم الحربية خلال حرب الخليج الثانية. ويعود سبب ذلك إلى خاصية الكثافة العالية والصلابة المتناهية لقنابل اليورانيوم المنضب والتي لها قابلية الاحتراق ذاتياً، والتي لا بد وأن تكون المسؤولة عن تحويله إلى جزيئات (مُبخرَة - Aerosolized) محمولة جواً بعد اصطدام قنابلها بالأجسام الصلبة كهيكل الدبابات بعد إطلاقها من قبل المدفعية الأرضية والقذائف الجوية.

لقد تم إدخال بعض التصحيحات على (قانون ستوكس) خلال عشرينيات (1920s) القرن الماضي وذلك للأخذ بالحسبان التأثيرات التي قد يمكن تواجدها بفعل جدران الصهاريج التي تحتوي على سوائل لزجة (كخزانات وصهاريج البترول الثابتة أو العائمة).

تميل تلك الجدر إلى إحداث ما يؤدي إلى بُطء في عملية مراقبة اللزوجة وذلك بسبب احتواء الوسط على جزيئات (مضغوطة) على الجدران والقعر الأمر الذي يؤدي إلى تشوه أشكالها الكروية، الأمر الذي ينعكس على عدم تجانس محتوياتها، وقد يؤثر ذلك سلباً على عمليات تكريرها أو التعرف على نوعيتها عند بيعها. ولذلك فقد استوجب على علماء الكيمياء الصناعية والبترولية والباحثين المهتمين بتلك الحقيقة إيجاد علاقة النسبة بين أنصاف أقطار الجسيمات المعنية وبين أنصاف أقطار صهاريجها إن كانت أسطوانية الشكل. وعليه فقد أدركوا أن مفعول وأهمية تعديلهم (لقانون ستوكس) ستزداد كلما قل نصف قطر الصهرج وازداد ارتفاعه لأن ذلك سيؤدي إلى انحراف أشكال الجزيئات والجسيمات عن الشكل الكروي وتشوهها،

وذلك بفعل وزن عمود السائل (الثقل) وتأثيره على تحويل أشكال جزيئاته القريبة من القعر .
وفيما يلي تعديل معدل اللزوجة (μ_c) لما يمكن أن يظهر عليه (قانون ستوكس) إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار إضافة عامل التصحيح اللازم لمقدار اللزوجة الأصلية (μ) والذي سيعتمد على مقدار قطر الجسيمات (d) الموجودة داخل صهر يج بقطر داخلي يبلغ (dc) وبشكل أسطواني:

$$\mu_c = \mu \left[1 - 2.104 \frac{d}{dc} + 2.09 \left(\frac{d}{dc} \right)^2 - 0.95 \left(\frac{d}{dc} \right)^3 \right]$$

تمكن أينشتاين في عام (1905) من التوصل إلى علاقة اكتشفها تربط ما بين حركية جسيم ما في مائع و [ثابت الانتشار - (Diffusion Constand (D)] و [ثابت بولتزمن - Boltzmann Constant (K)] ودرجة الحرارة المطلقة (K - كالفن).

هذا وتعرف (الحركية - Mobility) بأنها نسبة الإزاحة النهائية لجسيم ما إلى مقدار القوة المسلطة عليه). ولقد كان (اينشتاين) - حين توصل إلى اكتشافه هذا - يحاول بحث ودراسة خواص (الحركة البراونية - Brownian Motion) وهي الحركة العشوائية للجسيمات الدقيقة المغمورة في مائع. وفي مزاجه ما توصل إليه أينشتاين مع (قانون ستوكس) نتج لدينا ما يسمى (بعلاقة ستوكس واينشتاين - The Stokes's - Einstein Relation) ... وهي:

$$D = \frac{kT}{6\pi\mu r}$$

والمقصود بـ (D) هنا هو معامل أو ثابت الانتشار (Diffusion Constant or Coefficient) وهو صاحب الدلالة على مقدار كمية المادة المنتشرة أو النافذة عبر وحدة المساحة في ظروف وحدة منسوب التركيز خلال وحدة الزمن. وعليه فبالإمكان استخدام هذه العلاقة لتعين معامل الانتشار لأي جسيم تحت الدراسة. كما يمكننا أن نعتبر هذه المعادلة أسلوباً مناسباً للتعبير عن العلاقة ما بين معامل الانتشار لأي جسيم كروي صغير عشوائي الحركة في سائل لزج مقارنة بقوة الجاذبية التي تسحبه إلى الأسفل.

للفضوليين فقط:

• لقد حبا الله (ستوكس) قريحة أدبية رائعة استغلها (أبشع) استغلال في كتابة الرسائل المطولة



والخطابات المنمقة التي كان يرسلها إلى خطيبته والتي كان لا يتغزل بها فيها، وإنما كان يصب ولعه وهيامه وحبه في أشعار ونثر رائع في مدح (الرياضيات) ومفاتها وأفضالها. ضاقت تلك المسكينة ذرعاً بذلك الأسلوب (الشاذ) وكانت على قارب قوسين أو أدنى من رفضه نهائياً كزوج لها.

• يعتمد (علماء الحفريات - Paleontologists)⁽¹⁾ على (قانون ستوكس) للتفريق التفاضلي ما بين الأنواع المختلفة من الأحافير المجهرية (وهي بقايا الأحياء المجهرية من مكيسات - Spores) وغيرها والتي حفظت لنا بعد تحجرها.

• كان أول من صاغ مصطلح (التألؤ - Fluorescence) وذلك بعد اكتشاف خامات (الفلوريت - Fluorite) والتي كان لها مثل ذلك التألؤ الملون الجميل.

• اخترع [جون فرانسيس كامبل (1822-1885) John Francis Campbell] و[جورج ستوكس (1819-1903) Geotg Stokes] الجهاز المعروف باسم (مسجل ستوكس وكامبل) وهو عبارة عن جهاز يستخدم لتسجيل مقدار الأشعة الشمسية الساقطة على بقعة محددة من الأرض. يحتوي هذا الجهاز - والذي لا يزال مستعملاً حتى اليوم - على عدسة زجاجية كروية الشكل تستعمل (لحرق) صورة للشمس مرسومة على قطعة كرتون معدة مسبقاً، وذلك بتركيز أشعتها عليها.

• قام العلماء والباحثون المهتمون في دراسة فيزياء الزوجة وخواصها والتابعون إلى جامعة (مينيسوتا - Minnesota) الأمريكية في عام (2004). عمل أحد أحواض السباحة بمادة جيلاتينية هلامية واستنتجت دراساتهم بأن سباحيهم كانوا يجيدون السباحة فيها بنفس درجة كفاءة سباحتهم وسرعاتهم في الأحواض المملوءة بالماء.

أقوال ماثورة:

- لقد كان ستوكس رجلاً مؤمناً بحق، اهتم كثيراً بعلاقة الدين بالعلم، الأمر الذي اكتسب

(1) Palynology - وهو دراسة الأحياء التي سبق وأن وجدت ما قبل التاريخ وذلك بالبحث عن، وتفحص أحافيرها ومراقبة تطورها عبر انطباع أشكالها على الصخر بفعل العوامل الجوية والبيئية المختلفة عبر حقب تاريخية طويلة (الترجم).

أهمية استثنائية في سني حياته الأخيرة.

باركنسن

E.M. Parkinson, (George Stokes).

كما جاء في (معجم سير العلماء الذاتية).

- لم يكن (ستوك) هو الذي ابتكر نظرية الحساب التفاضلي المتجه (The Theory of Vector Calculus)⁽¹⁾، ولكنها في الحقيقة كانت قد أرسلت إليه من قبل (اللورد كلفن) وذلك في إحدى رسائله إليه، يعود سبب نسبتها إليه وتسميتها باسمه إلى حقيقة أنه كان قد نشرها كمسألة في أحد امتحانات الفوز بجائزة سميث (Smith's Prize)⁽²⁾ بعد ذلك بعدة سنوات.

وود

Alastair Wood, (George Gabriel Stokes (1819-1903).

مقتطف من ملخصه لسيرة حياة (ستوكس).

- ما يعرف (بتأثير بارنك - Baring Infection) هو بالحقيقة ما يحدث من بقاء بقايا خلايا الخميرة وغيرها من المواد المجهرية غير الحية [Non - Microbiological Particles (NMP)] المستخدمة في تخمير وصناعة الجعة ملتصقة مع بعض المواد الدقيقة والمجهرية اللاحوية الأخرى، كل ما تقوم به مواد الجودة والتحسين المضافة هو عملها على تعجيل التصاق تلك الجسيمات المجهرية

(1) نظرية حساب التفاضل والتكامل الانجامي: وهي النظرية المهمة بجزء الحساب المتخصص بعمليات التفاضل والتكامل للحقول والقيم الانجامية - أي الحاوية على مقدار واتجاه - ضمن الفراغ الإقليدي ثلاثي الأبعاد.

وقد يستعمل هذا المصطلح للدلالة على معان رياضية أوسع تشمل حساب (التفاضل والتكامل متعدد المجاهيل) والذي يضم المصطلح السابق إضافة إلى دلالة على (حساب التفاضل والتكامل الجزئي - الحاوي على ثابت ومتغير) و (التكامل المتعدد - الحاوي على عدة متغيرات هي آن واحد).

يهتم هذا النوع من الحساب أيضاً ويلعب دوراً رائداً في مجالات (الهندسة التفاضلية - كدراسة الأسطح والمنحنيات) وفي دراسة (معدلات التفاضل الجزئي - كحالات انتشار الصوت والضوء والتي تستوجب وجود العديد من المجاهيل) كما يستعمل في مجالات الفيزياء والهندسة وبالأخص مجالات توصيف الحقول الكهرومغناطيسية و (حقول الجاذبية الأرضية) و مجالات (جريان الموائع). (المترجم).

(2) Smith Prize - وهو اسم الجائزة الذي يطلق على جائزين ماليتين مخصصتين سنوياً لأفضل طالبين في بحوث الفيزياء النظرية والرياضيات والرياضيات التطبيقية من (جامعة كامبردج) في بريطانيا. أوصى بإنشائها (روبرت سميث - Robert Smith) من ريع أسهم (شركة البحار الجنوبية) والتي بلغت قيمتها (3500 جنيه استرليني) ومنذ عام (1768) وقيمة جنيهاً تلك السنة. استمر منح هذه الجائزة منذ عام (1769) وحتى عام (1998) بنون انقطاع ما عدا التوقف الذي حدث في عام (1917) بسبب الحرب العالمية الأولى. (المترجم).



بعضها ببعض الأمر الذي يجعل بترسبها إلى قاع براميل التخمر حسب (قانون ستوكس).
وبالنظر لنص القانون على تناسب سرعة ترسب الجسيمات المجهرية طرديا مع مربع أنصاف
أقطارها، فإن أي زيادة ضئيلة في أحجام تلك الجزيئات سوف يؤدي إلى اختلالات بينة في
الوقت اللازم لترسبها، وفي ذلك أهمية صناعية بالغة لتسريع الإنتاج.

وارد

Ian L. Ward, (Clear Beer Through Finings Technology).

مقتطفة من كتابه - الطرق التقنية لتنقية البيرة.

- لقد ساعد (قانون ستوك) كثيراً في تفسير كيفية تمكن جزيئات (اليورانسيوم المنضب)
ضئيلة الأبعاد والأحجام من الانتقال إلى مسافات شاسعة محمولة بواسطة الرياح، فلقد
أكدت الدراسات العسكرية المجراة بهذا الخصوص على تمكن تلك الجزيئات من الانتقال
إلى مسافات قد تكون بلغت ما يتجاوز (26 ميلاً - أي 42 كيلومتراً) من مناطق تولدها
- وهي أجسام الدبابات المقصوفة بها - الأمر الذي يؤكد تعرض القوات الحليفة لتأثيراتها
السلبية كـ (نيران حليفة - كامنة) - بلا شك.

دايتز

Leonard A. Deitz, (Contamination of Persian Gulf War

Veterans and Others by Depleted Uranium, July 19, 1996.

مقتبسة من مقالته (تلوث قوات حرب الخليج والآخرين ببقايا قذائف اليورانسيوم المنضب).

- لقد امتازت أغلب أعمال (ستوكس) إن لم نقل جميعها بالقطعية وبمنتهى الدقة والرشاقة،
ولقد كان (وحتى خلال محاولته حل المسائل والمعضلات والتي كثيرا ما كانت تظهر لغيره
عصية على المنطق العلمي وغير خاضعة للأسلوب الرياضي) دائم التمسك بالطرق المفهومة
وشديد الاعتماد على المبادئ المعلومة، حتى لم يكن هناك مجال لأي شك بصحة ما يقدمه من
حلول وما يخطه من طرق.

يعود التزامه ذلك بمنهجيته تلك - ولا شك - إلى الملكة الخارقة، وإلى الإمكانية الهائلة

التي حباه الله بها للمزج ما بين كياسة الأسلوب الرياضي المرن وقوته وما بين حنكة القابلية التجريبية والبحثية ومهارتها.

1911. Encyclopaedia Britanica

مدخله عن الموسوعة البريطانية.

ملخص لسيرة حياة المكتشف:

اشتهر الفيزيائي الأنكلو - أيرلندي العريق [جورج ستوكس - Georg Stokes 1819-1903] بإبداعه لقانونه في الاحتكاك ولأعماله الكثيرة المهمة في حقول الكيمياء والفيزياء والرياضيات.

ولد (ستوكس) في بيت متدين في مدينة (سكرين - Skreen) الأيرلندية وقد تغلغل فيه ذلك الشعور منذ الصغر حيث كان والده قساً في المقاطعة التي تضم مدينته وكان قد سهر على تعليمه قواعد اللغة اللاتينية منذ الصغر. وقد كانت أمه مشرفة على شؤون الكنيسة أيضاً، أنجبت للعائلة أربعة أولاد اختط الجميع طريقهم كرجال دين وقادة كنائس في أيرلندا. تقدم (ستوكس) الشاب إلى (كلية برستول - Bristol College) في تلك المدينة لما بلغ من العمر (16 عاماً) وكان قد أنهى دراسته الابتدائية والأولية في مدينته (دبلن - Dublin). لقد أورد الفيزيائي النظري والرياضي [جوزف لارمور (1857-1942) Joseph Larmor] في كتابه القيم - ذكريات وبقايا رسائل السر جورج كابرييل ستوكس - ملامح وبودر تفتق العبقرية الرياضية (لستوكس) كما ذكرها أستاذه في الرياضيات لما كان لا يزال شاباً يافعاً يدرس في كلية (برستول) بقوله:

((لقد التزم ستوكس اليافع بالإجابة الصريحة الواضحة المقتضية بنعم أو بلا على كافة الأسئلة الموجهة إليه.... وبضمنها تلك التي كانت تستوجب إسهاباً أكثر وتوضيحاً أعم وكان بذلك قد انتقل من تربيته للمدرسة الأيرلندية في صغره إلى المدرسة الإنكليزية وذلك كرد فعل انصياعي طبعي لما كان إخوته قد حذروه منه من قبل؛ بأن الطلاب البريطانيين لا يعملون بطبيعتهم إلى الأجوبة المطولة المسهية كما هو الحال، وما كان قد اعتاد عليه الطلبة



الأيرلنديون ولذلك فإنه سيكون ولا شك موضعاً لسخرية زملائه التلاميذ الإنكليز ومحلاً

لاستهزاءاتهم إن هو أسهب الشرح وأطال الوصف، فكف وامتنع عن ذلك)).

قُبِلَ (ستوكس) في عام (1837) في (كلية بمبروك - College Pembroke) في كمبردج، واستطاع نشر العديد من البحوث والأوراق العلمية القيمة التي ناقشت أساليب تصرف المواع غير القابلة للانضغاط، فقد تمكن في عام (1842) من نشر بحثه الموسوم (حول الحركة المنتظمة للموائع غير القابلة للانضغاط)، والذي سرعان ما أردفه ببحثه التالي بعد ثلاث سنوات والذي كان بعنوان (حول نظريات الاحتكاك الداخلي للموائع المتحركة). وقد تمكن أخيراً من تنويع أعماله في عام (1849) عندما نشر بحثه الرصين الموسوم (حول تغيير مقادير جاذبية الأرض على سطحها) والذي أوضح فيه وأسهب في شرح طرق استخدام البندول ودراسات حركته في المواع المختلفة، وفي استنتاج الاختلافات البينة في تفاوت مناسيب جاذبية الأرض في أماكنها المختلفة. وتمكن في عام (1849) من تسنم كرسي الأستاذ (لوكازيان Lucasian)⁽¹⁾ في جامعة كمبردج - ذلك الموقع الشرفي الرفيع الذي كان قد اعتلاه من قبله فطاحل وعظماء من أمثال [السر اسحاق نيوتن (1642-1727) Isaac Newton] والذي يشغله في الوقت الحاضر الفيزيائي الفلكي المعروف والكاتب العلمي المشهور [ستيفن هاوكينج (Stephen Hawking born 1942)]. وأخيراً تمكن في عام (1851) من نشر بحثه الذي توصل فيه إلى الوصف الرياضي الدقيق لمقادير إزاحة الجسيمات الكروية الصغيرة المتحركة خلال السوائل اللزجة والذي مكن قانونه المشهور والمعروف (بقانون ستوكس - Stokes's Law) موضوع بحثنا هذا من الظهور.

وفي عام (1857) تزوج من الآنسة (ماري سوزانا - Mary Sussana) والتي كانت ابنة عالم

الفلك الأيرلندي والفيزيائي الشهير [ثوماس رومني روبنسن - Thomas Romney Robinson]

(1) Lucasian Chair - وهو منصب الأستاذية في الرياضيات، العالي الشأن في جامعة كمبردج، ويعتبر من أسمى المناصب الأكاديمية في العالم. أسسه في عام (1663) (هنري لوكاس - Henry Lucas) والذي كان أحد أعضاء البرلمان البريطاني. أقر الملك شارل II الثاني هذا المنصب رسمياً في شهر كانون ثاني (1664). يتربع عليه اليوم الفيزيائي النظري (ميشيل كرين - Michal Green) حلفاً لستيفن هاوكينج (Stephen Hawking) والذي تقاعد في شهر أيلول الماضي (2009). (المترجم).

لقد جعلت مراسلاته منه في نظرها رجلاً غريباً، بل وحتى إنساناً مخيفاً، فمالها ومال - المتواليات والثوابت - وهي امرأة لا يملأ قلبها إلا الحب، فصارحته بغضبها منه وترددها الشديد بل واحتمال رفضها للزواج منه. أعاد لها جواب تساؤلها ولها وشوقاً إليها، وحباً وهياماً بغرامها وبين لها استحالة تصور حالته وهو عبارة عن (آلة مفكرة) تقاد إلى قبرها وتدفن فيه دون أن يكون له حظ في هذه الدنيا لا من حبها، ولا من الفرح الذي تنثره حولها

2- طول الموجة الصوتية المركب على موجة الوتر الأصلية بمقدار $\frac{1}{2}$ ، $\frac{1}{3}$ ، $\frac{1}{4}$ موجة في الموسيقى... إلخ. (المترجم).



أينما ذهب، ولا من دفء سعادتها الذي تستطيع أن تلفه به حباً صافياً رقيقاً يدفع الدم الدافئ في صمامات قلبه الذي أوشكت الرياضيات أن تحيله إلى معدن بارد. وأخيراً تمكنا من وضع خلافاتهما الفكرية جانباً وتم مشروع زواجهما بنجاح وسكنا في كوخ صغير يطل على حديقة غناء، تشرف على غابة خضراء جميلة. وفي ذلك تمكن (ستوكس) من اتخاذ الممر الضيق الواقع خلف مخزن الأخشاب والأطعمة (مختبراً) لأبحاثه وكان لا يحتوي إلا على آلات بسيطة وأدوات متواضعة محلية الصنع. أثمر ذلك الزواج وتوجت تلك الحياة بإنجاب زوجة ستوكس منه عدة أولاد، توفيت أول بنتين له في فترة طفولتهما وتوفي أحد أولاده في عام (1893) من جراء جرعة زائدة من المورفين كان قد تعاطاها خلال تدريبه ليصبح طبيباً بشرياً. تسنم (علما الجليل) العديد من المناصب ونال الكثير من الرتب العلمية، كان أهمها تسنم لمنصب رئاسة الجمعية الفلسفية في جامعة كامبردج للفترة (1859-1861) وترأسه للجمعية الملكية في عام (1885) قبل ذلك كذلك. كما منحته الجمعية العلمية (ميدالية كوبلي - Coply Medal)⁽¹⁾ وذلك في عام (1893)، أما في خلال الفترة (1886-1903) فقد انتخب رئيساً للمعهد الفكتوري في لندن والذي كان قد أنيطت به مهمة دراسة وتمحيص وتأكيّد العلاقات - بمختلف أنواعها ومجالاتها - ما بين العلم والدين، وقد تم منحه لقب (الفارس - Knighted) أيضاً وذلك في عام (1899). لقد كتب (اي. ام. باركنسن - E. M. Parkinson) في (معجم سير العلماء الذاتية) نبذة بديعة عن أعمال (ستوكس) وأفكاره وأسلوب بحثه جاء فيها:

((لقد كادت أفكار ستوكس ومساهماته وأعماله واختاراته وما حققه تغطي كامل مساحة العلوم الفيزيائية والفلسفية المعروفة آنئذ، فقد قام بالبحث والاستقصاء المنهجيين لحقول (حركية السائل - Hydrodynamics) ومطاوعة المواد الصلبة وتصرف الموجات وحيود الضوء. لقد تمكن (ستوكس) من جعل كافة المواد والمواضيع التي ركر عليها ووهبها الكثير من جهده ووقته في تناول جميع زملائه من العلماء

(1) Coply Medal - انظر صفحة (394). (المترجم)

والباحثين، ويعود الفضل في تحقيقه لذلك الإنجاز لسبين؛ أولهما كان حرصه الشديد على اختيار المسائل والأمور العملية التي كانت تهم الجميع، وثانيهما وضع حلوله الخاصة المقترحة لها بأسلوب سلس شديد الوضوح وباستعمال الأدوات الرياضية بطريقة تجعلها في متناول الجميع. أما غوصه في أعماق الرياضيات الصرفة وغوره في تعقيداتها فكان عملاً نادراً مارسه عند الحاجة فقط، وعند شعوره بحاجته إلى تطوير أداة رياضية جديدة أو ابتكار وسيلة أكثر مرونة لحل مسائله الفيزيائية أو لغرض إثبات فعالية ورجاحة أي أسلوب مبتكر كان قد استخدمه لغرضه الأول)).

وكغيره من عباقرة وأعلام الرياضيات الذين جاء هذا السفر على ذكرهم بين دفتيه فإن ميوله كان موسوعياً وبحثه ظل شاملاً للعديد من جواهر مواضيع المعرفة كذلك التي اختصت بطبيعة الضوء والجاذبية والكيمياء والصوت والحرارة ودرجاتها وتقلبات الطقس والتنبؤ بتغيراته والفيزياء الشمسية.

ابتدأت رغبة استكشاف (فيزياء حركية السوائل) تنمو وتترعرع في نفسه خلال أربعينات القرن التاسع عشر (1840s)، فقد استطاع في عام (1845) إنجاز العديد من الدراسات الخاصة بمواصفات الاحتكاك واللزوجة في المائع. ومن الجدير بالذكر أن المعادلات والقوانين التي تمكن من التوصل إليها إضافة إلى الأفكار التي ابتدعها كانت مختلفة تماماً من حيث الأسس النظرية التي استندت إليها ومغايرة جذرياً للأسلوب العملي الذي أوصله إليها، على رغم تشابهها وتماثلها مع الكثير من أعمال العلماء الفرنسيين من أمثال [كلود نافيه (1785–1836) Clude Navier] و [سيمون بيسو (1781–1840) Simeon Poisson] و [ادميه باري دو سان فينا (1797–1886) Adhemar Barre de Saint – Venant]، وخصوصاً تلك المتعلقة بجريان الموائع بمصاحبة عوامل الاحتكاك. ولكن الحقيقة التي لم تكن غائبة على أحد هو توصله إلى اكتشافاته ونظرياته السابقة بمفرده وبدون أدنى علم له بما كان الآخرون قد توصلوا إليه.



أضف إلى كل ذلك تمكنه من تعميم معادلاته ونظرياته وذلك لغرض الوصول إلى وضع قوانين لحركة المواد المرنة الصلبة هذه المرة، فقد قام على سبيل الخصوص بابتكار وتطوير مجموعة من المعادلات (التفاضلية الجزئية الأساسية - Fundamental Partial Differential) التي تعرف اليوم باسم (معادلات نافيه وستوكس - Navier and Stokes Equations) والتي تمكنت من توصيف والتنبؤ بخصائص جريان الموائع غير القابلة للانضغاط إضافة إلى تمكنها من ربط علاقة مفعول الضغوط ومختلف القوى الخارجية على مائع ما واستجابته لتلك القوى وشكل تلك الاستجابة بتعديل أسلوب جريانه.

لقد أثبتت تلك المعادلات فائدتها وصحتها في التنبؤ والتفسير والإجابة على الكثير من الأسئلة المحتملة والمشاكل المتوقعة في مصانع بناء السفن وطريقة محاكاة التغيرات الجوية، وفي مشاكل وهندسة جريان الماء في الأنابيب العملاقة والمتوسطة وأسلوب انسياب دوامات الرياح حول أجنحة الطائرات أثناء اختبارها وحين تحليلها. لقد تمكن (ستوكس) من نشر تلك المعادلات التي توصل إليها مع زميله (كلاود نافيه) والتي عرفت فيما بعد باسمه في عام (1845) وكانت صياغته لها بطريقة فطنة نالت استحسان وتقدير معاصريه وحتى اليوم، هذا وقد أقيم في عام (1846) اجتماع علمي خاص للاحتفاء (بستوكس) وإنجازاته رعته بصورة خاصة (الجمعية البريطانية للتقدم وتطوير العلوم) وقد دعي هو شخصياً لتقديم أبحاثه والتحدث عن إنجازاته رسمياً خلاله. تطرقت موهبته وأعماله وأبحاثه - وكما سبق أن أشرنا - إلى العديد من الحقول والمواضيع العلمية والرياضية نلخص منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

- تذبذب الموجات المختلفة في الماء (1847).
- تأثير الاحتكاك الهوائي على تصرف قطرات المطر وتكوين السحب (1847).
- المتواليات الدورية في علوم الرياضيات وتطبيقاتها في دراسة الحرارة وحركة السوائل والكهربائية (1847).
- العلاقة ما بين قوة الجاذبية في إحدى بقاع الأرض وتأثيرات ذلك على تشكيل وشكل سطحها فيها (1849).

• البرهان الذي يبين حقيقة كون جاذبية الأرض أقل وأضعف على سطح قارة منها على جزيرة (1849).

• أسلوب عمل وتطبيقات إحدى الطرق المبتكرة في تعيين قيمة التكامل التالي المستعمل في الدراسات البصرية:

$$\int_0^{\infty} \cos \left[\frac{\pi}{2} (x^3 - mx) \right] dx$$

لقيم كبيرة وحقيقية لـ (m). (1850)

- تأثيرات لزوجة السوائل على حركة البندول خلالها (1850).
- قانونه الذي يفسر أسلوب سقوط جسم خلال سائل رياضياً (1851).
- تأثيرات الرياح على شدة الصوت (1857).
- تأثيرات قرع الأجراس المشكلة على هيئة كرات على تصرف الغازات المحيطة بها (1868).
- مختلف أوجه الدراسات حول الضوء و(استقطابه - Polarization) ومواصفات (حيوده - Diffraction).
- قياسات الانحراف البصري في العيون (1849).
- حلول المعادلات التفاضلية المعبرة عن حركة الجسور الحاملة للسكك الحديدية (1849).
- تصميم واختيار الأجهزة اللازمة لتحليل الضوء المستقطب إهليجياً (1851).
- التوصيل الحراري خلال البلورات (1851).
- طرق لتحديد الثوابت اللازمة (للهلول التقاربية - Asymptotic Solutions) لمعادلة (بيزل - The Bessel Equation)⁽¹⁾:

(1) Bessel Equation - أو قد تسمى بدالة (بازل) وهي دالة حسابية أول من عرفها هو الرياضي الألماني المولد سويسري الجنسية [دانييل برنولي - (1700-1782) Daniel Bernoulli] وعمها الرياضي الألماني [فريدريخ بازل - Friedrich Wilhelm Bessel (1784-1846)] فحملت اسمه. ومن أهم تطبيقاتها دراسة وحساب التفلغل الموجي وفروق الجهد المستفزة في علوم الموجات الكهرومغناطيسية والتوصيل الحراري وفي تذبذب الأغشية الصناعية - كالطبول وسماعات التلفون وفي مسائل النفوذ والانتشار في البلورات. وتختص هذه المعادلة بالأسطح الأسطوانية بصورة عامة ويعبر عنها رياضياً كما يلي: لأي رقم حقيقي أو معقد لـ (α).

$$[x^2 \frac{d^2 y}{dx^2} + x \frac{dy}{dx} + (x^2 - \alpha^2) y = 0]$$



$$\frac{d^2y}{dx^2} + \frac{1}{x} \frac{dy}{dx} - \frac{n^2}{x^2} y = y$$

لأي ثابت حقيقي هو (n)، (1868)

• تفسير ظاهرتي (التلألؤ - Fluorescence) و(الأيضاف الضوئية -

(Spectra) (1854 - 1852).

وفيما يخص النقطة الأخيرة هذه فمن المفيد أن نعلم بأن (التلألؤ) يشير ويعني ظاهرة لمعان جسم ما وإطلاقه للضوء المرئي بلون معين خاص بعد استحثاته وتهيجته من جراء تسليط أشعة كهرومغناطيسية عليه. وفي عام (1852) تمكن (ستوكس) من التوصل إلى اكتشاف خاصية معينة في هذه الظاهرة، ألا وهي أن الطول الموجي لأشعة (ضوء التلألؤ) الصادر عن أي جسم يتمتع بهذه الخاصية لا بد وأن يكون دائماً أكبر من الطول الموجي للإشعاع الكهرومغناطيسي اللازم لاستحثاته وتهيجته. وقد قام بالفعل بنشر نتائجه التي توصل إليها في عام (1852) في مذكرة بحث بعنوان (حول تغيرات خاصية استلام الأشعة الكهرومغناطيسية وانبعاثها).

وتسمى اليوم تلك الظاهرة باسم ظاهرة (تلألؤ ستوكس - Stokes's Fluorescence) وتعني - مرة أخرى - قابلية جزيئات الأجسام على إعادة إشعاع الضوء بفوتونات تمتاز بأطوال موجية أكبر (أي بطاقة أقل وبذبذبة أدنى) من تلك التي سبق لها امتصاصها والتي كانت بطاقة أعلى وبذبذبة أكبر أي أن أطوالها الموجية كانت أقصر، أما تفسير هذه الظاهرة من الناحية العلمية فيعود إلى خواص جزيئات المواد المتمتع بامتصاصها لخاصية التلألؤ ذاتها. ومن المعلوم أن فوتونات شعاع الضوء الساقط على الأجسام المتألئة تحتاج إلى ما يقارب (10) مرفوعة إلى الأس (السالب 15) من الثانية كي يتم امتصاصها من قبل تلك الأجسام، وأن الطاقة المحمولة من قبلها سوف تنتقل إلى إلكترونات ذراتها وتعمل على تحفيزها ونقلها من مستويات طاقاتها الأدنى (أي من مداراتها القريبة من النواة) إلى مستويات طاقة أعلى (أي إلى مدارات أبعد عن النواة). وهذا وتبقى الإلكترونات المحفزة في مداراتها العليا الجديدة لما لا يزيد على (10) مرفوعة إلى الأس (السالب 8) من الثانية تعود بعدها إلى سابق حالتها وماضي وضعها، وعليها في هذه الحالة أن

تتخلص من الطاقة التي استلمتها فترسلها إلى خارجها على شكل فوتونات بطاقة مقاربة لطاقة الفوتون التي استلمتها أول مرة ولكن أقل قليلاً. وتُرى الفوتونات الجديدة المنبعثة على شكل ضوء مرئي ملون متلألئ تكسي بعض المواد بتلك الخاصة فيطلق عليها صفتها، ويعلم فيزيائيو الضوء بوجود المصطلح الخاص الدال رياضياً على مقدار الفرق ما بين الطول الموجي للفوتونات أو الموجة الكهرومغناطيسية الواردة إلى الذرات المتلاثلة وبين الطول الموجي للفوتونات أو الموجة الكهرومغناطيسية الشاردة منها فأطلقوا عليه اسم (مقدار تغير ستوكس - Stokes Shift).
أما مصدر وأصل تسمية ظاهرة (التلألؤ) بذلك الاسم فيعود إلى مادة (الفوريت - Fluorite)⁽¹⁾ وهي مادة امتازت بشدة تألؤها.

أما هو فكان أول من فسر بصورة علمية مقنعة تلك الظاهرة وأثبت إمكانية استحداثها في بعض المواد عن طريق تحفيزها بتسليط أشعة الضوء فوق البنفسجية عليها. ونعلم اليوم أن خاصية تحفيز تلك المواد لا تقتصر على استعمالنا على الضوء والأشعة فوق البنفسجية كما اختبر وذكر (ستوكس) نفسه، وإنما بإمكان كافة أنواع الإشعاعات الكهرومغناطيسية سواء كانت الضوء فوق البنفسجي أو الضوء المرئي والأشعة تحت الحمراء وحتى الأشعة السينية والموجات الراديوية على توليدها.

لقد استمتع (ستوكس) وطوال حياته بالتفكير وتصميم التجارب والقيام بها، تلك التجارب التي عبرت عن اهتماماته التي غطت بالحقيقة طيفاً واسعاً جداً من العلوم تراوح ما بين الفيزياء وعلوم النبات، حتى إنه كان قد ساهم في التوصل إلى اكتشاف التركيب الفعلي لمادة (اليخضور - الكلوروفيل - Chlorophyll) وهي المادة الكيميائية الحياتية التي تكسب أوراق النباتات لونها الأخضر والمسؤولة عن إنجاز عملية (التركيب الضوئي Photosynthesis)

(1) Fluorite - ويسمى أيضاً بالفلوروسبار، وهو خام هالوجيني مكون من (فلوريد الكالسيوم - CaF_2)، يوجد على أشكال تكهيمية متجانسة وقد تكون ثمانية الأوجه متجانسة. قد توجد بلوراته متطابقة كالتوائم ويمكن إيجاد مكعباتها بطول ضلع مقداره 20 سنتيمتراً في إحدى خاماتها في روسيا. يعني الاسم باللاتينية (القابل للسليلان أو الإزالة) بسبب انخفاض درجة انصهار أفرادها ومنها امتنع اسم عنصر غاز الفلورين. (المترجم).



لإنتاج (السكر الاولي - الكلو كوز - Glucose) من مواده الأولية وهي غاز ثاني أكسيد الكربون الذي يمتصه النبات من الجو ومن الماء الذي يأخذه من التربة. وقد نشر ذلك البحث في عام (1864) في دورية (الجديد من اكتشافات الجمعية العلمية). ومن بين أعماله المهمة الأخرى كانت (وعلى سبيل المثال) نظريته في ظاهرة (استطارة - Diffraction) الضوء والتي نشرها في عام (1849) بعنوان (النظرية الحركية في الاستطارة - Dynamical Theory of Diffraction) وبحوث في (الضوء - Light) في عام (1884)، والمسالك الطبيعية في علوم الدين في عام (1891)، علماً بأن ستوكس نفسه لم يكن ميالاً إلى نشر أعماله واكتشافاته وإنما اقتصر ذكره لها أمام طلابه ومستمعيه خلال إلقائه لمحاضراته.

امتاز (ستوكس) في حياته وفي تصرفاته وأعماله بقيم خلقية ومهنية عالية جداً، فقد كان متواضعاً في تصرفاته كريماً في اعترافه بفضل الآخرين عليه وعلى المجتمع، ولم تكن في ذاته ذرة من حسد، فكم كان سعيداً بالاعتراف والإشادة بجهود من سبقوه والإشارة إليهم بالبنان كلما اقتنع بأن ما توصل إليه هو بجهده وبتفكيره كان قد سبقه غيره إليه، وكثيراً ما تكون تلك الإشارة والإشادة بغير ما منة وبدون أي جدال. أضف إلى كل ذلك امتيازته عن غيره بدأبه على ... وعدم تخرجه من مشاركة معظم أفكاره وإبداعاته الذهنية مع غيره من العلماء دونما خوف من أي (سرقة لأفكاره) ولا أي انتحال لإنجازاته من قبل الغير، فقد كان لا يبالي بذلك. وقد جاء على لسان (لومار - Lumar) يوماً بأن أحد أعضاء الجمعية الملكية كان لقد لاحظ المنحى والأسلوب المهني الراقى والنادر والحصل التربوية والإنسانية النادرة في شخصية ستوكس حين قال:

((إن ما استرعى انتباهي واستدعى إعجابي حقاً في صفات ومزايا الأستاذ (جورج) هو منتهى كرمه في طريقة احترامه واستقباله لكافة الناشدين لنصحهم ولرأيهم، فهو كثيراً ما كان يترك ما في يده من أعمال علمية ويتوقف عن تأملاته وأفكاره الشخصية، ولفترة من الوقت الثمين يمنحها بكرم وسعادة مع كامل اهتمامه وإنصاته وتعاطفه إلى أي نظرية علمية أو نقطة جوهرية فلسفية أو ملاحظة عملية تجريبية كان يود أحد طلابه أن

يستأنس برأيه فيها أو أن يطلب نصحه بشأنها)).

لقد أكد (ديفيد ولسن - David Wilson) في مؤلفه الموسوم (المراسلات العلمية والآراء الكلامية ما بين كل من (السر جورج كابريل ستوكس) و (السر وليم ثومسن المعروف بالبارون كلفن) دماثة خلق الأول وكرمه العلمي وأخلاقه العالية حين كتب يقول:

((يصح هنا ما يقال بأن جمهرة العلماء لا يتفقون على باطل؛ ولكن معظم علماء ومفكري أواخر القرن التاسع عشر كانوا قد توصلوا إلى شبه إجماع بأن (ستوكس) - بتصرفه وأفكاره وممارساته - كان مختلفاً كاملاً باختلاف عن معاصره (كلفن)... لم يكن ذهن وتفكير (ستوكس) ولعقود خلت حكراً عليه، بمعنى أنه لم يخل قط لا بوقته - فهو لم يحكره ويحجره على أداء أبحاثه الشخصية وحسب - ولا بإبداعاته وبنات تفكيره عن أحد - فكان كثيراً ما يساعد الآخرين في بحوثهم ويشجدهم همهم ويساعدهم - إلى الدرجة التي حدث بالكيميائي (ارثر سميثلز - Arthur Smithells) إلى الإفصاح خطياً بأن (ما قدمه ستوكس لأبناء جيله وتلامذته وزملائه كان من العظمة والثراء ما يصعب أو يستحيل حصره، علماً وخلقاً ونصحاً). لقد اعترف حتى (كالفن) بكرم (ستوكس) الذي لم تكن لتحده حدود [فقد كان كالريح المرسلة التي ترمي بكنوز أفكارها لكل من كان له نصيب وافر من حظ باهر ساقه إلى طريقه فنال حظوة الحصول على كل ما صادف وسأله عنه]].

هناك اليوم ما يُعرف (بنظرية ستوكس في حساب التفاضل والهندسة)⁽¹⁾. والتي ظهرت للعيان ولأول مرة في عام (1850) وقد ثبتها (اللورد كلفن) وهو اللقب

(1) Stokes Theorem - نظرية ستوكس - أو نظرية ستوكس الشاملة. هي نظرية في حقل التفاضل الهندسي والخاصة بالمضاعفات (Manifolds-) ومثالها تصغير أحجام كبيرة من سطح الأرض لتسكين رسمها على السطح الإقليدي الاعتيادي (مثل مستوى الورقة) رغم حقيقة كونه منحنى، وقد استطاعت هذه الطريقة اختزال العديد من النظريات الأخرى في مواضيع (التفاضل المتجهي - Vector Calculus). كان أول من توصل إليها هو (وليم ثومسون - William Thomson) والمعروف باللورد (كلفن) وأخير (ستوكس) بها في شهر تموز (يوليو) من عام (1850). وضعها ستوكس بدوره كسؤال من ضمن اختبارات (جائزة سث) لعام (1854). الأمر الذي أدى إلى تسميتها باسمه. (المترجم).



الذي أطلق على (وليم ثومسن - William Thomson) في رسالة له إلى (ستوكس) نفسه ولكن لم يضمنها أي إثبات لها. ولقد اكتسبت اسمها من اسم (ستوكس) وذلك ابتداءً من عام (1854)، وذلك لأن هذا الأخير كان الواضع الأول لإثباتها في خلال أدائه لأحد امتحاناته. أكد نسبه الاسم إلى النظرية استعماله من قبل العالم الجليل (جيمس كلارك مكسويل - James Clerk Maxwell) كلما جاء في ذكره إياها.

وفي عام (1891) ذكر (ستوكس) في كتابه الذي ألفه بعنوان (المسالك الطبيعية في علوم الدين) ما يلي:

((إذا ما اعترفنا وآمنا بوجود الله (عز وجل) وأيقنا ببديع صنعه وإنفاذ إرادته في ملكوته فإن المعجزات مصطلحاً وحققة لن تكون بعيدة عن متناول إدراكنا فستكون حتماً نتيجة طبيعية لذلك الإيمان، فالتفكير المنطقي السليم والنابع من يقيننا بأنه هو (سبحانه وتعالى) الموجد للكون ولقوانينه ونواميسه سيحتّم علينا قبول النتيجة الطبيعية التي تحتم إمكانيته (جل وعلا) على إيقافها وتعليقها مؤقتاً - لحدوث المعجزة - الحارقة لها. أما إذا ما شاكل عقلك أي ريب في إمكانية تعليق قوانين نوااميس الكون أو إيقافها فليست مجبراً على الإيمان بذلك)).

لقد عاش (ستوكس) حاملاً مضض الوحدة بعد وفاة زوجته، رغم مجيء إحدى بناته مع زوجها واستقرارهما معه في ذات كوخه للسهر على راحته وتقديم الخدمات الواجبة من قبلهما إليه ولرعايته بعد ذلك الحادث الأليم. نعته (مجلة التايمز - The Times Magazine) بعد يومين من موافاته لأجله في عام (1903)، وقد جاء في ذلك النعي ما يلي:

((لقد كان (السر ج. ستوكس) ألعياً متميزاً بكل شيء.... ولكن إن وجب علينا التحديد والتعيين فسيأتي إعجابنا بخلقه العالي وقابليته الفذة على تجاوز مثالب الطموح الزائد والحسد المزري.... لقد كان إنساناً سامياً لم يخل بكرمه العلمي على أحد رغم عبقرية الرياضية وطرّاز تفكيره العبقرى الفريد.... وعلى ذكر العبقرية والملكات الرياضية، فكثيراً ما جاء في الذكر والأثر بأن العقول الجبارة القادرة على إدراك

وتحليل خوافي وأعماق الرياضيات العالية غالباً ما تكون قاصرة عن إدراك متطلبات الحياة الاعتيادية وغالباً ما تفشل في تحقيق اندماجها فيها. ولكن في سيرة (السر جورج ستوكس) ما يثبت باللموس من الفعل والمرئي والمحسوس من العمل، بأن ذكاء الرجل كان على أتم الاستعداد، وكان قد نجح بالفعل في التعامل مع الحياة ومشاكلها العملية ومتطلباتها الاجتماعية بنفس يسر وسهولة تعامله وتفكيره ببادئ وقوانين ومعادلات الرياضيات العالية)).

لقد جاء نعيه كذلك على ذكر عميق إيمانه بالله (تبارك وتعالى) وعلى تأثير ذلك الإيمان على صقل شخصيته وحسن أخلاقه وتصرفه مع كافة الناس ومن ضمنهم طلابه ومحبيه، كما جاء على تعظيم وتخليد منحه في حياته وأعماله وأفكاره على تعظيم وتقديس العلم والدين ودأبه على توثيق وإثبات دعم أحدهما للآخر دائماً:

((لا يمكن إدراك وإحسان ذكر أي من إنجازاته في حياته دون التطرق وامتداد الجانب الروحي والديني الذي كان دائم الظهور عليها، ولقد كان بنظر الكثيرين - وحتى اليوم - المثال الحقيقي المتجسد للإمكانية العلمية الحقيقية الفذة المتجسدة والمشرقة بالإيمان الصادق والاعتقاد بوجود الخالق (جل وعلا)، فهو كان قد نجح فعلاً في تجسيد تلاقي المنحى البحثي العلمي مع التقوى والانصياع للتعاليم الدينية.... ورغم صعوبة إدراك هذا التوازن فقد كان (ستوك) من قلائل العلماء الذين تمتعوا بقبالية إدامة الحوار ومشاركة الأفكار الجامعة بين الدين والعلم وبأسلوب صادق جذاب يمنع اصطدامهما)).

ولم ينس المجتمع العلمي ولا كافة أفراده فضل هذا العالم الجليل ولا إنجازاته، فمن بين أساليب تكريمه وإعلاء شأنه وحفظ ذكره كان إطلاق اسمه على إحدى فوهات القمر بقطر (51 كيلومتراً)، وهو الاسم الذي تمت المصادقة عليه رسمياً من قبل الجمعية العامة لاتحاد الفلكيين العالميين في عام (1964). كما أطلق اسمه - تيمناً به كذلك - على إحدى الفوهات الموجودة على سطح كوكب المريخ والتي امتازت بوجود العديد من الكيبان الرملية الداكنة فيها.



مصادر إضافية وقراءات أخرى:

Dake, H. C., and Jack DeMent, *Fluorescent Light and Its Applications* (Brooklyn, NY: Chemical Publishing Company, Inc., 1941), 51-52

Dietz, Leonard A., "Contamination of Persian Gulf War Veterans and Others by Depleted Uranium," July 19, 1996; see www.wise-uranium.org/dgvd.html.

Hopkin, Michael, "Swimming in Syrup Is as Easy as Water," Nature Publishing Group; see www.nature.com/news/2004/040920/full/news040920-2.html.

Larmor, Joseph, *Memoir and Scientific Correspondence of the Late Sir George Gabriel Stokes* (Cambridge, U.K.: Cambridge University Press, 1907)

Parkinson, E. M., "George Stokes," in *Dictionary of Scientific Biography*, Charles Gillispie, editor-in-chief (New York: Charles Scribner's Sons, 1970)

Wilson, David, *The Correspondence Between Sir George Gabriel Stokes and Sir William Thomson, Baron Kelvin of Largs* (New York: Cambridge University Press, 1990).

Wood, Alastair, "George Gabriel Stokes 1819-1903: An Irish Mathematical Physicist," School of Mathematical Sciences, Dublin City University, Ireland, 1998; see www.emde.dcu.ie/Stokes/GGStokes.html.

أفكار فلسفية وآراء للمناقشة:

- واجب ووظيفة الفيزياء الأساسية هي دأبها واجتهادها المستمر لإيجاد النسق والنمط (ممثلة بالقوانين والمبادئ) الذي يمكننا وبوضوح من تفسير تصرف مختلف الظواهر والأحداث التي نشاهدها. ورغم رشاقة تلك القوانين وجمالها وكفاءتها إلا أن تفكيرنا سيظل عاجزاً عن تفسير سبب تصرفها بذلك الأسلوب، وما هو ناموس تكوينها ولن نستطيع الإجابة على (لم عليها أن تظهر على ذلك الشكل؟)، وحتى لو تصورنا توصلنا لإدراك أي قوة عليا أو ذكاء خارجي (أو توصل هو لنا) وأجابنا بذكاء على كافة أسئلتنا السابقة فإننا سنجدنا حتماً أجوبة لا منطقية ولا عقلانية.

جينز

James Hopewood Jeans, (Physics and Philosophy, 1942).

مقتطف من كتابه (الفيزياء والفلسفة).

- أخالني على صواب حينما أعتبر قوانين الطبيعة تعبيراً عن إرادة الخالق (سبحانه) والمجسد لأفكاره (تبارك وتعالى)، فهي الخالدة الأزلية النبات. ونباتها وأزليتها يتلاشى أي احتمال (للصدفة) وتكاد حتى مجرد الكلمة أن تزول، فلا وجود ولا معنى لأي صدفه أبداً بوجود القوانين الطبيعية الثابتة والراسخة (ولا

حتى تحت كل ما يسمى قانوناً). فلا يبقى لنا هنا إلا اعتبارها (أي الصدفة) نتيجة متبقية من حاصل إخفاق بعض الحسابات هنا أو فشل بعض النتائج هناك والتي قد يظهرها تطبيق بعض القوانين الطبيعية المعروفة أو التي ستعرف فيما بعد.

موت

Henry Augustus Mott. (The Laws of Nature and Man's Power to Make Them Subservient to His Wishes). 1882.

مقتطف من كتابه الموسوم (قوانين الطبيعة وفعل الإنسان في إخضاعها لإرادته).

• متى ما توصلت إلى القناعة التامة الراسخة بأن أي نظرية قد توصلت إليها أو فكرت فيها هي الأسلوب (الوحيد) والطريقة التي (لا مناص عنها) لتفسير ظاهرة واحدة أو مجموعة من الظواهر، هنا عليك أن تعي بأن هذه هي الإشارة الواضحة والدليل القاطع على أنك لم تفهم هذه النظرية أصلاً ولم تدرك لم وضعت ولا لأي حل ستقود.

بوبر

Karl Popper. (Objective Knowledge, An Evolutionary Approach).

مقتطف من كتابه (المعرفة الموضوعية كأسلوب للتطور).

• جاء أول ذكر رسمي موثق معترف به لمصطلح (القانون الطبيعي) في اللغة الإنكليزية في حوالي القرن السابع عشر حينما بدأت مبادئ العلوم المنهجية في ترسيخ خطواتها تهيؤاً للانتشار. وقد جاء بالفعل أول ذكر لأول مثالين حقيقيين لهما في معجم أكسفورد للغة الإنكليزية المنشور في عام (1665). عزى أحدهما (بويل - Boyle)، وجاء ذكر الثاني في دورية (إنجازات الجمعية العلمية) - كلاهما كان قد عزا حركة الكون لإرادة الله (سبحانه وتعالى) وفيما عدا ذلك لم نجد إلا ذكر [دسكاريه - Descartes] لقواعد وقوانين الطبيعة [في كتابه المنشور في عام (1644) والذي كان بعنوان (المبادئ الفلسفية)].

فراين

Michael Frayn. (The Human Touch).

مقتطف من كتابه (اللمسة الإنسانية).



قانون بير للامتصاص الضوئي

BEER'S LAW OF ABSORPTION

1852، ألمانيا، 

تناسب قابلية أي محلول لامتصاص الضوء المار به طردياً مع تركيز المادة المذابة فيه.

مجاور ذات علاقة:

– بيرير بوغوي (PIERRE BOUGUER)، و (يوهان لامبير JOHANN LAMBERT)،

وقانون لامبير – بر (THE LAMBERT – BEER LAW)، وقانون بوغوي – بير (THE

BOUGUER – BEER LAW).

من أحداث عام (1852):

– نشرت الكاتبة الأمريكية (هاريت بيشر ستو – Harriet Beecher Stowe) كتابها

الشهير (كوخ العم توم).

– نشرت الطبعة الأولى من (نيزورس – Thesaurus) للطبيب ومؤلف المعاجم البريطاني (بيتر

روجيه – Peter Roget) واعتُقلت الأمريكية – إيماسنود غراس – Emma Snodgrass

في بوسطن بتهمة ارتداء السروال الرجالي، ثم ما لبث أن تم إطلاق سراحها من قبل القاضي بعد

محاضرة مطولة شرح لها فيها ونصحها خلالها بتجنب مثل هذه التصرفات غير المعتادة!

نص القانون وشرحه:

لنأخذ إناء زجاجياً أسطوانياً مملوئاً بمحلول ملون ونمرر خلاله حزمة ضوئية بطول موجي معين

هو (λ) وبشدة معينة هي (I_0). لنا أن نتصور أن المحلول الملون في الأسطوانة الزجاجية لا بد وأن

يحتص جزءاً من حزمة الضوء المارة خلاله ويسمح للجزء الباقي بالمرور الذي ستصبح شدته (I).

ينص قانون بير على أن كمية الضوء الممتصة من قبل المحلول تتناسب طردياً مع تركيزه (أي مع

تركيز المادة المذابة فيه) ومع طول المسار الضوئي خلاله وسيمكننا التعبير رياضياً عن هذا القانون

بالمعادلة التالية:

$$A = \varepsilon \times c \times l,$$

حيث يمثل (A) مقدار امتصاص المحلول للضوء و (C) تركيزه مقاساً بعدد الأوزان المعيارية المذابة في اللتر الواحد منه (مول/لتر) و (l) هو طول المسار الضوئي بالسنتيمتر و (ε) هو ثابت التناسب الذي يسمى المعامل المعياري المميز أو الثابت المعياري للامتصاص، والآن إذا فرضنا أن A = صفراً المحلول ما، فلن يمتص هذا المحلول أي فوتوناً من فوتونات الضوء المار خلاله. تبرز دقة هذا القانون عند تطبيقه على المحاليل المخففة نسبياً ولا يمكن الاعتماد على دقته في المحاليل شديدة التركيز بسبب التداخلات التي تحدث بين جزيئات المحلول في تلك الحالة وتقاربها من بعضها البعض وتداخل شحناتها المستقرة فيما بينها، كما لا يمكن استخدامه أيضاً في المحاليل ذوات الخواص الباعثة ذاتياً للضوء أو الحاتئة له. يمكن تعريف (A)، بمنظور رياضي آخر هو:

$$A_{\lambda} = -\log_{10}(I/I_0)$$

عندما تكون (I) شدة الضوء النافذ من خلال السائل.

أما من الناحية العملية فيمكن استخدام هذا القانون و خاصية امتصاص الضوء من قبل محلول معين لمعرفة تركيزه أو لمعرفة الطول الموجي للضوء النافذ خلاله عند معرفة إحداهما، ويعتبر (قانون بير) هذا الأساس في اختراع (المطياف) واستخدامه لمعرفة الطول الموجي للضوء النافذ (ε) و ثابت التناسب للمحلول المستعمل، فإن معرفة كمية الضوء الممتصة من قبله ستمكننا من معرفة تركيز المادة المذابة فيه. ومن الجدير بالذكر هنا أن قيمة معامل الامتصاص (ε) تعتمد على طبيعة المادة المذابة وعلى الطول الموجي للضوء المستعمل.

للفضوليين فقط:

• يكاد لا يمكن حصر التطبيقات العملية المهمة (لقانون بير)، والتي تغطي مساحة هائلة منها تراوح من دون حصر ما بين كشف المحاليل المختبرية المجهولة وتركيزها من جهة وبين قابلية مختلف طبقات الجو على امتصاص الضوء من جهة أخرى. ومن التطبيقات الغريبة لهذا القانون استعماله من قبل



علماء النبات المهتمين بدراسة التجمعات الورقية العليا في الغابات الاستوائية الكثيفة والغابات المطيرة، فبفضل التحسينات التي أُدخلت عليه صار بالإمكان معرفة مقدار نفوذية الضوء من خلال أعالي الأغصان المتشابكة الكثيفة وإلى ارتفاعات معينة فوق سطح الأرض في تلك التجمعات الشجرية، ولدهشة العلماء فقد اكتشفوا اعتماد ثابت التناسب وهو الثابت المعياري للامتصاص على مقدار التغير في اتجاه الأوراق ومقدار زاوية جنوحها نحو الضوء في تلك الغابات وعلى تلك الارتفاعات.

أقوال ماثورة:

– بالإمكان تأكيد العلاقة البينة بين مقدار الضوء والإشعاع المنعكس من أرضية الغابات أو طبقات أوراقها السفلى وتأثير ذلك على طبقاتها العليا باستخدام شكل من أشكال قانون بير!

في

Richard Lee. Forest Microclimatology

ملخص لسيرة حياة المكتشف:

ولد [أوكست بير (August Beer (1825 – 1863] عالم الرياضيات والكيميائي والفيزيائي الألماني الذي اشتهر بدراساته لخواص امتصاص الضوء في السوائل، في مدينة (تريبه – Trier) وهي إحدى أقدم مدن ألمانيا التي تقع على الساحل الغربي لنهر (موسيل Moselle) قرب حدود ألمانيا مع (الکسمبرک – Luxembourg)، درس العلوم الطبيعية والرياضيات وتلمذ على يد الرياضي والفيزيائي الألماني [جوليس بلكر (Julius Blucker (1801 – 1868] واستطاع أن ينال شهادة الدكتوراه ولما يتجاوز عامه الثالث والعشرين، قدّم وشرح قانونه المعروف الآن باسم (قانون بير) في كتابه (مقدمة في البصريات الفائقة – Introduction to Advanced Optics) وذا ع صيته العلمي بعد ذلك حيث سرعان ما حصل على كرسي أستاذ الرياضيات في جامعة (بون Bonn). وفي ثلاثينيات عمره اجتاحتته رغبة عارمة في تلخيص كامل الفيزياء الرياضية في كتاب، إلا أن منيته سرعان ما عاجلته وهو في عامه الثامن والثلاثين

وحالت دون تحقيق تلك الأمنية الجبارة والطموحة، ولذلك لم يمكن نشر معظم أوراقه والتي تضمنت مقالات في المرونة والمغناطيسية والكهربائية الحركية والخاصية الشعرية للأنابيب الدقيقة إلا بعد وفاته. كان من الملاحظ عند العامة والعلماء، وقبل أن يُقدم (بير) على نشر اكتشافه الذي عرف فيما بعد (بقانون بير)، أن شدة الضوء بعد مروره خلال أي محلول لا بد وأن يكون أقل من شدته عند المصدر. وفي هذا السياق على سبيل المثال فقد صاغ الرياضي الفرنسي [بيير بوغوي (Pierre Bouguer) (1898 – 1758)] في عام (1729) هذه الملاحظة كميًا بقانونه حول الامتصاص الضوئي والذي نص على: التناسب بين شدة شطر الضوء الممتص من قبل أي مادة مع سمكها، فقد وضع بوغوي في مقالاته المنشورة في عام (1729) بعنوان (de la Lumiere Gradation sur la - Essai) تجارب بصرية في اضمحلال الضوء: (Optical Experiments on the Gradation of Light) حقيقة تناقص شدة الضوء المرئي النافذ من خلال طبقات الجو العليا المتعاقبة واطمئنان

شدته متى ما وصل إلى سطح الأرض وتمكنا من قياسه.

لم يحصل (بوغوي - Bouguer) على الشهرة التي نالها (بير - Beer) رغم اعتباره من قبل العديد من العلماء المكتشف الحقيقي للقانون الذي حمل وما زال يحمل اسم (قانون بير)، ومن الجدير بالذكر أن الرياضي والفلكي والفيزيائي السويسري [يوهان هينرخ لامبير (Johann Heinrich Lambert) (1728-1777)] كان أكثر وضوحاً من (بوغوي) حين أعاد في مقالاته الموسومة (قانون لامبير للانبعاث الضوئي - الجزء الثاني) اكتشاف ونشر (قانون بوغوي) للامتصاص الضوئي. وبعد إجراء وإعادة تقييم العديد من التجارب التكميلية الأكثر دقة لاحظ العديد من العلماء أن كمية الضوء الممتص من قبل أي محلول لا بد وأن تتأثر بعوامل كثيرة أخرى إضافة إلى اعتبار سمك المسار الضوئي له. وأخيراً أعلن (بير) في عام (1852) الصيغة النهائية لقانون امتصاص الضوء في المحاليل والذي سبق وأن سمي بالعديد من الأسماء مثل (قانون بير) أو (قانون لامبير - بير) أو (قانون بوغوي - بير) حين لاحظ أنه بالإضافة إلى تناسب طول مسار الضوء (سمك المحلول) طردياً مع كمية الضوء الممتص عند مروره به، فإن



لكمية المادة المذابة في ذلك المحلول ومن ثم لتركيزه الأثر البين على ذلك الامتصاص أيضاً. شكل هذا القانون حجر الزاوية لما عرف لاحقاً بـ (علم التحليل الطيفي الضوئي الكمي)، لأنه وببساطة وفر الطريقة الرياضية المثلى لمعرفة تركيز أي محلول دون الحاجة لإتلاف ولو جزء يسير منه. وتشعبت استخدامات (قانون بير) مع الأيام. ففي وقتنا الحاضر يستعمل هذا القانون لتحديد مقدار الأشعة الفوق بنفسجية اللازمة للتخلص من الميكروبات في المشروبات والعصائر والتي تعتمد على مقدار امتصاص تلك العصائر لتلك الأشعة وهذا بالضبط ما يفسره قانون (بيير). ومن الجدير بالذكر أيضاً أن صاحبنا (بيير) لم يتمكن من صياغة القانون الأسّي للامتصاص،

$$I = I_0 e^{-acx}$$

إلا أن اسمه قد لحق به فسمي كذلك باسمه حيث (I) هو شدة الضوء المار خلال نموذج محلول بسمك مقداره (x) وبتركيز (c) في حين يمثل (a) معامل الامتصاص. أما أول من أطلق اسم (قانون بيير) على هذه العلاقة فهو (ب. والتر - B. Walter) في مقالته المنشورة حول الموضوع في دورية (حوليات الفيزياء) عام 1889.

مصادر إضافية وقراءات أخرى:

Ihde, Aaron John, *The Development of Modern Chemistry* (New York: Dover, 1984).

Mavi, Harpal S., *Agrometeorology* (Binghamton, NY.: Haworth Press, 2004); discusses applications of Beer's Law to forest canopies.

أفكار فلسفية وآراء للمناقشة:

• في البداية كانت الذرات... أوجدت نفسها بنفسها!! واستطاعت كل ذرة أن تختار لنفسها من قوانين الحركة ما تشتهي كنamos لها!! وهكذا عاش الجميع دهرهم بسعادة وحبور، وهكذا صدقوا ما عاهدوا بعضهم بعضاً عليه ولم تنقض أي ذرة مذكاً عهداً المذكور!! ظل حالهم على ذا الحال حتى أعلن مجتمعات: (أن يا أيها الذرات اتفقن جميعاً على خطأ المجاذبية، وقررن جميعكن على كافة قوانين الفيزياء). عند ذاك دقت ساعة الكون، وآل بأكمله إلى الزوال.

والآن إذا ما استكر المحدثون غرابة هذه الأقصوصة، فليس لهم إلا أن يلوموا أنفسهم لأن دقة القوى الملازمة لحفظ الذرات في الكون والتي تُحِيل دون نقضها لا يمكن أن تترجم لغويا بأفصح مما قيل.

هنري اوغستس موت من

Henry Augustus Mott.

The Laws of Nature and Man's Power to Make Them Subservient to His Wishes

مقتطف من كتابه (سلطة الإنسان في إخضاع قوانين الطبيعة لإرادته)

• كيف كان للكون - ومنذ لحظة ميلاده - أن يعي القوانين التي سيستوجب عليه اتباعها؟!

سمولن

Lee Smolin (Never Say Always), New Scientist, September 23, 2006.

من مقالاته (لا تقل دائما أبدا).

• ما عليك إلا أن تبسط يديك للريح ثم تقبضهما بسرعة لشعر بحلاوة بضعة قوانين طبيعية مفعمة بالنكهة الرياضية فيهما! وما الغرابة في ذلك إذا علمت أن حتى الشمس عند استئذانها للدخول من خلال شبايك غرفتك صباحا، عليها ألا تنسى القوانين التي عليها الخضوع لها وفق مشيئة الله (عز وجل) والتي صيغت رياضيا من قبل نيوتن واينشتاين وهيرنبرك.

ليوبولد انفلد

Leopold Infeld, Quest, An Autobiography

مقتطف من (سيرته الذاتية).

• من الغرابة حقاً أنك لا تجد أي أثر لاستخدام مصطلح (القانون - Law)، لا لوصف أعمال (كوبرنيكوس - Copernicus)، ولا لأعمال (غاليليو - Galileo)! كما وإنك بالمثل ستعجب لعدم استخدام (كبلر - Kepler) لهذا المصطلح لوصف أعماله أيضاً، علماً بأنها كانت أول ما عُرف به (القوانين العلمية) الحقيقية، أعني بها (قوانينه) الثلاثة في حركة الكواكب.

فراين

Michael Frayn, The Human Touch

مقتطف من كتابه (اللمسة الإنسانية).



قانون ويدمان - فرانز للتوصيل الكهربائي والحراري

THE WIEDEMANN - FRANZ LAW OF CONDUCTIVITY

1853، ألمانيا، 

يتناسب حاصل قسمة توصيل الفلزات للحرارة على توصيلها للكهربائية مع درجة حرارتها.

محاور ذات علاقة:

قانون ويدمان - فرانز - لورنز (WIEDEMANN-FRANZ-LORENZ)،

وقانون فورييه للتوصيل الحراري (FOURIERS LAW OF HEAT)

(CONDUCTIVITY)

من أحداث عام (1853):

- أكمل البريطاني (وليم شانكس - William Shanks) حساباته لنسبه الدائرة الثابتة (باي π) إلى (607) مرتبة عشرية، وتمكن كذلك بعد مرور عشرين عاما من نشر تكملة حساباته إلى (707) مرتبة. ومن المدهش أنه بإعادة حساب ما قام به (شانكس) في الأربعينات من القرن الماضي تبين خطؤه في المرحلة الثامنة والعشرين بعد الخمسمئة (528)، مما يُفضي بديها إلى خطأ كافة المراتب بعدها.

- وافقت الولايات المتحدة الأمريكية في هذا العام على شراء (29640) ميلا مربعا أي ما يساوي (76770) كيلومتر مربع من الأراضي المكسيكية وذلك بصفقة مهد لها وزيرها إلى المكسيك آنذاك وهو جيمس كادزدن (James Gadsden) بلغت قيمتها (10) ملايين دولار أمريكي وعرفت تاريخيا باسم (صفقة كادزدن) وشملت شراء الأراضي المكسيكية التي تقع اليوم ضمن حدود ولايتي أريزونا الجنوبية ونيومكسيكو الأمريكيتين.

نص القانون وشرحه:

ينص (قانون ويدمان - فرانز) على: تناسب حاصل قسمة التوصيل الحراري (k) لأي فلز

على توصيله الكهربائي $[(\sigma - \sigma)]$ مع درجة حرارته المطلقة (T).

$$\frac{K}{\sigma} = LT'$$

ويعرف ثابت التناسب (L) برقم لورنز نسبة إلى:

الرياضي والفيزيائي الدنماركي [لودوك لورنز (1829-1891) Ludwig Lorenz] والذي برع في أبحاثه في هذا المجال.

وبالإمكان اشتقاق (رقم لورنز) من العلاقة التالية:

$$1 - \frac{\pi^2}{3} \left(\frac{k}{e} \right)^2$$

والذي يساوي

$$2.45 \times 10^{-8} \text{ W} \cdot \Omega / \text{K}^2$$

حيث تمثل (e) وحدة الشحنة التي يحملها الإلكترون و (k) هو ثابت بولتزمان (Bolsrman Coustant).

ثبتت صلاحية تطبيق هذا القانون في مجال محدود من درجات الحرارة ونسب إلى الفيزيائي الألماني (كوستاف ويدمان - Gustav Wiedmann) ومساعدته (رودولف فرانز - Rudolf Franz) بعدما نشرتا نتائجهما التي أكدت ثبوت قيمة (K/σ) لمختلف الفلزات في ذات الدرجة الحرارية. ولما تمكن (لورنز) في عام (1872) من تجربة، ومناقشة، وإثبات حقيقة تغيير قيمة (K/σ) كدالة مع الحرارة صار هذا القانون يسمى بـ (قانون ويدمان - فرانز - لورنز). الجدول رقم (9) ويبين معاملات التوصيل الحراري لبعض المواد المعروفة:

المادة	معامل التوصيل الحراري [W / (m.k)]
الفضة	406.0
النحاس	385.0
الألمنيوم	205.0
الكونكريت (الخرسانة)	0.8
الستايروفوم (العازل الرغوي)	0.01



لا غرابة في تعاملنا خلال مختلف نشاطاتنا اليومية مع العديد والعديد من مختلف تطبيقات التوصيل الحراري؛ فمن منا - مثلاً - لم تلذعه حرارة ملعقة الشاي المعدنية الصغيرة عند تركها فيه وهو ساخن؟ ومن منا لم يفضل التقاط ملعقة الشاي ذات المقبض الخشبي العازل للحرارة؟ فبالنظر لضعف توصيل الخشب للحرارة فهو يستعمل في صناعة المقابض لكافة آنية وأدوات المطبخ من قدور وملاعق كبيرة وغيرها (وإن صار استبدال الخشب اليوم بالبلاستيك أكثر شيوعاً فذلك يعود لجمالية الأخير وسهولة تشكيله ورخص ثمنه)، ثم من منا لم يلاحظ (في أيام الشتاء القارصة) برودة قطعة النقود المعدنية عند التقاطها من على سطح الأرض مقارنة بقطعة خشب مثلاً؟ وتفسير ذلك يعود إلى سرعة فقدان القطعة المعدنية لحرارتها في الطقس البارد مقارنة بقطعة الخشب. ومن الجدير بالذكر أن للمواد الموصلة المختلفة (كالفضة والألومنيوم) معاملات توصيل حراري مختلفة، ويبين لنا الجدول رقم (9) معاملات التوصيل الحراري لبعض المواد المعروفة.

تعتمد كافة المواد المعروفة بتوصيلها للحرارة والكهربائية على فائض من الإلكترونات حرة الحركة في بنائها الجزيئي وهذا العدد يختلف باختلاف المواد، فالمواد الموصلة (كالمعادن والفلزات) غالباً ما تحتوي على فائض كبير من الإلكترونات على عكس المواد العازلة كالخشب والبلاستيك والمطاط فمن المعروف أن الكيان البلوري للمعادن والفلزات يتمتع (رغم صلابتها) بهامش حركة ترددية تحددها نوع الأواصر الإلكترونية بين جزيئاتها وقوة الربط بينها، فعند تسخين أي معدن تزداد حركة جزيئاته وتذبذبها (حتى وإن حافظ على شكله الخارجي) بفعل الطاقة المكتسبة من المصدر الحراري، الأمر الذي يدفع عدداً أكبر من إلكتروناته إلى الانفلات من قبضة أواصره وتحويلها حرة ضمن كيان المادة الموصلة. هذه الإلكترونات حرة الحركة هي المسؤولة عن زيادة توصيل مادة ما للحرارة المطلقة عليها. ومن ناحية أخرى ولما كانت حركة الإلكترونات الحرة السريعة لإيصال الحرارة تتعارض مع مسار الكهرباء (والتي هي بدورها عبارة عن سيل من الإلكترونات السريعة) وتتصادم معها فلهذا تنخفض قابلية توصيل المعادن للكهربائية عند ارتفاع حرارتها. تعتبر نسبة التوصيل

الحراري إلى التوصيل الكهربائي لأي مادة (موصلة) ثابتة في درجة حرارة معينة ثابتة، والمواد جيدة التوصيل للحرارة غالباً ما تكون جيدة التوصيل للكهربائية.

كانت القناة الشاملة بتطبيقات (قانون ويدمان - فرانز) على كل المعادن سارية حتى عام (2001) حينما أثبتت تجارب وأبحاث (جامعة تورونتو) عدم انصياح نوع جديد من (أكسيد النحاس) لهذا القانون عند خفض درجة حرارته، الأمر الذي فتح أبواباً نظرية وتجريبية واسعة لتفسير ودراسة هذه الظاهرة والتي تنبأت بجهد ذهني ومعملي مضمّن ينتظر العلماء والباحثين لتفسيرها... ولم يقتصر الجهد والدهشة على ما سبق، إذ إن اكتشاف أصناف متجددة من المواد والموصلات (ومن النوع الذي لم يكن ويدمان وفرانز ليحلما بها) أضاف تحديات متجددة وأسئلة محيرة حول صمود قانونيهما في تصديده لتفسير تصرف هذه المواد.

ولتوضيح ما سبق دعني أقتبس لك الفقرة التالية من البحث الموسوم (تأثير بلتيه - Peltier - اللاخطي والتوصيل الحراري في الأسلاك النانوية)⁽¹⁾ الذي يبين ضرورة أخذ تأثير فيزياء الكم بالحسبان عند تجربة واستخدام أسلاك متناهية الصغر ذوات مقاطع بتلك القياسات لنقل الحرارة و/أو الكهرباء. ووجدنا بالتجربة أن قانون ويدمان - فرانز (والذي يفسر بدقة التوصيل الحراري والكهربائي عند نقاط التوصيل المعتادة) لم يعد كافياً لتفسيرها عند أخذ البعد الكمي⁽²⁾ الفراغي (3D) بنظر الاعتبار، فهنا لا بد من أخذ مبدأ الاحتمالية (Probability)⁽³⁾ بالحسبان عند اشتداد الارتباط بين مستويات الطاقة الهائلة مع كثرة الاحتمالات في أوجه توصيلها خلال مثل تلك الأسلاك فائقة الدقة والصغر. تؤكد هذه الفرضية - في المقابل - انتفاء الحاجة إلى وضع (التأثير الكمي) بالحسبان عند التعامل مع الأسلاك الكبيرة نسبياً خارج النطاق النانوي حيث يضعف ويختفي (التأثير

(1) النانو: وحدة قياس متناهية في الصغر وتساوي جزءاً من بليون جزء من المتر، أي (1/1 000 000 000) م. (المترجم).

(Nonlinear Peltier Effect and Thermoconductance in Nanowires)

(2) ميكانيك الكم (أو الكمي): تضم مجموعة المبادئ والنظريات التي تحكم الأجسام على المستوى الذري وما دون الذري من ناحية تصرفاتها الفيزيائية وخصائصها. (المترجم).

(3) مبدأ الاحتمالات: Probability Principle: هو حقل الرياضيات المعني بتحليل ودراسة الظواهر العشوائية. (المترجم).



الكمي) بطبيعة الحال كما في حياتنا اليومية بأبعادها الاعتيادية. بعبارة أدق: يبرز التأثير الكمي أو الكمي (ومن ثم يستوجب ضرورة إدخال حساب الكم بنظر الاعتبار) عند التجربة واستخدام الأسلاك متناهية الدقة والصغر - أي تلك التي تقارب أبعادها نصف قطر الإلكترون⁽¹⁾ وما دون حيث يظهر تأثير النفق (Tunnel Effect)⁽²⁾ جلياً على احتمالات التوصيل وانتقال الحرارة والكهربائية، أو عند اشتداد خاصية توزيع فرمي (Fermi Distribution)⁽³⁾ عند درجات الحرارة القريبة من درجة الصفر المطلق.

للفضوليين فقط:

• امتازت عائلة (ويدمان) بجذور عبقرية فريدة تعود إلى الجذوة المتميزة في أصول تلك العائلة الفذة (!) فلقد اشتهر الأب باكتشافه لقانون (ويدمان - فرانز) إضافة إلى منصبه كأستاذ بارع في الكيمياء الفيزيائية بجامعة لايبزيك (Leipzig)، واشتهر جدهم

(1) نصف قطر الإلكترون: ويسمى أيضاً بنصف قطر لورنتز - (Rorentz Radins) أو (طول تشتت تومسون - Thomson Scattering Length) ويساوي [58] 2.8179402894 مضروباً بـ 10 مرفوعة إلى الأس (السالب 15) متراً ويحسب عادة بطريقة (نسبية) كلاسيكية (غير كمية) حسب المعادلة:

$$r = \frac{1}{4\pi\epsilon_0} \frac{e^2}{mc^2}$$

حيث (e) هي مقدار شحنة الإلكترون، و (me) هي كتله، و (c) معدل سرعة الضوء في الفراغ، و (ε₀) مقدار (عدم المساعة - Permittivity) لتوليد الشحنة الكهربائية في الفراغ الحر. (المترجم).

(2) تأثير النفق: Tunnel Effect: ظاهرة نانوية تشد فيها الجزيئات والجسيمات عن قوانين الميكانيك الكلاسيكية باجتيازها حواجز افتراضية أو مجالات ذوات طاقة حركية أعلى من تلك التي تملكها تلك الجزيئة أو الجسم. (المترجم).

(3) Fermi Distribution - وقد يسمى (The Fermi - Dirac Statistics)؛ وهو ذلك الجزء من (العلوم الفيزيائية) المختص بتوصيف طاقات الجسيمات المفردة ضمن الأنظمة التي تضم العديد من تلك الجسيمات المتشابهة والتي تنصاع لـ (مبدأ إقصاء باولي - Pauli Exclusion). اختص اسم هذا التوزيع من اسمي العالمين [انريكو فرمي - Enrico Fermi (1901-1954)] و [بول ديراك - Paul Dirac (1902-1984)]. يختص هذا التوزيع بتوصيف الجسيمات المتطابقة والحاوية على (نصف العدد الصحيح من مواصفات اللف (Half - Integer Spin) هي النظم المتناسقة حرارياً. يتخذ (توزيع فرمي وديراك) شكل المعادلة التالية لنظام مكون من (فيرميونات) متماثلة، حيث يُمثل (n_i) حالة معدل عدد الفيرميونات الموجودة ضمن (حالة جزيئية مفردة) وكما يلي:

$$\bar{n}_i = \left[\frac{e^{-(\epsilon_i - \mu)/kT}}{1 + e^{-(\epsilon_i - \mu)/kT}} \right]$$

حيث يُمثل k - ثابت بولتزمان و T - درجة الحرارة المطلقة. و ε_i - مقدار طاقة حالة حالة الجسيمة الواحدة و μ - قيمة الكامن الكيميائي. (المترجم).

لأهمهم [الهارد ميتشرليخ (1794-1863) Elhard Mitscherlich] بأبحاثه الرائعة حول التناظر في التراكيب الكيميائية والتماثل في الكيان البلوري للمواد، أما الأم كلارا (Clara) فقد ساهمت في ترجمة العمل الخالد للفيلسوف الطبيعي (أيرلندي الأصل) [جون تندل (1820 - 1893) John Tyndall] والموسوم - الحرارة كنموذج للحركة - (Heat as a Model of Motion) إلى الألمانية.

• كتبت الموسوعة البريطانية طبعة عام (1911) عنه ما يلي:

(ظلت حسابات التوصيل الحراري للفلزات المختلفة التي قام (ويدمان) بها فعالة وموثوقة لفترة طويلة من الزمن يعتمدها الفيزيائيون في تجاربهم، أما قابليته الفذة وإبداعه في الأبحاث الكمية ودقته في تسجيلها فقد برزت جلياً في تفسيره لوحدة الأوم⁽¹⁾ بدلالة المقاومة النوعية لسائل الزئبق، كما أدت تجاربه الفذة في حقل المغناطيسية إلى اكتشاف العديد من الظواهر. فعلى سبيل المثال لا الحصر، قام عالمنا الجليل بالعديد من الدراسات التي تتعلق بتأثير جهد الشد الميكانيكي المسلط على المعادن وتأثير ذلك على خواصها المغناطيسية إضافة إلى دراسة علاقة التركيب الكيميائي للمواد المعقدة بتلك الخواص، كما وحاول إثبات أوجه التماثل الملفقة للنظر بين قوانين العزوم والمغناطيسية).

ملخص لسيرة حياة المكتشف:

[كوستاف ويدمان (1826 - 1899) Custav Wiedemann] فيزيائي ألماني اشتهر بدراساته المتعلقة بالتوصيل الحراري والكهربائي في الفلزات وبأبحاثه في المجال الكهرومغناطيسي.

ولد في مدينة برلين (Berlin) الألمانية في عام (1826) ونشأ يتيم الأب إذ سرعان ما وافته المنية والده ولم يبلغ هو الثانية من عمره. كتبت دورية (مقدمات الجمعية الملكية) الصادرة في لندن نادبة حظ هذا العبقرى العاثر الذي لم يحمله القدر كثيراً حتى وافته والدته أجلها المحتوم

(1) الأوم: Ohm - هي الوحدة العالمية (Ω) للمقاومة الكهربائية وتعرف بمقدار مقاومة موصل كهربائية إذا ما وضع بين فرق جهد كهربائي مقداره (فولتاً) واحداً، أنتج (امبيراً) واحداً من التيار.



وهو على أعتاب عامه الثاني عشر.

كان أثر يتم (كوستاف) المبكر على جوهر حياته وبناء شخصيته بينا للغاية حيث اضطر إلى الاعتماد على ذاته وجاهد في سبيل تنمية قدراته وقابلياته ذاتيا وامتدت إليه يد القدر (شأنها مع معظم العظماء والعباقرة) رافة به ورحمة بحاله فقيضت له صديقا وفيأ أحاطه بعنايته، وحرص على توفير الفرص المناسبة لحصوله على الثقافة العلمية الكلاسيكية المعروفة في ذلك الزمان. ولعل سر ولعه المفرط في دراسة الفيزياء وشغفه الشديد بها يعود إلى تعلقه ولسنوات عدة خلال دراسته في كولون جمنيزيوم (Cologne Gymnasium) بأستاذه في مادة الفيزياء وهو توماس سيببك (Thomas Seebeck).

شرع (ويدمان) بدراسته للطبيعيات في جامعة برلين في عام (1844) وحاز على شهادة الدكتوراه منها في عام (1847) عن أطروحته حول مادة البايوريت (Biuret)⁽¹⁾. كما حاضر في مختلف مواضيع الفيزياء في الجامعة وأنجز بعض البحوث المتعلقة باستقطاب الضوء. تزوج في عام (1851) من ابنة الكيميائي الألماني (الهارد متشرلخ) ورزق منها بولدين. هذا وقد نشأ الأكبر (واسمه ولهارد كاسم جده) ليصبح فيزيائيا ومؤرخا للعلوم ووفق ما جاء في كتاب نيوتن هارفي (لمحة عن تاريخ ظاهرة اللمعان E. Newton Harvey's: A History of Luminescence) فقد نشر (ولهارد) هذا في عام (1880) بحثه الموسوم (حول سبل حساب الضغط على سطح الشمس والنجوم وبعض الملاحظات حول القياسات الطيفية الضوئية)، وكان عام (1888) قد شهد صياغة (ولهارد) - ولأول مرة في تاريخ الفيزياء - مصطلح اللمعان (Luminescence)⁽²⁾.

أما الابن الأصغر (الفريد Alfred) فقد اختص (بعلم المصريات) وبرع فيه إلى درجة مكنته

(1) البايوريت: مادة بيضاء بلورية تتروجينية التركيب رمزها الكيميائي $(C_2 O_2 N_3 H_5)$ تحضر بتسخين مادة البولينا - اليوريا - المعروفة بجوهر البول وهي المادة النهائية الناتجة لتحلل المواد الزلائية في الجسم. (المترجم).

(2) اللمعان: وهي ظاهرة الإضاءة الذاتية لجسم بارد وقد تنتج عن التفاعلات الكيميائية أو الطاقة الكهربائية أو الإجهاد المسلط على أنواع من البلورات، وبذلك يختلف اللمعان عن التوهج (Incandiescence) وهي ظاهرة إنبعاس جسم لضوء إثر رفع درجة حرارته. (المترجم).

من تأليف كتاب جامع شامل ومرجع مرموق في إثبات الدور المحوري الذي لعبه الدين في حياة مصر القديمة. وبالعودة إلى حياة (ويدمان) الأب نجده قد تسنم في عام (1864) منصب الأستاذية في الفيزياء بجامعة بآل (Basel) السويسرية وشغل خلال عام (1871) منصب الأستاذ الأول في الكيمياء الفيزيائية (بجامعة لايبزك) في ألمانيا، كما شهد عام (1877) تنويجه محررا للدورية حوليات الكيمياء والفيزياء المرموقة (Annalen der Physik Unel Chemie).

لقد تمحورت اهتمامات (ويدمان) حول الدراسات المتعلقة بتوصيل الفلزات للكهربائية وتأثير التيارات الكهربائية في دوران مستويات الضوء المستقطب وتوصيل الفلزات للحرارة، كما بلغ ذروة نجاحه وتكللت جهوده بالظفر حينما توصل مع مساعده (رودولف فرانز) في عام (1853) إلى اكتشاف قانون التوصيل (موضوع هذا البحث) والذي نص على تناسب توصيل الفلزات للكهربائية مع توصيلها للحرارة عند درجة حرارة معينة، هذا وتنوعت أعمال ويدمان لاحقا وتشعبت حتى شملت مجالات واسعة وحقولا شتى مثل:

- تأثير شدة التيار الكهربائي على الضغط التناظفي.
- تأثير الحرارة على درجة مغنطة الحديد والصلب.
- المغناطيسية في المركبات الكيميائية.
- الضغط البخاري للأملاح المتصعبة.
- بناء الكالفانومترات الجديدة - وهي آلات تستعمل لاكتشاف وقياس وبيان اتجاه التيارات الكهربائية الضئيلة.

ولعل أعظم أعماله كان كتابه المعروف بكتاب (الكلفنة) والذي ألفه ما بين عامي (1861-1863) واسمه بالألمانية هو (Die Lehre von Galvanismus) والذي لخص فيه ببراعة تامة كل ما كان معروفا عن الكلفنة (وهو علم دراسة التيار الكهربائي المستمر وتأثيراته) حيث صدر أول الأمر تحت عنوان مطول هو:

Die Lehre vom Galvanismus und Elektromagnetismus nebst



Technischen Anwedungen) والذي اختصر إلى العنوان المذكور آنفاً. وهنا لابد من التفاتة إلى مساعد (ويدمان) الفذ وهو (رودولف فرانز)، فمن الجدير بالذكر أن المعلومات المتوفرة عن هذا الشخص والذي اقترن اسمه باسم (ويدمان) في القانون شحيحة جداً فلا يكاد يذكر اسمه إلا في قلة قليلة من الموسوعات العلمية، فيما لا يزال تاريخ ميلاده مجهولاً. (وهنا يرحب المؤلف بأي معلومات تميظ اللثام عن سيرة هذا العالم الفذ الجليل، والمجهول حقاً).

وافت المنية ويدمان في عام (1899) ونشر نعيه في دورية (المراجعة الفيزيائية Physical Review) وفي هذا النعي ظهرت جليلة براعة هذا العالم كباحث أصيل ومحاضر فذ وقد جاء فيه:

((إن خير ما توصف به محاضرات الأستاذ (ويدمان) عن عناصر الفيزياء وخصائص الكيمياء (إضافة إلى مميزاته الأخرى) هي البساطة والوضوح إضافة إلى قابليته الفذة في سلسلة السرد ووضوح الروياً!.. ملك نواصي العديد الجهم من أمهات تجارب النصف الأول من هذا القرن فهماً وتمحيصاً، كما ملك ثروة علمية تاريخية جمة مكنته من إضافة القيم التاريخية إضافة إلى القيمة العلمية لكل موضوع كان يحاضر عنه. عالج (ويدمان) الفيزياء ببراعة الكيميائي الضليع قبل أن يعالجه من منطلق الرياضي المنحاز، كما امتازت معالجته للكيمياء بالنظر إليها من خلال عيني الفيزيائي المجرب فجاءت معالجته لكلا الموضوعين جادة بارعة ومنقطعة النظر)).

مصادر إضافية وقراءات أخرى:

Bogachev, F. N., A. G. Scherbakov, and Uzi Landman, "Nonlinear Peltier Effect and Thermoconductance in Nanowires," *Physical Review B*, 60(15): 678-682, October 15, 1999.

Harvey, E. Newton, *A History of Luminescence from the Earliest Times until 1900* (Philadelphia: American Philosophical Society, 1957).

Körber, Hans-Günther, "Gustave Wiedemann," in *Dictionary of Scientific Biography*, Charles Gillispie, editor-in-chief (New York: Charles Scribner's Sons, 1970).

"Wiedemann Obituary," *Physical Review* (Series I), 9: 57-58, July 1899.

"Wiedemann Obituary," *Proceedings of the Royal Society of London*, 75: 41-42 1905.

أفكار فلسفية وآراء للمناقشة:

- خلقت أدمغتنا وتطورت لمساعدتنا على تحديد الأخطار والابتعاد عنها ولتوقع الأمطار والاستار منها ومعرفة الحدود والعوائق وتجاوزها ولم تخلق وتتطور لإدراك معنى البلايين والمليارات من الأرقام ولا لتصور ما يعنيه البعد الواحد بعد المئة ألف!

رولاند كراهام

quoted in Paul Hoffman's (The Man Who Loves only Numbers) Atlantic Monthly, 1987
مقتطف من اقتباس له من مقالة بعنوان (الرجل الذي لم يعيش سوى الأرقام) لبول هوفمن.

- نعم لا أشك أن هناك المزيد والمزيد من القوانين التي لا تزال تنتظرنا لاكتشافها، فلا يزال أمامنا اكتشاف القانون الموحد للجاذبية والكم مع قوى الكون الأخرى. ولكنني أكاد أجزم بأننا ولأول مرة في التاريخ نملك بين أيدينا من القوانين ما يكفي لتفسير التجارب التي قمنا بها ولحد اليوم.

لي سمولن

Lee Smolin, Never Say Always, New Scientist, Sept. 23, 2006.

مقتطف من مقالته (لا تقل دائماً أبداً).

- إذا تمكنا من (فهم) كل ما في الكون فإما أن نكون (خارقين) الذكاء بشكل استثنائي أو أن مبادئ الكون وقوانينه (بسيطة) للغاية! فإذا وافقتني بآني وأنت لا تمحل إلا (قردة) تحمل ما يقارب الكيلوغرام الواحد من (العصيدة) ما بين آذاننا، أفلا توافقتني بأهلية الاحتمال الثاني؟.

فنسنت ايك

Vincent Icke, The Force of Summary

مقتطف من كتابه (قوة الاختزال).

- إن الحكمة وراء حقيقة القوانين الكونية الأساسية واضحة: هي لا تحكم تصرف الأجسام والأجرام في الواقع وإنما تحكمها في الحساب والمعادلات.

نانسي كاترايت

Nancy Cartwright, How The Laws of Physics Lie

مقتطف من كتابها (كيف تكشف كذب قوانين الفيزياء).



قانون فـك للانتشار

FICK'S LAW OF DIFFUSION

1855، ألمانيا، 

تزداد سرعة انتشار المواد بازدياد فارق التركيز بينها.

مصادر ذوات علاقة:

مبدأ (فـك) لنفسجلة القلب (FICK'S PRINCIPLE IN THE FIELD OF CARDIAC)

(PHYSIOLOGY).

من أحداث عام 1855:

- تحصل الكيميائي الفرنسي (جورج اودمارس - George Audemars) على أول براءة اختراع للثقاب الأمين (Safety Matches) في السويد (وهو الذي لا يتقد عوده إلا بعد فركه بسطح مطلي بمادة كيميائية خاصة).
- ربط خط قطار بنما، ولأول مرة المحيط الأطلسي بالهادي.
- توفي في هذا العام الرياضي الألماني الفذ (كارل فردريك كاوس - Carl Friedrich Gauss).

نص القانون وشرحه:

يعني قانون فـك بالانتشار والتنافذ كطريقة لانتقال المواد في السوائل ويعرف التنافذ بأنه الطريقة الفيزيائية التي تنتشر بموجبها جزيئات مادة ما ذاتياً خلال وسطها وبالأخص ذلك الانتشار الذي يعني بحركة تلك الجزيئات من مجال تركيزها الأعلى إلى الأدنى. ويعتبر انتشار نقطة من الحبر عند صبها فوق سطح إناء من الماء مثالا بسيطا لذلك، حيث تنتشر جزيئات الحبر خلال جزيئات الماء بمرور الوقت. دعنا نتصور مساحة خيالية معينة (ولنجعلها سنتيمراً مربعاً واحداً) في المستوى (ص، ع) وقد مست المحور السيني في نقطة عليه ونرمز لها بالخط المستقيم (أ ب)، والآن بإمكاننا تصور هذا السطح وكأنه حاجز خفي حرقه على المستوى السيني باتجاه المحورين (ص، ع)

وقد وضعت نقطة حبر على أحد جانبيه. تعرف الانتشارية (Flux، Jx) بأنها كمية المادة الخالصة المنتشرة خلال وحدة تلك المساحة في وحدة الزمن وبالاتجاه السيني، ولـ (انتشارية) وحدة قياس خاصة بها هي عدد الأوزان المعيارية (للمادة) / سنتيمتر مربع مضروباً بالثانية. تبلغ قيمة الانتشارية صفراً (Jx = 0) متى ما اختلف الفرق، ومتى ما تساوى تركيز جزئيات الحبر خلال كافة نقاط السائل على جهتي الحاجز الافتراضي السابق، عندها يقال إن الحبر قد (مازج السائل) بانتظام في كافة أجزائه. بمعنى توقع وجود عدد متماثل تماماً من جزئيات الحبر منتشرة خلال عدد متماثل من جزئيات الماء على جهتي حاجزنا الخيالي (وهو الخط المستقيم السابق - أ ب -) وهنا يتساوى عبور عدد جزئيات الحبر عبر هذا الحاجز من اليسار إلى اليمين ومن اليمين إلى اليسار ويصبح انتشار جزئيات الحبر في إناء الماء كاملاً. وإذا شئنا وضع التصور أعلاه ضمن الإطار الرياضي فسنفترض قيمة حقيقية (لانتشارية) أي (Jx > 0) في الاتجاه السيني. والآن دعنا نفترض وجود حبر (أكثر) على يمين الخط الخيالي المستقيم مقارنة بيساره، هنا سيتصرف تركيز الحبر كداله للاتجاه السيني. بمعنى (dc/dx > 0) فتوقع (استناداً لتواجد جزئيات حبر أكثر في وحدة الحجم على يمين الخط الحاجز منها على يساره) أن يحتاز عدد أكبر من جزئيات الحبر حاجزنا الخيالي في وحدة زمنية معينة من اليمين إلى اليسار وليس العكس. وهذا ما يحدث فعلاً، أي تنتقل جزئيات الحبر بالاتجاه المعلوم من المناطق الأكثر إلى المنطقة الأقل تركيزاً به.

قانون انتشار فك الأول:

(Fick's First Law of Diffusion)

ينص قانون انتشار (فك) الأول: على زيادة صافي فيض (Flux) انتشار مادة ما (Jx)

خلال أخرى بزيادة تركيزها النسبي (dc/dx)، بمعنى:

$$J_x = -D \frac{dc}{dx}$$

حيث (D) هو ثابت التناسب ويسمى بمعامل الانتشار [فمثلاً يبلغ معامل انتشار مادة زلال

العضلات في الماء بدرجة (20 مئوية) 11.3×10^{-10} مرفوعة إلى الأس السالب السابع) سنتيمتراً



مربعاً / ثانية، وتمثل العلامة السالبة في المعادلة السابقة حقيقة أن الانتقال بالانتشار لابد أن يتم باتجاه معاكس للتركيز النسبي لأي مادة، وتقاس (D) بوحدات السنتيمتر المربع / ثانية. أما وحدة قياس التركيز النسبي (dc/dx) فهي بوحد الأوزان المعيارية المكافئة / سنتيمتر - مرفوعاً للقوة الرابعة]. وهنا لابد لنا من ملاحظة حقيقة اعتماد سرعة انتشار مادة ما على فارق التركيز بين نقطتيها وهذه السرعة التي يعبر عنها بـ (dc/dx) للحبر هي ذاتها عبارة عن دالة للزمن، بمعنى إذا ما تركنا الوقت يمر على سيجته فلا بد للمحلول ككل أن يبلغ تجانس (بمعنى تساوي تركيز المادة المضافة خلال كافة جزيئات الماء في الكأس) بعد مرور زمن معين، وهنا لابد أن تبلغ (dc/dx) نهايتها بأن تصبح صفراً ($dc/dx = 0$). وغالباً ما يكتب القانون السابق بدلالة الزمن (t) أو خلال جزء محدد منه. ولقد قام العلماء بالكثير من التجارب والملاحظات لاختبار (قانون انتشار فـك الأول) هذا للتأكد من مصداقيته وإليك المثال البسيط التالي:

خذ زجاجة أسطوانية الشكل قطرها (10 سنتيمترات) واملأها بسائل يحتوي على مادة مذابة بحيث يتناقص تركيزها (أي تنتشر) خطياً على طول محور الأسطوانة، وليكن معامل انتشار المادة المضافة (D) مساوياً لـ 4×10^{-10} مرفوعة إلى الأس السالب الخامس) سنتيمتر تربيع / ثانية]، فإذا افترضنا أن تركيز المادة المضافة (المذابة) عند سطح إحدى نهايتي الأسطوانة يساوي (وزناً معيارياً مكافئاً واحداً / ديسمتر مكعب) وعند النهاية الأخرى يساوي (نصف وزن معياري مكافئ / ديسمتر مكعب) وتفصل بين النقطتين مسافة مقدارها (10 سنتيمترات). جد قيمة فيض انتشار المادة المضافة المذابة في المادة المذابة إذا علمت أن انتشارها يتم بصورة متجانسة. لحل هذه المسألة نفترض وجود النقطة الأولى على بعد (x) فتكون المسافة التي تفصلها عن النقطة الثانية هي (10 + x سنتيمترات) والآن ستكون المسافة الفاصلة بين النقطتين هي (0.1 متر).

يبلغ مقدار التغير في التركيز:

$$\begin{aligned} c(x_2) - c(x_1) &= 0.5 \text{ mol/dm}^3 - 1.0 \text{ mol/dm}^3 \\ &= -0.5 \text{ mol/dm}^3 \\ \text{or} &= -500 \text{ mol/m}^3 \end{aligned}$$

ويبلغ مقدار التغير في المسافة:

$$x_2 - x_1 = 10 \text{ cm or } 0.1 \text{ m}$$

وعليه فإن قيمة (dc/dx) التقريبية

$$dc/dx = -(500 \text{ mol/m}^3)/(0.1 \text{ m}) = -5,000 \text{ mol/m}^4$$

وعليه فإن القيمة التقريبية لفرق التركيز ستكون (5000) وزن معياري مكافئ/متر (مرفوعاً للقوة الرابعة).

ولما كانت قيمة معامل انتشار المادة المذابة المضافة $[D = 4 \times 10^{-9} \text{ مرفوعة إلى الأس السالب الخامس)]$ ثا/سم². وتضرب في (100 سم / 1 م × 100 سم / 1 م × ثا/سم²) لتحويلها إلى وحدات ثا/متر مربع .
وبتطبيق القانون

$$J_x = -D \frac{dc}{dx}$$

نحصل على قيمة انتشار المادة (Jx)

$$J_x = -(4 \times 10^{-9} \text{ m}^2/\text{s})(-5 \times 10^{-3} \text{ mol/m}^4) = 2.0 \times 10^{-5} \text{ mol/}(\text{m}^2 \cdot \text{s})$$

مقاسة بوحدات (الأوزان المعيارية المكافئة/متر تربيع x ثانية)

قانون انتشار فـك الثاني:

(Fick's Second Law of Diffusion)

يفسر (قانون انتشار فـك الثاني) كيفية تغير انتشار التراكيز المختلفة لمادة معينة خلال وسط ما مع الزمن. ولتوضيح ذلك دعني أعود قليلاً (لقانون انتشار فـك الأول) الذي ينص على تساوي فيض انتشار أي مادة (Jx) في كل اتجاهات وسط معين إذا تجانس تركيز المادة المضافة (جزيئات قطرة الحبر كما في مثالنا السابق) وثبتت قيمة (dc/dx) لكافة قيم (x) ولهذا سيكون تركيزها (c) ثابتاً مع الزمن، وبعبارة أوضح: سيكون فيض انتشار المادة (الحبر في الماء) في أية وحدة من وحدات حجم مادة الوسط ومن أية جهة من اتجاهاته مساوياً لفيض



انتشارها من جهته الأخرى إذا ما بلغ (الحبر) مرحلة الاستقرار والتجانس مع (الماء).
إذا حدث ولم يكن تركيز المادة المضافة ثابتا في كامل حجم مادة الوسيط كما في حالة إدخال
عدة نقاط من الحبر - مختلفة التراكيز - في ذات الوقت إليه، عند ذاك سيخضع تصرف المادة
المضافة وانتشارها في مادة الوسيط (لقانون انتشار فك الثاني) والذي ينص رياضيا على:

$$\left(\frac{\partial c}{\partial t} \right)_x = D \left(\frac{\partial^2 c}{\partial x^2} \right)_t$$

حيث $(\partial c / \partial t)_x$ هو تغيير تركيز المادة في نقطة (x) مع الزمن، وهنا لابد من الإشارة إلى
افتراض ثبات معامل انتشار المادة (D) وعدم تأثره بتغير التركيز. وهنا يمكن اشتقاق (D)
باستعمال أي من (قانوني فك الأول أو الثاني) ولكن يفضل استعمال الثاني بالنظر لصعوبة
قياس (Jx) عند وجود تراكيز مختلفة في أماكن متباعدة من مادة الوسيط.

يعتبر (قانون انتشار فك الثاني) من القوانين العامة الشاملة ذات التطبيقات المتعددة في
مختلف المجالات حيث يفسر (ادوارد ل. كوسلر - Edward L. Cussler) في كتابه
(قانون فك الثاني - تفسير الانتشار لمن لا يفهم) (Edward L. Cussler - Fick's)

(Second Law or Diffusion for Dummies) قائلا:

((بإمكاننا استخدام هذا القانون للتنبؤ بالتفاعلات الحسية الفسيولوجية وكيفية تفسير الدماغ
(للحلاوة النسبية) عند تناول المشروبات والعصائر وذلك باعتبار اعتماد مقدار الإحساس
بالحلاوة على تركيز المادة السكرية المنقولة من سائل معين إلى سطح اللسان المغطى بنهايات
البراعم الحسية للتذوق، كما بالإمكان تفسير انتشار مادة الفرمون (Fermon)⁽¹⁾ التي
تفرزها إحدى أنواع النمل عند تعرضها للخطر أو حين غورها على الغذاء وكيفية انتقال
هذه المادة إلى بقية النمل في الجوار كوسيلة من وسائل التحضير أو الجذب للاتصال بين
الحشرات باعتماد معامل انتشار عال جدا لتلك المادة)).

(1) Fermons - يعتقد أنها عائلة من (أشباه الهرمونات) تمتاز بفعاليتها العالية وهي مواد متطايرة قد تستعملها بعض الحيوانات
والحشرات كواسطة للاتصال وتبادل المعلومات. (المترجم).

ومن أمثلة الاستخدامات الأخرى لهذا القانون كذلك كان التنبؤ بكيفية انتشار القارض المائي المعروف باسم (المسكرات - Muskrat)⁽¹⁾ بصورة وبائية في أوروبا عام (1905) إثر حادث إطلاقه العفوي إلى مجاري الأنهار. وفي التعرف على أسلوب انتشار المواد الملوثة المتطايرة (أو مساحيقها) وانتشار الغازات السامة في السيناريوهات المماثلة للحروب البيولوجية والكيميائية، كما استعمل كذلك لتصور انتشار مجاميع (الصيد والجمع) البشرية إلى بقاع الأرض المجاورة في العصر الحجري القديم. ومن الجدير بالذكر إمكانية تطبيق هذا القانون على تصرف كافة المواد الصلبة والسائلة والغازية وحتى على التجمعات البشرية فقد أمكن خلال بعض التجارب من استخدامه لحساب تراكيز غاز ثاني أكسيد الكربون (وبالتالي حساب الدلالة لمقدار المادة السكرية المصنوعة) في مختلف أجزاء أوراق النبات خلال عملية التركيب الضوئي المعروفة⁽²⁾ وإذا استرسلنا في ضرب الأمثلة صار بإمكاننا استخدامه لدراسة طريقة انتشار الرادون⁽³⁾ في الهواء عقب إجراء التجارب وإحداث الانفجارات الذرية، والمواد الهيدروكربونية (كالبترول عند غرق ناقلاته) في مياه البحار أو خلال التربة عند حدوث انفجار آبار النفط. ولقد تمكن العلماء المختصون واستفادوا فعلاً من وضعهم لسيناريوهات تكاد تكون كاملة لما يمكن أن يحدث عند توقع التلوث بانفلات الغازات السامة عند تسربها، أو انتقال السحابة الجرثومية عند إطلاقها، أو لحساب معدلات تلوث التربة والهواء بعد انقشاع الغيمة الحرارية إثر انفجار

(1) Muskrat - أحد القوارض المائية، اسمه العلمي (Ondatra Zibethica)، يعيش في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية وكندا، يمتاز بذيئه الطويل المصفع بالقشور والمبجج جانبياً، واحتواء أصابع أرجله الخلفية على (الصفقات) لتساعده على السباحة وبفرائه البني الغامق اللامع. (المترجم).

(2) أو عملية التمثيل الكلوروفيلي (Photosynthesis) - وهي عملية تحويل غاز ثاني أكسيد الكربون (CO₂) اللاعضوي إلى مواد ومركبات عضوية على شكل (سكريات بالأخص) وذلك بوجود ضوء الشمس ومساعدة مادة (البيخضور - Chl rophyil)، هذا ويتم تحويل ما يقارب (1000 000 000 000) ألف بليون طن من هذا الغاز إلى مادة حيوية من قبل كافة أفراد المملكة النباتية سنوياً. (المترجم).

(3) بسرزت أهمية الرادون دولياً كغاز مشع في درجات الحرارة الاعتيادية شديد الاستقرار ناتج عن انحلال عنصر (الراديوم) المشع بعد حادثة انفجار مفاعل نشرينوبل الروسي المعروفة. رمزه الكيميائي (Rn) ووزنه الذري (86). يمتاز بكونه غازاً ثيبلاً عديم الرائحة واللون والطعم وهو من (أثقل) العناصر المعروفة والتي تحتفظ بحالتها الغازية. معلومات الكيميائيين عنه شحيحة بالنظر لحظوته. (المترجم).



نووي محتمل، أو حتى لتصور السيناريو المحتمل لتسرب ممكن لمواد مشعة داخل جوف الأرض.

للفضوليين فقط:

• يعتبر (فك) وعن جدارة المخترع الأول للعدسات العينية اللاصقة وذلك في ثمانينيات القرن التاسع عشر حينما صنعها واختبرها على الأرانب أولاً ثم جربها بنفسه. وهنا لنا أن نشير أيضاً إلى أن الاختراع الأمثل والاستخدام الأفضل للعدسات اللاصقة المريحة والآمنة طبياً لا بد وأن تعزى لاختصاصي صنع النظارات الأمريكي كيفن توي (Kevin Tuohy) من كاليفورنيا والذي ابتكر استخدام البلاستيك اللين لصناعتها في عام (1948).

• تمكن (فك) في عام (1865) وجمعية الكيمياء الألماني جوهانز وسليسنس (Johannes Wislicenus) من تسلق أحد جبال الألب السويسرية لدراسة العلاقة بين طعامهم الذي استهلكاه خلال الرحلة وتأثيره على مكونات نماذج إدرايهما عند تحليلها، وتمكنا سوياً في عام (1866) من نشر دراستهما تحت عنوان (الأصل في تجهيز طاقة العضلات) والتي تضمنت استنتاجهما بأن الشحوم والكربوهيدرات - وليس الزلاليات - هما نوعا الطعام الذي يعوّل عليهما في مد العضلات بالطاقة.

أقوال ماثورة:

- من الغريب حقاً أنه لم يتمكن أحد من قبل من اكتشاف هذه الطريقة السهلة والبسيطة والمباشرة لحساب كمية الدم المنطلقة من القلب إلى الرئتين عند انقباضه - والتي أثبتت صحتها في الحيوانات على الأقل - كل ما نحتاجه هو حساب كمية الأوكسجين المستهلكة من قبل الحيوان (من حجم معين من الهواء) في فترة محسوبة من الزمن، وحساب كمية غاز ثاني أكسيد الكربون المنطلقة منه لذات الفترة. يتم خلال التجربة سحب عينة من الدم الشرياني والوريدي وتحسب كميتي الأوكسجين وثاني أكسيد الكربون في كليهما، وبعملية طرح بسيطة نتوصل لحساب كمية الأوكسجين التي يحملها حجم معين من الدم خلال مروره عبر

الرئتين. وبحساب كمية الأوكسجين المستهلكة من حيز الهواء المعلوم سابقاً يمكن حساب حجم كمية الدم المارة خلال الرئتين خلال تلك الفترة المعلومه وعند قسمة هذا الرقم على عدد ضربات القلب خلال فترة معينة كذلك، (ولتكن دقيقة واحدة) ستمكن من حساب عدد السستيمترات المكعبة من الدم التي تم ضخها من قبل بطين القلب الأيمن إلى الرئتين. وستوصل إلى ذات النتيجة عند حساب كميتي غاز الأوكسجين وثنائي أكسيد الكربون التي نحصل عليهما من تحليل عيني الدم الشرياني والوريدي من أوعية طرفية لحساب عدد السستيمترات المكعبة من الدم التي يتم ضخها من قبل البطين الأيسر لسانر أنحاء الجسم.

فك

Adolf Fick. (On the Measurement of the Blood Volume in the Cardiac Ventricle.) 1870.
من كتاب (حساب حجم الدم في بطين القلب) لادولف فك، 1870

– لا غرابة في إمكانية تفسير توقعات (قانون انتشار فك) باستخدام نموذج (الخطوة العشوائية البسيط) – (Simple random – walk model). يفترض هذا النموذج والذي يسمى أيضاً خطوة المخمور – (drunkard's Walk) اتخاذ كل جزيئة وعفدها سلسلة من الخطوات في اتجاهات عشوائية لا تعتمد الواحدة على الأخرى. ينطبق (قانون انتشار فك) هذا، على الجزيئات التي تنتشر خلال محلول كما تنطبق على الجزيئات التي تنتشر عبر حاجز أو خلال قناة. ففي جميع الحالات تنساق الجزيئات في حركتها متبعة السبيل العشوائي ليس إلا.

جيرارد مدلتون وبيتر ولكوك

Gerard V. Middleton and Peter R. Wilcock.
Mechanics in The Earth and Environmental Sciences.
مقتطف من كتابهما (ميكانيكية الأرض وعلوم البيئة).

ملخص لسيرة حياة المكتشف:

[ادولف فك (1829–1901) Adolf Fick] فيزيائي ألماني اشتهر بقوانين الانتشار



التي تحمل اسمه، ولد في مدينة كاسل (Kassel) الألمانية وكان ترتيبه التاسع لأبيه أستاذ المعمار المدني (فريدريك فك). حمل ادولف - شأنه شأن العديد من أفراد عائلته - بذور العبقرية والذكاء كالكثير من عظماء هذا الكتاب. فله أخ تبوأ منصب الأستاذية في التشريح في جامعة ماربرك (Marburg) وآخر أصبح أستاذا في القانون. أما (فك) نفسه فقد فتنه الرياضيات والفيزياء منذ شبابه، لكنه قرر اتخاذ الطب كمهنة خالها أكثر ملاءمة له.

اهتم (فك) أشد الاهتمام بالرياضيات وتطبيقاتها في حقل الفيزيولوجيا لدراسة الأشكال التشريحية لعضلات جسم الإنسان. نشر أول بحث له في عام (1849) وقد كان بعنوان (دراسة في العزوم المتولدة من عضلات الساق).

أتم دراسته حتى حاز على شهادة الدكتوراه في الطب عام (1851) عن أطروحته حول المشاكل الناتجة عن الانحراف البصري - (Astigmatism) وهي عبارة عن عيوب خلقية في تكور مقلة العين تنعكس سلبا على انكسار الضوء وتحول دون تركزه على منطقة البصر في الشائبة الصفراء⁽¹⁾ على شبكية العين. أوصله شغفه بالرياضيات إلى العديد من الأفكار والإنجازات التي توجهها باهتمامه (بموضوع الانتشار) حين توصل في أواسط عام (1850) إلى الاستنتاج بأن (انتشار جزيئات أي مذاب في أي مذيب لا بد وأن تخضع لذات القوانين التي تحكم انتشار الدفء في الوسط الناقل) وتأصل به الاعتقاد منذ ذاك الحين بأنه لا بد للانتشار أن يوصف بمعادلات رياضية يمكن اشتقاقها من قانون فورييه (Fourier's Law of Heat Conduction).

ذكر (ي. ل. كوسلر E.L. Cussler) في كتابه (الانتشار: انتقال الكتلة في الموائع يقول:

(1) Fovea أو Fovea Centralis وهي منطقة تقع على السطح الداخلي لشبكية العين وتمتاز بكثافة الحجيرات البصرية فيها، مما يجعلها جزء العين المسؤول عن وضوح الرؤيا ووجدتها عند التركيز على القراءة وممارسة الأعمال الدقيقة. (المترجم).

((أقضت أفكار (فك) ونظرياته حول الانتشار مضجعه وسلبت من عينه الكرى،
فما فتى يناقشها ويشرحها بالاستناد إلى النظرية الحركية (Kinetic Theory)
ويعادل المشككين في صحتها، وهنا لابد لنا من وقفة نشير فيها إلى أنه رغم اعتبار
ظاهرة الانتشار من البديهيات اليوم إلا أن نقاش أمثالها من الظواهر والنظريات
من قبل طبيب في أواسط القرن التاسع عشر كان لابد وأن يعتبر من بوادر الألمعية ومن
ومضات العبقورية آنذاك وبلا جدال، فلقد اقتنع (فك) بأنه لابد لظاهرة الانتشار أن
تكون عملية حركية على المستوى الجزيئي وحاول فهم وإدراك الفروق بينها وبين
الحالة المستقرة تحت ظروف معينة وبين حالة التوازن الجزيئي الحقيقي. وقد تمكن
بالفعل من وضع العديد من المعادلات لتفسير ذلك)).

اجتهد (فك) للتأكد من صحة معادلاته فكان لابد له أن يستنبط طريقة ما للحصول
على نموذج تجريبي (للحالة المستقرة) يتمتع بوجود تدرج في التركيز (Concentration
Gradient). وتمكن من ذلك أخيراً بوضع بلورات ملح الطعام (كلوريد الصوديوم) في
قاع أسطوانة زجاجية مملوءة بالماء على أن يتم بزل جزء الماء العلوي من الأسطوانة باستمرار.
راقب تجربته وسجل نتائجها حتى تمكن من الوصول إلى نموذج التغيير (الخطي - Linear)
المنشود في التركيز.

قام (فك) بتجارب أخرى لاحظ خلالها تناسب حجم الغاز المار عبر نسيج رقيق خلال
وحدة زمنية معينة مع مساحته ومع الفرق النسبي في ضغط الغاز الجزئي على جانبيه،
وعكسياً مع سمكه.

$$V_{\text{gas}} \propto \frac{A \cdot D(P_1 - P_2)}{T}, D \propto \frac{S}{\sqrt{m_w}}$$

حيث يمثل (V_{gas}) حجم الغاز المار عبر الغشاء خلال وحدة الزمن، و (A) مساحته و (D)
ثابت الانتشار للوسط و (P_1) الضغط الجزئي للمادة المذابة على أحد جانبي الغشاء و (P_2)
الضغط الجزئي لنفس المادة المذابة على جانبه الآخر، و (T) هو سمك الغشاء. وهنا يظهر



تناسب ثابت الانتشار (D) طرديا مع قابلية ذوبان الغاز في السائل (S) وعكسيا مع الجذر التربيعي لوزنه الجزيئي (m_w)⁽¹⁾.

عاش (فك) حياة حافلة ناهزت الـ (72 عاماً)، تزوج وهو بعمر (23 عاماً) وأنجب خمسة أولاد. امتحن أحدهم الطب وصار مدرسا للتشريح البشري وتدرج آخر في دراسة الحقوق حتى أصبح عضواً في هيئة المحلفين. شهد عام (1889) تسنم (فك) لكرسي الأستاذية الكامل في الفسيولوجيا في كلية طب جامعة وورزبرك (Würzburg) ولم يتقاعد إلا وقد ناهز السبعين من عمره. امتدت إليه يد المنون ووافاه أجله المحتوم بعد عامين إثر نزف دماغي حاد في المخ لعله نتج عن فرط في ارتفاع ضغط الدم الشرياني، لم يجد علاجه آنذاك نفعا.

لقد تجلت عبقرية (فك) ونال الاحترام لتنوع المواضيع التي درسها خصوصاً تلك التي جمعت بين علوم الفيزياء والفيزيولوجيا. فلقد نذر نفسه عاماً كاملاً وذلك في (1854) لدراسة مفصل الإبهام فقط! كما درس عضلات العين ووصف عملها وتمكن في عام (1855) من استنباط المعادلة التفاضلية التي تفسر ظاهرة الانتشار، كما ركز اهتمامه في وقت لاحق على تحليل ودراسة النقطة العمياء⁽²⁾ وشبكية العين والرؤيا الملونة وحساب ضغط كرة العين. وتمكن أيضاً من اختراع وتطوير آلات جديدة لقياس ضغط الدم وتسجيل حركة الصدر عند التنفس. ولعله كان أول من صاغ مصطلح (الفيزياء الطبية - Medical Physics) في عام (1856) ولما يتجاوز عامه السادس والعشرين، عندما نشر كتابه الحامل لذلك العنوان (Medizinische Physik) والذي صب فيه عصارة ذهنه النير وأسفر فيه عن جنوة عبقريته الفذة. لقد تضمن ذلك الكتاب الفريد

(1) الوزن الجزيئي Molecular Weight: لأي مادة هو حاصل جمع الأوزان الذرية لمكوناتها جميعاً. (المترجم).
(2) The Blind Spot - وهي منطقة بداية تفرع العصب البصري (The Optic Nerve) عند مقبل دخوله إلى مقلة العين لتكوين شبكيتها. وتمتاز هذه المنطقة بخلوها من الحجيرات البصرية الحساسة للضوء، وعليه (لا يرى) الدماغ الصور المتكونة عليها. (المترجم).

مناقشاته ومعادلاته وتوقعاته للعديد من الظواهر الفيزيولوجية في جسم الإنسان والتي تباينت ما بين انتشار الغازات ونفوذها خلال أخشية الجسم المختلفة إلى شروحات لفسجلة وديناميكية العضلات ودراسة جريان الدم في أوعيته ومطاطية جدران تلك الأوعية، إضافة إلى دراساته حول فيزياء انكسار الضوء في العين وكيفية تولد الحرارة الذاتية في الجسم الآدمي.

يعود لـ (فك) الفضل لاستنباطه في عام (1870) لمبدأ حساب كمية الدم التي يضخها القلب وذلك بحساب معدلات غاز الأوكسجين فيه والذي ساعد الكثير من العلماء والباحثين في أعمالهم. (معدل ضخ القلب للدم) (Cardiac Output) مصطلح فيزيولوجي طبي يعني مقدار الدم الخارج منه في الدقيقة الواحدة). وأهم ما توصل إليه (فك) في هذا المجال هو إمكانية حساب معدل ضخ القلب للدم من حساب كمية الأوكسجين المستهلكة خلال عملية التنفس مقسومة على الفرق بين كميتي الأوكسجين في دم الأذنين الأيسر والأيمن. وبعبارة رياضية فإن مقدار ضخ القلب للدم (لتر/دقيقة) يساوي مقدار الأوكسجين المستهلك (مليلتر/دقيقة) مقسوماً على فرق كمية الأوكسجين في الدم الممزوج (شرياني وريدي - أي في الشعيرات الدموية الطرفية -) (مقاساً بالمليلتر/دقيقة)، وتعرف هذه العلاقة فيزيولوجياً (بمبدأ فك - Fick's Principle).

لقد تمكن العلماء من التأكد من صحة هذا المبدأ ولأول مرة في عام (1930) (أي بعد ثلاثين سنة من وفاة واضعه) وذلك عند تمكنهم من سحب عينات دم شرياني - وريدي ممزوج بإدخال الإبرة الشوكية⁽¹⁾ (Spinal Tap Needle) إلى القلب عن طريق جانب عظم القص الأيمن وسحب عينات من دم البطين الأيمن مباشرة. شملت أبحاث (فك) ودراساته مواضيع متعددة كدراسة سرعة جريان الدم في الأوعية، وقياس ضغطه في الأوعية

(1) وهي إبرة محقنة طبية طويلة نسيجا (3.5 إنجاً - 9 سنتيمترات) يستعملها أطباء التخدير لإيصال المادة المخدرة في عمليات التخدير الجزئي، كما في حالات التخدير النصفى عند الولادة. وتستعمل كذلك لسحب السائل الشوكي للتحليلات المخبرية، كما قد تستعمل لإيصال بعض الأدوية العلاجية الكيميائية في حالات انتشار السرطان إلى الجهاز العصبي أو الإصابة به. (الترجم)



الشعرية، ودراسة استقلاب الزلاقيات وفعل العضلات في توليد حرارة الجسم وتأثير الحوافز العصبية عليها.

سرد (وليام كولمان - William Coleman) في كتابه المعروف (علم الأحياء في القرن التاسع عشر) المنشور في عام (1874)، آراء فك الاختزالية (Reductionist Credo) والتي تلخص بوجهة نظره حول اختزال كافة أوجه الحياة وإمكانية اعتبارها نتيجة طبيعية للفعاليات الميكانيكية التي تقوم بها الظواهر الحياتية والتي توفر ما نسميه (الحياة) للكائنات. لقد لخص كتاب كولمان آراء (فك) حول طبيعة الحياة قائلا:

((لا أشك مطلقاً بإمكانية إرجاع واختزال كل ما نطلق عليه (الحياة) والتي تتمتع بها كافة الكائنات وبضمنها الإنسان إلى مجموع القوى والظواهر التي تحكم كافة العناصر المادية، وأعني بها مبادئ الكيمياء والفيزياء. وبعبارة أوضح تبين لي بعد تحليل كافة القوى المتولدة من تفاعل الذرات والجزيئات وتصرفاتها وخصائصها الكيميائية والفيزيائية ودراسة كافة قوانين العلوم الحركية ومسبباتها الميكانيكية، صواب النموذج (الكيموفيزيائي - Chemicophysical) للحياة بمعنى إمكانية عزوها كاملة إلى التفاعل المادي فيما بينها بالاعتماد على القوى الميكانيكية المسببة لها ولهذا عليّ الإقرار بأن كافة حقائق الحياة الفزيولوجية ما هي إلا انعكاسات بيّنة لحقيقتها المادية وخصائصها الميكانيكية لدى كافة الأحياء بما فيها البشر)).

لقد نشر (فك) إضافة إلى كتابه الشهير آنف الذكر (الفيزياء الطبية) العديد من المقالات العلمية والكتب الطبية الأخرى مثل (المجمل في الفزيولوجيا A Compendium of Physiology) وكتاب الموجز في تشريح وفلسفة الحواس ودوران الدم - (Handbook of Anatomy and Physiology of the Sense Organs; and Circulation of Blood) وأخيراً أوجد اثنان من أبنائه في عام (1929) (منحة ادولف فك) وهي عبارة عن مبلغ مالي يمنح كجائزة نقدية كل خمس سنوات لأفضل مساهمة متميزة في حقل الفزيولوجيا.

مصادر إضافية وقراءات أخرى:

Bentley, David L., Jr., "Polymers/Laminations/Adhesives/Coatings/Extrusions," *Paper, Film & Foil Converter* magazine, July 1, 2001; see plfc-online.com/mag/paper_polymerslaminationsadhesivescoatingsextrusions_3/; includes a description of Edward L. Cussler's talk titled "Fick's Second Law or Diffusion for Dummies."

Coleman, William, *Biology in the Nineteenth Century* (New York: Cambridge University Press, 1978).

Cussler, Edward L., *Diffusion: Mass Transfer in Fluid Systems* (New York: Cambridge University Press, 1997).

Middleton, Gerard V., and Peter R. Wilcock, *Mechanics in the Earth and Environmental Sciences* (New York: Cambridge University Press, 1994).

Rothschuh, K. E., "Adolf Fick," in *Dictionary of Scientific Biography*, Charles Gillispie, editor-in-chief (New York: Charles Scribner's Sons, 1970).

Sten-Knudsen, Ove, *Biological Membranes* (New York: Cambridge University Press, 2002).

Tinoco, Ignacio, Kenneth Sauer, and James Wang, *Physical Chemistry* (Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, 1978).

Vandam, Leroy D., and John Fox, "Adolf Fick (1829-1901), Physiologist: A Heritage for Anesthesiology and Critical Care Medicine," *Anesthesiology*, 88(2): 514-518, February 1998.

أفكار فلسفية وآراء للمناقشة:

– لا يفهم (عبرية) العبري إلا (عبري) مثله.

انتوني سميث

The Mind

– شكلت الرياضيات (ومنذ عهد غاليليو إلى الآن) العمود الفقري للعلوم، فلقد آمن بها كل من اشتغل

بالنظريات العلمية واعتبرها الطريقة المثلى لدراسة الظواهر الطبيعية وتفسيرها. ولكن ألا تعتقد معي أن حقائق

الكون وتصرفاته لا تحتاجان لمن يحكمهما بمعادلات رياضية ضيقة محدودة... وإنما تتطلعان إلى سبل ومفاهيم

أكثر شمولية ومرونة وأوسع تطبيقاً كالمبادئ والأفكار التي تدار بموجها لعبة الشطرنج.

كراهام فارميلو

Foreword to (It Must be Beautiful, Great Equations of Modern Science.)

مقتطف من كتابه (إنهن لثلاثتات، لا بد من ذلك، المعادلات العظيمة للعلوم الحديثة).

– يفترض أي عالم – عند شروعه بدراسة أي مجموعة من الظواهر الكونية – بأنها محكومة بقوانين



ومعادلات قابلة للفهم والإدراك لأنها نتاج تفكيرنا وعصارة عبقرتنا .

ولكني أعتقد أن هذه الفرضية ليست كاملة ولا يمكن اعتبارها حقيقة مطلقة، فما رأيك بالتفكير في الموضوع من جهته الأخرى: وهي أن منطقية تصرف الكون حولنا ما هو إلا انعكاس لحقيقة وجود القاسم المشترك بين الكون المادي كما هو من حولنا من جهة، وبين مجموعة السلوكيات التي تحكم تصرف العقل البشري وطريقة عمله من جهة أخرى؟.

مارج وفريمان

Arthur March and Ira M. Freeman. (The New world of Physics).

مقتطف من كتابهما (عالم الفيزياء الجديد)

- معرفتنا بالكون والطبيعة لازالت محدودة ومقتننه، فلم علينا الإصرار على ضرورة تصرفهما حسب

ما نريد؟.

كارتورايت

Nancy Cartwright. (How the Laws of Physics Lie) .

مقتطف من كتابه (كيف على قوانين الفيزياء أن تكذب) .

قانون باي - بالو للرياح والضغط الجوي

BUY'S-BALLOT WIND AND PRESSURE LAW

هولندا عام 1857

تهب الرياح عمودية على فارق منسوب الضغط الجوي.

محاور ذوات علاقة

رودولف كلوزيس (RUDOLF GLAUSIUS)، وتأثير دوبلر (THE DOPPLER EFFECT)).

من أحداث عام (1857)

- نصبت شركة اليشاوتس (Otis) أول مصعد آمن في إحدى ناطحات سحاب مدينة نيويورك حيث امتاز هذا المصعد بتزويده بمكابح اضطرارية مما قلل من الخوف من خطر السقوط بتزايد بناء ناطحات السحاب هناك.
- أصبح الطلاق بدون موافقة البرلمان قانونيا في بريطانيا.
- نشر العدد الأول من الدورية الشهيرة (الأطلسي الشهري Atlantic Monthly).
- أثبت العالم (جيمس كلارك ماكسويل - James Clark Maxwell) رياضيا أن حلقات زحل قد تكونت من أجسام وكويكبات صغيرة تدور حوله.

نص القانون وشرحه:

سمي (قانون باي - بالو) باسم مكتشفه (كرستوف هندريك دايدريك باي - بالو - Christoph Hendrik Diederik Buys-Ballot) وينص على أن الضغط الجوي الأدنى لا بد وأن يكون على يسار كل شخص جابه الرياح بظهره في نصف الكرة الأرضية الشمالي، مما يعني أن الرياح تهب عكس عقارب الساعة فيه، هذا و(ينعكس اتجاه هبوب الرياح في نصف الكرة الأرضية الجنوبي). كما نص ذات القانون أيضا على تعامد الضغط الجوي مع اتجاه الريح إذا ما قيس على ارتفاعات كافية عن سطح الأرض لتلافي تأثير احتكاك الرياح بها.



يتأثر نظام الطقس على الأرض بالعديد من العوامل كشكل الأرض الكروي ودورانها وتأثير كوريولس (Coriolis Effect) القائل: ميل كل ما على سطح الأرض أو ما يعلوها (كتيارات البحار والمحيطات والرياح) للانحراف إلى الجانبيين بسبب دورانها.

بإمكاننا فهم سبب تكون دوامات الهواء (والأعاصير) حول مناطق الضغط الجوي المنخفضة باعتبار انسياب الرياح إليها من مناطق الضغط الجوي المرتفع في شمال وجنوب خط الاستواء. فمن المعلوم أن تهب الرياح الملامسة لخط الاستواء (والقريبة منه) بسرعة أعلى من تلك التي تهب بعيداً عنه، بسبب بعد الثانية النسبي عن محور دوران الأرض، ولتفسير ذلك تصور ضرورة هبوب الرياح البعيدة عن محور دوران الأرض (والقريبة من خط الاستواء) بسرعة أعلى من تلك القريبة منه (والقريبة من خطوط العرض عند القطبين)، لأن المسافة التي على الأولى قطعها في اليوم الواحد تفوق تلك التي على الثانية قطعها في ذات اليوم، ولذلك فإن الضغط الجوي المنخفض قرب خطوط العرض العليا في الشمال (والبعيدة عن خط الاستواء) ستسحب الرياح عالية السرعة والضغط والتي تدور حول خطوط العرض الدنيا (قرب خط الاستواء في الجنوب) وتدفعها للاتجاه شمالاً، مما يعني في المحصلة ضرورة هبوب الرياح من الجنوب نحو الشرق في نصف الكرة الأرضية الشمالي.

وبإمكاننا تصور العكس تماماً بالنسبة للرياح الهابطة من الشمال نحو الجنوب (أي من منطقة ضغط عال ذات رياح بسرعة عالية إلى منطقة أخرى ذات ضغط واط) في نصف الكرة الأرضية الجنوبي فالرياح الشمالية في هذه الحالة ستتحرف جنوباً وإلى الغرب. وخلاصة القول إن اتجاه هبوب الرياح في نصف الكرة الأرضية الشمالي سيكون بدوامات عكس عقارب الساعة حول أي نقطة ضغط منخفض، على حين يكون اتجاه هبوب الرياح في نصف الكرة الجنوبي بدوامات باتجاه عقارب الساعة حول أي نقطة ضغط منخفض.

وهنا لا بد من الإشارة إلى حقيقة ضعف تأثير (كوريولس) قرب خط الاستواء مما يحد من تطبيق (قانون باي - بالو) عند دائرة خط الاستواء وما جاورها الأمر الذي ينعكس عملياً على زيادة قوة الأمواج وسرعة الرياح كلما ابتعدنا عنها شمالاً أو جنوباً.

للفضوليين فقط:

• أجرى (باي - بالو) العديد من التجارب لفهم طبيعة الأصوات وانتقالها، ومن أغربها استنجاره جوقة كاملة من عازفي الأبواق بلحن [(G) الجي ما يجور] وأركبهم على متن قطار مسرع.

- أطلق الهولنديون اسمه في حياته على إحدى جزر المحيط الهادي تيمنًا به.

أقوال ماثورة:

- عندما تقف وظهرك لاتجاه الريح ستشير يسارك دائما إلى اتجاه نقطة الضغط الجوي الأوطأ.

باي - بالو

C.H.D. Buys-Ballot, (On the System of Forecasting the Weather Pursued in Holland 1963).

مقتطف من كتابه (في سبيل نظام لتنبؤات الطقس في هولندا).

ملخص لسيرة حياة المكتشف:

[كرستوف هندريك ديدريك باي - بالو (Christoph Hendrik Diederik Buys Ballot (1817-1890) خبير تعدين وأنواء ألماني واختصاصي في الكيمياء الفيزيائية من أصل هولندي اشتهر بتفسيره لحركة الرياح، ولد في مدينة كلويتنك (Kloetinge) الهولندية لأب شغل منصب وزير ألماني وعرف بنزاهته.

حصل في عام (1844) على شهادة الدكتوراه في العلوم وحاضر خلال عام (1845) في مواضيع التعدين وعلوم الأرض والأنواء الجوية في جامعة اترخت (Utrecht) ومالبت أن عين أستاذا للرياضيات فيها عام (1847). وصف كتاب ل.س. بالم (L.C.Palm) الموسوم (تاريخ العلوم في هولندا) سنين (باي - بالو) الأولى كعضو في هيئة التدريس الجامعية قائلا: (لقد اهتم (بالو) بالنظرية الرياضية للمادة والتي تقترض ضرورة انجذاب ذرات المواد المتشابهة



لبعضها من ناحية وفعل جزيئات الأثير (ether)⁽¹⁾ المحيط بها على تفريقها من ناحية أخرى). نشر (بالو) في عام (1849) أبحاثه تحت عنوان (مخطط فيزيولوجيا المواد غير العضوية في مملكة الطبيعة) والذي قوبل من قبل المجتمع العلمي آنذاك بعدم مبالاة وإنكار للنظريات التي جاء بها الأمر الذي أصاب صاحبه بخيبة أمل مريرة تحول على إثرها عن دراسة الفيزياء والكيمياء إلى غير رجعة وركز جل اهتمامه منذ ذاك على تقصي أحوال (الأنواء الجوية) والتي لم تكن قد بلغت مرحلة العلم المعترف به بعد.

شهد عام (1854) ثمرة عشق (بالو) لـ (علم الأرصاد والتنبؤات الجوية بإنشاء معهد الأرصاد الجوية الهولندي كما شهد مناسبة زواجه الثاني. وفي العام التالي (1855) انتخب عضواً في الأكاديمية الملكية الهولندية للعلوم ومقرها (امستردام)، ثم ما لبث أن ترقى إلى منصب الأستاذية في الفيزياء عام (1867)). امتاز (بالو) بتدينه وبشأنه كأحد أتباع كنيسة والو (Walloon)⁽²⁾، ذلك النشاط الذي لم يفقه سوى ولعه بـ (الأنواء والأرصاد الجوي) الذي لازمه لفترة طويلة حتى توج بتمكّنه من تأسيس شبكة واسعة من اختصاصي (الأنواء) في طول البلاد وعرضها مكنتهم من تبادل المعلومات حول تقلبات الطقس والمناخ آنياً بواسطة جهاز التلغراف كما مكنتهم من تطوير توقعات أرصاداتهم الجوية.

شهد عام (1845) تنويع جهود (بالو) بإنجازه لأهم وأغرب التجارب التي صممت للتأكد من صحة (تأثير دوبلر) الصوتي (Doppler Effect) والذي ينص على وجوب ملاحظة فرق في تردد الموجات المستلمة من مصدرين صوتيين مادام هناك فرق نسبي بين سرعتيهما، بمعنى ضرورة زيادة تردد موجات الصوت المقبلة نحو مستلمها ونقصانها عند

(1) الأثير - هو الوسط الافتراضي الذي ساد الاعتقاد سابقاً بوجوده وبأنه الوسط الشفاف عديم الوزن واللون، متناهي اللطافة والخفة والمتغلغل في كل مكان والذي كان يعزى إليه فضل نقل أو انتقال الموجات الكهرومغناطيسية خلاله. سقطت نظرية (الأثير) بفعل إثبات قابلية انتقال تلك الموجات خلال الفراغ وفشل كل المحاولات لإثبات وجوده الفعلي. (المترجم).

(2) The Walloon Church: وهو الفرع الكبير من (الكنيسة الكالفانية - Calvinist Church نسبة إلى المصلح الديني الفرنسي [جون كالفن] John Calvin (1509-1564) - والتي أنشئت في هولندا وتبعها مستعمراتها الواقعة إلى جنوب الإقليم وامتد نفوذها إلى فرنسا وضمت أفراد المجتمعات المسيحية الناطقين بالفرنسية. (المترجم).

إدبارها عنه. ولإجراء هذه التجربة الحدث قام (بالو) باستئجار قطار ملأه بعازفي الأبواق الذين طلب منهم عزف نغمة واحدة مستمرة أثناء مسير القطار ليسمعاها ويقيمها جمهرة من الموسيقيين المحترفين وهم واقفون على جانب السكة! اضطر (بالو) إلى الاستعانة بالأذن البشرية المدربة لتقدير فرق الطول الموجي للنغمة المسموعة المتحركة جيئة وذهابا بالنظر لعدم وجود أي آلة معتمدة لإجراء مثل تلك القياسات آنذاك.

ولإكمال التجربة قام (بالو) باستئجار أعداد غفيرة من الموسيقيين المحترفين والمعروفين بكفاءتهم العالية في تمييز النغمات وضبط الآلات الموسيقية. أركب عددا منهم القطار وأبقى الآخرين على جانب السكة ثم طلب من أحد العازفين إعلان نغمة [جي مايجور (G)] طويلة وهو على متن القطار المتحرك، وأبقى ثلاثة آخرين على جانب السكة ووزع أربعة عشر مراقبا آخر بالتساوي سبعة على متن القطار وسبعة على جانب السكة الآخر ثم طلب من الجميع تحديد آرائهم في حدوث أي تغيير في نغمة [الجي مايجور (G)] التي عزفت لمرات عدة وليومين متتاليين. وكنتيجة لتجربة مضمينة استمرت على مدى اليومين عُزفت خلاهما مختلف الأنغام بمختلف السرعة وبعد جمع وتحليل آراء كافة المحترفين توصل (بالو) إلى الاستنتاج النهائي وأثبت صحة (تأثير دوبلر) والذي اخترله لاحقا إلى معادلته المعروفة.

اليوم وبالرغم من يقيننا القاطع من انصياغ الضوء (كالصوت) تماما (لتأثير دوبلر) آنف الذكر، إلا أن (باي - بالو) ظل متشككا من تعميم نتائجها التي حصل عليها من تجاربه على الصوت ومدى لتصلح في تطبيقاتها على الضوء. كتب كل من (دف مالوك - Dev Maulik) و (إيفيكا زالود - Ivica Zalud) في دورية (الموجات فوق الصوتية وتأثير دوبلر في تطبيقات طب النسائية والتوليد) مقالا جاء فيه:

((بالرغم من النجاح الفائق الذي أثبتته توقعات (باي - بالو) حول حقيقة وجود (تأثير دوبلر) وعلاقته بطريقة انتشار الصوت وتوقع اعتماده على زاويتي الانتشار والارتداد فقد كاد يكون من المستحيل تصديق حقيقة رفضه لتعميم ما توصل إليه على تصرف الضوء في طرق انتشاره الموجية، إلا أن من الإنصاف تفهم وجهة نظره إذا علمنا أن



عموم المجتمع العلمي خلال فترة القرن الثامن عشر لم يكن مهيا لقبول تعميم ذلك التأثير على تصرف الضوء بعد)).

مكن اختراع التلغراف من تأسيس مناطق رصد جوية متعددة ومكن محترفيها من متابعة تبادل معلوماتهم حول الأرصاد الجوية وتحسين دقة تنبؤهم بتقلبات الطقس اليومية. نبغ صاحبنا في حقل التنبؤات الجوية وظلت نشراته محط احترام وتداول من قبل العديد الجم من محطات الأرصاد في مختلف أنحاء العالم آنذاك. و كنتيجة لولعه الشديد بالتنبؤات الجوية ومراقبة الطقس استطاع (باي - بالو) من تأكيد ملاحظاته وتوقعاته حول حقيقة هبوب الرياح في هولندا متعامدة مع خط الضغط الجوي.

نشر تلك التوقعات عام (1857) في دورية (كومتس رندس Comptes Rendus) ثم مالبث أن أنهى صياغة قانونه في عام (1863) وتمكن من نشره في مجلة الجمعية البريطانية لتقدم العلوم والمسماة (ترانساكشنز Transactions).

غاب عن علم (بالو) أن أول من اكتشف قانون حركة الرياح آنف الذكر كانا خبيري الأرصاد الأمريكيين [جوزف هنري كوفن (James Henry Coffin 1806-1873) و [وليم فيريل (William Ferrel 1817-1891)]. ومن الجدير بالذكر أيضا أن (فيريل) هذا كان أول من توصل إلى (قانون باي - بالو) الخاص بانحراف الرياح بسبب دوران الأرض ولكن من الإنصاف القول بأنه رغم كون (فيريل) أول من فكر بوضع نظرية حول هذا القانون، إلا أن (باي-بالو) كان أول من أثبت صحة التطبيق العام له من خلال تجاربه وأبحاثه ومراقباته المستفيضة، ولقد اعترف هذا الأخير بفضل الأول وريادته في التقديم للنظرية التي توصل هو إلى صياغتها.

ولعل أهم استخدامات قانون (باي-بالو) اليوم هو لتحديد مواقع والتنبؤ بمسار الأعاصير، فعلى سبيل المثال يمكن لسكان أواسط الولايات المتحدة الأمريكية التنبؤ بموقع ومسار إعصار ما إذا ما وقف أحدهم مواجهها للرياح ونشر ذراعه اليميني قائمة على جنبه. فسيشير حينذاك إلى مركز الإعصار التقريبي. وبإعادة مثل هذه التخمينات سيكون بإمكانه تعيين الاتجاه النسبي

المفترض لمسار ذلك الإعصار واتجاهه. ومما يستحق الذكر في حياة هذا العالم العملية والعلمية هو تميزه بدقة ملاحظاته وقوة استنتاجاته فقد كان أول من أشار إلى خطأ حسابات [رودولف كلوزيس (Rodolf Clausius) (1822-1888)] وفقا لنظريته الجزيئية الجديدة. وتعود جذور هذه الحادثة إلى حقيقة إجراء الفيزيائي الألماني (كلوزيس) للعديد من التجارب والأبحاث التي مكنته في عام (1857) من نشر نتائجها بخصوص حساب معدلات سرعة بعض جزيئات العناصر الغازية مثل الأكسجين والنيتروجين والهيدروجين في درجة ذوبان الماء المتجمد (أي درجة الصفر المئوي) والتي ثبتها على أساس 461 م/ثا و 492 م/ثا و 1844 م/ثا على التوالي. أما ما رآه (باي - بالو) ولم يره الآخرون فيتلخص ببساطة بانتباهه وإشارته الواضحة للتناقض البين بين نظرية الجزيئات الجديدة تلك والواقع الفعلي، وتساءل ببساطة بأنه لو كان لجزيئات تلك الغازات السرعة التي ذكرها (كلوزيس) فعلا، فلم لا تتمكن من شم روائح بعض المواد مثل (النشادر) وكبريتيد الهيدروجين) مباشرة من طرف الغرفة إذا ما فتحنا زجاجة منها عند طرف الغرفة الآخر مثلا؟.

أرغمت ملاحظة (باي - بالو) البسيطة والفذة تلك (كلوزيس) على إعادة حساباته وإجراء تعديلات جذرية على نظريته، من قبيل افتراض كون جزيئات الغازات المذكورة سابقا من الكبير بحيث يحول حجمها دون مواصلة انتشارها بخطوط مستقيمة من المصدر إلى المتلقي لسبب ما.. كأن تكون اصطداماتها المتعددة والمتكررة ببعضها البعض و/أو بجزيئات الهواء المحيط بها هو الأمر الذي يجبرها على تغيير اتجاهاتها لعدد كبير جدا من المرات في الثانية الواحدة الأمر الذي يوجب تطلبها وقتا طويلا نسبيا لتحركها من نقطة ميكروسكوبية إلى أخرى قريبة منها مقارنة بما كان قد قدر لحسابها من سرعة هائلة.

وكحال كافة العظماء والبسطاء وغيرهم من البشر فقد وافت المنية (باي - بالو) وجاء الوقت الذي شرب مترعا من كأسها ونُشر نعيه حزينا مؤثرا على صفحات مجلة تنبؤات سايمنز الجوية (Symon's Meteorological Magazine).. وقد جاء فيه:

((إليك أيتها السماء الرحيمة - ومن أحب مكان إلى نفسها (مسقط رأسها في اترخت



–(Utrecht) غادرت مساء الأحد الثاني من شهر شباط (فبراير) الروح الطيبة التي

أهدت إلى العالم ما يعرف بقانون (باي – بالو)، ذلك القانون المهم الذي ستظل البشرية

تذكره بعد نسيان العديد والعديد من أصدقاء واضعه وأقربائه)).

لقد كان (د. بالو) المدير الأساسي (ولعله كان الموجد الحقيقي) لمركز معهد التنبؤات الجوية الملكي الهولندي. واعترافاً بجميله فقد سميت الجزيرة المكتشفة من قبل البعثة الألمانية للتنبؤ والإرصاد الجوي والواقعة في (70 درجة و 25 دقيقة و 28 ثانية شمالاً) باسمه.

وختاماً لا بد لنا أن نذكر بأن (بالو) كان قد نشر العديد من الأبحاث والمقالات في الكيمياء والفيزياء ولكنه كان قد نذر الأربعين سنة الأخيرة من عمره للتنبؤات الجوية دراسة وتطويراً وبحثاً.

سميت إحدى فوهات القمر والبالغ قطرها (55 كيلومتراً) باسمه وتمت المصادقة على ذلك من قبل الجمعية العامة لاتحاد الفلكيين العالميين في عام (1970).

مصادر إضافية وقراءات أخرى:

Burstyn, Harold. "Christoph Buys Ballot." in *Dictionary of Scientific Biography*, Charles Gillispie, editor-in-chief (New York: Charles Scribner's Sons, 1970).

"Buys Ballot Obituary," in *Symons's Meteorological Magazine*, volume 25 (London: Edward Stanford: 1890), p. 8.

Maulik, Dev, and Ivica Zalud, *Doppler Ultrasound in Obstetrics and Gynecology* (New York: Springer, 2005).

Palm, L. C., Albert Van Helden, and Klaas Van Berke, *The History of Science in the Netherlands* (Leiden, The Netherlands: Brill Academic Publishers, 1999).

أفكار فلسفية وآراء للمناقشة:

– ألم تخاطر على بالك يوماً بمجموعة من الأسئلة المحيرة التي قهرت جيوش المفكرين منذ ابتداء فجر البشرية وبرزوغ شمس العلم وإلى اليوم، ومنها؛... (لم على قوانين الكون الأساسية أن تنصاع لتكثيب وبساطة كمعادلات؟) و (لم على معظم القوانين ان تكون عامة بتطبيقاتها، شاملة بنتائجها؟) و (لم عليها أن تقيد بعلامة مساواة بسيطة تربط جهتي (معادلة) يكاد لا يمت أحد طرفيها للآخر بصلة؟!) و (لم على

القوانين أن تكون أساسية (ومبسطة)؟ و (لم عليها أن توجد أصلاً؟!).

كراهام فرميلو

Graham Formelo. It Must be Beautiful, Great Equations of Modern Science

مقتطف من كتابه (إنهن لفا تنأت! لابد من ذلك).

— ما أكثر ما نثرثر وندافع عن أهمية قوانين الطبيعة والكون، وكأنها هي التي تخلق الأحداث وتوجد

الأفعال!

والحقيقة هي أنها لم تخلق حدثاً ولن توجد فعلاً!! فقوانين الكون لا، ولم تتمكن من تحريك كرة بليارد واحدة. نعم... إنها تستطيع تحليل تلك الحركة فقط متى ما أحدثت، أي متى ما قام أي شيء آخر عداها بفعل تحريك الكرة. أي أنها (مرة أخرى) لا تحدث الحدث، إنها (تسقط) إلى الأمام ما تنوقعه من تصرفات تتلو الحدث. وبناء على ذلك أجدني مرغماً ألا أعرف المعجزة بأنها الحدث الذي يخرق الطبيعة وقوانينها...!! فإذا ما ضربت غليون على حافة المنفضة ساكون (أنا) الفاعل الذي حرك الملايين من الجزيئات والذرات عن أماكن استقرارها — وإذا ركزت معي وأطلقت لذهنك عنان التفكير المجرد إلى حدود الكون — سأكون (أنا) الذي حرك كل ذرة فيه بطريقة أو بأخرى! وليست القوانين التي تنهج باسمها أو (التي تتعكر عليها)!!.

هناك نقطة البداية الجوهرية لإحداث الحدث... وهذا ما تغفله كافة القوانين عند تفسيرها إياه. والآن إذا ما تصورنا إمكانية المولى (عز وجل) من خلق نقطة بمعجزة وإيداعها رحم عذراء، فلا بد للحمل أن يستمر منقاداً لكل ما نعرفه من قوانين وحميات ولا حاجة له بعد خلقه وإيداعه من أن يخرق أي قانون كوني صغر ذلك القانون أم كبر.

سي. اس. لويس

C.S. Lewis, (Miracles) in (The Complete C.S. Lewis Signature Classics), 2002.

مقتطفة من مقالاته (المعجزات) المنشورة في مجموعته الكلاسيكية الكاملة.

— للأمثلة ونماذج المحاكاة الرياضية والفيزيائية أبلغ الأثر لتوضيح وفهم العلوم الميكانيكية على مر

العصور، فلقد دأب الفلاسفة منذ القدم وحتى اليوم على الاعتقاد الراسخ بضرورة إقران كافة الحقائق



من حولنا سواء كانت أجساما أو أجراما أو أحداثا بما يماثلها من نماذج ذهنية ومفاهيم فيزيائية تمكننا من تقديمها بصورة مفهومة للذهن والإدراك. وعلى هذا الاستاد يتوقف فهم أفكارنا وتصوراتنا لما حولنا من أجسام وأجرام وأحداث... وتفاعلاتها وتحركاتها على ما نبتكره من أمثلة وما نضعه لها من أساليب محاكاة لتفسيرها.

بولتزمان

Ludwing Boltzmann, 1902 Encyclopedea Britannica.

مقتطف من شرح مدخله في الموسوعة البريطانية.

قانون الخاصية الشعرية لأوتفش

EOTVOS'S LAW OF CAPILLARITY

1866  **هنكاري (المجر)**

تعتمد خاصية الشد السطحي لأي سائل على كثافته ودرجة حرارته.

معاور ذوات علاقة:

شارل - اوكتين كولوم (CHARLES-AUGUSTIN COULOMB)، و كوستاف
كرشوف (GUSTAV KIRCHHOFF)، و قوانين نيوتن (NEWTON'S LAWS)، ونظرية
اينشتين للنسبية العامة (EINSTEIN'S GENERAL THEORY OF RELATIVITY).

من أحداث عام 1866:

- نشر دوستوفسكي (Dostoevsky) رائعته الخالدة (الجريمة والعقاب) في اثني عشر
جزءاً شهرياً.

- اختراع ألفريد نوبل (مؤسس الجائزة العالمية المعروفة باسمه) الدائناميت.

- أكمل وبنجاح مشروع (الكوابل عبر الأطلسي)، الأمر الذي مهد لاتصالات
تلفرافية ناجحة بين جانبي المحيط الأطلسي لأول مرة، علماً بأن المحاولة الأولى لمد
ذلك الكابل كانت قد باءت بالفشل نتيجة لانتهيار الطبقات العازلة له بسبب ارتفاع
ضغط الماء، الحادث الذي شكك به الكثير من الصحفيين والذين اعتبروه مجرد خدعة
إعلامية.

- أعيدت ولاية تنسي إلى الفيدرالية الأمريكية للمرة الثانية.

- سلم (مانويليتو Manuelito) آخر زعيم لقبيلة (النافاهو Navaho) الهندية الحمراء
نفسه لقلعة (ونكيت Wingate) الأمريكية.

- نحت (ارنست هيكل Ernest Haeckel) ولأول مرة كلمة Ecology التي دخلت
إلى كافة المعاجم العلمية واللغوية والتي تعني علم البيئة.



نص القانون وشرحه:

يضع (قانون أوتنفس) للخاصية الشعرية العلاقة بين صفة الشد السطحي لأي سائل ودرجة حرارته ويكتب عمليا كالآتي:

$$\gamma = k(T_0 - T)/\rho^{3/2}$$

حيث تمثل (γ) قوة الشد السطحي لسائل (وتسمى أيضا بثابت الخاصية الشعرية له) والتي تعتمد على درجة حرارته (T) في حين تمثل (T_0) درجة الحرارة الحرجة للسائل و(ρ) كثافته، أما الثابت (k) فيكاد يتخذ نفس القيمة للعديد من السوائل ومن بينها الماء. ومن الجديد بالذكر أن (T_0) هي درجة الحرارة التي يتلاشى تماما عندها الشد السطحي للسائل - ويصبح صفراً -.

و(الشد السطحي) مصطلح يطلق على خاصية السوائل الناتجة من عدم توازن قوى الشد الجزيئي على أو قرب سطح ذلك السائل والتي تؤدي إلى تقلصه وتكسبه صفة مماثلة لصفة الأغشية المطاطية المشدودة. بين (أوتنفس) علاقة الشد السطحي لأي سائل بحجمه الجزيئي (والذي يعني الحجم المحدد الذي يشغله وزن معياري واحد من ذلك السائل) ويساوي رياضيا حاصل قسمة الوزن الجزيئي له على كثافته. وملاحظة المعادلة التالية:

$$(\gamma_1 v_1 - \gamma_2 v_2)^{2/3} / (t_1 - t_2) = k$$

والتي تلخص قانون أوتنفس حيث (γ_1) و (γ_2) تمثلان الشد السطحي لسائل عند درجتين حرارة (t_1) و (t_2) حيث يتغير حجمه الجزيئي على التوالي من (v_1) إلى (v_2). ندرك أنه بإمكاننا اعتبار الشد السطحي للسائل كقوة سطحية جزيئية تتغير بتغير درجة حرارة ذلك السائل بغض النظر عن طبيعته. ولقانون (أوتنفس) هذا أهمية بالغة لدى الكيميائيين حيث يستطيعون بواسطته تحديد الوزن الجزيئي للسائل المعني، كما بإمكانه ربط كل من الحجم الجزيئي (v) والوزن الجزيئي (μ) وكثافة (ρ) أي سائل رياضيا بواسطة المعادلة البسيطة التالية:

$$v = \mu / \rho$$

اجتهد (او تفش) أيما اجتهد في سبيل تحقيق أكبر دقة ممكنة لتجاربه حتى أنه استخدم الألوان والأنابيب الزجاجية المختومة بإذابة فوهاتها كي يضمن استبعاد أي شائبة قد تؤثر على دقة نتائجه، كما أنه لم يعتمد على النظر إنما استخدم خير الأجهزة البصرية المتوفرة في ذلك الزمان لضمان دقة الملاحظة وقياس الشد السطحي ولم يعتمد على الرؤيا العينية. وفرت تلك الأجهزة البصرية الفرصة له لقياس الانعكاس الضوئي بدقة متناهية الأمر الذي مكنه من تشخيص ووصف الخصائص الهندسية الموضعية لسطوح السوائل التي درسها، وقد تفتت عبقرته عن طريقه لتفادي التأثير الناتج على صفات سطوح السوائل بتغير الزمن ودرجة الحرارة وذلك باحتواء سوائله في داخل أنابيب زجاجية محتومة بطبقتين ومعزولة حرارياً وبذلك أثبت اقتصار اعتماد قوة الشد السطحية الجزيئية على درجة الحرارة فقط.

تلعب الخاصية الشعرية وخاصة الشد السطحي دوراً فعالاً بينا في العديد من الظواهر الطبيعية، فمثلاً يمكن بواسطتها تفسير قابلية (حشرات الناموس) على المشي على أسطح البرك المائية والتي تشكل الجزيئات المتواجدة على سطحها طبقة متماسكة بنتيجة فعل القوة الجزيئية بينها، أما وحدة قياس الشد السطحي فهي $[N/m]$ نيوتن على المتر [وتقابل وحدة القياس $[J/m^2]$ بالجلول للمتر المربع] وفي استخدام (الجلول) في القياس تذكر لنا بأن هذه الصفة ما هي إلا طاقة (بدلالة وحدة قياس الطاقة وهي الجلول) كما تمثل قوة (بدلالة وحدة قياس القوة وهي النيوتن).

للفضوليين فقط:

- هل علمت أن في نثر رذاذ الماء على سطح حوض الغطس في المنطقة المتوقعة، تقليلاً لشدّها السطحي الأمر الذي يلطف من شدة ارتطام راس السباح بها؟
- سميت إحدى قمم جبال (دولوميتس Dolomites) الواقعة شمال شرق إيطاليا باسمه



تخليدا لمهارته وشهرته في تسلق الجبال.

- سميت باسمه (وحدة الاوتفش - E) (eotvos) وتعني حاصل قسمة التعجيل على المسافة، وهي الوحدة المستعملة للتعبير عن تغير مجال الجاذبية الأرضية من نقطة جبلية إلى أخرى والتي قد تصل إلى (1000) وحدة كفرق بين الجاذبية على قمتين.

أقوال ماثورة:

- لا ريب في تفوق الشعراء على العلماء في قدرتهم على ولوج أعماق المجهول.

اوتفش

Lorand Eotvos, quoted in P. Kira'ly 'Eotvos and STEP.

مقتطف من كتابه حسب ما جاء في كتاب (كيرالي).

- يمكن للعالم التحليق عاليا في عالم الخيال تماما كالشاعر، ولكنه وحده الذي يعرف حدود تحليقه وبإمكانه جعلها واقعا.

اوتفش - المصدر السابق

- علمت آلا تي وأعلمتي بمدى امتداد بلدي تحت السطح المتجلد لبحيرة (بالاتون Balaton) فازدنت فرحا وسعادة. لم ولن أرى ذلك الامتداد بأعينه ولكن يقين شعوري بذلك اعتصر قلبي حزنا حين آن أوان الربيع وشارف الجليد على الرحيل.

- مقتطفات مما شعر به (اوتفش) خلال قيامه بقياسات الجاذبية بواسطة قبان العزوم على طبقة بحيرة بالاتون الجليدية خلال عامي (1901 و 1903).
- اوتفش - المصدر السابق.

مختصر لسيرة حياة المكتشف:

[ليونارد اوتفش (1848-1919) Lornd Eotvos] فيزيائي مجري ولد في مدينة بودابست (Budapest) في هنكاري، واشتهر بدراساته لظاهرة الشد السطحي في

السوائل وأبحاثه عن حقول الجاذبية الأرضية. اسمه الكامل (فازاروز ناميني بارو اوتفش لوراند) (Vasarosnamenyi Baro Eotvos Lorand) واشتهر بعدة أسماء وألقاب منها (رولاند - Roland) و (البارون فون اوتفتش - Baron von Eotvos) وهي الصيغة الألمانية للاسم الهنكاري و (لوراند اوتفوس - Lorand Eotvos) أو (رولاند اوتفش - Roland Eotvos). [تختلف كتابة اللقب بوجود نقطتين على حرفي الـ (o) حسب اللغة الهنكارية وتلفظ الـ (s) - (sh)].

اشتهر والده كأحد رواد الكتابة والفلسفة السياسية في القرن التاسع عشر. انضم (اوتفش) إلى جامعة (بودابست) كطالب حقوق ولكن سرعان ما خلبت مواضيع الرياضيات والفيزياء ليه فعكف على دراستهما على نفقته الخاصة إضافة إلى استمراره في دروسه المنهجية في القانون.

اكتشف وفي وقت مبكر ميله وولعه الشديد وانجذابه للعلوم الأمر الذي قاده إلى ترك دراسة الحقوق والالتحاق من جديد بجامعة هيدلبرك (Heidlberg) ابتداء من عام (1867) حتى حصل منها على شهادته في الدكتوراه في العلوم عام (1870). ناقش في أطروحته المبكرة المنشورة تصرف شدة الضياء من مصادر متحركة وكان هذا الكيان النظري المتقدم والجهود الفكري المميز هو حجر الأساس لما أثمر لاحقاً عما سُمّي (بالنظرية النسبية) على يد (اينشتين). عاد (اوتفش) إلى المجر في عام (1871) بعد حصوله على الدكتوراه وسرعان ما حصل على كرسي الأستاذية الكاملة في جامعة بودابست ثم تزوج في عام (1876) ورزق بابتنتين صارتا رفيقتي رحلاته وسلوته في ممارسة هوايته المفضلة، وعلى الأخص رياسته المحببة في تسلق الجبال حتى صار من أشهر المتسلقين في أوروبا.

تركزت أبحاث (اوتفش) وتجاربه خلال تواجده في جامعة (كوننبرك Königsberg) على دراسة ظاهرة الشد السطحي الأمر الذي مكّنه من نشر العديد من البحوث حول الموضوع ما بين عامي (1876) و (1886)، أما بعد ذلك فقد ركز أبحاثه على دراسة طبيعة الجاذبية الأرضية وتمكن من نشر أبحاثه في عام (1890) حول حقيقة قوى التجاذب بين الكتل باستخدام (قبان



العزوم). ومن الجدير بالذكر أن اختراع ذلك الجهاز كان قد سبق نشر أعماله تلك، فمن المعلوم أنه كان قد تم اختراع (قبان العزوم) من قبل عدد من العلماء في أوقات متقاربة وفي بقاع مختلفة من أمثال (جون ميشيل - John Michell) و[هنري كافنديش - Henry Cavendish 1731-1810] و[شارل أو كستين دو كولوم - Charles-Augustin de Coulomb 1736-1806]. ولكن أهم ما ميز جهازه رغم شبهه بأجهزة سابقة فكان الدقة في القياس والشدة في الحساسية. صار قبان (او تفش) واحدا من أفضل الأجهزة المستخدمة لقياس حقول الجاذبية الأرضية القريبة من السطح وللتنبؤ بوجود بعض التجمعات المائية والنفطية تحتها. وعلى رغم حقيقة اهتمام (او تفش) أساسا بالأبحاث والنظريات إلا أن الواقع أثبت صلاحية قبانته ونجاحه نجاحا باهرا فصار له أهمية عملية استثنائية في اكتشاف حقول النفط والغاز.

لقد ذكر (اندرول. سايمن - Andrew L. Simon) مؤلف كتاب (صنع في المجر) تفاصيل حياة (او تفش) الجامعية قائلا:

((سرعان ما حاز (او تفش) وبعد إكمال دراسته في جامعة (هايدلبرك) على يد أساتذة عظام من أمثال البروفسور [كوستاف كرشهوف (Gustav Kirchhoff 1824-1887)]، و[روبرت بنسن (Robert Bunsen 1811-1890)]، و[هرمن فون هلمهولتز (Hermann Von Helmholtz 1821-1894)] مركز الصدارة كأفضل عالم مجري في مجال الفيزياء النظرية والتجريبية. وصار قبان عزومه الجهاز الأساس في اكتشاف حقول بترول تكساس وفنزويلا وحقول بترول زالا (Zala) في المجر، إضافة إلى العديد من الأماكن الأخرى. وقد عمل بإخلاص على قيادة النهضة العلمية الحقيقية في بلاده حتى تميز أبناء وطنه في كافة الدراسات المتعلقة بالجاذبية والمغناطيسية الأرضية وعلوم الزلازل والهزات الأرضية)).

تعتبر دراسات (او تفش) وقياساته الرائدة في إثبات حقيقة كون الكتلة لأي جرم أو مادة (m) والتي تستعمل لحساب قوى الجذب في [قانون نيوتن للجذب العام - $F = Gm_1m_2/r^2$] هي ذات الكتلة (m) التي تدخل كثابت عند تناسب القوة طرديا مع التعجيل

في [قانون نيوتن الثاني - $(F = ma)$] وقد قام بقياسهما وإثبات تطابقهما بدقة بلغت [5] في البليون أي (5 مقسومة على 10 مرفوعة للأس التاسع). وبعبارة أخرى كان (اوتفش) السباق في إثبات مساواة (كتلة القصور الذاتي) وبها يقاس مدى ممانعة أي جسم للتعجيل الذي تفرضه القوة المسلطة عليه مع (كتلة جاذبه) وهي القيمة التي تحدد وزنه بدقة عالية. ولقد برزت أهمية المعلومة السابقة حينما استخدمها (اينشتين) في صياغة نظريته في (النسبية العامة)، وعزا فضل اكتشافها إلى (اوتفش) في ورقته الشهيرة المنشورة في عام (1916) بعنوان - أسس النظرية النسبية العامة - والتي افترض (اينشتين) فيها أن ما نسميه (الجاذبية) ما هي إلا حقيقة ناتجة عن انحناء الفضاء نتيجة لتأثير الكتلة الموجودة فيه. ومن الأفكار الأخرى للنظرية النسبية العامة برز مفهوم (مبدأ المساواة) ويعني أن قوة الجاذبية التي تسقطها أي كتلة في اتجاه ما تساوى عين القوة التي يفرضها التعجيل عليها ولكن بعكس الاتجاه.

ومن الجدير بالذكر أن العديد من تنبؤات (النظرية النسبية) كانحناء ضوء النجوم الواصل إلى الأرض والريغ الضئيل في مدار كوكب عطارد وغير ذلك من الظواهر قد تم إثباتها في الوقت الحاضر تجريبيا.

لعلك تذكر قصة (قبان العزوم الذي كان قد تم اختراعه من قبل عدد من العلماء كل على حدة، إلا أن الجهاز الذي صنعه (اوتفش) امتاز بحساسية قياس عالية جدا إلى درجة اعتباره الجهاز الأول في قياسات (تدرج الجاذبية) وهو التعبير الذي يطلق على تغيير صفات الجذب في مناطق متجاورة. فعلى سبيل المثال تضمنت قياسات (اوتفش) المبكرة نتائج أدت إلى وضع خارطة (المشتقات الثانية - The Second Derivatives) لتغيرات الجذب المحتملة في مختلف الأماكن في مكتبه وفي البناية التي يقع فيها، وكان لابد لكل مختلف الأجسام الموجودة من التأثير على قياساته وعلى القيم التي توصل إليها.

وبالعودة إلى (قبان عزوم اوتفش) الحساس فقد أمكن استخدامه لدراسة التغيرات في الجاذبية الناتجة عن الحركة البطيئة لمكان السوائل والكتل الجسيمية، فينسب إلى بيتر كيرلي (Peter Kiraly) عضو معهد أبحاث الفيزياء الذرية قوله بإمكانية قياس تغير مناسب



نهر الدانوب (Danube) بدقة كبيرة ومن على بعد (100 متر) منه، إلا أن أحداً لم يوثق تلك النتائج.

امتاز (أو تفش) بتعدد مواهبه واهتماماته فكان قد عكف على دراسة العديد من المواضيع مثل الحيوذات المغناطيسية وشكل الأرض واختبار الخصائص الجيومغناطيسية على نماذج حجرية باللغة القدم إضافة إلى دراسته لتغيرات التعجيل الأرضي الناتجة عن حركة الأجرام نسبة إلى حركة الأرض. أما هواياته فقد تصدرتها هواية تسلق الجبال والتصوير، واحتفظ بلياقته البدنية العالية حتى قبيل وفاته، فقد تمكن وقد ناهز الثامنة والستين من عمره من تسلق العديد من قمم جبال (التر Tetra) والتي تقع على الحدود البولندية - السلافية اليوم.

أنشأ في عام (1885) ومشاركة بعض من زملائه - الجمعية المجرية للرياضيات - واستمر نشاطه الذهني والبدني متقدماً إلى مراحل متأخرة من عمره. فقد ظل يحاضر في جامعة (بودابست) حتى عام وفاته في (1886) تلك الجامعة التي أصبح اسمها بعد عام (1950) جامعة (أوتفش لوراند) اعترافاً بمجهوداته العلمية وتخليداً لذكراه.

لقد سجل كاتب سيرته الذاتية (ل. مارتن - L. Martin) الحس القومي لاوتفش وتأثيره البين والخالد على عموم المسيرة التعليمية في المجر في مدخله البارز من الكتاب الشهير (معجم سير العلماء الذاتية) والذي جاء فيه:

((أدرك أوتفش أهمية التعليم الجامعي كما أدرك أن نتائجه لا بد وأن تعتمد على التعليم الثانوي الذي يسبقه، فعمل بكل طاقاته وبكامل إخلاصه على تنقية وتطوير التعليم الثانوي والجامعي في بلاده. ومن المنطق والطبيعي إرجاع فضل ظهور العديد الجم من نوابغ العلوم الهندكاريين خلال القرن العشرين إلى جهوده المتميزة وبعد أفق نظره وتفكيره سالف الذكر. وتكتسب هذه النقطة أهمية خاصة إذا ما علمنا توجهه وحرصه على عدم تداخل ولعه وانشغاله بالبحوث العلمية مع ضرورة التفاته إلى العديد من النقاط الجوهرية التي تمس تطور التعليم، والتربية وتلك التي تؤثر على مستقبل الوطن ومصير أبنائه)).

وأخيراً سمّيت إحدى فوهات القمر بقطر (99 كيلومتراً) باسمه الأمر الذي تمّت المصادقة عليه من قبل الجمعية العامة لاتحاد الفلكيين العالميين في عام (1970).

مصادر إضافية وقرارات أخرى:

Király, P., "Eötvös and STEP," poster presented at the Satellite Test of the Equivalence Principle Symposium, Pisa, Italy, April 6-8, 1993. Published, without figures, in *Proceedings* (ESA WPP-115), R. Reinhard, editor (Noordwijk, The Netherlands: ESTEC, July 1996), pp. 399-406; see www.mek.iif.hu/porta/szint/tarsad/tudtan/eotvos/html/stepcikk.html or www.kfki.hu/eotvos/stepcikk.html.

Marton, L., "Roland Eötvös," in *Dictionary of Scientific Biography*, Charles Gillispie, editor-in-chief (New York: Charles Scribner's Sons, 1970).

Simon, Andrew L., *Made in Hungary: Hungarian Contributions to Universal Culture* (Safety Harbor, Fla.: Simon Publications, 1998).

أفكار فلسفية وآراء للمناقشة:

- لا تنطبق صفة الإنسانية الكاملة على من لا يدرك ولا يفهم مغزى الرياضيات في الحياة... نعم
ستمكن تلك الفئة من ارتداء أحذيتها وشراء ملابسها الأنيقة وستعني بنظافتها الشخصية ولكن هناك
أكثر من ذلك لاستحقاقها تلك الصفة.

هينلين

Robert A. Heinlein, *Time Enough for Love*.

مقتطف من كتابه (هناك دائماً متسع من الوقت للحب).

- تأخر مفهوم (علمنة) القوانين الطبيعية في بريطانيا عنه في القارة الأوروبية. فلقد استطاع لابلاس (Laplace) قرب نهاية القرن الثامن عشر وبُعيد الثروة الفرنسية الإعلان عن استعداداته للتخلي عن إيمانه بضرورة الحاجة (لنظرية الوجود الإلهي)، وحاول الفيلسوف الألماني كانت (Kant) إنزال قدسية وكونية (قوانين نيوتن) من ضرورة وجود الإله أو سيطرة الطبيعة إلى واقعية تبجيل حسن المنطق ونضج الإدراك البشري. أما في بريطانيا فلقد استمر رسوخ مفهوم الجدل المحتدم بين إرادة الكنيسة المتمثلة بالدين ومناقضتها للقوانين الطبيعية وبين العلوم المنسوبة غالباً للإرادة الشيطانية حتى الربع الثالث من



القرن التاسع عشر. كان لزاما على داروين (Darwin) وثورته الطبيعية في قانون الانتقاء وأصل الأنواع من الظهور كي يتم الإقرار بفصل قوانين الطبيعة عن التفسير الإلهي.

كير

Ronald N. Giere, Science Without Laws.

مقتطف من كتابه (العلم بلا قوانين).

- لقد آن الأوان للإدراك والإيمان الكامل باستحالة التوصل إلى أي نظرية موضوعية تحتوي الحقيقة كاملة من كافة زواياها وتجسد ما يحدث (بالضبط) في الطبيعة. لقد اقتضت كافة نظرياتنا الموضوعية على تكوين صور ذهنية تعكس كمية مقبولة من تلك الحقيقة أو جانباً معيناً منها كما تعكس أي علامة أو رسم المفهوم الأصلي المراد التعبير عنه. نستطيع الآن تحرير أذهاننا من عبودية الضرورة الملحة لاستبط (النظريات الكاملة) وسنكفي برسم الهيئة الذهنية لما نفهمه منها بأبسط وأوضح صورة ممكنة، ولإدراك سمو ومصداقية هذا التصور لنا أن نتخيل حلاوة تفسير ظاهرة معينة بمجموعتين أو أكثر من النظريات، كل منها تنظر إلى الحقيقة من زاوية أو مجموعة من الزوايا كلها تمتاز بالبساطة والوضوح والمصدقية رغم اختلافها، عند ذاك ستمكن من جمع ما نشاء منها واضعين الكمال كنقطة لا نهائية لا طائل ولا جدوى لنا في بلوغها.

بولتزمان

Ludwig Boltzmann, (On the Development of Methods of Theoretical Physics in Recent Times).

مقتطف من كتابه (في سبيل تطوير طرق وأساليب الفيزياء النظرية، الحديثة).

قانونا كولروش للتوصيل الكهربائي

KOHLRAUSCH'S LAWS OF CONDUCTIVITY

🧪⚡️ ألمانيا في عامي 1874 و 1875:

في محاليلها المخففة ؛ يتناسب توصيل الكهرباء المعيارى للمواد شديدة التأين مع مربع تراكيزها. يعتمد توصيل الكهرباء لمحالول حارٍ على أي مادة متأينة على حاصـل جمع قابلية توصيل كافة أيوناتها.

معاور ذوات علاقة:

قانون اوستوالد للتخفيف (OSTWALD'S DILUTION LAW)، وقانون التحلل لارينيوس (ARRHENIUS'S LAW OF DISSOCIATION)، وقانون كهربائية أوم (OHM'S LAW OF ELECTRICITY).

من أحداث عام: 1874:

- اكتُشف ولأول مرة مفعول الفلوريدات المقوي لميناء الأسنان والمانع لظاهرة نخرها.
- ولد في هذا العام كل من ونستون تشرشل (Winston Churchill) رئيس وزراء بريطانيا خلال الحرب العالمية الثانية، والساحر الهنكاري الشهير هاري هوديني (Harry Houdini).

- أسست جمعية الشباب اليهودي في منهاتن ولاتزال موجودة إلى اليوم تحت اسم (شباب الشارع الثاني والتسعين).

- فتحت أول حديقة رسمية شعبية للحيوان في ولاية فيلادلفيا الأمريكية أبوابها للعموم.
- حضرَ الكيميائي الألماني أودمر زدلر (Othmer Zeidler) ولأول مرة مادة الدي. دي. تي (DDT)، إلا أنه لم يتمكن من تحديد خواصها القاتلة للحشرات حيث اضطر العالم إلى الانتظار حتى عام (1939) حين تمكن عالم الحشرات السويسري بول مولر (Paul Mueller) من اكتشاف ذلك.



مقدمة:

اهتم (فردريخ كولروش - Friedrich Kohlrausch) بدراسة وفهم طبيعة توصيل المحاليل للكهربائية، والتي كانت مخوفة بالصعوبات بالنظر لسرعة ترسب أيونات تلك المحاليل على أقطابها عند استعمال التيار الكهربائي المستمر مما يجعلها عازلة وعاجزة عن إيصال فرق الجهد اللازم للمحاليل المغمورة فيها. برزت نباهة (كولروش) في تلافي الإشكالية السابقة عند محاولته استعمال التيار المتردد بدل المستمر في تجاربه، وبذلك استطاع في أوائل عام (1870) من اكتشاف العلاقة التي تنص على زيادة توصيل المحاليل للكهربائية عند ارتفاع درجة حرارتها، وواصل أبحاثه وتجاربه حتى توصّل (ولأول مرة) إلى اكتشاف جملة من الحقائق التي تعتبر من المسلمات في الوقت الحاضر مثل حقيقة عدم تأثر أو تأثير أي أيون موجود في محلول مخفف على أي من الأيونات الأخرى الموجودة معه فيه، وأن جزيئات الماء هي العامل الوحيد الذي يؤثر على تحرك الأيونات تجاه الأقطاب المغيرة لها بالشحنة، كما أنه تمكن من الاستنتاج بأن لكل أيون معين (موجود في محلوله المخفف) خاصية ممانعة كهربائية تخصه وحده (ولا يشاركه فيها غيره) مهما كان مصدر ذلك الأيون (من مركبات)، كما استنتج إمكانية تطبيق العديد من المفاهيم الكهربائية؛ مثل (قانون اوم) الخاص بمقاومة الدوائر الكهربائية لفهم صفات توصيل المحاليل المتأينة على اختلاف أنواعها.

قبل التطرق إلى شرح وبيان الصيغة الرياضية لقانوني (كولروش) دعني أوضح لك أهمية مفهوم المقاومة الكهربائية وضرورتها لدراسة حركة الأيونات في المحاليل، فمثلاً بالإمكان فهم العلاقة الطردية لمقاومة مادة ما (R) مع طولها (I)، وعكسياً مع مساحتها (A). كما بإمكاننا تعريف ظاهرة [التوصيل (k) Conductivity] رياضياً بكونها مساوية لمقلوب ظاهرة [المقاومة (RA) Resistivity]، هكذا:

$$\kappa = 1/(RA)$$

والتوصيل (κ) هو عكس الممانعة (r) ولهذا تكتب الممانعة رياضياً كمقلوب للتوصيل. أما Λ_m فتعني التوصيل المعياري وتكتب رياضياً:

$$\Lambda_m = \kappa / c$$

حيث تمثل (c) التركيز المعياري للمادة المتأينة الموجودة في المحلول. بعد هذه المقدمة القصيرة: يمكننا اليوم صياغة ما توصل إليه (كولرش) بقانونين مهمين هما قانون الجذر التربيعي (1874) وقانون استقلالية الأيونات المتحركة (1875).

نص القانونين وشرحهما:

1 - قانون الجذر التربيعي

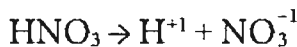
KOHLRAUSCH SQUARE ROOT LAW (1874):

$$\Lambda_m = \Lambda_m^\infty - Kc^{1/2}$$

وينص على اعتماد قابلية توصيل أي محلول أيوني على عدد الأيونات الحرة الموجودة فيه، وعليه فإن قيمة التوصيل المعياري للمواد شديدة التأين تتناسب مع الجذر التربيعي لتركيزها ويسمى الحد بنهاية قابلية التوصيل المعياري؛ ويعرف بأنه مقدار قيمة التوصيل المعياري (لمحلول أيوني خيالي) عند احتوائه على (صفر) من الأيونات. ويمكن الاستنتاج أنه وفي مثل هذه التراكيز المتناهية في الضآلة، لا بد وأن تفقد الأيونات (لأنها غير موجودة أصلاً) صفة ممانعتها الواحد للآخر. أما (K) فتأبث يعتمد غالباً على نسب الأيونات التي تكون المادة المتأينة إحداهما إلى الأخرى، ومثال ذلك تكون النسبة لمادة حامض الكبريتيك وتساوي

$$\frac{2[H^+]}{1[SO_4]^{-2}} = \frac{2}{1}$$

وتوصف المادة المتأينة بالقوية إذا امتازت بكمال تأينها في محاليلها. مثال: يعتبر حامض النتريك (HNO_3) مادة شديدة التأين لأنه يتحلل بصورة كاملة في محاليله المائية وفق المعادلة التالية:





2 - قانون استقلالية الأيونات المتحركة (1875)

KOHLRAUSCH'S LAW ON THE INDEPENDENCE OF MIGRATING IONS:

وينص على أن التوصيل المعياري لأي محلول مخفف يساوي حاصل جمع أيوناته (السالبة منها: وهي عبارة عن ذرة أو مجموعة ذرات ذوات شحنة سالبة). و (الموجبة: وهي عبارة عن ذرة أو مجموعة ذرات ذوات شحنة موجبة). تتصرف كلا الأيونات السالبة والموجبة بصورة مستقلة في محاليلها المخففة، فلو فرضنا أن التوصيل المعياري للأيونات الموجبة هو λ_+ وللسالبة هو λ_- فنستحصل على

$$\Lambda_m^\infty = \nu_+ \lambda_- + \nu_- \lambda_+$$

حيث V_+ و V_- تمثلان عدد الأيونات أو (الجزور) الموجبة والسالبة على التوالي. بموجب وحدة القانون الجزيئي للمركب. فعلى سبيل المثال في مركب (BaCl_2) سيكون $[V_+ = 1]$ و $[V_- = 2]$.

ولعل قانون (كولر وش) لا يستحق صفة الكمال لأنه لا يصدق على تصرف المحاليل شديدة التركيز، ولكنه قد يكون أفضل ما يمثل قابلية مختلف المحاليل المخففة على توصيل الكهرباء. فعلى سبيل المثال توجد قوانين أخرى أقل شهرة منه مثل [قانون التخفيف لازوالد (1888) Ostwald's Dilution Law] ويكتب رياضياً:

$$\frac{1}{\Lambda_m} = \frac{1}{\Lambda_m^\infty} + \frac{\Lambda_m c}{K_a (\Lambda_m^\infty)^2}$$

حيث يمثل (c) مقدار تركيز المذاب و (K_a) ثابت توازن تحليل المذاب. وكان الكيميائي الألماني [فلهلم أوستوالد (1853-1932) Wilhelm Ostwald] أول من وضع هذا القانون الذي يمثل العلاقة بين قابلية التوصيل الكهربائي المعياري والتركيز، ويطبق على المحاليل ضعيفة التآين أي التي لا تتأين بشكل كامل في محاليلها كالأحماض والقواعد الضعيفة. ففي مثل هذه المحاليل تعتمد قابلية التوصيل الكهربائي على عدد الأيونات حرة الحركة في المحلول والتي تعتمد بدورها على درجة تأين تلك المواد. وكمثال عملي على

إيجاد حد التوصيل الكهربائي المعياري لأي محلول، نقوم برسم كل من قيمة $(1/\Lambda_m)$ على الإحداثي الصادي، وقيمة (c/Λ_m) على الإحداثي السيني، على محور الصادات و على محور السينات حيث ستكون نقطة التقاطع $c=0$ هي مساوية لقيمة $(1/\Lambda_m^\infty)$ وهي حد التوصيل الكهربائي المعياري لذلك المحلول.

ويمكنك أن تأخذ حامض الخليك ($\text{HC}_2\text{H}_3\text{O}_2$) كمثال على الحوامض الضعيفة والذي سيتحلل جزئياً في المحلول المائي إلى مكوناته وفق المعادلة التالية:



كما يوجد (قانون ارينيوس للتحلل الأيوني – Arrhenius's Law of Dissociation) والذي سمي على اسم اختصاصي الكيمياء الفيزيائية السويدي [سفنت أو كست ارينيوس (Svante August Arrhenius (1859–1927) والذي اكتشفه وطوره حوالي عامي (1887–1883) والذي يمكن بواسطته حساب قيمة ثابت تحلل مادة ما من خلال معرفة درجة تحللها. ينص هذا القانون على إمكانية حساب درجة تحلل المواد المتأينة (a) والتي بطبيعتها قابلة للذوبان في الماء) بواسطة المعادلة التالية:

$$a = \Lambda_m / \Lambda_m^\infty$$

حيث يمثل (a) درجة تحلل مادة ما و (Λ_m) مقدار التوصيل الكهربائي لتركيز معين منها و (Λ_m^∞) توصيلها المعياري الكهربائي في حالة تخفيفها اللانهائي. وهنا لابد من الإشارة إلى أن صحة هذه العلاقة تصدق فقط عند محدودية التفاعل الأيوني (كيميائياً) ما بين مختلف الأيونات المكونة للمادة المتحللة.

للفضوليين فقط:

- ضمت عائلة (كولروشر) ثلاثة من عمالقة علم الفيزياء، هم الأب (رودولف – Rudolph) وولديه (فلهلم فردريك – Wilhelm Friedrich) و (فردريك فلهم



(Friedrich Wilhelm)، لمع اسم الأخير وتبوأ منزلة الصدارة من بين أفراد عائلته في (معجم سير العلماء الذاتية)، حيث اكتشف ونشر في عام (1847) إحدى أهم (دوال المرونة - Relaxation Function)⁽¹⁾ المستعملة ضمن معادلات دراسة وفحص الزيوت المعدنية وقابليتها على تقليل الأثر الضار للاحتكاك بين أجزاء المكائن وآلات الميكانيكية المتحركة إضافة إلى ضرورتها في دراسة ديناميكية المحاليل اللزجة والمواد الزجاجية. سميت تلك الدالة باسم (دالة كولروش) ويعبر عنها رياضياً:

$$F_s(t) = f \exp [-(t/\tau_r)^\beta]$$

حيث β تمثل مقدار التمدد و f عامل القياس، بحيث

$$0 < \beta \leq 1$$

أما τ_r فيمثل حيز الزمن الذي تستغرقه العملية.

أقوال مأثورة:

- قد يستدعي اكتشاف (كولروش) وقانونه شيئاً من العجب حين ينص على حقيقة كون المحاليل الأقل تركيزاً هي الأشد توصيلاً للكهربائية. ولكن هذه الحقيقة لا يمكن تطبيقها فعلياً (وعليه لا يصح استخدام هذا القانون) إلا ضمن حيز ضيق من التراكيز المخففة لسبب بسيط هو أنه بزيادة تخفيف أي محلول الكتروليتي (أي ذلك الحاوي على مواد و/أو أملاح قابلة للأيون) موصل للكهربائية ستقل أعداد الأيونات الناقلة فيه وبالتالي انعدامها وفي النهاية لن يكون هناك أي أيونات لنقل التيار الكهربائي خلاله أصلاً. وهذا هو تفسير حقيقة كون الماء النقي (100%) غير موصل للكهربائية.

كربس

Rober E. Krebs, (Kohlrausch's Law, Scientific Laws, Principles, and Theories.

مقتطف من كتابه القيم (قانون كولروش، القوانين والمبادئ والنظريات العلمية).

(1) المرونة في الفيزياء تعني مقدار قابلية أي نظام يمكن دراسته (كقطعة حديد بحالتها الطبيعية أو تحت شد) لاستعادة حالته المستقرة. وعادة ما يرافقه عامل (زمن المرونة) وعليه يمكن اعتباره كدالة أسية للزمن. (المترجم).

ملخص لسيرة حياة المكتشف:

ولد الفيزيائي الألماني [فردريك فلهلم كولروش - Friedrich Wilhelm Kohlrausch 1840-1910] في مدينة رنتلن (Rinteln) الألمانية واشتهر بأعماله الفذة التي ساعدت على فهمنا لخواص المحاليل الموصلة للكهربائية. درس والده [رودولف كولروش - Rudolph Kohlrausch 1809-1858] الرياضيات والفيزياء وصاحب العديد من مشاهير عصره أمثال [فلهلم ويبر (1804-1891) Wilhelm Weber] العالم الألماني الشهير صاحب الإنجازات الكثيرة والذي وضع العديد من النظم المنطقية لوحدات قياس الكهربائية. كما عاصر العالم [كارل فردريك كاوس (1777-1885) Carl Friedrich Gauss] الشهير بدراساته حول المغناطيسية الأرضية.

لقد كان للوالد (رودولف) - وهذا ما يجدر الإشارة إليه - مشاركات مهمة مع العالم (كاوس) في اكتشافاته للعلاقات بين الكهربائية المستقرة والظاهرة الكهرومغناطيسية والعلاقة بين وحدات قياسهما كما شاركه أيضا في دراساته لحساب سرعة الضوء.

دخل (فردريك فلهلم كولروش) - وهو العالم المعني في موضوعنا هذا والذي سيطلق فيما سيلي عليه اسم (كولروش) فقط - جامعة كونتكين (Gottingen) ودرس فيها على يد صديق والده (ويبر) وحصل منها على شهادة الدكتوراه في عام (1863)، وعُين فيها أستاذا متمرسا للفترة من (1866-1870)، كما تعاون مع أخيه (فلهلم فردريك) في دراسة الصفات الكهروكيميائية لعنصر الفضة، ولعلك - هنا - تستطيع توقع الالتباس الذي كان لابد أن يقع فيه بعض المورخين في تحديد أعماله، أو وصف مشاركات كل من أقطاب عائلة (كولروش) الثلاثة بالنظر لتشابه أسمائهم وتقارب مشاركاتهم في اختصاصات متماثلة.

أصدر (فردريك فلهلم "كولروش") - حينما كان مدرسا في الجامعة - كتابه الشهير تحت عنوان (المرشد في الفيزياء العملية) والذي شمل العديد من التجارب وتقنيات القياس التي كان لها أجل الأثر والتأثير على الطلاب الألمان لما تلا من السنين الأمر الذي انعكس إيجابا



على نهضة الأمة الألمانية وحيازتها موقع الصدارة بين الأمم خلال القرنين الثامن والتاسع عشر. ترك (كولروش) في عام (1870) منصبه كأستاذ متمرس في جامعة (كوتنكن) التي تخرج منها والتحق كأستاذ بمعهد البوليتكنيك في زيورخ (Zurich)، ثم ما لبث أن تركه إلى جامعة دارمستاد (Darmstadt) التقنية في العام الموالي، وفي منصبه الجديد هذا استطاع بمعية صديقه (أوتو كروتريين - Otto Grottrian) من إثبات حقيقة زيادة قابلية توصيل المحاليل للكهربائية بزيادة درجات حرارتها، كما استطاع في عام (1874) من إثبات حقيقة وجود مقدار ثابت من المقاومة المحسوسة للكهربائية في كل محلول موصل لها، ثم استطاع أن يحسب سرعة إزاحة الأيونات بدراسة علاقة جودة التوصيل وزيادته بزيادة درجة تخفيف المحاليل الموصلة للكهربائية.

أدرك (كولروش) - ومنذ وقت مبكر - أن أفضل طريقة لمقارنة قابلية توصيل الكهربائية لمختلف المحاليل هو بدراسة حد نهاية توصيلها (Λ_m)، أي حينما تقترب تراكيزها من الصفر. وقد شرح كوبراتش لانكفورد (Cooper H. Langford) في كتابه (تطور أسس الكيمياء) كيف تمكن (كولروش) من قياس نهاية حد هذه القيمة قرب تركيز الصفر (Λ_m°) لمحاليل الإلكتروليتات وذلك بإجراء سلسلة من التجارب ورسم العديد من الخطوط البيانية لتحديد قيمة (Λ_m) بعد رسمها مع التراكيز المعيارية لمحاليلها، فكان بذلك أول من درس - بموضوعية فذة ومنهجية بالغة الدقة - المحاليل الموصلة للكهربائية للمواد شديدة التأين بمختلف تراكيزها، وكان أول من وضع القيم الحدية (Λ_m°) لتوصيل محاليلها للكهربائية. وهنا لابد لنا من الإشارة إلى أن دراسة أو إيجاد حد التوصيل للمحاليل لا نهائية التخفيف (الذي يعني فعليا عدم وجود أي أيونات من تلك المادة فيها وبالتالي لا بد وأن تنعدم أي تداخلات أو توصيل بينها أصلا) لا بد وأن يكون ضربا من المستحيل لسبب بسيط هو استحالة دراسة أو إيجاد حد أو حالة لا وجود لها بالواقع. ولكن ما قام به العلماء لإيجادها هو بوضع جداول بيانية لقابلية التوصيل مرسومة مع مقادير متناقضة من المواد المراد دراستها، ومن ثم مد مستقيمتها إلى حد تقاطعها مع المحور، وبذلك تمكنا من وضع جداول نافعة

جدا لقيم حد نهاية التوصيل (Λ_m) للعديد من المواد القابلة للتأين في محاليلها المائية. شرع (كولروش) بين عامي (1875-1879) بفحص ودراسة العديد من أملاح الحوامض ومحاليلها حتى أوصلته بحوثه والتي كان قد أجراها في جامعة ورزبرك (Wurzburg) إلى وضع قانونه الخاص بحركة الأيونات في محاليلها والذي ينص على أن لكل أيون في المحلول (مهما كان عدده ومقداره) ممانعته الخاصة به لدى هجرته داخل المحلول إلى القطب المخالف له بالشحنة والتي لا تعتمد مطلقا على مصدره الجزيئي ولا على نوع المركب الذي جاء منه وإنما تعتمد على خصوصيته الأيونية ذاتها.

ترأس عالمنا المرموق عام (1888) مختبر الأبحاث في جامعة ستراسبرك (Strasbourg) وتسلم في عام (1895) منصب المدير العام للمعهد العالي للفيزياء والتقنية، واعتبر عند ذاك بحق (ملك القياسات) بالنظر لجذده ودقة عمله وشغفه بتطوير العديد من آلات القياس مثل جهاز (القنطرة) المعروف باسم (قنطرة كولروش) لقياس قابلية التوصيل الكهربائي وجهاز (الكلفانومتر) ذي المماس والمستعمل لتحديد وجود واتجاه ومقدار التيار الكهربائي في المواد الموصلة كما عمل على تحسين جهاز المقياس العاكس⁽¹⁾.

لقد خلد التاريخ هذا العالم الجليل لأعماله وإنجازاته الباهرة والخالدة في حقل الكيمياء الكهربائية ولوضعه قانونيه اللذين مازالا مصدر منفعة وفائدة للعديد من العلماء والدارسين في تجاربهم الكهربائية والكهروكيميائية، وخير مثال على ذلك استفادة العالم (أوستوالد - Ostwald-) من أساليب (كولروش) وتقنياته في البحث واستخدامها في أبحاثه وتجاربه الخاصة الأمر الذي مهد إلى، ومكنه من اكتشاف قانونه الشهير للتخفيف والمعروف باسمه (Ostwald's Dilution Law).

و(أستوالد) هذا شخصية لامعة فذة امتازت بعبقورية تستحق معها أفراد السطور التالية

(1) جهاز المقياس العاكس: Reflectivity Meter وهو جهاز مستخدم في تجارب الحرارة والضوء، ويمكنه المقارنة ما بين جزء الشعاع الوارد إليه مع جزئه المنعكس عنه بدقة علمية متناهية ويستخدم في العديد من التجارب. (الترجم).



للتعريف به وبأهم إنجازاته، فلقد كان عازفاً بارعاً للكمان ورساماً موهوباً للطبيعة ولما حازها حاذقاً للألوان. إضافة إلى أعماله ودراساته المشهودة في حقول العوامل المساعدة⁽¹⁾ وصفاتها، ألف ونشر (أوستوالد) هذا خمسة وأربعين كتاباً، ونشر أكثر من خمس مئة مقالة وبحث إضافة إلى آلاف التلاخيص والمختصرات.

حصل على جائزة نوبل للكيمياء في عام (1909) وضحى بالكثير من وقته وجهده لرفع راية السلام والعمل من أجله في العالم ولم يعكر صفو إنجازاته العلمية وتاريخه الناصع إلا حقيقة فشله الذريع في تطوير وتحسين لغة (ال-Ido)⁽²⁾ وهي إحدى مشتقات اللغة الإسبانية حيث لم تثمر جهوده المضنية ولا محاولاته المتعددة إلى النتيجة التي كان يتوقعها وضل فشله في تلك التجربة يلاحقه لفترة طويلة.

توفي (فردريك فلهلم كلروش) في شهر كانون الثاني من عام (1901) في مدينة ماربرك (Marburg) الألمانية ونعاه (ايوان رايس مورس - Iwan Rhys Morus) في كتابه (حينما تُتوج الكيمياء ملكة) قائلاً:

((إذا ما استذكرنا شريط حياة هذا العبقري العملية والممتد خلال الربع الأخير من القرن الثامن عشر لما وجدنا له عنواناً خير من تسميته (تاريخ الأب الحقيقي لعلم القياس الحديث)، فلقد بادر (كلروش) وافتتح الأذهان والتطبيقات العلمية لما يصح تسميته بالطابع القياسي لعصرنا الراهن. لقد وصفه أتباعه وزملاؤه بالرائد الأول، وخير من أتقن فنون القياس واستخدام الآلات ووثق منهجية ضبطها ودقة استعمالها، فلقد كان لهذا العلامة سبق اختراع العديد من آلات القياس الدقيقة مثل آلات قياس الحركة والكهربائية والمغناطيسية والآلات العاكسة للضوء، كما كان هذا الفذ قد سخر أربعين سنة من عمره

(1) العوامل المساعدة: Catalyats - وهي مواد أو عناصر تساعد على زيادة سرعة تفاعل ما دون المشاركة فيه، حيث تبقى كمياتها ثابتة قبل وبعد التفاعل. (المترجم).

(2) Ido - لغة موضوعية (لا تعود إلى أي طائفة أو قومية أو بلد) قصد من ابتكارها أن تكون (لغة عالمية) يسهل تعلمها واستعمالها من قبل الجميع مهما كانت خلفيات لغاتهم الأم. تمتاز عن الإنكليزية بأنها أكثر رتابة ونظاماً من النواحي النحوية والتحريرية والكلامية. (المترجم).

عمل خلالها يدا بيد مع العالم (وير) من أجل اكتشاف وتقنين ودراسة وضبط وحدات القياس الكهربائية والمغناطيسية وثوابتهما. كما استطاع هذا العبقرى إدارة وتوجيه معظم بحوث معهد ريشسانستالت (Reichsanstalt) العلمية ونال عن جدارة لقب (المفكر الذي قاد الصناعة الكهربائية الألمانية لتبوء مركز الصدارة على مستوى العالم).

مصادر إضافية وقراءات أخرى:

- Atkins, P. W. *Physical Chemistry*, 5th edition (New York: Freeman, 1996).
 Dogra, S. K., *Physical Chemistry Through Problems* (New Dehli: New Age Publishers, 1984).
 Drennan, Ollin, "Friedrich Kohlrausch," in *Dictionary of Scientific Biography*, Charles Gillispie, editor-in-chief (New York: Charles Scribner's Sons, 1970).
 Hamann, Carl H., Andrew Hamnett, and Wolf Vielstich, *Electrochemistry* (Hoboken, N.J.: Wiley, 1988).
 Katz, Eugenii, "Friedrich Wilhelm Georg Kohlrausch"; see chem.ch.huji.ac.il/~eugenik/history/kohlrausch.htm.
 Krebs, Robert, "Kohlrausch's Law," in *Scientific Laws, Principles, and Theories* (Westport, Connecticut: Greenwood Press, 2001).
 Langford, Cooper H., *The Development of Chemical Principles* (New York: Dover, 1995).
 Morus, Iwan Rhys, *When Physics Became King* (Chicago: University of Chicago Press, 2005).
 Zeiss, Carl, "Kohlrausch's Laws," Carl Zeiss AG, see www.zeiss.de/C12567A100537AB9/Contents-Frame?9BB1D454D0BCC325EC1256D0900331437

أفكار فلسفية وآراء للمناقشة:

- إن ما يميز الرياضيين والفلكيين والفيزيائيين هو تدينهم على الغالب وإيمانهم وتمسكهم الروحي. تقل هذه النزعة نوعاً ما لدى البيولوجيين وقد تكون شديدة الندرة أو معدومة لدى الاقتصاديين وعلماء النفس، ولكن للعلوم والاختصاصات نزعة للابتعاد عن الروحانية والتدين كلما اقتربت بصاحبها من الإنسان وتعمقت في دراسة ذاته.

لويس

C.S. Lewis (Religion Without Dogma?) *The Grand Miracle, And Other Selected Essays on Theology and Ethics from God in the Dock.*
 مقتطف من كتابه (المعجزة العظمى).



- ما الذي يعنيه مصطلح (قوانين الطبيعة العامة والشاملة) بالضبط؟ هل هي قوانين الحركة لنيوتن؟ أم هو قانونه للجذب العام؟ هل هو قانون سينل⁽¹⁾ أم قانون اوم؟ هل هو القانون الثاني للديناميكية الحرارية؟ أم هو قانون الانتقاء الطبيعي؟. بالتمحيص الدقيق وإعمال العقل برزانة... أجدي وثاقا كل الثقة بأن كل تلك القوانين لا هي بالعامة الشاملة ولا هي بالضرورة حتى! ولعلي أجد من الجسارة في نفسي ما يجعلني أطعن حتى بمصداقيتها جميعا!

كير

Ronald N Giere, Science Without Laws, 1999

مقتطف من كتابه (العلم بلا قوانين).

- إذا ما جلسنا جلسة هادئة وفكرنا بلحظة متأنية لنقارن بين الرياضيات والفيزياء فإلى ماذا سنصل برأيك؟

ما الرياضيات أولا؟ - إنها ولا شك - كيان جميل متكامل خلقه الإنسان وعبر به عن الكثير من حاجاته الذاتية وأشبع به حاجات كثيرة أخرى. لا أصول ولا جذور طبيعة لها ولذلك لا بد للرياضيين أن يعرفوا كل عنصر وكل رمز وكل دالة قبل استخدامها وإلا لما كان للرياضيات ولا لرموزها أي معنى بالأصل، هذا على عكس ما جاءت به الفيزياء تماما؛ فهي (براءة اختراع عن جدارة للطبيعة ذاتها). لقد وجدت الطبيعة رائع جمالها ومختلف موجوداتها (ولعلها لا تزال تبذل الجديدها وتراقب الجميع عن بعد) دون أدنى اكتراث لا بالبشر ولا بغيرهم من موجوداتها. أما قوانينها (أقصد القوانين الطبيعية - أو قوانين الفيزياء) فهي من إنتاجنا (نحن)، وهي قوانين رياضية ولكنها مغايرة للرياضيات ذاتها ولذلك يكتشف ويستعمل الفيزيائيون قوانينهم دون أن يجدوا أنفسهم مضطرين لتفسير أي منها.

بوبر


Carl Popper, The Logic of Scientific Discovery

مقتطف من كتابه (المنطق وراء الاكتشاف العلمي).

(1) Snell's Law - راجع المدخل الخاص بهذا القانون في فصل (الفترة الزمنية من عام (250) قبل الميلاد إلى (1700) بعده. راجع صفحة (155) من هذا الكتاب. (المترجم).

قانون كيوري للمغناطيسية

CURIE'S MAGNETISM LAW

فرنسا عام 1895 وعمم عام 1907، 

تناسب مغناطيسية المواد شبه المغنطة عكسيا مع درجة حرارتها المطلقة، وتفقد كافة صفاتها المغناطيسية عند درجة حرارة معينة تسمى (درجة حرارة كيوري) أو درجة الحرارة الحرجة.

من أحداث عام 1895:

- سُحق الآرمن في حربهم ضد الدولة العثمانية.
- نشر اتش. جي. ويلز (H. G. Wells) قصته الشهيرة - آلة الزمن -.
- اخترع (كوكليلمو ماركوني - Guglielmo Marconi) المهندس الكهربائي الأيرلندي الأصل آلة التلغراف.
- اكتشف الفيزيائي الألماني (ولهم رونتجن - Wilhelm Rontgen) ما يُعرف بالأشعة السينية أو بأشعة اكس (X).
- اخترع رجل الأعمال الأمريكي (كنك كامب جيليت - King Camp Gillette) آلة الحلاقة بالموس الأمين ذي الشفرة أحادية الاستعمال المعروفة إلى الآن بـ (شفرات جيليت) باسمه وكسب شهرته العالمية من حملته الدعائية آنذاك.
- ولد كل من لاعب كرة السلة الشهير (بيب روث - Babe Ruth) وبطل الملاكمة الأمريكي (جاك دمسي - Jack Dempsey).
- نال أول أمريكي زنجي الأصل (دبليو. إي. بي. دوبوا - W.E.B. Du Boia) شهادة الدكتوراه من جامعة هارفرد.
- وضع الفيزيائي الأيرلندي (جورج فيتزجيرالد - George Fitzgerald) (ولأول مرة في التاريخ) تصويره عن انكماش المسافات وأطوال الأجسام باتجاه حركتها.



قانون كيوري للمغناطيسية:

اكتشف عالم الكيمياء الفيزيائية الفرنسي (بيير كيوري - Pierre Curie) قانونه الشهير للمغناطيسية بعد إجراء العديد من التجارب وترتيب نتائجها بشكل مبسط ووصفها بحيث توضح العلاقة بين مغناطيسية بعض المواد ودرجات حرارتها وعلى الوجه التالي:

$$M = C \cdot \frac{B_{ext}}{T}$$

حيث يُمثل (M) حاصل مغناطيسية مادة ما و (Bext) مقدار قوة الحقل المغناطيسي المسلط عليها مقاسا بوحدة (التسلا - Tesla)⁽¹⁾ و (T) حرارتها مقاسة بدرجات كالفن و (C) هو ثابت (كيوري) ويرمز لنقطة معينة تحددها صفات المادة المعنية ذاتها. ويختصر (قانون كيوري) الخاصية المغناطيسية بنصه على ازدياد مغناطيسية أي مادة بزيادة قوة الحقل المغناطيسي المسلط عليها ونقصانها بزيادة حرارتها. وقد يكتب (قانون كيوري) على الشكل التالي أيضا:

$$\chi = \frac{C}{T}$$

حيث (X = M / Bext) وتعني قابلية المادة للمغنطة، بمعنى مقدار استجابة أي مادة ومقدار تمغنطها عند وضعها في حقل مغناطيسي معلوم. ينطبق (قانون كيوري) كذلك على المواد (شبه الممغنطة) مثل الألومنيوم والنحاس، والتي تمتاز بقابلية الصفات القطبية لذراتها بالانتظام وبالتوازي مع الحقل المغناطيسي المسلط عليها، وتكتسب تبعا لذلك صفات مغناطيسية بينة يمكن قياسها بالمقاييس الحساسة. ولتوضيح المقصود بالمواد (شبه المغناطيسية) نقول: هي مواد (فلزية على الأغلب الأعم) تتصرف كمغناطيس

(1) وهي وحدة الفيض المغناطيسي العالمي (B) وقد سميت بإسم العالم والمخترع والمهندس الكهربائي والميكانيكي وأبو (الكهربائية التجارية) الصربي [نيسولا تسلا 07. Jan. 1943 - 10. July. 1856] من كرواتيا. خير ما عرف به هو أفكاره حول (الكهر ومغناطيسية) وقد ساهمت اختراعاته في تطوير (طاقة كهرباء التيار المتردد) بما في ذلك نظام الأطوار المتعددة والمحرك الكهربائي وبذلك قدم (للنورة الصناعية الثانية) وكان رائد فكرة نقل الكهرباء عبر الأثير. كما ساهم في علوم (الروبوتات - Robotics) و (السيطرة عن بعد - Remote Control) والردار وعلوم الحاسوب. كما شارك بنشر أفكار الفيزياء النووية والنظرية وعلوم القذائف بعيدة المدى (Ballistics). كان واسع الخيال عظيم التصور شاسع الإمكانية الفكرية والذهنية إلى الدرجة التي اعتبر معها (متهتر الشخصية) حتى وصم بالعالم المجنون. (الترجم).

اعتيادي (أي تجذب وتنفر الأجسام المغناطيسية الأخرى حسب مخالفة أو مماثلة قطبيتها لها) عند وضعها في مجال مغناطيس خارجي معين، والذي سيعمل على إعادة الاصطفاف العشوائي لذرات تلك المادة إلى اصطفاف قطبي موحد فتكسب بذلك صفات مغناطيسية بقطبية معلومة، ولكن ما أن يقطع هذا المجال المغناطيسي الخارجي عنها حتى تعود ذراتها للتشردم بصورة عشوائية تفقد معها صفاتها المغناطيسية تلك وتفقد قطبيتها. وهنا لابد من ذكر مصطلح مهم في المغناطيسية ألا وهو (العزم المغناطيسي - Magnetic Moment) والذي يعني مقدار القوى المغناطيسية واتجاه اصطفاف خطوطها وتشكل قطبيتها في لحظة زمنية معينة. أما علاقة الحرارة بالمغناطيسية فتُفسّر على ضوء الحقيقة القائلة إنه بوضع المواد (شبه المغناطيسية) في مجال مغناطيسي خارجي، فسيعمل هذا المجال على إعادة ترتيب واصطفاف ذرات تلك المواد لتأخذ اتجاهها قطبيا منتظما ومحددا. وأما مفعول الحرارة في هذا المجال فسيكون بزيادة سرع تدبذب هذه الذرات مما يدفعها طبيعيا إلى محاولة استعادة اتجاهات تشردمها العشوائي كما لو أنها لم تُعرّض إلى المجال المغناطيسي آنف الذكر وذلك يفسر ميلها (وبعد حين) إلى فقدان مغناطيسيتها التي اكتسبتها.

ومن الجدير بالتوضيح هنا أن (قانون كيوري) هذا ينطبق على مدى محدود من قيم (Bext) ولا ينطبق إلى مالا نهاية. بمعنى أن اصطفاف ذرات مادة ما بالتوازي، وتكوينها لقطبين مغناطيسيين يَين (شمالي وجنوبي) يعتمد بالدرجة الأولى على المجال المغناطيسي المسلط عليها ولا يمكن لمغنطة تلك المواد (M) أن تزداد بزيادته إلى مالا نهاية، فحالما تبلغ مقدارا كافيا من (المغنطة) واكتساب (100%) من ذراتها صفة الاصطفاف القطبي، حتى يستحيل زيادة مغناطيسيتها مهما أوغلنا في زيادة المجال حولها. وتنطبق صفة (الشبه مغناطيسية) - والمقصود بها فقدان القابلية المغناطيسية الطبيعية - على فلزات أخرى مثل الحديد والنيكل، فبالإمكان هنا استعادة شيء من مغناطيسية تلك المواد حتى بعد تسخينها إلى ما فوق (درجة حرارة كيوري) الخاصة بها - وهي الدرجة التي على المواد الممغنطة أن تتخلى عن مغناطيسيتها عند بلوغها إياها.



ولنا أن نذكر هنا بعض الحقائق مثل درجة حرارة كيوري للحديد التي تبلغ (1043) درجة مطلقة (كالفرن) أو (770) درجة حرارة مئوية، حيث تفسر هذه الدرجة الحرارية العالية حقيقة مسؤولية الصفة المغناطيسية الحديدية (الطبيعية) هذه عن احتفاظ المغناطيس الطبيعية بمغناطيسيتها وبالتصاق قطع اللعب الحديدية باب ثلاثتك أو احتفاظ الحدودات الممغنطة وبعض أجزاء محركات التيار الكهربائي المستمر بها [وذلك لتواجد كل هذه المواد بدرجة حرارة تقل بكثير عن درجات (حرارة كيوري) لها دائماً].

وفي الختام يمكننا الاستنتاج أن الصفة (الشبه مغناطيسية) للمواد هي عبارة عن شكل ضعيف من أشكال المغناطيسية الطبيعية والذي سرعان ما تفقده عند تعرضها لشيء من الحرارة التي تعمل (كما أسلفنا سابقاً) على زيادة سرعة تذبذب وحركة الذرات المكونة لتلك المواد فتدفع ذراتها إلى عشوائيتها السابقة حارمة إياها من صفتها المغناطيسية التي اكتسبتها بوضعها في مجال مغناطيسي خارجي.

أما تفسير عدم وجود أي صفة مغناطيسية لبعض المواد كالزجاج والخشب أو حتى لبعض الفلزات كالنحاس والذي يكون على شكل Cu^+ (أي أن ذرته فاقدة إلكترونات واحد) والذي يكون النحاس الطبيعي، أو الغازات كالنيون... فيعود إلى حقيقة أن الصفات المغناطيسية للإلكترونات المفردة لها من العشوائية بحيث تلغي الواحدة تأثير الأخرى حتى لا يبقى منه شيئاً يمكن قياسه أو الشعور به كتأثير مغناطيسي أو شبه مغناطيسي صاف. أما بالنسبة لذرات أخرى أو أيونات محددة مثل [أيون $(Mg+2)$ المغنيسيوم]، فلا تلغي حركة إلكتروناتها العشوائية التأثير الكامل لقطبيتها ولذلك تحتفظ مثل هذه الذرات بشيء من صفتها القطبية المغناطيسية.

قانون كيوري - ويس للمغناطيسية

CURIE - WEISS LAW

يُعرّف قانون (كيوري - ويس) القابلية المغناطيسية (X) الواردة في قانون كيوري السابق في المجال شبه المغناطيسي فوق نقطة (حد كيوري). معادلة رياضية هي:

$$\chi = \frac{C}{T - T_c}$$

حيث (C) هو ثابت كيوري الخاص بمادة ما و (T) هي درجة حرارته المطلقة مقاسة بدرجات حرارة كالفن و (T_c) هو حد كيوري مقاسا بالدرجات المطلقة (كالفن) كذلك. ومن الملاحظ وجود حالة المغنطة الذاتية عند تساوي (T = T_c). ويمثل هذا القانون إضافة وامتداداً لقانون (كيوري) السابق آخذاً (درجة حرارة كيوري) بنظر الاعتبار. ولتفسير بعض خصائص هذه الدرجة الحرارية وعلاقتها بالمغناطيسية نسوق الأمثلة الواقعية الثلاثة التالية؛ فهذه الدرجة (والتي تمثل قيمة طبيعية تعتمد وتعكس خصائص الفلز المعني) تكاد تساوي صفراً (T_c = 0) في حالة المواد شبه المغناطيسية، أولاً. وتكون ذات قيمة موجبة كبيرة (T_c > 0) في المواد المغناطيسية وتدل على قوة تأثيرها المغناطيسي ثانياً، كما أن هناك صنفاً ثالثاً من المواد التي توصف بالمواد المضادة للمغناطيسية وهي التي تكتسب (T_c) فيها قيمة سالبة (T_c < 0).

وخلاصة القول إن المواد التي توصف بكونها ذوات طبيعة مغناطيسية، هي تلك التي تمتلكها عندما تكون درجة حرارتها أقل من (درجة حرارة كيوري) الخاصة بها (T < T_c) أما إذا ارتفعت درجة حرارتها فوق تلك الدرجة (T > T_c) فستتصرف وكأنها مواد شبه مغناطيسية (أي فاقدة لتلك الخاصية في درجة الحرارة تلك ما لم يؤثر عليها إيجابياً حقل مغناطيسي خارجي). أما الاستنتاج الأخير لكل ما سبق فهو اقتصار تطبيقات قانون (كيوري - ويس) على المواد التي تتجاوز حرارتها (درجة حرارة كيوري) الخاصة بكل منها لأنه وببساطة يعتبر قانوناً يعتمد على الحرارة. أما التفسير العلمي الفيزيائي لتصرف مختلف المواد



(المغناطيسية وشبه المغناطيسية) وعلاقتها بالحرارة فيستند على حقيقة ميل ذرات تلك المواد (تحت درجة حرارة كيوري) إلى الانتظام والاصطفاف بتواز محدد يضمن لها دوام قطبيتها واستمرار خاصيتها المغناطيسية، أما تفسير الخاصية المغناطيسية الطبيعية الذاتية لبعض المواد (وتحت درجة حرارة كيوري أيضا) فيكون على أساس وجود حقل مغناطيسي داخلي فيها يسمى (حقل ويس الجزئي المغناطيسي - Weiss Molecular Field) وذلك تخليداً لـ العالم الفيزيائي الفرنسي الفذ [بيير ويس (1865-1940) Pierre Weiss]. وتناسب قيمة هذا الحقل، (والذي يعبر عن المعدل العام للقيمة المغناطيسية لتلك المادة) مع مقدار تغطط مختلف الأجزاء المكونة له.

بالإمكان قياس (القابلية المغناطيسية - Magnetic Susceptibility) لمادة ما بوضع نموذج منها داخل ملف كهربائي ثم قياس مقدار الحث الذي يسجله مع وبدون تلك المادة، كما بالإمكان تحديد (درجة حرارة كيوري) لها بقياس وتسجيل ذلك الحث (داخل ذات الملف) بدرجات حرارية متفاوتة حوالي درجة حرارة كيوري المتوقعة ومن ثم تطبيق قانون (كيوري - ويس).

ولفهم المغناطيسية وطبيعتها لابد لنا من فهم معنى المجالات المغناطيسية وأنواع المواد المغناطيسية في الطبيعة وما المقصود بدرجة (حرارة كيوري) أولاً. أما المجالات المغناطيسية فهي مجالات أو حقول القوى المحيطة ببعض المواد والناجمة عن اصطفاف ذراتها بالتوازي مع بعضها وتكوينها لقطبية مغناطيسية محسوسة. تتأثر هذه المجالات سلباً عند رفع درجة حرارة تلك المواد نتيجة لزيادة حركة وذبذبة ذراتها وزيادة عدد التصادمات بينها الأمر الذي يؤدي إلى فقدان صفة التوازي والاصطفاف القطبي بينها، الأمر الذي يؤدي إلى فقدانها لصفاتها المغناطيسية.

وأما تصنيف المواد في الطبيعة بالاستناد إلى خواصها المغناطيسية فتقسم إلى ثلاث فئات: المواد المغناطيسية والمواد شبه المغناطيسية والمواد المضادة للمغناطيسية (أو اللامغناطيسية) وأما (درجة حرارة كيوري - T_c) فتُعرّف ببساطة بأنها الدرجة الحرارية (المطلقة) التي

تختلف الصفات المغناطيسية للمادة عند وصولها لها، وتحتوي ضمنا معنى التضاد بين العزوم المغناطيسية وهو المفهوم الذي استندت عليه (نظرية ويس) واعتمد عليه قانون (كيوري - ويس).

يمكن لقيمة (Tc) أن تكون صفرا لبعض المواد، عندها يتماثل قانونا (كيوري) و (كيوري - ويس) تطبيقاً ويتساويان نتيجةً، كما أنها قد تكون غير ذلك، عندها نتوقع وجود التضادات الفعالة المولدة للعزوم المغناطيسية المتغايرة بين ذراتها المتجاورة، فإذا كانت موجبة فالمادة مغناطيسية تحت درجة حرارة كيوري الخاصة بها، كما ويمكن أن تتحول إلى مادة شبه مغناطيسية بالتسخين إذا ما فاقت درجة حرارتها درجة انتقالية محددة، وأخيرا فإن قانون (كيوري - ويس) لا يطبق إلا على المواد في حالتها شبه المغناطيسية. أي في حالة تسليط مجال مغناطيسي على مادة شبه مغناطيسية أو عند تحويل المادة المغناطيسية إلى شبه مغناطيسية بالتسخين قبل أن تفقدها مغنطتها بالكامل عند حد (درجة كيوري) الخاصة بها.

ترتبط المغناطيسية والكهربائية بصفات مشتركة متبادلة يعتمد على فهمها الإدراك السليم لمعنى ولأهمية قانوني (كيوري) و (كيوري - ويس)، فإذا أمررنا تيارا كهربائيا معلوما في سلك، تولد مجالا مغناطيسيا حوله وإذا ما صادف أن قطع سلك مجالا مغناطيسيا فسيولد حين ذاك تيارا كهربائيا فيه. ولتسهيل فهم ما سبق ؛ دعنا نتصور أنه بإمكان معظم الذرات أن تتصرف كأقطاب مغناطيسية متناهية في الصغر تحتوي على تيارات كهربائية تدور حولها، فبعض الذرات كالكاربون والخشب والنحاس والرصاص لا تمتلك أي خصائص مغناطيسية بالنظر لكيفية توزيع الإلكترونات ذراتها في مداراتها خارج النواة. والبعض الآخر تمتلك صفات مغناطيسية ثابتة (أي أنها ممغنطة بطبيعتها)، على حين قد تمتلك مجموعة ثالثة صفة (شبه الممغنطة المغناطيسية) أي أن لها ميلا مغناطيسيا إلا أنها غير ممغنطة في الطبيعة. والآن إذا ما سلطنا مجالا مغناطيسيا كافيا على نموذج من المواد شبه المغناطيسية فإنه سيعمل على إعادة ترتيب العزوم المغناطيسية لتلك الذرات وجعلها موازية لخطوط



المجال ذاته فتعمل بدورها على تقويته. هذا وتغير قيم هذه الحقول (شبه المغناطيسية) المكتسبة بتغير درجة حرارتها فتقل بارتفاع الحرارة بسبب مفعولها المساعد على زيادة حركة وتذبذب تلك الذرات والمضاد لسهولة تنظيمها. أما ذرات بعض المواد الأخرى مثل الحديد والنيكل والكوبلت والتي تستجيب بشدة للحقول المغناطيسية وهي التي يمكن أن تكتسب قيمة عالية لـ (x) بسبب امتلاكها لعزوم مغناطيسية كبيرة تتمثل بتكتلات ذرية داخلها تسمى (الحدود - Domains) والتي سرعان ما تنتظم لتضم كافة عزومها المغناطيسية الفردية وكأنها متوازية تماماً وباتجاهين (شمالي وجنوبي) متطابقين. وكمثال توضيحي لما سبق دعنا نتصور قضيباً حديدياً غير ممغنط وقد وضع في مجال مغناطيسي قوي. فهذا القضيب يحتوي على العديد الجم من (العزوم المغناطيسية) غير المنتظمة والمتضادة بالاتجاه الواحدة نسبة لجاتها. وقد تبلغ (الحدود - Domains) المغناطيسية في بعض المواد أحجاماً (كبيرة نسبياً) قد تصل إلى بضعة أجزاء من المليمتر. والآن إذا ما سلطنا المجال المغناطيسي على القضيب فإن (الحدود) المغناطيسية المتغايرة سوف تنتظم وتوازي خطوط الحقل المغناطيسي الخارجي المسلط عليها فتتوحد شيئاً فشيئاً حتى تفوق في عددها العزوم المغناطيسية العشوائية، وهذا ما يؤدي إلى تقوية الحقل المغناطيسي الداخلي بنتيجة تقوية الحقل الخارجي على القضيب الحديدي، ويتم ذلك بالحقيقة بتغيير إحداثيات (الحدود المغناطيسية) الدقيقة فتقل عشوائيتها ويزداد انتظامها. وعند تسليط حقول مغناطيسية قوية جداً على القضيب ستجبر حينذاك كافة الذرات على تنظيم نفسها بشكل مواز لخطوط الحقل الخارجي فتكتسب مغناطيسية عالية تحتفظ بها طالما احتفظت بدرجة حرارتها دون (درجة حرارة كيوري) الخاصة بها. فإذا ما حدث وأن بلغت أو فاقتها، أثرت الحرارة على أواصرها المغناطيسية الرابطة لذراتها فتحلها وتعيدها لعشوائيتها وبذلك تفقد المادة خواصها المغناطيسية بفقدانها (لحدودها) المنتظمة لعزومها المغناطيسية. يرينا الجدول رقم (10) درجة حرارة كيوري لبعض المواد المغناطيسية الطبيعية، وكما ذكرنا آنفاً فإن جميع هذه المواد تعود للتصرف كمواضع شبه مغناطيسية متى ما رُفعت درجة حرارتها فوق (درجة

حرارة كيوري) الخاصة بكل منها.

الجدول رقم (10):

درجة حرارة كيوري لبعض المواد المغناطيسية مقاسة بدرجات حرارة (كلفن) المطلقة:	
المادة	$T_c (^{\circ}\text{K})$
الحديد	1043
النيكل	633
شبيكة الحديد والنيكل (50% لكل منهما)	803
كادولينيوم	293
كلوريد الكادولينيوم	22
منظرلة من كتاب D.H.Martin's <u>Magnetism</u> in Solids	

ومن المفيد أن نذكر هنا أنه يمكننا تصنيف كافة المواد والعناصر نسبة لتصرفها المغناطيسي إلى عدة فئات تأخذ استعدادها المغناطيسي بنظر الاعتبار (راجع الجدول رقم (11) على الصفحة الموالية).

تقع معظم العناصر ضمن فئتي العناصر المغناطيسية أو شبه المغناطيسية في درجة حرارة الغرفة الاعتيادية. وتلاحظ الصفة المغناطيسية الشبيهة بالحديد (ثلاثي التكافؤ - الحديدية - Ferric) في المركبات عموماً، على حين تظهر الصفة المغناطيسية الشبيهة بالحديد (ثنائي التكافؤ - الحديدوزية - Ferrous) في فلزات معدودة مثل الحديد والكوبلت والنيكل في درجات حرارة مساوية لدرجة حرارة الغرفة الاعتيادية أو تفوقها. أما عند رفع درجة حرارة المواد المذكورة، فستختلف حينذاك في قابلياتها المغناطيسية وتتغير حسب العلاقة المنصوص عليها في (قانون كيوري - ويس).



جدول رقم 11:

تصنيف بعض المواد والعناصر نسبة لتصرفها المغناطيسي:			
الخاصة	استخدامها المغناطيسي	تصرفها المغناطيسي	تصرفها المغناطيسي
	X	عزوم ذراتها المغناطيسي * تأثير الحقن المغناطيسي عليها	
ثنائية المغناطيسية	ضعيف ، سلبي مثال: X للذهب = $10X2.7 -$ (مرفوعة للقوة -6) مثال: X للبلاطين = $10X21.0 =$ (مرفوعة للقوة -6)	منفرد	عكسي مع درجة مغنطتها
شبه المغناطيسية	ضعيف ، إيجابي مثال: X للبلاتين = $10X21.0 =$ (مرفوعة للقوة -6) مثال: X لإيجابية وكدالة للحقل المغناطيسي المساط عليها وتعتمد على كيانها اليكروسكوبي (مثال: X: 100000 للحديد)	عشوائي	طرد مع درجة مغنطتها
المغناطيسية الحديدية (ثنائية التكاثر)	بيئة ، إيجابية وكدالة للحقل المغناطيسي المساط عليها وتعتمد على كيانها اليكروسكوبي (مثال: X: 100000 للحديد)	منظم باتجاه واحد	طرد مع درجة مغنطتها ولكنها سرعان ما تفصل إلى حد الإشباع المغناطيسي
المضادة للمغناطيسية	ضعيف أم إيجابي مثال: X للأكروم = $10X3.6 =$ (مرفوعة للقوة -6)	منظم	طرد مع درجة مغنطتها
المغناطيسية الحديدية (ثنائية التكاثر)	كبير ، موجب وكدالة للحقل المغناطيسي المساط عليه وتعتمد على كيانها اليكروسكوبي (مثال: X: 3 لحديدات الباريوم)	منظم	طرد مع درجة مغنطتها ولكنها سرعان ما تفصل إلى حد الإشباع المغناطيسي

* الملاحظة: في هذا الحقل تم عرض عووم وكميات المغناطيسية في سبيل حل مسائل في بعض المواد عليها عطفًا على مجموعة كيمياء السبائك التطبيقية بجامعة بومكهم تحت عنوان: تصنيف المواد المغناطيسية

للفضوليين فقط:

- ظل (بيير كوري) خجولا متواضعا محتقرا لقابلياته الذهنية، فقط لأنه لم ينل فرصة الحصول على تعليمه الابتدائي الأساسي، ولكنه في النهاية نال (جائزة نوبل) مع زوجته (ماري) التي حصلت لاحقا على (جائزة نوبل) ثانية مما جعلها أول من حاز أو شارك في حيازة جائزتي نوبل في العالم.
- حصلت ابنة (بيير كوري) وزوجها على (جائزة نوبل) كذلك.
- شهد عام (2006) حصول (روجر كورنبرك - Roger Kornberg) عليها لقاء عمله على استنساخ المعلومات الوراثية فأصبح بذلك سادس ابن ينالها مع أبيه وثامن أب يحصل على الجائزة مع ابنه منذ تأسيسها في عام (1901) على يد (الفريد نوبل) مخترع الديناميت.

أقوال ماثورة:

- لا بد من اعتبار كل اكتشاف أو إنجاز علمي (مهما صُوّلَ) إنجازا مهماً.

من رسالة أرسلها ببيير كوري إلى زوجته ماري عام (1884)
يحثها فيها على الالتحاق به لتحقيق (حلمهما العلمي المشترك).

- لا بد لنا من الطعام والشراب والنوم والحب والتمتع بملذات الحياة ما دمنا أحياء، على شرط ألا ننقاد لذلك فلا بد لنا عند ممارستنا لكل ما نحب والاستمتاع بكل ما يلد لنا أن نضع مثلنا العليا وأفكارنا وقيمنا نصب أعيننا وداخل عقولنا ووجداننا على الدوام. أرى أنك إذا أردت أن تكون عظيما وسعيدا أن تجعل حياتك حلما لا قمله، تمناه دائما وتعمل على تحقيقه ما دمت حيا.

ببيير كوري

quoted in Marie Curie's (Pierre Curie).

مقتطف من كتاب (ماري كوري) الذي ألفته عن زوجها.

- ما برح التساؤل المشروع عن حق الإنسان ومقدار انتفاعه من كشف أسرار الطبيعة يقلقني ويقض مضجعي مذ فكرت بحجم الدمار والخراب والهلاك الذي سينجم إذا ما وقع عنصر الراديوم بأيدي أئيمة.

من خطاب (ببيير كوري) أمام لجنة منحه لجائزة نوبل

والذي خصصه للكلام عن المواد المشعة والراديو.



ملخص لسيرة حياة المكتشفين:

[بيير كوري (1859-1906) Pierre Curie] و [بيير ويس - Pierre Weiss 1865-1940]، فيزيائيان فرنسيان وضعوا (قانون كيوري) و (قانون كيوري - ويس) والذي يمثل جهدهما المشترك، وينصان على ارتباط تقبل المواد للمغناطيسية بدرجة حرارتها. ذكرنا سابقاً أن المقصود (بدرجة حرارة كيوري) هي درجة الحرارة المطلقة التي تتحول عندها المواد المغناطيسية إلى مواد شبه مغناطيسية. فلقد أكد (كيوري) في عام (1895) على العلاقة العكسية (عند نقطة حرارة كيوري) بين القابلية المغناطيسية للمواد ودرجة حرارتها، إلا أن (بيير ويس) تمكن في عام (1907) من إثبات عدم دقة هذه العلاقة، الأمر الذي مكنه من تحويل (قانون كيوري) وجعله ينص على أن القابلية المغناطيسية لمادة ما تتناسب عكسياً مع الزيادة الحاصلة في حرارتها فوق (نقطة كيوري) وبذلك جعله أكثر مصداقية في تفسير صفات القابلية المغناطيسية فوق تلك النقطة. ولابد من الإشارة هنا إلى أن تطبيقات (قانون كيوري - ويس) محدودة للمواد بعد تجاوزها (درجة حرارة كيوري) الخاصة بها ولا يصح تطبيقه عند أو تحت تلك الدرجة. ولد (بيير كيوري) في باريس لأب أحب الفيزياء وجعلها مهنة له. وقد كان لمجهود هذا الوالد في تعليم ولده في البيت وإرشاده إلى أسس التفكير العلمي الأثر البين على الصبي منذ نعومة أظفاره حتى تمكن هذا الأخير من الانضمام إلى الهيئة العلمية في السربون. كتبت زوجته (ماري) عن سنين حياته الأولى وشبابه في توصيفها لسيرته الذاتية في كتابها (بيير كيوري) المنشور عام (1923) تقول فيه:

((لعل الغربة التي امتازت بها حياة (بيير) وروحه هي ما جذبتني إليه، وهي ما اختطه قدره له، وتمحورت حولهما حياة هذا العالم الفذ وحياتي معه... لقد عاش (بيير) طفولته في كنف العائلة ولم يعرف المدرسة الابتدائية، لقد شاء القدر أن يتم تعليمه بالأسلوب المتشد البطيء الحنون الذي بدأت له والدته وأكملته له كل من أبيه وأخيه الأكبر. لم تكن آفاق (بيير) العلمية وعبقريته الذهنية الفذة لتتقاد بسهولة إلى البناء التقليدي للمعرفة الذي يفرضه نظام التعليم التقليدي المنهجي، فلقد اتصفت بروحه المتسامية بالانطلاق ووحى أحلامه برفض الانقياد إلى الضغوط الذهنية التي يفرضها نظام التعليم المدرسي الابتدائي الكلاسيكي.

لقد تأثر هو كثيراً بذلك وكثيراً ما كان يعترف ببطء فهمه للحقائق وصعوبة تقبله للمعلومة ولكن بمعاشرتي له في حياتنا العلمية والزوجية استطعت الجزم بأن هندسة شخصيته وبناءها

الفكري كان من العبقرية بحيث تختم عليه ضرورة التركيز الشديد وبدقة متناهية على موضوع واحد محدد، وكان باتباع طريقته تلك أهلاً للوصول إلى النتائج واستنباط الحقائق المذهلة الباهرة. لم يكن (بيير) من النوع الذي يتحمل المقاطعة في الشكير أو التحويل في المسار فلقد كانت عبقريته انطوائية خلافة لا تسمح ولا تنقاد أبداً إلى المتغيرات في الظروف الخارجية)).

عشق الشاب اليفاع (بيير) الرياضيات وشغف بالهندسة المجسمة التي كان لها عظيم الأثر في استقطار عبقريته في مجال التصوير البلوري الذي اختص به لاحقاً. كان (بيير) وأخوه (جاك) أول من وصف في عام (1880) الخاصية الكهروميكانيكية - The Electromechanical Property والتي تتمثل بقابلية بعض البلورات على توليد فرق جهد بين جانبيها إذا ما عُرِضت لضغط أو إجهاد ميكانيكي معلوم، وتلك هي الظاهرة التي اصطلح على تسميتها (بالبيزو اليكتريسي - Piezoelectricity)⁽¹⁾ وتسمى كذلك (بالظاهرة الكهروميكانيكية) ومن أمثلتها بلورات كل من مادة السيراميك ومادة (العظم الحي) البشري والحيواني.

ولقد تمكن الأخوان لاحقاً في عام (1881) من إثبات أن (الظاهرة الكهروميكانيكية) آتفة الذكر هي ظاهرة انعكاسية بمعنى أنه بالإمكان تغيير شكل تلك البلورات بتسليط جهد كهربائي عليها. وعلى رغم ضآلة ذلك التغيير إلا أنه صار قاعدة مهمة للعديد من التطبيقات العملية في توليد والتحري عن الصوت وفي ضبط وتركيز العديد من الآلات والأجهزة البصرية. برزت أهمية اكتشاف (بيير) للظاهرة الكهروميكانيكية في وقت مبكر حتى صارت أساساً لتصميم واختراع جهاز الحاكي (الفونوغراف) والمصداح (الميكروفون) والأجهزة المافوق صوتية الخاصة بتعقب واكتشاف الغواصات في الأعماق. أما اليوم فتحل التطبيقات العملية لتلك الظاهرة العديد من المجالات العملية والصناعية والطبية والعسكرية كإنتاج ولاعات السكاير (التي تعتمد على تلك الظاهرة لإنتاج جهد كهربائي كاف لإيقاد شعلة الغاز المخزون داخلها) وأجهزة الموجات فوق الصوتية للأغراض التشخيصية. ويعكف الجيش الأمريكي في الوقت الحالي على اختبار إمكانية استخدام هذه الظاهرة في توليد ما يكفي الجندي من القوة الكهربائية في سوح الوغى بتصميم جزمات قتالية يحوي نعالها على مثل تلك البلورات.

ومن الأفكار الخلاقة الرائدة والفذة (لبير كيوري) كانت دراسته لظاهرة (التماثل Symmetry) واقتناعه بها، فلقد نشر في عام (1884) مقالته المطولة التي تناول فيها صفة التماثل والتناظر والتكرارية في البلورات والتي سرعان ما تبعها بمقال عن التكرارية في العام الموالي (1885).

(1) Piezo أو Piezein - وهي كلمة إغريقية تعني (الضغط) أو (العصر). (المترجم)



شُغف (بيير) بهذه الظاهرة وأجهد نفسه في دراستها باحثاً عن النماذج المتناظرة في الطبيعة وسما بفكره إلى محاولة تعميم أفكاره حتى نقلت عنه زوجته (ماري) قوله إنه كان على يقين من أهمية مبدأ وأفكار (التمثيل) المعروفة لدى اختصاصيي البناء البلوري حتى آمن بإمكانية جعلها أحد أركان علم الفيزياء.

نال (بيير كيوري) شهادة الدكتوراه في العلوم عام (1895) عن أطروحته التي تناولت دراساته المستفيضة لأنواع عديدة من المغناطيسية، وسرعان ما عُين أستاذاً للفيزياء. تركّز أعماله الأولى بمعية أخيه (جاك) على دراسة (الظاهرة الكهروميكانيكية) و(التصوير البلوري) ولكنه اهتم لاحقاً بدراسة المغناطيسية وابتكر العديد من الآلات المعقدة التي احتوت على العديد من المقاييس والموازين والبلورات الكهروميكانيكية. لقد تجسدت عبقرية (بيير) وكان له فضل تصميم وبناء (قبان عزوم) خاص لقياس مختلف التأثيرات المغناطيسية والذي تمت الاستفادة منه في الكثير من البحوث من قبل العديد من العلماء، واستمر اهتمامه بالمغناطيسية حتى وضع قانونه الشهير الذي يلخص تأثير المواد شبه المغناطيسية بالحرارة ويحتوي على الثابت المعروف باسمه كما كان له فضل اكتشاف درجة الحرارة الانتقالية (المعروفة باسم نقطة كيوري - أو درجة حرارة كيوري) والتي تفقد المواد المغناطيسية خاصيتها فوقها.

ولعله من الشيق والممتع الإحاطة بشيء من تاريخ اهتمام (بيير) العظيم بالمغناطيسية والذي ابتدأ منذ عام (1891) حيث استمر ونما حتى توج بحصوله على درجة الدكتوراه عن أطروحته التي حملت ذات المضمون والعنوان. كتبت (ماري كيوري) في كتابها عن سيرة زوجها الذاتية موصحة أهداف زوجها من دراسته للمغناطيسية كاشفة سر ولعه بهذه الظاهرة كما جاء على لسانه قائلة:

((يمكن تصنيف الأجسام إلى صنفين أو فئتين رئيسيتين باعتبار صفاتها المغناطيسية، الأولى مغناطيسية، ولها صفات مغناطيسية قوية أو ضعيفة. والثانية غير المغناطيسية والتي لا تملك تلك الصفة طبعاً. وقد يتراءى للباحث أنهما صنفان مختلفان تماماً من المواد إلا أنني اعتقدت بخلاف ذلك ولهذا كان الهدف الأساسي من بحثي هذا هو اكتشاف أي علاقة أو صلة بينهما، وفيما إذا كان بالإمكان تحويل أو نقل (وبأي طريقة ممكنة) إحدى الفئتين إلى الفئة الثانية.

لقد أمضيت وقتاً طويلاً وبحثت ملياً في مواصفات وخصائص العديد من الجرم من المواد المختلفة وأخضعتها إلى مديات متغيرة من المجالات المغناطيسية عبر أكبر حيز حراري استطعت إدراكه. لم تفلح أي من تجاربي الطويلة والدقيقة والمضنية في إيجاد أي علاقة مهما ضوئت بين فئتي المواد المغناطيسية وغير المغناطيسية، وبذلك صارت نتائج أبحاثي الموثقة السند العلمي المتين لأصحاب النظرية القائلة بوجود نشوء كل من المواد المغناطيسية وغير المغناطيسية من طبيعتين مختلفتين تماماً على عكس العلاقة بين المواد المغناطيسية وشبه

المغناطيسية والتي أثبتت تجاربي أن العلاقة بينهما بينه وأسسها واضحة)).

ولإظهار جانب من جهود (بيير) المذكورة سابقا وتبسيط الضوء على التحديات التي جابهته في تجاربه ما عليك سوى أن تتخيل المخاطر والاحتمالات التي جابهته وهو عاكف على قياساته الدقيقة لمواد قلقة معرضة لدرجات حرارة عالية جداً في أوان زجاجية محكمة! شهد عام (1894) فجر ميلاد حب (بيير) لزوجته (ماري) حين التقاها ولأول مرة في باريس وهي طالبة بولونية شقراء نحيلة ذات عينيْن غائرتين ذكيتين لامعتين تصعد سلم السربون بنخجل ولكن بإصرار. ولا نجد اليوم ما يعكس جوى الحب المضطرب في فؤاد (بيير) الخجول خيراً من رسالته الغرامية المنعمّة بالوجد والذي ألفى نفسه يكتبها (مرغماً) بدموع صادقة ساخنة وقلب مكلوم جريح وهو يودعها مسافرة للقاء أبيها المريض في بولندا والتي جاء فيها:

((ألم يقطع قلبانا عهد الوفاء الأبدي؟ ألم نقسم على الوفاء للحب؟ - حبنا الأكبر - فإذا لم يكن هناك تغيير في شعورك نحوي (لأنه حينها وحينها فقط لن يكون لي سلطان على قلبك فالقلب والحب هما (سيدا) الأحرار و(لا إكراه في الحب)..... فأنا أعتز بأنّي أسيرُ وسأظل أسيراً لحبك. ولي أن أؤكد أن لحبي لك هدفاً وأبما هدف... فأنا أريد لحبك أن يقودنا نحن الاثنين إلى عالم جميل، إلى عالم الأحلام - أعني أحلام الحقيقة - الذي سنخلق فيه مسحورين مُغيّين بسعادة الحب ومحققين - في ذات الوقت - أحلامنا للوطن وللإنسانية وللعلم. ولهذا الأخير (على ما أعتقد) سنخضع وندين وننتشي فهو خير قدر خلّقنا لنعيش لأجله ولتحقيقه)).

جعل بيير من نفسه راهبا في محراب العلم واعتكف في صومعته فلم يتزوج حتى بلوغه السادسة والثلاثين من العمر، فهو لم يتمكن من تصور وجود (المعادلة) الصحيحة المتوازنة المستقرة لزواجه وحبه الجنوني وولعه المفرط بالعلم الذي نذر نفسه له. لم يتمكن من عقله ومشاعره سوى ماري البولندية - الفتاة الشقراء النحيلة النشطة التي تشع ذكاء وحيوية - فتزوجها في عام (1895). لقد أطل (بيت مور - Pete Moore) في كتابه $E = mc^2$ - الأفكار العظيمة التي شكلت العالم - (The Great Ideas That Shaped Our World: $E = mc^2$) في وصف حالات الحب والوجد التي ربطت بين الاثنين فهو قد نقل نص ما كتبه ماري بحق زوجها (متممها) مبنية شعورها نحوه قائلاً: (كان خير زوج يمكن أن أحلم به، فهو هبة السماء لي فلا مثيل له في العالم أجمع وما كنت لأعرف كيف سأمضي حياتي وأكملها بدونه). كان (بيير) أستاذاً، وأغرم بها غرام الأستاذ بتلميذته التي تمنعت وتدللت ثم مالت وأحبت حتى انقادت لصوتي عقلها وقلبها معاً فشغفت به وهامت. ولكن الحق يقال إن صوت العقل كان المتمكن من علاقتها به، فكان العلم رابطهما اللذيذ المفضل



أول الأمر، ثم ما لبثت أن نمت العاطفة بينهما فلفتها بنشوة بدأت مع العلم ولم يعرفا لها نهاية..! اكتشف الفيزيائي الفرنسي [انتوني هنري بيكورييل - Antoine Henri Becquerel 1852-1908] في عام (1896) ظاهرة فريدة لفتت انتباهه وسرعان ما حازت إعجاب واهتمام (بيير كيوري وزوجته ماري) فعكفا على دراستها، ألا وهي (الظاهرة الإشعاعية الذرية)، لقد وجد (بيكورييل) أن لأحد مركبات اليورانيوم خاصية التأثير على ألواح التصوير الفوتوغرافي بصورة مشابهة لما يفعله الضوء في عملية التصوير، فلقد لاحظ وجود آثار مشابهة على تلك الألواح بعد تظهيرها حتى وإن كانت مغلقة مغلقة، بحيث لا تتأثر بالضوء. عكف (بيير وماري) على دراسة هذه الظاهرة وأفنيا نفسيهما في مختبر صغير معدم التجهيزات أو يكاد... صارعا خلال فترة بحثهما الفقير بساعات طويلة من التدريس الخصوصي للطلبة خارج ساعات الدراسة الرسمية حتى يحصلان على المصاريف اللازمة لإدامته، إذا لم نقل لإيجاد ما يسد رمقهما من طعام وشراب. أكان مختبرا حقا ذاك الذي شهد ميلاد إنحازهما الحارق؟ وكان يثن ناضحا كلما ضربته زخات المطر؟!... أما الأبخرة السامة المتصاعدة من تجاربهما فكانت تُسحبُ بصمت شيطاني قاتل إلى داخل رئتيهما حيث انعدمت ساحبات الهواء لتقذفه خارجا بعيدا عنهما!.

توجت الجهود المضنية للحييين في عام (1898) بإعلانهما اكتشاف عنصرين جديدين أضيفا إلى جدول العناصر الدورية المعروف والذين احتلا المركزين (84 و 88) الرابع والثمانين والثامن والثمانين فيه، وهما عنصرا (البولونيوم) و (الراديوم).

ولقد كان للولع الشديد والجهد المضني وللحب الصادق أثر بين ليس فقط على وضع علامات مهمة على طريق (النشاط الإشعاعي) كظاهرة خاصة بالعناصر التي اكتشفها، وإنما على هذه الظاهرة كرابطة إنسانية وكرابطة حب بينهما بوجه العموم كذلك، حيث ظهر أثرها جليا بتسمية العنصر الأول بالراديوم (ويعني العنصر المشع) والثاني بالبولونيوم تمجيدا من (بيير) لمسقط رأس حبيته. لقد كان لاكتشافها ذاك العديد من القصص و (الملاحم) التي صارت أصولا للعديد من المواضيع الشيقة والخطيرة فبملاحظة مقدار الحرارة المنبعثة من جزيئات الراديوم وضع (بيير) وتلاميذه اللبنة الأولى فيما سيمسى لاحقا بـ (علم الطاقة الذرية)، كما أنهما كانا أول من وثق التأثير النهائي الحارق له على الأنسجة الحية وأرجعا سببه للتداعيات الذرية للمواد المشعة، كما كانا أول من اكتشف تأثير المغناطيس على سير وانحراف المواد الناتجة من التحلل الذري وبذلك وثقا حقيقة وجود ثلاثة أصناف من المواد المنبعثة من المواد المشعة إحداها موجبة والثانية سالبة الشحنة والثالثة متعادلة.

نشر (بيير وماري) ما بين عامي (1899 و 1900) بحثهما الشهير عن النشاط الإشعاعي

لراديوم، ذلك البحث الذي شرح فيه خصائصه الضوئية والكهربائية والمغناطيسية والكيميائية الأخرى وكان من الجدية والألمعية بحيث قاد كاتبيه مع مساعدهما الدكتور (بيكيولر - Becauerel) إلى منصة استلام (جائزة نوبل) للفيزياء لعام (1903)، حيث جاء في خطاب تعميدهم ما يلي: (تقدير الجهود المشتركة في الاكتشاف والمعاونة التي خاضها معا لإمطة اللثام عن ظاهرة الراديوم الإشعاعية).

قاد الاكتشاف الفريد الزوجين كذلك للحصول على ميدالية (ديفي - Davy)⁽¹⁾ التي منحتها إياها الجمعية الملكية في لندن عام (1903).

نُشر بحث الزوجين في العديد من الدوريات العلمية كمشرة أكاديمية العلوم ومجلة الفيزياء وحوليات الفيزياء والكيمياء. هذا وقد انتخب (بيير) في عام (1905) لعضوية أكاديمية العلوم والتي كانت تمثل منصبا مرموقا وشرفا علميا لا يُعلى عليه لذوي الاكتشافات المرموقة في التاريخ الإنساني.

قُتل (بيير) عام (1906) إثر انفجار رأسه بعد ارتطامه بحافة الطريق إثر حادث عربة صدمته في باريس بعد خروجه منهكا من مختبره في ليلة ليلاء ممطرة، وبذلك تناثرت حبيرات دماغ ينذر أن وجود القدر بها، ومازجت خلاياه الممزقة وعظام جمجمته المحطمة أو حال ذلك الزقاق الباريسي المظلم وأوساخه واضعة نهاية حزينة لحياته وللسعادة التي سكنت قلب محبوبته أيضا. لقد كان القدر محاصرا لـ (بيير)، فلو لم يكن قد مات بهذه الطريقة لكان قد مات كما ماتت زوجته (ماري) بعد عدة سنوات. عرض سرطان الدم الناتج عن التعرض للفائق (لراديوم) وإشعاعاته خلال سنوات البحث والتنقية والجهاد المشترك، ولعلك لا تصدق مدى ولع أو جنون (بيير) بنشوة بحثه وافتتانه (بالراديوم) الذي اكتشفه، فلقد بلغ هوسه به الدرجة التي قادته إلى تعريض ذراعه لساعات طوال للإشعاع القاتل ليلاحظ تأثير أنسجته بالإشعاع وظهور الحروق الذرية عليها، كي يدرسها ملياً بنفسه... ثم لينتشي طويلا بعد ذلك بملاحقة الأيام الطوال اللازمة لشفاء تلك الحروق التي احتاجت أشهراً لتندمل بكل ما لفها من آلام وتقرحات، وليالٍ جافى النوم أجفانه فيها!

(1) The Davy Medal - وهي الميدالية التي تمنحها (الجمعية الملكية في لندن) سنوياً (لأحدث إنجاز علمي حلاق في أي من مجالات علم الكيمياء). اتخذت اسمها من اسم العالم الجليل (السير همفري ديفي (1778-1829) [Hemphry Davy] وتأت من ميدالية معدنية مع جائزة مادية بقيمة (1000 باوند أسترليني). منحت هذه الميدالية لأول مرة في عام (1877) لكل من (روبرت ولهم بنسن) و (روبرت كيرشهوف) وذلك عن أبحاثهما واكتشافاتهما في حقل التحليل الطيفي (Spectrum Analysis). لم يتوقف منح هذه الميدالية أبداً على مر الزمن وهي بذلك قد فاقت الميدالية التي تمنحها (الجمعية الملكية) والمسماة بميدالية (هوكر - Hughes). هذا وقد تم منحها ولحد الآن (131) مرة، آخرها كان للعالم الأسكوتلاندي [جيمس فريزر سنودارت (المولود عام 1942) James Fraser Stoddart] وذلك لمساهماته في مجال التقنية الجزيئية. (المترجم)



ذكرت الكاتبة (باربارا كولدسويث - Barbara Goldswith) مؤلفة كتاب (العبقرية المتلبسة بالجنون) ما خلف كواليس حياة (ماري كيوري) تصف اللامبالاة التي تلبست الزوجين في تعاملهما مع (الراديوم) المشع مقارنة بمعايير السلامة المهنية الصارمة المتبعة الآن في التعامل مع المواد المشعة؛ فلقد وصفت زيارة الفيزيائي (ارنست رذرفورد - Ernest Rutherford) للزوجين واحتفاله معهما بوليدهما الشيطاني الجديد قائلة:

((انتهت مراسيم العشاء، وقد كانت رائعة لا تنسى ودارت فناجين الشاي⁽¹⁾ على الجميع حتى احتسوها بمزوجة بسعادة الرضا وجور النقاش العلمي الودود ثم ما لبثوا أن انقادوا لجولة مسائية مستمتعين بالهدوء الذي جلبته سدول الليل الجميل كأمريرة نائمة موشحة بالطمأنينة ويلفها السكون، ثم ما لبث أن مد (بيير) يده إلى جيبه حيث كانت تستريح (ومنذ زمن!) زجاجة رفعها عاليا في الهواء فإذا هي لماعة وهاجة ترسل ضياءً خافتاً أخاذاً فاتناً. أضواء أنبوب (بروميد الراديوم) وجه (ماري) المهلك كما أضواء كافة التجاعيد والخفر والقروح التي لاحظها (رذرفورد) على يد بيير وأصابعه شبه المدمرة من أثره!)).

قررت هيئة العلوم تعيين (ماري) في كرسي زوجها المتوفى تقديرًا لها وإجلالاً له ولضمان استمرار العمل الذي بدأه، كما أحييت الجمعية الفرنسية للعلوم في عام (1908) ذكرى فقيدتها العزيز (بيير) بعد وفاته بإعادة طبع ونشر أعماله العلمية الكاملة بمجلد واحد ضم ما يقارب (600) صفحة.

استمرت ماري بعملها الذي نذرت حياتها من أجله حتى توجته بحصولها على جائزة نوبل في عام (1911) (تقديرًا لجهودها المتميزة في تقدم علم الكيمياء باكتشافها لعنصري (الراديوم) و(البولونيوم) وتمكنها من عزل عنصر (الراديوم) ودراساتها لطبيعة ومركبات هذا العنصر الفذ) وبذلك نقشت (ماري) اسمها في سجل الخالدين كأول شخص يحصل على (جائزة نوبل) لمرتين في العالم. ولعل في الذكر المختصر لسيرة هذه العائلة وأبنائها ما ينير الدرب لكل طموح مثابر، فلم تتوفر لهم الكثير من الإمكانيات المادية ولكنهم تمكنوا مما لم يتمكن منه بقية المترفين. حصلت ابنة (ماري) وبيير (الكبرى) [ايرين (1897-1956) Irene] وزوجها العالم الفيزيائي الفرنسي [جين فردريك جوليو (1900-1958) Jean Frederic Joliot] على جائزة نوبل للكيمياء عام (1935) كما اشتهرت ابنتهما الصغرى (ايفا) بكتابتها قصة حياة والدتها وتاريخ معاناتها وإنجازاتها والذي نشر في عام (1938) بعنوان (مدام كيوري). ولعل رغبة كتابة الابنة عن أمها يعود إلى رغبة الأم بالكتابة

(1) The Joyful Toasts - في أصل النص. (المترجم).

عن زوجها، فقد سبق الإشارة إلى أن (ماري) كانت قد كتبت سيرة حياة زوجها (بيير) والتي ضمّنتها معاناتها معه كعالمين عانا الكثير من الحرمان المادي والمآسي وانعدام المساعدة والإسناد في بحوثهما العلمية حتى تمكّنا من شق طريقهما نحو الشهرة والجائزة والخلود في ضمائر الناجحين.

لم يعان أحد كما عانت هذه العائلة المثابرة، وقد يصدق عليها المثل القائل بأن (الحقيقة أغرب من الخيال) ولعله من الصعوبة بمكان تصور الثمن الفادح من التعب والإرهاق والمال والصحة الذي كانت هذه العائلة قد بذلت مع من عمل معها ورافقها في طريق الكفاح ورحلة اكتشاف المجهول وفتح باب العلم على (ظاهرة النشاط الإشعاعي) كما لم يُفتح من قبل، فلقد عانت مساعدة ماري (بلانش وِتمَن - Blanche Wittman) من آثار التسمم الإشعاعي نتيجة تعرضها المستمر لتلك المواد للدرجة أدت إلى بتر كلا ساقيها وذراعها الأيسر ولم تُر بعد ذلك إلا وكأنها مسخ مشوه - ككتلة لحمية على كرسي متحرك لا تكاد ترى منها إلا ذراعاً متحركاً واحداً ووجهاً مشوهاً حزينا. لقد تعاطفت (ماري) مع مساعدتها أشد التعاطف وأسكنتها معها في شقتها حتى وافاها أجلها المحتوم بعد آلام مبرحة في عام (1913).

ولعل في الرواية الواقعية التي كتبها (بر اولوف انكوست - Per Olov Enqvist) والتي نُشرت في عام (2006) بعنوان (كتاب ماري وبلانش) شيء من حقيقة ما جابهته هاتان السيدتان الفريدتان من معاناة وألم وما مرّ به من أهوال وصعاب وهي رواية مؤثرة استمد العديد من الكتاب أمثال (لوان كائز - Luan Gaines) مادة سلسلة غنية منها فصارت مثلاً للكفاح العلمي اللامحدود.

كتب (لوان كينز - Luan Gaines) يصف ما عانته الآنسة (وِتمَن - Wittmen) يقول:

((لعل بإمكانك تصور ذلك المشهد المأساوي الحزين والمفوف بالألم والمحاط بشياطين الموت لرأسي امرأتين عاكفتين على معالجة مئات الكيلوغرامات من تلك المادة الشيطانية القاتلة ذات الأبخرة السامة غير المرئية والإشعاعات الخفية المهلكة والتي طمست (وكانها السحر الأسود المشؤوم) كامل جمال (بلانش) الأسر وقضمت وشوّهت يد (ماري) اليمنى ومسخت وجهها. لقد لفت روح الصداقة وأجنتها وظلال التضحية ومودتها هاتين (الأختين) وهما تواجهان - وبهجة طاغية!! هذا الشيطان المتوهج الأسر، الذي لم يترك المرأة الجميلة الجذابة (بلانش) إلا وهي مجرد مسخ برأس حائر وجسد مترهل بلا أطراف، اللهم إلا بعض أصابع يدها اليمنى التي أبت إلا أن تخط (وبإصرار قل نظيره) أفكارها وسيرة حياتها بلحمة خالدة سطرتها بدمها قبل دموعها وعمدتها بصبرها وبآلامها وروت فيها صراعها مع هذا المارد الخفي المهلك، بل مع الطاغوت الجديد الذي لم يكن بالحقيقة سوى الموت بعينه، ذلك القدر الذي عاشت معه وعاصرتة وراقبتة وهو يُترعها كأس المنون الذي



تجربته، وشعرت به وهو يتغلغل بين ثنايا جسدها ويقضم خلاياها الواحدة تلو الأخرى)).

وبإمكانك الآن تصور الخطر الذي كان قد أحاط بالمرأتين والموت الزوأم الذي تسلل إليهما (عبر كل شهيق هواء وكل مسامة جلد) وهما غافلتان عنه تماماً، إذا علمت أن عملية إعادة تأهيل الأوراق والمذكرات والمصادر التي كانت تضعها (ماري) على طاولتها وتقلبها بأصابعها قد استغرقت ما لا يقل عن العامين الكاملين من المعالجة والتنقية لإزالة الآثار المشعة لعنصر (الراديوم) عنها والتي كانت قد تلوّث بها قبل أن يُسمح بإدخالها إلى المكتبة الوطنية الفرنسية حوالي عام (1995) وعرضها للاطلاع عليها والاستفادة منها من قبل روادها والباحثين.

ولد (بيير ويس - Pierre Weiss) عام (1865) في مدينة ملهاوس (Mulhouse) الفرنسية لأب امتهن الخياطة في أحد متاجر الأقمشة. واشتهر بنظرياته عن المغناطيسية التي شملت ملاحظة ومحاولة تفسير العديد من الظواهر ذوات العلاقة كظاهرة الاختفاء المفاجئ لمغناطيسية المواد الممغنطة طبيعياً عند تسخينها لما يفوق (درجة كيوري).

تخرج (ويس) عام (1887) الأول على صفه حاصلاً على درجة الإجازة في الهندسة من (معهد البوليتكنيك)، وفي عام (1902) أصبح أستاذاً ومدير المختبرات الفيزياء في ذات المعهد. وكما سبق ذكره فقد تمكن (ويس) هذا من تحويل قانون (كيوري) للمغناطيسية وجعله أكثر عمومية بشموله تفسير تصرف المواد شبيه المغناطيسية لما فوق (درجة كيوري) الخاصة بها. وتمكن بعد إدراكه لموضوع المغناطيسية وفهمه العميق له من وضع تصوره الشهير عام (1907) حول ماهية المغناطيسية الطبيعية ونظريتها التي افترضت (وباختصار) احتواء كافة المواد المغناطيسية الدائمة على وحدات مغناطيسية صغيرة مفردة، سميت لاحقاً بـ (الحدود المغناطيسية - Magnetic Domains). كما توصل كذلك في عام (1918) إلى اكتشاف الظاهرة الكهروحرارية واستطاع أن يربطها بقوانين الديناميكية الحرارية المعروفة آنذاك واستطاع بذلك حساب التغيرات الطارئة على درجة حرارة المواد المعرضة لتغيرات محسوسة في المجال المغناطيسي المسلط عليها.

لا نعرف إلا النزر اليسير عن الحياة الشخصية لـ (ويس) هذا وكل ما نعرفه هو أنه كان قد تزوج من المدعوة (جين رانسس - Jane Rances) ذات الأصول الإنكليزية من ناحية والدتها، أما هيئته فكانت مهيباً بطوله الفارع وشاربه الكث. رُزق بابنة جميلة اسمها (نيكول) والتي تزوجت في عام (1938) من الرياضي الفرنسي الشهير [هنري كارتان (Henri Cartan) (1904-2008)] الذي اشتهر بإسهاماته الفذة التي كانت حجر الأساس في تطوير نظرية الدوال التحليلية. توفيت زوجته

عام (1919) ولم يتزوج بعدها إلا في عام (1922) من (مارثا كلين - Martha Klwin) والتي كانت خريجة جامعة حاصلة على شهادة الامتياز في تدريس الفيزياء، وعملت كفني شعاعي تشخيصي. أما أشهر ما عُرفت به (مارثا) فهو تفهمها للصعوبات التي وضعت لعرقلة تقدم المرأة العلمي في أوائل القرن العشرين وكانت قد عكست ذلك في رسالتها الشهيرة المنشورة في عام (1919) والتي صاغت فيها معاناتها ومعاناة بنات جلدتها من اضطراهن للابتعاد عن اختصاصاتهن وممارسة أعمال أخرى مغيرة أو حتى مناقضة... تقادياً للبطالة وطلباً للقمّة العيش المرير لا غير!

كتبت (مارثا) قائلة: (لقد أجبروني على تدريس مادة التاريخ الطبيعي لطالبات المرحلة الابتدائية اللاتي لا تتجاوز أعمارهن الـ (10 - 14) عاماً وإمعاناً في إبعادي عن تخصصي في تدريس الفيزياء فلقد وجدت نفسي مرغمة (وفي أحيان كثيرة) على تدريس مواد مثل الاقتصاد المنزلي الذي لا أطيعه!!).

لتوضيح أهمية الفكر الخلاق الذي حمّله (ويس) والذي استنبط بفضل فكرة وجود (الكتل أو الوحدات المغناطيسية واعتبارها أساساً للبناء المغناطيسي للمواد التي تمتاز بها، كتب (يتينيه دو تريمولييه - Etienne Du Tremolet) وزملائه مقالة في دورية (أسس المغناطيسية) جاء فيها:

((افترض (ويس) وجود تكتلات مغناطيسية دقيقة على المستوى الميكروبي (أي بأبعاد تقارب الواحد من المليون من المتر - أو الواحد من الألف من المليمتر) تتموضع داخل المواد دائمة المغناطيسية وتتماز باتخاذها قطبية ثنائية (سالبة - موجبة أو شمالية - جنوبية) وتعتبر هذه التكتلات هي المصدر الأساسي للمغناطيسية الطبيعية (فهي ممغنطة بطبيعتها) ولكن لا يعني ذلك بالضرورة اصطفاً (كافة) تكتلاتها الدقيقة على قدم المساواة بالطور، ولا على هيئة التناظر في القطبية. ولهذا نجد الحاصل العام لتأثيرها المغناطيسي يكاد يكون صفراً بالنظر لعدم تكوين أي عزوم مغناطيسية ملموسة لها ولذلك تظهر تلك المواد وكأنها عديمة المغناطيسية)).

أطلق اسم (تكتلات ويس) على هذه التكتلات المغناطيسية الميكروية الدقيقة التي اقترحها اعتراضاً بفضلها، ويعتقد اليوم أنها غالباً ما تكون مفصولة بمستويات وأسطح تسمى (أسطح بلوخ The Bloch Walls) والتي تتألف من عدد معين من المستويات الذرية والتي يفترض أن تكون مسؤولة عن إعادة توجيه العزوم المغناطيسية المتناثرة والتي غالباً ما تمر من كتلة مغناطيسية إلى أخرى عبر تلك المستويات. ولعل خير ما أنهى به مواساتنا لأنفسنا عن عالمنا الفذ (بيير كيوري) هو بالعودة إلى مأساة وفاته تلك الفاجعة التي حطمت كيان (ماري) زوجته، وأكلمت قلبها، بل وهزت كيان المجتمع العلمي



الفرنسي قاطبة في ذلك الوقت، وبالإمكان تصور حجم تلك الفاجعة التي ألمت بالأكاديميين والأساتذة والعلماء، بمرجعة واحدة من عشرات رسائل النعي والذكريات التي استلمتها (ماري) بعد وفاة زوجها وحرصت على نشر مختصراتها. ولعلي أكتفي هنا بما جادت به قريحة صديقة الرياضي الفرنسي الشهير [هنري بونكاغ (Henri Poincare) (1854-1912)] والتي جاء فيها:

((جلست إلى جانبه أحاوره حتى أوشكت أحجار موقفه الحجري الأنيق، الحاضنة لجذوة ناره أن تُوراري بحنان بقايا ذؤيبات اللهب المشككة على الأفلول وكأنها قد فضلت النوم مبكرة تلك الليلة!. رحل نور الموقد (أو أوشك) ولكان القدر يوشك بدوره على الإيذان برحيل نور بشري أثير إثر رحيل وخبر تلك الذؤيبات المنيرة... تكلم بطلاقة وانفتاح أفق حتى انساب أفكاره متسلسلة مرتبة وفاقت حدود الواقع والخيال حتى لكأنني كنت أستمع لصوت آت من عالم آخر أو لكأنني كنت أظير مع أحاديثه على أجنحة من النشوة زينت بحقائق العلم. لقد كانت أفكاره غنية ثرة وكانت آراؤه عميقة ثاقبة، فلقد اكتسب ذهنه تلك الطريقة الساحرة المينة في التعامل مع الظواهر والأحداث والتي لا تترك لك إلا مجال الإعجاب بتسلسل تلك الأفكار والانبهار بذلك الذهن الثير المعطاء. لقد تسمر عقلي في تلك الليلة خاشعاً ودُهلت بصيرتي مفتونة بعظمة الفكر الإنساني وتجلياته الباهرة في الرجل - ولكأنه كان ينطق بصوت الوحي - الذي رفعه إليه في مساء الليلة الموالية - لقد كان ذكاؤه الوقاد يترأى أمامي ككلمات وجمل وكحقائق تكاد يداي أن تجسها وتكاد عيناى أن تحسها كما تحسان بضوء فلق الصباح. ولكن الذي دك مسمعي وأرعد كياني هو خبر الحادث الذي شهده رصيف طريق مختبره في مساء اليوم التالي، والذي محا ليس نور الأمل في نفسي من إكمال التفكير والبحث بما حدثني به وإنما قضى على آخر بصيص نور من حياة ذلك العقل الوقاد وذلك الإنسان الفذ الذي ودعني بعد أن أو دعني حمل هذه الأفكار في تلك الليلة!).

ذكرتني ركلة الحصان الهائج التي فجرت دماغ (بيير) بعد أن صدعته بحافة الرصيف المتبلت بمياه المطر الموحلة والملوثة ببقايا النفايات القذرة بتفاهة الأفكار العظيمة وضآلتها في مواجهة جمحافل الظلام والقوى العمياء الغاشمة التي تصول وتجول بلا وازع ولا رادع ولا هاد في أرجاء الكون مكتسحة وطامسة أمامها كل ما تجده من خير ونور!)).

لم يجد علماء فرنسا والعالم أجمع غير الكلام لينعوا به هذه الشخصية الخالدة رغم جهودهم البينة في إسباغ ما استطاعوا عليه من آيات الاحترام والتبجيل فلم يبق في بلدنا مواطن واحد مهمما كان

جهله بالعلم والعلماء إلا وقد اعتصرت روحه اللوعة وعم قلبه القنوط للخسارة الجسيمة التي لحقت الأمة والعالم بخسارة هذه المنارة العلمية والإنسانية التي قل أن يجود الزمان بها. لم ينظر (بيير) ولا العظماء وأمثاله إلى داخل أنفسهم ولا إلى أسطح الظواهر التي درسوها وإنما كان لهم قابلية الولوج إلى أعماق الأشياء والنظر إلى دواخلها ومضامينها محاولين فهم أسرارها. لقد كان لمزيج الحب والعمل نتائجه السحرية الباهرة، فلقد عشق (بيير) الكمال وجعله ديدنه الأعلى وتشرب بحبه لعمله حتى كان عمله هو حياته نفسها... فتطابقا، ولقد ضرب لنا أسطح الأمثلة على عظمة الإنجاز وروعة الإبداع إذا ما أحب الإنسان الحقيقة وسعى لها سعيها وهو مؤمن بها. لعل (بيير) كان متذبذبا في بعض معتقداته الدنيوية، ولكن إيمانه الراسخ بالحق والفضيلة والصدق في المشاعر والإخلاص في العمل كنّ الصفات اللآتي أوصلته إلى إنجازاته، وفي ذلك خير عنوان لعمق احترامه له.

سميت إحدى قوّهات القمر بقطر (151 كيلومترا) باسمه تقديراً له، وتمت المصادقة على ذلك في عام (1970) من قبل الجمعية العامة لاتحاد الفلكيين العالمية.

مصادر إضافية وقراءات أخرى:

Applied Alloy Chemistry Group, "Classification of Magnetic Materials," University of Birmingham; see www.aacg.bham.ac.uk/magnetic-materials/type.htm#Diamagnetism#Diamagnetism.

Curie, Marie, *Pierre Curie*, Charlotte and Vernon Kellogg, translators (New York: Macmillan, 1923); see etext.lib.virginia.edu/toe/modeng/public/CurPier.html.

De Lacheisserie, Etienne Du Tremolet, Damien Gignoux, and Michel Schlenker, *Magnetism: Fundamentals* (New York: Springer, 2004).

Enquist, Per Olov, *The Book about Blanche and Marie* (New York: Overlook Press, 2006).

Gaines, Luan, "Book Review of *The Book about Blanche and Marie*," *Curled Up with a Good Book* (e-zine); see www.curledup.com/blanchem.htm.

Goldsmith, Barbara, *Obsessive Genius: The Inner World of Marie Curie* (New York: W. W. Norton, 2004).

Martin, D. H., *Magnetism in Solids* (Cambridge, Mass.: MIT Press, 1967).

Moore, Pete, *$E = mc^2$ The Great Ideas That Shaped Our World* (New York: Sterling Publishing, 2005).

Nobel Foundation, "Pierre Curie Biography," in *Nobel Lectures, Physics 1901-1921* (Amsterdam: Elsevier Publishing Company, 1967); see nobelprize.org/physics/laureates/1903/pierre-curie-bio.html.

Perrin, Francis, "Pierre Weiss," in *Dictionary of Scientific Biography*, Charles Gillispie, editor-in-chief (New York: Charles Scribner's Sons, 1970).

Prepost, R., "Ferromagnetism—the Curie Temperature of Gadolinium," University of Wisconsin; see www.hep.wisc.edu/~prepost/407/curie/curie.pdf.

Wyant, Jean, "Pierre Curie," in *Dictionary of Scientific Biography*, Charles Gillispie, editor-in-chief (New York: Charles Scribner's Sons, 1970).



أفكار فلسفية وآراء للمناقشة:

- للرياضيات العالمية رموزها الخاصة والتي قد تظهر معقدة وغير مفهومة لغير المختص ولكن رغم ذلك يمكننا أن نساوي بين تعقيداتها وإبهامها وبين فرضي ذات الرموز إذا ما اصطفت عشوائيا بعد رفس جردل مملوء بها من قبل أحد المجانين؟

بيل

Eric Terple Bell quoted in J.R. Newman's "The World of Mathematics"

ما اختاره (نيومن) من قوله في كتاب (عالم الرياضيات).

- لا يوجد بين طيات الكتب وصفحات المجلدات إلا النزر اليسير من أمهات القوانين، كونية التطبيق من العيار الثقيل أمثال (قانون قوى نيوتن الثاني):

$$F(x,t) = m(x) \cdot d^2s(x,t) / dt^2$$

ولكن يوجد هناك الكثير من القوانين التي تحكم لنا بعض (القوى الخاصة) كقوانين التجاذب بين الأجرام وبين الشحنات الكهربائية.

أنا لا أشكك بصحة قوانين الفيزياء التي وضعناها ولكن لي أن أقول إنها لا تفسر لنا ماهية القوة الفاعلة، فهي لا توضح لنا أيًا من القوى هي المبادرة وأيًا من القوى هي التابعة لها، أما قوانين الأنظمة التي تفسر لنا أنظمة محدودة ضمن إطار زمني معلوم (Δt) فهي تعتمد على تعاريف محددة وخصوصيات مقننة للقوى الفاعلة ضمنها ؛ ولعل في قوانين (كبلر - Kepler) لمدارات الكواكب الإهليجية والنظرية الموجية الكلاسيكية أمثلة بينة على ذلك.

شرز

Gerhard Schurz, Normic Laws, Non - Monotonic Reasoning, and the Unity of Science.

مقتطف من كتابه (القوانين الطبيعية والسببية اللاأحادية ووحدة العلوم).

- لعلك توافقني الرأي بوجود جدران كاملة في مكاتب ضخمة عامرة بالأعداد الهائلة من الرفوف التي تنوء بحمل الآلاف من كتب الإلكترونيات والكم والكهربائية الكمية... ولكني على يقين من استحالة وجود أي كتاب من بينها، يضم بين دفتيه التعريف العلمي الصحيح والدقيق (للالكترون) لسبب بسيط، واضح جلي.... وهو أننا لا نملك أدنى تصور عن ماهيته!

انك

Vincent Icke. The Force of Symmetry.

مقتطف من كتابه (قوة التماثل).

– أنا على يقين ليس فقط من (موضوع الإله) وتصرفه العشوائي بالكون (حسب مبدأ العشوائية أو لعبة النرد) فحسب، وإنما لا أستطيع تخيل وجود الكون أصلاً بدون ذلك! فالعشوائية تحتوينا من كافة الأوجه وتلفنا من كل الزوايا فهي فينا و حولنا وفي كل شيء وفي كل مكان. ولعلي أكاد أجزم بكونها (هي) مصدر وجودنا، فالخصائص الكيميائية عشوائية بلا سبب معروف وإليها يعود فضل (كينونة) الوجود فهي تلهو بطرق كل الأبواب وباكتشاف كل الاحتمالات الممكنة للتطور وتجيء بها من خلال طيات الوجود وتسطرها على صفحات الزمن.

شون

Marcus Chown. "It's All Down to a Roll of the Dice"

New scientist (oxcerpts of Interview with Stephen Hsu and Nick Evans).

مقتطف من مقالة نشرت في مجلة (نيوسينتست) بعنوان (لعلها بأجمعها ضربة حظ

الحريه

الكتاب عبارة عن سفر غني ثرٍ مثل جولات
مستفيضة ومختصرة ومناقشات مفهومة
وأخر غامضة، وسجلات ناجحة وغيرها
فاشلة.. ما بين مبدعين أقل ما وصفوا به
هو الأملية والعبقرية.

سيقاد ذهنك ويؤخذ لبك في رحلة شيقة
معطاء ليس أقلها التعرف على (معنى
الحقيقة حقاً)، و(متى سيكتشف القانون
الأخير في الكون؟)، وكيف تتذوق (إثبات
جمال الرياضيات ورشاققتها)، و(إدراك
فضلها على سائر العلوم)، فضلاً عن
معرفة (الآماكن التي عاش فيها مكتشفو
القوانين ومبدعوها) ومعايشة (صبرهم
ومعاناتهم) ومن ثم اكتشاف سر (أشهر
عشر معادلات رياضية حملتها طوابع
نيكاراجوا البريدية)!

كما ستتعرف على مبدأ الشك
(لهيزنبرك)، والمعادلات الموجية
(لشرودنجر)، ومعادلات المجال
(لأينشتاين) ونظريته في النسبية، وما
يراه (هاوكنج) بصدد هندسة ومصير
الكون وتوصيفه لثقوبه السوداء، و(دلو)
لتطورها البيولوجي، وعشرات غيرها.